المشكلات المدرسية

في

العلاقات الإنسانية

تأليف

لويروالين كوك

ترجمة

عفاف محمد فؤاد

مراجعة

فريد عبد الرحمن

الكتاب: المشكلات المدرسية في العلاقات الإنسانية

الكاتب: لوير والين كوك

ترجمة : عفاف محمد فؤاد

مراجعة : فريد عبد الرحمن

الطبعة: ٢٠٢٠

صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٦

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

كوك، والين ،لوير

المشكلات المدرسية في العلاقات الإنسانية/ لوير والين كوك، ترجمة :عفاف محمد فؤاد، مراجعة : فريد عبد الرحمن– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٤٨٩ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى : ٠ – ٠٧ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٧١٧ / ٢٠١٩

المشكلات المدرسية
في
العلاقات الإنسانية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

يعد هذا الكتاب دراسة للمشكلات التي تقع في ميدان العلاقات الإنسانية داخل المدارس وخارجها، وهو أيضا دراسة لما اتخذ أو ما كان يمكن أن يتخذ لحل هذه المشكلات، وتحتوي هذا الكتاب في أساسه حالات ملموسة جمعها المؤلفان بوصفهما مستشارين للمدارس وجماعات البيئة بالإضافة إلى معلومات جمعت من العلوم الاجتماعية .

والمؤلفان من علماء الاجتماع التربويين المشتغلين بالتدريس في الكليات والأبحاث الميدانية.

وإذا كان لهذا الكتاب موضوع رئيسي ، فهو أن المدارس ينتظر أن يعظم عملها في نواحي الصحة ، والرفاهية ، والأمن، وتعليم الأطفال والشباب كما ينتظر منها أن تتعاون مع البيت ، والحكومة، والهيئات المدنية ، والمعاهد الموجودة بالمنطقة على توضيح الأسس التربوية السليمة وأساليبها ، واستخدامها في البيئة .

ولعل من جوانب هذا العمل – وهو الجانب الذي يتم به هذا الكتاب – حل مشكلات العلاقات الإنسانية .

ويعرف الجزء الأول من هذا الكتاب تعليم العلاقات الإنسانية ، ويناقش طريق حل المشكلات، ويتناول أنواع التعليم التي يمكن عن طريقها تخطيط أهداف منهج دراسي محدد .

أما الجزء الثاني ، وهو الجزء الأساسي ، فيضم تسعة فصول يعني كل منها على التوالي دراسة حالة من الحالات الآتية وهي :–

التدريس في المراحل الأولى، ونظام الفصل، والفروق الفردية والعلاقات بين الجماعات ووسائل الاتصال بالجمهور، ونواحي النشاط خارج الفصل، والعلاقة بين المدرسة والبيت ، ودراسة البيئة والسلوك فيها، والعلاقات بين ناظر المدرسة وهيئة التدريس .

ويعالج الجزء الثالث من الكتاب دور المدرس الرائد في تغيير السلوك، وهو جزء يعني بالنظرية وعمقها، أكثر مما تعني بها الفصول الخاصة بالحالات . ولو كان العلاقات الإنسانية في التربية عند العاملين بالمدارس أهميتها التي يقدر أن تكون لها ، لسكان من السهل أن نقرر مكان دراسة مشكلات المدرسة ، والبيئة في مناهج دراسة المعلمين ، أما والمسألة اليوم محل شك فقد استخدمنا المادة التي نقدمها هنا في الدراسات الجامعية والعليا في تعليم العلاقات الإنسانية، ولذلك نوصي باستخدام الكتاب في الدراسات، أو المعامل الخاصة بحل مشكلات العلاقات الإنسانية، والعلاقات التي بين المدرسة والبيئة، وفي التربية الاجتماعية، والإدارة المدرسية، ولقد ألقى جزء كبير من هذا الكتاب قبل نشره كمحاضرات على الطلبة المتخصصين في التربية .

ولا يسعنا إلا أن نذكر بالفضل كل من أسهموا في هذا الكتاب لأبنائنا من الطلبة بصفة خاصة وللسادة الأساتذة الذين قاموا بتدريس أجزاء من الكتاب، ويدين المؤلف بالشكر الأول للسيد "كلارينس هيلبرى" Clarence Hilbery للفرصة التي أتاحها له بتعيينه في إدارة الجامعة إذ أن المرء يحصل على فكرة عن العلاقات الإنسانية حين يكون في إحدى الوظائف الإدارية تختلف عن فكرته عنها وهو في وظائف التدريس، ولقد أفدنا من هذا التغيير في وجهة النظر.

لويد آلن كوك
ايلين فورسيث كوك

الفصل الأول

مقدمة ـ تربية العلاقات الإنسانية

(إن مشكلة أمريكا هي أن تترجم التقدم التكنولوجي الكبير إلى تقدم إنساني كبير وهي مشكلة من مشكلات العلاقات الإنسانية وخير البشر)

والترب . رويتر

الاهتمام بالعلاقات الإنسانية قديم في التربية، حتى أصبح اليوم ميدانا عاما يدرب عليه من يعملون بالمدارس ، ويسير الاتجاه فيه من الاهتمام العام بها في مناهج الكليات المختلفة إلى الاهتمام المركز في منهج أو أكثر من المناهج التي تقرر على الطلبة والخريجين – كما انتقل الاتجاه من عمل الإنسان على أن يحسن إلى الناس ، وأن يقدم الخير لهم ، إلى دراسة العوامل الإنسانية التي تتضمنها العملية التربوية ، أي دراسة الجانب الإنساني من دور المدرس الرائد في المدرسة وفي المجتمع . وهدف هذا الكتاب هو الإسهام في سير هذا الاتجاه، وتعميق إدراك الطلبة ، وزيادة مهارتهم في تعاونهم مع غيرهم من الناس .

وهدف الجزء الأول هو التعريف بهذا الميدان، وإعداد الذين يعملون أو على وشك أن يعملوا بالمدارس، قبل اضطلاعهم بالعمل وفي أثناء

قيامهم به ، لكي يستطيعوا علاج الحالات المشكلة التي نتناولها في الجزء الثاني من هذا الكتاب . أما هذا الفصل الأول فله هدفان أحدهما وقوف الطلبة على أنواع المواد المتصلة بعملهم داخل الفصل ، والآخر هو رسم إطار خارجى يحدد معانى مثل هذه المعلومات ، ويناقش الفصل الثاني ممارسة حل المشكلات مع العناية بتدريب المهارة في عمليات سلوك الجماعة . ويقترح الفصل الثالث بمجموعة من الأهداف التعليمية ، يمكن بوساطتها لإحدى جماعات الدارسين أن تقرر الأهداف المحددة للدراسة في إحدى الكليات – و تقوم هذه الفصول الثلاثة بتوجيه القاري إلى ميدان العلاقات الإنسانية ، ويجب مراجعتها كلها بعد أن يدرس كل واحد منها على حدة.

المشكلات المدرسية حالات مختلفة

لعل من الضروري ، أن نبدأ منهج الدراسة بعرض حالات ملموسة في المدرسة والمجتمع ، حتى تنمي من البداية عادة الصراحة في الكلام . وكل حالة مهما كان نوعها ذات فائدة، طالما كانت تبعث على التعمق في التفكير . والحالات المعروضة هنا مأخوذة من عدة مواد تولى التحريف بها في الفصل الثاني . وهي متدرجة من البسيط إلى المعقد . إلى جانب اختيارها دون ترتيب . ولا تختلف أية حالة عن الصوت الذي يسمع خارج النافذة من حيث إنه مألوف من ناحية ، وغريب من ناحية أخرى ، ولهذا فكل حالة تدعو إلى الفحص.

والحالة الأولى يعرضها مدرس مشرف على مجلس الطلبة بالمدرسة

ليس للطفل الصغير حق التصويت:

اجتمع مجلس الطلبة بهذه المدرسة ، وكان على رائدي الصفوف الخمسة الأولى أن يعرضوا بعض المشكلات التي يقوم المجلس بعلاجها في أثناء الفصل الدراسي . وكانت الأمور تسير سيرا عاديا إلى أن جاء دور رائد من رواد الصف الثاني ليقدم تقريره ، وهنا سار الصبي في مشية عسكرية في الممر ، ثم تسلق الدرجات حتى ارتقى المنصة ، منتفخ الأوداج ، وبعد أن تحسس جيوبه ، أخرج ورقة من جيبه الخلفي وبدأ يقرأ منها وكانت المشكلة التي أثارت أكبر قدر من الضحك هي الخامسة في قائمته . فالصف الثاني ، كما كان يبدو له ، قد مل أن يطلق عليه كلمة أطفال ، فهؤلاء الصبية لم يعودوا أطفالا بعد بكل تأكيد. إنهم كبار ، أو على وشك أن يكونوا كبارا ، وهم يطلبون من المدرسة أن تكف عن مناداتهم بهذه التسمية المشينة .

وبدا لنا طلب بيلي مضحكا إلى درجة أننا ضحكنا له وقهقهنا طويلا، فاحمر وجه الصبي ، ولما ضج المكان بضحكنا غطى عينيه براحتيه، ثم استدار عنا ، واندفع هابطا الدرجات خارجا أمر سلوكه ، ثم واصل المجلس عمله .

كان من عادتنا ، بعد أن يعرض رواد الصفوف تقاريرهم ، أن نضع قائمة بكل المشكلات المعروضة ، ثم تختار عن طريق التصويت ، عشر مشكلات لنعالجها في أثناء الفصل الدراسي، وحدث ما كان متوقعا فلم يقم أحد ، ولا حتى " الصبي بيلى " بالتصويت في جانب المشكلة التي

سببت لنا كل هذا المرح.

ويخيل أنا أن المشكلات المدرسية في العلاقات الإنسانية ، وهي المشكلات والنتائج التي تنشأ في أثناء العمل، من شأنها ألا تستهوى العقول الكبيرة التي تعمل على إعادة بناء المجتمع ، وسنرى أن هذه تتدرج في تعقدها ، غير أن الأمور الصغيرة هي التي تسبب للعاملين بالمدرسة أكبر قدر من المشاغل، كمشكلة حرمان الأطفال من التصويت في مسائلهم.

ترى هل عولجت العلاقات الإنسانية في الحالة المذكورة أعلاه علاجا سلبياً ؟.

لقد اختلف رأى طلابنا وعلى الأخص الذين دون التخرج في هذا الموضوع، فيرى البعض أن الأطفال لا يرون غضاضة في أن يطلق عليهم لفظ أطفال ما دموا بعد سنوات قليلة سوف يكبر ون ، ويتحررون من هذه التسمية . وهنا لا يعدو المدرس أن يكون واقعيا بالنسبة لهم ، ويرى آخرون أن مثل هذه التسمية تحط من شأن من تطلق عليهم ومن ثم تضر بشخصيتهم و بنموها ، ويقولون إن مثل هذه التسمية يستقر استعمالها في المدرسة المعتقد إلى كل جماعة جديدة تفد إليها، وأن على المدرس الذي يعني بطريقة معاملة الناس بعضهم البعض أن يحاول منع استخدام هذه التسميات والنعوت ، أما كيف يتحقق هذا المنع فسأله يحلو لهم تأملها والبحث فيها .

والحالة التالية من حالات ما نجري أحيانا من هوس في المدرسة ،

وهي حالة تتكرر ولكنها ألا نعمر طويلا .

مسك الأيدي في مدرسة بليجرم (Pilgrim):

في مدرسة Pilgrim الإعدادية تحدث حالة غريبة : إذ تمشي الطالبات في طرقات البهو ، وداخل الفصول أو خارجها ، وكل واحدة تمسك بيد أخرى ، ومن لا يفعلن ذلك منهن يكن موضع سخرية ، و ينظر إليهن على أنهن شواذ . وليس غريبا أن تحدث في المدرسة بعض حالات الهوس ، لكني لم أسمع أبدا عن حالة هوس إلى هذه الدرجة .

إن المرج مرح ولا مراء ، ولكن إلى أي مدى يجب أن يمضي ؟ هذا ما شغل بال هيئة التدريس في المدرسة وبخاصة مديرة المدرسة السيدة مارش (Marsh)

ولقد علمت من الطالبات أن مسك الأيدي بدأ من أسبوع أو أكثر في فصل من الفصول . فبعثت استدعى المدرسة السيدة (باتى) وهي عجوز شمطاء لا تحبها الفتيات . حدث عندما بدأن مسك الأيدي في أول الأمر ، أن أرسلتهن المدرسة إلى مكتب المديرة لكن هذه صرفتهن . فأصبح مسك الأيدي منتشرا في المدرسة كلها ، لأسباب لا أعرفها .

وفي اجتماع أساتذة المدرسة اليوم ، تكلمت السيدة بات عن المشكلة ، وذكرت اسمين من زعيمات الشلة في فصلها ، وطلبت أن تفصلا من المدرسة بعض الوقت حتى يتعلم كيف تسلكان السلوك

الصحيح ، وقالت المديرة إن الأمر كله سخف ولا يصح الكلام فيه ، وأضافت أنها الا تعلم ماذا سيحدث عندما يعلم أولياء الأمور بالأمر، وقالت إنها على استعداد لفصل المسيئات ، إذا لم يكن من الممكن علاج المشكلة بصورة أخرى .

هنا نتساءل ما إذا كانت الطالبات يعرفن مثل هذه الأشياء من خبراتهن ، وما إذا كن يدركن أن هذا هوس . إن ولر (woller) يناقش هذا السلوك الجماعي مناقشة طيبة . وقد يرى المدرس والفصل القيام بسلسلة من القراءة يتولاها متطوعون يقرءون عن الجوانب الهامة في حالة من الحالات ثم يقدمون نتيجة قراءاتهم للفصل كله ، هل يمكن معالجة حالات مثل هذا الهوس عن طريق العقاب ؟ قد يكون ذلك ، إذا كان هذا نوع العلاج السائد عند مدير المدرسة أو هيئة التدريس . لكن لنفرض لمجرد الجدل، أن علاجا آخر كان سائدا في مدرسة بلجرم Pilgrim . ولنفرض أن مسك الأيدي لم يحفل به أحد أو أن المدرسات سايرنه ومضين بالمدرسة وهن ممسكات إحداهن بيد الأخرى فيما يشبه الاستعراض فهل يكفل ذلك أن تجل من الخير أن تسمع رأى رجال التربية في ذلك . المشكلة ؟ هل كان من الممكن أن تتخلص التلميذات من التقليعة ، ليفكرن في تقليعة أخرى ؟

أما الحالة الثالثة فقد كتبتها مدرسة تدرس الرياضة للصف الثامن

الرياضيات وإلا:

في أحد أيام الفصل الدراسي السابق ، كنت أجرى اختبارا ، لتلميذات فصلى ، وحدث أن تطلعت إلى خارج البهو فوجدت صديقتي التي تقوم بتدريس التاريخ ، تعطى الطالبات واجا تحريريا ، فأشرت إليها أن تأتي إلى . فلما وجدتي أجرى اختيارا بدأت تمزح فقلت لها : و أراهن أن طالباتك بالفصول العليا لن يتمكن من النجاح في اختبار الرياضة الذي أعطيه لطالباتي بالصف الثامن . وكلمة أدت إلى كلمة وقبلت التحدي . فأعطت اختباري في اليوم التالي لطالباتها ، وفي يوم السبت التالي بدأت الأمور تأخذ مجرى آخر.

رآني أحد طلبة الصفوف العليا من أدوا الاختبار، في أحد محال البقالة الكبيرة، وسألني كيف كانت نتيجة فصله، فأخبرته أن نصف المجموعة قد رسب، الأمر الذي جعله يضحك. وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا، لو لم يسمعنا البقال فتدخل في الأمر وبدأ يسأل عن التفاصيل . ولأنني كنت جديدة في المدرسة الإعدادية الثانوية، لم أكن أعرف أنه عضو في مجلس إدارة المدرسة ولنطلق عليه اسم السيد (س) .

وفي أول اجتماع لمجلس الإدارة ، انفجر السيد (س) في الكلام . وفي رواية للسيد تروى " Troy" المشرف على المدرسة أن السيد (س) طلب أن يسمح له بعرض "مسألة عارضة" ودون انتظار لموافقة المجلس . بدأ التحدث عن أن حالة المدرسة الثانوية تحتاج إلى إصلاح ، وقال مشيرا إلى مستر تروى" Troy " والآن يا أستاذ ، لماذا رسب تلاميذ القسم

الثانوي في اختبار في الرياضيات التلاميذ الصف الثامن ؟ ودون أن يعرف مستر تروى ماذا كان يدور حوله هذا السؤال ، أجاب إجابة غامضة . فهز السيد (س) إصبعه وأعاد سؤاله ، لكن السيد تروى كان ما يزال يجهل كل شيء عن مزاحنا السخيف . فقال إن تلاميذ القسم الثانوي بصفة عامة قادرون على أداء الامتحان في أي مادة تعطى للفصل الثامن أداء حسنا بما ذلك مادة الرياضيات . وكان السيد (س) رجلا عنيفا ، أعلم هذا من تعاملي معه في بقالته ، ويقول Troy إن السيد (س) بدأ يدق على المنضدة وهو يؤكد وجهة نظره ويقول . تماما ، إن تلاميذ القسم الثانوي يجب أن يكونوا أقوى كثيرا من تلاميذ الصف الثامن . يجب أن يكونوا سابقين لهم بأربع سنوات . لماذا إذن أيها السيد المشرف على المدارس ، لماذا يرسب هؤلاء الطلبة والطالبات ، رجال المستقبل في اختبار رياضيات بسيط ؟ لماذا هذا ؟ أرجو أن يكون عندك الجواب عن هذا السؤال ؟

وأصابت الحيرة السيد تروى Troy فلم يسعه إلا أن يقول : إنه لم يفهم شيئا . وطلب إلى السيد أن يتفضل بشرح ما يريد ، وتجاهل الرجل العجوز السؤال واستمر في موضوعه الذي الايمل الكلام فيه – تكلم عن حياته الخاصة ، وأيام بؤسه ، وهي قصة ألمت بها على حلقات في محل بقالته . كيف كان يستيقظ مع الفجر . يطعم الماشية ، ويسقيها ، ويحليها، ثم يغتسل ويستبدل ملابسه ويتناول إفطاره . ثم يذهب إلى المدرسة التي تبعد ميلين مشيا على الأقدام ، كان يعمل بجد في المدرسة ، في غير تكاسل . يحل كثيرا من مسائل الحساب ، الحساب البسيط الذي لا خيال فيه . وفي الحقيقة إن الرياضيات هي التي مكنته من النجاح البارز الذي

هو عليه الآن ، فكيف يكون الطلبة بالقسم الثانوي عاجزين هكذا ؟

وذكر لنا تروى Troy في صراحة أنه كان يجلس كالدمية ؟ غير قادر على التفكير في طريقة يصل بها إلى الرجل لكي يفهمه ، غير أن السيد (س) ظل يتكلم بكل قوة وطلب أخذ الأصوات ولكن فكرته استبعدت ، على أن رئيس المجلس طيب خاطره بأن المجلس قد أخذ علما بحالة الرياضيات في المدرسة الإعدادية الثانوية وسيقف على الحالة بنفسه . تعبنا شهرا أو أكثر ، وأعضاء مجلس الإدارة يكادون يلازمون فصولنا . كانوا يأتون إلى الفصول دون إخطار ، يوجهون الأسئلة إلى الطلبة ، ويشتركون في المناقشات مبدين وجهات نظرهم ، حتى أثاروا الذعر الشديد في نفوسنا . وكان السيد (س) على وجه الخصوص كالوباء . وكنا معشر المدرسين نفيه بعضنا الروض كلما حضر . كان ينتقدنا أمام تلاميذ الفصل ، وفي دروس الرياضيات أكثر منها في أي مادة أخرى، وكما قلت كان الطلبة يخافونه خوف الموت ، وكان في هذا كله لا يمر بمكتب المشرف، فلا بدأ أولياء الأمور يتساءلون عما عساه يحدث بالمدرسة رأي السيد تروى " Troy " أن شيئا ما يجب أن يحدث. لم تسكن العادة في " هو لتون " أن تعقد اجتماعات للأساتذة، إلا لأسباب خاصة جدا ، على أن ستة من الأساتذة اجتمعوا بعالم السيد تروى ، وإن لم يحضر هو هذا الاجتماع ولما كنت أنا سبب المشكلة ، كان من الصواب أن أتقدم طواعية باستقالتي وقدمتها بالفعل . و بعد أن نوقشت هذه المسألة قليلا راعي الحج – مدون أن ذلك أن يفيد شيئا . وتقرر أن نطلب إلى المشرف أن يكتب خطابا لمجلس إدارة المدرسة ، يؤكد المجلس الإدارة و البيئة ، أننا نقوم

مهمتنا التعليمية بضمير حي ، وأنه إذا كان هناك شك في هذا ، فإننا نرحب بتفتيش رسمي يقيم عملا في المدرسة .

وعرض السيد تروى "Troy" هذا الخطاب في الاجتماع التالي لمجلس الإدارة. ولكن لم يكد ينتهي السيد تروى "Troy" من خطابه حتى طلب السيد (س) بطريقته الآمرة ، إصلاحا عاجلا لحالة المدرسة . وفي هذه المرة استطاع أن يحصل على موافقة المجلس على أخذ الأصوات وتقرر أن يدرس الرياضيات لمدة أربع سنوات لتلاميذ القسم الثانوي دون أن يتخلف أي طالب إلا بعد موافقة مجلس الإدارة . الحساب فقط دون الجبر ، أو حساب المثلثات أو أي فرع آخر من فروع الرياضيات ، وذهلنا بطبيعة الحال عندما أخبرنا الناظر بهذا ، وتساء لنا جميعا في صوت واحد عما حدث ؟ هل و وفق على آخذ الأصوات وماذا فعل السيد تروى من أجل إيقافه ؟ عندما طلب إليه الكلام أثار ثلاث نقاط رئيسية . تكلم أولا عن أهمية الرياضيات في الحياة ، كإعداد لها الخ، ثم أكد أهمية الحاجة لحفظ التوازن في المنهج . وثالثا المجلس الإدارة إذا رأى أن يأمر بالتفتيش على ما تقوم به المدرسة من جهد، ورفع تقرير لمجلس الإدارة ليرى فيه رأيه .

وفشلت حركة التصويت بصوت واحد إلى جانب السيد (س) ولو كانت نجحت لكنا الآن في موقف مضحك ، إذ كنا نجد أنفسنا أمام وضع من المستحيل تنفيذه ، ويرى السيد تروى "Troy" ونحن نقره على هذا الرأي أن هذه ليست النهاية مع السيد (س) . والذي علينا أن نفعله الآن هو المشكلة التي تحتاج مدرسة هولتون إلى مساعدة على حلها .

أما الرياضيات . وإما ؟.... وإما ماذا ؟ وعندما توقف السيد تروى للتحدث معنا ، كان كل اهتمامه منصبا على وضع منهج الرياضيات . وما إن وضع هذا الأمر حتى حددنا موعدا " له مع أخصائي في رياضيات المدارس الثانوية . ولم يكن ذلك نهاية القصة ، فالقصة استمرت، وهي مشكلة تصلح لأن يحاول الفصل حلها ، فهي حافلة بالتفاصيل ، ومن ثم يمكن وضع مختلف الفروض، والمقدمات ، واستخلاص ما يترتب عليها من حلول ونتائج.

وهنا نقول : إن الحالات المذكورة في الكتاب مختلفة ومتعددة . بعضها ألغاز يطلب حلها وبعضها مشكلات حاول علاجها من رفعوها إلينا ، وبعضها أدلينا برأينا فيه حين طلب إلينا ذلك. ويجب أن تترك البيانات كليا لتقدير الطالب ونقده ، ولا مانع أحيانا من أن توضع خطة أفضل للبحث. والفكرة هي جعل دراسة الحالة عملية تعليمية حية ، أي تدريبا على ممارسة حل المشكلات من أول الأمر إلى آخره.

والحالة الرابعة هي التجربة في تدريس العلوم لتلاميذ الصف الخامس . قام المدرس فيها بالمعادلة بين فصلين من فصوله . كان أحدهما يدرس بالطريقة العادية وهي الحفظ والتسميع من الكتاب المقرر . والآخر كان مقسمها إلى جماعات كل جماعة تتكون من أربعة أو خمسة تلاميذ يعملون على منضدة ، ويعطون بمجموعة من الوحدات المعدة للدراسة و بعض المواد، وكان أعضاء الجماعة يعملون معا في تعينات ، تحين لهم ، ويطلبون مساعدة المدرس كلما احتاجوا إليها . ولقد أنهى الفصلان نفس مقرر

الدراسة ، وفي نهاية الفصل الدراسي ، أعطيها نفس الاختبارات.

ولن نتعرض هنا للنتائج الخاصة بالقدرة في موضوع المادة وهي البيانات التي تزكي طريقة التقسيم إلى جماعات ، وذلك حتى نركز على مشاعر التلميذ نحو دراسة العلوم ونحو زملائه التلاميذ. وصاحب هذا التقدير هو نفس المدرس صاحب الحالة .

تجربة في تدريس العلوم:

في نهاية الفصل الدراسي وزعت مذكرة على كل تلميذ من تلاميذ فصول الصف الخامس . ذكرت فيها بعض التعليمات التي قرأناها سويا في الفصل ، وكانت التعليمات هكذا :-

اذكر كتابة رأيك فيما تراه من دراستنا لمادة العلوم في هذا الفصل الدراسي . و توخ الصدق في إجابتك عن الأسئلة التالية :

١. ماذا كان شعورك نحو مادة العلوم بالصف الخامس عندما بدأنا عملنا في أول هذا الفصل الدراسي ؟ هل كانت صعبة ، مسلية أو ماذا ؟.

٢. ما شعورك نحو دراستك لمادة العلوم الآن ؟ هل ترى أنها صعبة ، مسلية أم ماذا أكتب بأقصى ما يمكن من تفصيل .

٣. هل تحب زملاءك في فصلك ؟ وإذا كنت تحبهم فهل تحبهم قليلا أم

كثيرا ؟ أو هل تكرههم ؟ صف مشاعرك نحو زملاء فصلك ، ثم اذكر لماذا تشعر بهذا الشعور نحوهم.

وكانت نتائج الاختبار على العموم في جانب خطة التقسيم إلى جماعات في تدريس العلوم بالصف الخامس ، وأظهرت النتائج على وجه التحديد أن حوالي ثل كل جماعة كان يشعر بصعوبة دراسة العلوم في أول الفصل الدراسي أما في آخر الفصل الدراسي فقد قرر أقل من ثلث الفصل الذي يتبع طريقة الحفظ والتسميع أن دراسة العلوم مسلية ، بينما قرر ثلثا الفصل المقسم إلى جماعات أن دراسة العلوم مسلية .

وفيما يختص بالسؤال الثالث الخاص بمشاعر التلاميذ نحو زملاء الفصل كانت إجابات التلاميذ كما يلي:

الإجابة	نسبة الفصل الذي يعتمد على الحفظ والتسميع	نسبة الفصل المقسم إلى جماعات
أحبوا زملاءه كثيرا	٢٦	٦١
أحبوهم بدرجة متوسطة	٣٨	١٣
لم يحبوه أو أحبوهم قليلا	٢٤	٢٢
إجابات غير واضحة	١٢	٤

ويبين هذا الجدول أن التلاميذ عرفوا بعضهم بعضا في الجماعات التي كانت تعمل معا أكثر ما عرفوا غيرهم من زملاء الفصل، وأنهم أحبوا بعضهم بعضا. ومع ذلك فإن النسبة الكبيرة الخاصة بالذين كرهوا زملاءهم تدعو للدهشة . وقد يرجع السبب في هذا إلى أن التعارف ألا يضمن أن

يحب الأشخاص بعضهم بعضا ، فالواقع أن معرفة الشيء الكثير عن شخص قد منع من حبه ، يؤيد هذا الرأي ما جاء في أخر بيان بالجدول.

ولقد استطعت أن أصنف جميع المشاعر نحو الفصل المقسم إلى جماعات ماعدا أربع إجابات مقابل ١٢ في المائة من مشاعر تلاميذ الفصل الآخر، فقد كانت الإجابات غير واضحة ، و بمعنى آخر إن تلاميذ الفصل المقسم إلى جماعات يعرفون كيف يعبرون عن مشاعرهم تجاه العلاقات الإنسانية في فصلهم .

أما عن رأي فأنا أحبذ فكرة طريقة تقسيم الفصل إلى جماعات في تدريس مادة العلوم . لأنها تؤدي إلى معرفة أدق بالمادة الدراسية ، كما أنها تفيد في تنمية العلاقات الإنسانية بين التلميذ والجماعة التي ينتسب إليها.

ومما يجدر ذكره بالنسبة لهذا المدرس أنه وضع العلاقات الإنسانية في موضع هم في منهج تدريس مادة العلوم ، وهو أمر نشجع عليه كل التشجيع ، وثمة شيء آخر هو أنه أجرى طريقة تجريبية على تعلم التلاميذ . الأمر الذي قلما يقوم به المدرسون. كان هناك اختبار سابق على الدراسة ، وآخر لاحق لها. هذا إلى جانب تعليل ما قد يحدث من سلوك ومشاعر التلاميذ ، وقد يرى طلبة الكليات في أي وقت دراسة وضع الاختبارات السابقة على التجربة واللاحقة لها والحالة الأخيرة في هذا القسم مأخوذة من تقرير في اثنتين وسبعين صفحة أوجزناه هنا ، وصاحبة القرير هي الآنسة إليسون مدرسة الخطابة بالصف السابع في مدرسة هيبارد

(Hibbard school) – يحسن قراءة الحالة أولا، الإلمام بالموقف كله ، ثم بعد ذلك يفكر الطالب في الصراع بين السيد (أ) والسيد (س).

والمشكلة الحقيقية كما نعتقد هي أن نقرر ماذا يجب على السيد(ج) المشرف الجديد على المدارس أن يعمله لحل المشكلة .

لقد أدت سياسية جديدة اختطها مجلس التربية فيما يختص بالأطفال ذوي نسبة الذكاء المنخفضة إلى هز جهاز المدارس العامة بالمدينة ، وأصبح الموقف في مدرسة هيبارد حيث أقوم بالتدريس موقفا خطيرا بسبب الوضع الذي كنا نعمل فيه.

طوال عشر سنوات كان متوسط ما تضمه مدرسة هيبارد من التلاميذ ضعيفي التعلم أكثر من مائتين، وكانوا يسمون، بالحالات الخاصة، هذا بالإضافة إلى المدرسة العادية التي تقع في الطابق العلوي، والتي تتكون من ستمائة من تلاميذ القسم الإعدادى .

ولما كانت المجموعتان منفصلتين إحداهما عن الأخرى، فإن الوضع كان عبارة عن مدرستين في نفس المبني، أو بالأحرى مدرسة داخل مدرسة.

وكانت جميع الحالات الخاصة من البنين يأتون من جهات مختلفة من المدينة . وكانوا يتفاوتون في السن من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة، كما كانوا يتفاوتون في القدرة على القراءة من مستوى الصف الثالث إلى

مستوى الصف الثامن ، وكانوا ينتمون إلى الطبقة الوسطى أو الدنيا ، وكان معظمهم من الطبقة الأخيرة ، وكانت نواحي اهتمامهم منصبة على التدريب الصناعي ، وفي العمل بالحوانيت والحرف وما شابه ذلك . إلى أن تغيرت السياسة في الفصل الدراسي الأخير ، وظلت هذه الحالات الخاصة منظمة في مدرسة منفصلة . كانت مدرستهم تشغل الطابق الأسفل في ميبارد ، وحجرتين في الطابق العلوي . وكانت لهم مقرراتهم الخاصة بدراستهم ، ولهم مدرسوه و ناظرهم السيد (أ). وكانوا مثلا يأتون إلى المدرسة قبل غيرهم من ينتمون إلى المدرسة الأخرى وكان يومهم المدرسي ينتهي قبلهم أيضا ، لأن عددا كبيرا منهم كان يعمل من أجل العيش.

كانت تخصص لهم ساعة معينة لتناول الغداء ، وأوقات خاصة للاجتماعات رغم قلتها . ولم يكن يسمح لهم بالصعود إلى الطابق العلوي إلا أثناء مرورهم من أصل إلى فصل . ولم تكن لهم مجالس الآباء أو المدرسين ، ولا نواد للأمهات ، أو منظمة لأولياء الأمور بالفصل. لم تكن اللهم فرق رياضية ، ولم يكن لهم إلا القليل من نواحي النشاط . وكان المدرسون في المدرستين دائما يتبعون آداب المعاملة نحو بعضهم البعض ، ويمدون يد المساعدة لبعضهم البعض إلى حد ما، ولكنهم لم يكونوا يختلطون اجتماعيا، أو يشتركون في تخطيط المناسبات العامة للمدرسة ، ولم يكونوا يحضرون اجتماعات الأساتذة ، أو يتزاورون معهم كثيرا . ولعل حالتي أقرب ما تكون إلى هذا الوصف فأنا أقوم بالتدريس في المدرسة النظامية ، وبصرف النظر عن السيد (أ) الذي أعرفه منذ عشرين عاما ، لميكن لي أي صديق حميم بين من تسميهم هيئة تدريسنا مدرسي التلاميذ الضعفاء.

والمشكلة التي تواجهنا الآن نشأت من مقدم السيد "ج" المشرف الجديد على المدرستين وهو رجل ذو شخصية قوية، وخبرة طويلة ناجحة في إدارة المدارس ، ومن الواضح أنه لم يسع إلى الوظيفة التي يشغلها . حتى قيل إنه لم يقبلها إلا بشروط منها : أن يلغى مجلس الإدارة البرنامج الإضافي للأطفال الذين تعوق الظروف نموهم الطبيعي بما فيهم تلاميذ مدرسة هيبارد المتأخرون في الدراسة . ولقد ووفق على هذا الشرط من الجميع ، وهذا لا يترك أدنى شك في السياسة الجديدة وما عساها أن تتضمنه من اتجاهات.

ومما هو جدير بالذكر أن السيد "ج" لم يعين مشرفا إلا في شهر يونيه الماضي وبدأ تنفيذ سياسته الجديدة في أول العام الدراسي الحالي . وكان من نتيجة هذه السياسة أن انتقلت بعض الحالات الخاصة إلى مدارس أخرى ، ولكن أكثرها بتقي في هيبارد و لقد أنزل السيد (أ) الناظر السابق إلى وظيفة أقل ، فأصبح الآن مدرسا تحت إدارة السيد (س) الناظر الآخر في هيبارد ، وما تزال الحالات الخاصة تركز جهودها في التدرب على الحرف ، مع دراسة بعض المقررات الدراسية ، وأغلب هذه الحالات أقل بكثير من المتوسط من ناحية الميول والقدرات الدراسية ، ويقول المدرسون بكل صراحة إنهم لا يرحبون بهؤلاء التلاميذ في فصولهم.

وسوف أكمل الصورة قبل أن أبدأ في الموضوع . أخبرني السيد (أ) الذي عرفته وكان موضع احترامي وتقديري ، سنوات عدة أن الحالات الخاصة كانت في مبدأ الأمر سعيدة جدا بالنظام الجديد ، فقد سرها

الخروج من البدروم، الذي كان يشير إلى أنها في مستوى أقل من الآخرين. فأصبح في إمكانها التجول حول المبني ، واستخدام المكتبة، وحضور المناسبات العامة في المدرسة والاختلاط بالطلبة الآخرين .

كان كل هذا جميلا ولكنه كان يعني بعض المتاعب ، من ذلك مثلا أن التلاميذ الذين كانوا يضلون طريقهم پر سلون إلى مكتب السيد (س) ولم يكن من السهل التكهن بتصرفه نحوه ، لقد رأيته يأخذ هؤلاء الأطفال إلى السيد (أ) فيقابلهم هذا بثورة عصبية وهو يقضم أظافره من الغيظ ، وفوق هذا فإن الحالات الخاصة تعرضت لمعاملة جافة من زملائهم بالفصل بل من مدرسيهم أيضا.

وكان لابد أن تصل الأمور غير المستقرة إلى نهايتها . وهذا ما حدث في درس الخطابة منذ شهر بدأت المجموعة التي أتولاها تستعد لحفلة ترفيه الليلية كبيرة – وحينذاك وصلتني مذكرة من السيد (أ) يسأل فيها عما إذا كان بعض تلاميذه يستطيعون الاشتراك معنا ، ولا أستطيع أن أقول إن طلبة المجموعة أظهروا حماسا كبيرا لهذه الفكرة ولكنهم وافقوا ، ودعي كثيرون من طلبة السيد (أ) ليشتركوا في لجان الحفلة وأثبتوا جدارتهم في هذه الناحية . وعندما كان الجانبان من التلاميذ يتقابلان في اجتماعات الإعداد، وبدأت الصداقات تتكون بعض المساعدة من جانبي . وبعد وقت جاءتني رسالة من السيد (أ) يخبرني فيها أن الحالات الخاصة ، ترغب في تعلم الرقص و تخلى عن بعض وقته معهم ، وبدأ الأولاد يتقابلون مع تلاميذ بمجموعتي لبضع دقائق كل يوم ، و بدأنا في تعلم مهارات الرقص

الجماعي والسلوك في الحفلات والملبس والأناقة .

وفي اليوم السابق مباشرة للحفلة الليلية (الترفيهية) وقدت الواقعة، إذا أمر السيد (س) بأن يلغي الحفل كله . وفوق هذا جاء إلى قاعة الاجتماعات على خلاف عادته وأنبني على تعلم الرقص للحالات الخاصة ، واتهمتني وليس هذا التصرف على تعليماته وهو ما لم يحدث بكل تأكيد وأطلق على الحالات الخاصة عصابة من الأحداث الأشرار الأمر الذي جعلني أكاد أجن حقا . وتمتد من كلامه أنه لابد وأن يكون هناك انحراف ما في أخلاقي لأفتي شوهدت أرقص معهم ، واضطررت إلى أن أنبه إلى أني في الثانية والخمسين أي أنه لا يكبرني إلا بتسع سنوات فقط.

ولقد أصاب السيد (أ) أيضا بعض التقريع على الرغم من أنه لا يقل في مركزه عن السيد (س) وعلى أية حال فقد عقد السيد (أ) مجلس حرب معي ، وقررنا أن نتخطى السيد (س) لنعرض الأمر على مدير المدارس .

وذهبنا إلى السيد (ج) في منزله ذلك المساء ، فأنصت إلى كل ما قلناه ، ولم نلحظ أي شك في اهتمامه بالموضوع ، غير أنه لم يعد بأكثر من أنه سوف يرى ما يستطيع عمله من أجلنا . ويبدو أن ما عمله كان مناسبا، ففي ظهر يوم الاحتفال تحدث السيد (س) معي تليفونيا يقول إن أولياء الأمور قد تلقوا الدعوة إلى الحفل وأنه لا مانع من إقامة الحفل .

ثم أردف قائلا : ولكن يجب أن تعلما جيدا أنت والسيد (أ) أنه إذا حدث أي شيء، أي خلال على الإطلاق فستحملان المسئولية كلها، كأنا

لا نعرف ذلك معرفة وثيقة .

وفي ليلة الحفل حضر جميع الأحداث، ما عدا اثنين . وكانوا جميعا في غاية النظافة وفي أحسن زي يرتدونه يوم الأحد. وكان يغلب على الأولاد الذعر والاضطراب كما كان الحرج ظاهرا عليهم ولكن سلوكهم لم يكن لينقصه شيء، وما إن بدأ عرض المتنوعات حتى استمتع بها كل الحاضرين.

ولقد استطعت أن أرى مظاهر السعادة بادية على السيد (أ) فاشترك مع الأولاد في لعبة أو اثنتين ، وكان يقفز مع مجموعة إلى أخرى أثناء الرقص ، باللمسكين ! إن التهاب المفاصل يضايقه كثيرا ، كما أنه لم يعد صغيرا . وعندما حان وقت الانصراف شكرني بصوت مرتعش على الأمسية التي قضاها . وبدا لي أنه على وشك البكاء حين قال : إن هذا ما كان يتمناه دائما من تلاميذه ، وهو أن يختلطوا بزملائهم ، وأن يشعروا بأنهم محبوبون ، ومستظرفون ، وأخذ يشكرني ثانيا ، ويكرر ما يقوله ، حتى ودعته إلى الباب .

وعندما تركت و الحالات الخاصة ، هذا الحفل جاءوا جميعا يتحدثون إلى قائلين : "نحن في غاية السرور ، يا آنسة إليسون . إن هذا الحفل كان رائعا ، رائعا حقا . متى نحضر حفلا آخر ؟"

ومما هو جدير بالذكر أن نسجل هنا أن هذه الحالة مازالت كما قررتها الآنسة إليسون ، أي أنها لم تحل بعد ، و من ثم فإن الأسئلة توجه للذين يحلون المشكلة تتناول الطبيعة الصحيحة لمشكلة الاختلاط بين

التلاميذ وأسباها وكيف يمكن الوصول إلى حلها من الناحية النظرية . ويحتاج الطلبة في معالجتهم لمثل هذه الحالات المعقدة إلى مساعدة المدرس والمؤلفين في هذا الموضوع أيضا إلى بعض من ذوي الخبرة في حل مشكلات العلاقات الإنسانية من غير رجال التربية .

ولعل من طرق معالجة مشكلة كهذه إسنادها إلى فريق من الطلبة ، في الوقت الذي يعين فيه هذا الجزء من الكتاب ليكون موضوع مناقشة في الفصل . فيكلف أحد أعضاء الفريق بتلخيص البيانات أو الحقائق الأساسية في الحالة ، ويعكف آخر بأن يبدي رأيه في الأسباب الحقيقية للمشكلة ويكلف ثالث بأن يقترح حلا أو خطة عمل يمكن بها أن ينمى العلاقات الإنسانية التي نريده ونتمناها . فإذا ما قدمت الفرق المختلفة تقاريرها للفصل ، يشترك طلبة الفصل جميعا في حل المشكلة .

لا شك أن هناك طرق كثيرة للعمل في مثل هذه الحالات ، كما سنرى . ومن ثم فلا يجب التزام أي شيء في الكتاب إذا وقف حائلا دون إحالة تفكير الطالب وقدرته على الابتكار – أو دون ما يدفع الطالب إلى التفكير القوى.

ويبدو في حالة مدرسة هيبارد ، أن النقطة الأهم هي نقطة العلاقات بين السيد (س) و السيد (١) إذ أن السيد (س) ناظر المدرسة لم يكن يرى قط أن الطلبة ذوى الحالات الخاصة أو ما يسمون بذوي الذكاء المنخفض ، يجب أن يكونوا في مدرسة . وفوق هذا فقد عبر مرارا وتكرار عن كرهه

لهم ، وعدم ثقته بأخلاقهم وعن اعتقاده الراسخ بعدم قدرتهم على التعلم ، أو أنهم لا يتعلمون الشيء الكثير ، ولقد كانت هذه هي النقط التي تصادم بسببها مع السيد (أ) الناظر السابق لتعليم الحالات الخاصة ، والذي أنزل الآن إلى وظيفة مدرس لهذه المجموعة من التلاميذ، وقد امتد هذا الصراع حتى وصل إلى هيئة التدريس وإلى التلاميذ أحيانا . وأدى هذا إلى انقسام المدرسة حتى أصبحت الحاجة في الوقت الحاضر تدعو إلى إيجاد برنامج متكامل للمدرسة .

وحل مشكلة هيبارد. كان من الضروري ، كما نعتقد ، أن نحل مشكلة السيد (س) و السيد (أ) فهذان الرجلان كبيران في السن ، وليس بينهما صداقة قديمة ، وإنما هما مكأفان عنيدان كل في تأييد وجهة نظره، وليس من السهل فهم العلاقة بينهما ، وتلك هي الحقيقة التي سرعان ما أدركناها في زياراتنا للمدرسة .

وهناك مشاعر مريرة بين السيد (س) والسيد (أ)، والواقع أنه كانت بينهما جولات عاصفة بالمدرسة . كما أن هناك مودة ظاهرة ، بل واحتراما متبادلا بين الرجلين ، وقد يتحدث أحدهما عن الآخر في غيابه بالاحترام الذي يكنه خصم شريف لمنافسة الشريف ، إلا أنهما في اجتماعات المجموعة كانا يتبادلان مزاحا لاذعا شائكا ، أما في اتصالاتهما اليومية فكانا يرفعان الكلفة فيها بينهما، أو يتجادلان في مودة ، كان الرجلان يتميزانبالإدراك والفكر الثاقب والعناد، وفي بعض المناسبات يتهرب كل منهمامما يرتبه زملاؤهما من خطط لحل خلافاتهما ، وإيجاد وحدة بين المدرسين والمدرسة .

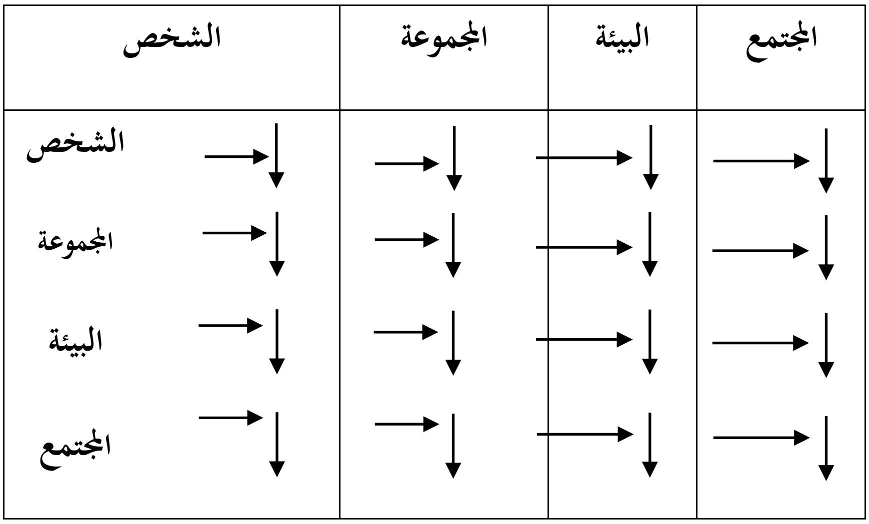
ولعل السيد (ج) المدير الجديد يستطيع حل لغز مدرسة هيبارد ، فهو جديد في الوظيفة وقد أسند إليه هذا العمل لإنجازه بصفة عامة من الناحية التربوية ، ولقد وطد العزم على أن يتعرف جيدا على الرجلين ، وعلى هيئة التدريس ، و على نوعى التلاميذ، ثم بعد ذلك يجعل مشكلة مدرسة هيبارد موضع دراسته الواعية العادلة .

طبيعة العلاقات الإنسانية

إن الحالات الحسية لا عمل لها إلا المساعدة على بدء منهج الدراسة . فهي لا تصلح أساسا تبني فوقه ، إطارا نرجع إليه . وسنتناول هنا هذه المسألة ثم تتمها في الفصل التالي . من المسلم به أن العلاقات الإنسانية مشكلة ، وأنه إذا استثنينا الحرب (وهي أيضا علاقات إنسانية) فليس هناك مشكلة ، تواجه الأمة أكبر منها . وهذه حقيقة يدركها رجال التربية ، ويثيرون الكثير من التساؤل حول أسبابها ، وطبيعتها وكيف تنشأ ، ورجال التربية ليسوا إلا إحدى الجماعات التي يحاول كل منها أن يفهم الطبيعة الإنسانية ، لتحسين معيشة الإنسان، وهي جماعات مهمتها الأولى هي تحديد شكل هذا الاهتمام ، وتحديد مكان المدارس في الصورة.

ونحن نقصد بالعلاقات الإنسانية ما يشير إليه هذا التعبير ، فهو التفاعلات بين الناس أو الاتصالات الكثيرة المختلفة التي يؤثر بها الناس في غيره أو يتأثرون هم ، ويبين الشكل (١) مناطق الاهتمام النظري ، وهي مناطق كثيرة لدرجة تستوجب اختيار الجانب الذي نهدف إليه .

والشكل (١) يبين مناطق الاتصال بين الفرد والجماعة ، وبين الجماعة والجماعة ، وبين البيئة والجماعة ، وبين المجتمع والبيئة ، وهكذا . وهذه العلاقات المتداخلة بين الناس يمكن تصنيفها بطرق مختلفة تباعا لدرجة الصداقة مثلا أو مداها أو آثارها ، وأكثر ما يهتم به المعلمون بالمدرسة مباشرة هو نوع العلاقات الإنسانية التي تعتبر مشكلة ، ماذا يقصد بالمشكلة في العلاقات الإنسانية ، أي كيف نعرف هذا المفهوم ؟ إن علماء الاجتماع يعرفون بعملهم في ميدان المشكلات الاجتماعية، ودراسة ما كتبوه في هذا الشأن تؤدي بنا إلى تعريف من خمس نقط يسلم بها الذين يكتبون في المشكلات الاجتماعية .



شكل (١) ميدان العلاقات الإنسانية

طبيعة المشكلة الاجتماعية

١. المشكلة الاجتماعية موقف نشعر إزاءه أنه يجب عمل شيء أو

إحداث تغيير . ويبدو فيه أن الأمور تسير سيرا يتعارض مع المعايير الحقيقية أو المثالية ، وبهذا تكون ضارة ببعض الناس ، أو ظالمة لهم أو لا حاجة لهم بها.

٢. لكل مشكلة اجتماعية جانب موضوعي هو حالة الوجود كما تصورها المشاهدة التجريبية ، وجانب ذاتي هو الشعور بالنقص أو الحاجة . ومهما تكن أهمية الجانب الموضوعي للمشكلة ، فإن الجانب الذاتي أو المشاعر الإنسانية هي التي تجعل من حالة بذاتها مشكلة.

٣. قد لا يكون هنا مقياس مضبوط لأهمية مشكلة معينة ، لكن لابد هناك من دلائل على أهميتها . ومن هذه الدلائل عمق المشاعر الإنسانية ، وعدد الأشخاص المتأثرين بها ، واتجاهات التغيير على مر الزمن ، ومدى اعتماد المسائل الأخرى على حل هذه المشكلة

٤. وفي وضع خطة عمل لحل المشكلة ، قد يختلف واضعو الخطط على الأهداف أو الغايات التي يريدون تحقيقها ، أو على الوسائل التي تستخدم ، أو على الظروف المرتبطة بالعمل ، التكلفة ، أو الوقت، أو الخطر .

والقيم هي التي تحدد المشكلات ، بل وكثيرا ما تقف في سبيل حلها، وقد يحاول الناس حل المشكلة ، لكنهم لا يعملون شيئا ، أو قد لا يعملون إلا القليل ، لأن أمورا أو حاجات أو ميولا يكون لها الأسبقية في ترتيب القيم التي يعتنقونها . و تصدق هذه النقط أساسا على المشكلات

الجماعية الجريمة والرذيلة ، أي على حالات انهيار ضبط النفس ، أو حالات الانحراف عن المعايير التي ضمها المجتمع كله ، وأكثر ما يعنينا من مسائل في العلاقات الإنسانية ، مسائل ذات نطاق ضيق إذ أن أغلب هذه المسائل شخصية بين أشخاص ، وفي حدود هذا النطاق الضيق تعرف هذه النقط الجنس طبيعة مواقف العلاقات الإنسانية الموجودة داخل المدارس أو خارجها .

على أن تعريف المشكلة كما ورد هنا ، يؤكد فكرة الصراع على القيم ؟ وفي هذا بعض التناقض الرأي السائد الذي يرى أن مشكلات العلاقات الإنسانية ليست إلا نتيجة لضعف الاتصال بين الناس ، ومما لاشك فيه أن المشكلة ترجع إلى غير ذلك من الأسباب ، فقد يفهم الأشخاص بعضهم بعضا ، وقد يتبادلون الآراء في صدق و مودة ، ولكن قد يفضل كل منهم أن يتمسك بآرائه. فهل إلم يحاول سقراط أن يهرب عندما ترك سجا نوه الباب مفتوحا ، بل قال: رأيت من الخير والعدل أن أبقي هنا لتنفيذ الحكم الواقع على . لقد وقف إلى جانب مبدأ قدر قيمته أكثر من تقديره لحياته . وقد تكون مشكلة العلاقات الإنسانية مماثلة لهذه المشكلة . أي صراعا بين القيم الأساسية ، أو تضاربا في وجهات النظر .

الحاجة إلى تعليم العلاقات الإنسانية

هل يجب على الكليات والمدارس أن تتعمق في تعليم العلاقات الإنسانية ؟ وهل يجب عليها بوجه خاص أن تعمل على زيادة العناية بتدريس حل المشكلات ، وتحليل الصراعات ،وحالات سوء الفهم ؟

إننا لا نرى من جانبها أنه يمكن تجنب هذه الخدمات التربوية . فمن المسلم به أن الإشراف على التعليم العام في يد الشعب ، وأن الشعب هو الذي يحسم الإجابة عن هذا السؤال في المدى الطويل ، ومع ذلك فرجال التربية غير عاجزين عن أن يتخذوا لهم موقفا ، وأن يعلنوا اهتمامهم بالتعليم الذي يؤدي إلى علاقات إنسانية أفضل .

وهل الذين يعملون بالمدارس لا يصلحون لمعالجة مسائل العلاقات الإنسانية ؟ إننا نظن ذلك لأنهم يحتاجون إلى تدريب من نوع معين لمدى طويل . وهل هم مشغولون بأمور أخرى ، كتدريس المواد الدراسية ؟ إنهم كذلك فعلا لأن المطالب المفروضة عليهم كثيرة وعاجلة ، فهل إذا وجه الاهتمام إلى تعلم العلاقات الإنسانية يؤدي هذا إلى حل المشكلات الخطيرة في تعلم الشعب ، كتكاليف المدارس المتزايدة مثلا ؟ كلا فإن مسائل مسايرة نمو السكان ، والتربية الصحيحة ، وغيرها ، سوف تظل شغلا شاغلا لنا. إن المدارس يجب أن تقوم بالعملية التعليمية إلى جانب الاهتمام بنواح أخرى . وعلى ذلك فإنه يبدو من الضروى أن نجد مكانا التعليم العلاقات الإنسانية ، وأن نزيد الاهتمام بها.

وإذا كنا نجد مكانا لتدريس العلاقات الإنسانية كأصل رابع ، إلى جانب القراءة والكتابة ، والحساب ، فهل يؤثر ذلك على المواد الدراسية القديمة ؟ لا . مادامت لهذه المواد وظيفة في حياة الطفل . وإذا حدث أي تغيير في طرق التعليم أفلا تكون هناك تكاليف جديدة ؟ بلى . والمسألة كيف أليس يجب أن ينفق مال الشعب ، وأي المواد تتصدر قائمة

الأفضليات على غيرها ؟ تعليم العلاقات الإنسانية واجبا على المنازل ، والمساجد والكنائس ، والمحاكم، وجمعيات الشباب ، والمراكز الاجتماعية ، والهيئات المدنية ، وأقسام الشرطة و غيرها؟ بلى إنه واجب الجميع . إن المثل الأعلى شركة بين الناس ، مجتمع يهتم بالتعليم . وتقوم كل وحدة من وحداته بواجبها من العمل.

هذه بعض الأسئلة التي قد تتعرض لها حين تتحدث إلى الجماعات المدرسية وإلى البيئة عن تعليم العلاقات الإنسانية . وهي أسئلة تدل على اهتمام الجمهور بالموضوع ، واهتمامه بزيادة تكاليف المدرسة . وبكفاءة المدرسين، و نظار المدارس و غيرهم ، وبتقسيم العمل على المؤسسات الموجودة في الجهة – ونحن لا نميل في هذه المناقشة إلى اتخاذ موقف الدفاع لحسب بل نحاول التخلص من عبء إقامة الدليل أو البرهان، و عندما تكون التغييرات الاجتماعية سريعة وجوهرية ويفقد النشء الصلة بتقاليد مجتمعهم ، ويصبح الكثيرون منهم مشكلة لأنفسهم ولغيرهم ، نسأل أنفسنا هذا السؤال . أي نوع من التربية يمكن أن تكون له أكبر ميمة مدنية؟ ويناقش لورانس فرانك "Lawrence Frank" هذه النقطة جيدا في مجلة دراسة الطفل (عدد ٢٩ /٤/ ١٩٥٢) فيقول : (بدلا من تنشئة الأطفال على التعاليم المألوفة التي تؤكد الأنظمة والقوانين العامة يمكننا أن نساعدهم على إدراك أنهم يشكلون النظام الاجتماعي، وأن ما يعملونه أو يفشلون في عمله ، والأهداف التي يسعون إليها هو الذي يجعل من النظام الاجتماعي ما هو . وهذه الطريقة نستطيع أن نقدم لأطفالنا ، وخصوصا للمراهقين منهم ما هو أجدى وأكثر حفزا إلى الرغبة في نفوسهم من

التنبيهات المألوفة إلى أن يكونوا مواطنين صالحين يحترمون القانون ، وأن يتكيفوا مع المجتمع ، وأن يسايروا ما يجدونه فيه . إن هذه التعاليم قد تكون صالحة لمجتمع راكد ، ذي ثقافة جامدة لكنها اليوم أكثر ضررا مما لو لم تكن موجودة .

ومن المناسب هنا أن نؤكد الاتجاه نحو تربية واقعية للعلاقات الإنسانية ، وهي حركة قوية إلى الأمام، والكثير من مدارس الشعب لا يختلف فيما نعلم من خبرتنا عن حامل المضرب الذي يتبارى في ضرب الكرة ، فإذا فشل في المرة الأولى حاول مرة ثانية وثالثة إلى أن ينتصر . المدرسة اليقظة ، تحاول أن تسبق ، إذا تساوت الفرص ، والقليل من هذه المدارس وهي لا تزيد على عدد أصابع اليد تحاول أن يكون الحظ حليفها في المرة الثانية ، وقد لا يحالفها التوفيق في المرة الثالثة . غير أن معظم المدارس ، تضرب ضربتها الأولى ثم تسير من نصر إلى نصر .

المدارس وأدوارها الأساسية :

إن الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في المدارس التي نعرفها جيدا ، لا يحل محل تنظيم الفصول والمادة الدراسية ، بل يدخل أساسا ضمن هذه الإطارات . وهذه المدارس هي أولا : أماكن إنسانية دافئة بالحنان ، يساعد جوها على أن يجذب إليه التلاميذ، وأولياء الأمور والمدرسين وغيرهم ، والعمل على تعارفهم وإدخالهم في مشروعات مشتركة وثانيا: فإن الاهتمام الأكبر لا يوجه أساسا إلى المتعلمين بوصفهم أفراد ، ولا إلى الإمام الدقيق بالمادة الدراسية ، أو إعادة بناء المجتمع . وإنما يوجه إلى

عمليات التعليم والتعلم ، وهي العمليات المعقدة التي أقيمت المدارس مباشرتها ، ولدراستها وتحسينها.

ثالثا: لا يوجد في العادة منهج محدد للعلاقات الإنسانية ، غير أن المادة تطرق كثيرا من نواحي النشاط التي تهتم بها المدرسة داخل الفصل أو خارجه ، فيحاوله فهم النظراء وغيرهم كبشر ، ومجاراتهم ، والتأثير عليهم موجودة في مواد غير دراسية التربية الوطنية والعلوم المعملية ، والدراسات العملية ، والرياضيات والتمثيل ، وموجودة كذلك في علاقات المدرسين ، وفي خدمات البيئة ، وفي نظرة المدرسة العريضة للعالم .

ويظهر الاهتمام بالعلاقات الإنسانية قويا في لب كل برنامج جديد لمادة جديدة أو متكاملة.

ورابعاً: كلما أظهر قادة المدرسة اهتماما و قدرة اتجهت المدرسة إلى أن تصبح شريكا في منظمات البيئة التي تضم المنازل ، والكنائس ، والجمعيات المدنية . ومراكز الشباب و مصالح الحكومة شريكا لها في تخطيط حياة بيئية .

وخامساً: وهو مسألة هامة جدا أن رئيس المدرسة أكثر من مجرد كاتب لوزارة التربية ، حتى أكثر من مدير أعمال لهذه المدارس . وإن كانت مسئولياته تتضمن الوظيفة الأخيرة ، فهو في طريقه لأن يكون شريكا عاملا في تقرير سياسة البيئة الخاصة بالصحة والرفاهية ، وتربية النشء والكبار.

ومن الطرق المفيدة في تذكر هذه التفاصيل، ولتضمين الموضوع نقطا أخرى كثيرة أن تصور الأدوار الكبيرة ، والوظائف أو الخدمات التي يلعبها عدد متزايد من المدارس في تعليم العلاقات الإنسانية .

فمن الأدوار التي تلعبها المدرسة دورها في التربية الوقائية ، ونقصد بها دراسة مستمرة لتلاميذ: طبيعتهم وحاجاتهم ، ونموهم وتطوره ، فيما يتصل بذواتهم وبغيرهم من الناس كما بها أيضا ذلك الجهد الذي يبذل لتهيئة وسائل التعلم والخبرة قبل أن تصبح العلاقات الإنسانية مشكلة واعية متأصلة وكثير من مناهج المدارس ، والوحدات الدراسية ، و نواحي النشاط الخارجة عن الفصل تصور هذا الاتجاه في التدريس ، وقد يكون في بعضها علاقات إنسانية أكثر من غيرها ، كما يتوقع بالنظر إلى الأهداف المتعددة التي يهدف إليها التعليم الحديث .

ومن الأدوار التي تلعبها المدارس كذلك دور التربية العلاجية ، ونقصد بها علاج الناس بالناس وللناس ، و هو جهد يحتمل خططا كثيرة لتعلم النشء والكبار طريقة حل المسائل المتعلقة بالعلاقات الإنسانية الخاصة بهم وبغيرهم . وهذا النوع من التعليم يختلف عن التعليم الروتيني اللين السهل لأنه يجري في العادة في ظروف تهدد بالانفجار ، و تتجمع في كتل من الصعوبات. ولقد كان اعتقادنا لعدة سنوات أن الحكايات نادرا ما تعطى نوع التدريب الضروري لهذا ، وإنه يجب أن تكون هناك مناهج متدرجة متوالية للعلاقات الإنسانية كما يجب أن تكون خبرات الحياة الواقعية المتدرجة محل الاهتمام الشديد .

وثمة دور آخر للمدرسة هو مساعدة المنازل والمؤسسات في البيئة في تنشئة الأطفال تنشئة سليمة ، وفي وظائفها التربوية ، فهل تستطيع أن تعمل الكثير في تقوية الحياة العائلية ، وفي تقديم النصح للآباء والأمهات والتشاور معهم أكثر مما تفعله الآن . كما أن أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة يستفيدون أن يسهموا بمعرفتهم وخبرتهم في مساعدة الجمعيات والمؤسسات ، التي ترعى أمور النشء وتعالج مشكلاتهم ، ويستطيعون أن يهيئوا مكانا للجماعات الصغيرة والكبيرة ، لكي تجتمع ، كما يمشون لهم استخدام إمكانيات المدرسة ، ويستطيعون الاشتراك في تربية البالغين ، وتوسيع برامجهم الحالية حتى تكون علاقاتهم مع الجمهور طريقا للاتصال ذا منفذين ، ورباطا وثيقا يربطهم بالبيئة .

ورابع دور المدرسة هو أن ترتب شئون بيئتها ، وأن تحسن العلاقات الإنسانية في داخلها ، والواقع أنه لا يقدر ما يتعرض له المدرسون من شد وجذب إلا من قام بالتدريس وسط ضجيج المدينة الكبيرة الحديثة ، وعاني من ضغط الأعداد الكبيرة من التلاميذ على هيئات التدريس ، وإمكانيات المدرسة ، فإذا قدرنا هذه الأمور وجدنا أن هذه المدارس تبذل أقصى ما تستطيع من جهد. ومع ذلك فإذا كان لابد للنشء من أن يتعلم العلاقات الإنسانية الطيبة ، وجب أن يراها مطبقة ، وإذا كان على المدرسين أن يؤمنوا بالقيم الديمقراطية وجب أن تكون هذه القيم مركزة في الحياة المدرسية وإدارتها .

يجب أن تكون المدرسة مثلا يحتذى في تطبيق ما تبشر به من علاقات

إنسانية طيبة .

وخامسا فإن الصورة الثابتة لدينا عن العلاقات الصحيحة بين المدرسة والبيئة هي صورة الناس وهم يعملون من أجل الصالح العام . وعلى الرغم من أن هذا النوع من العمل تقليدي في أمتنا فقد أصبح في خبر كان ، ودور المدرسة هو المساعدة على إعادة وظيفة تخطيط الجماعة ، وعلى الاشتراك الفعلي في وضع سياسة البيئة طالما أن هذه السياسة تؤثر على النشء.

وبالجملة فقد رأينا أن نكتب كتابا يتناول كل هذه الوظائف المدرسية ، ولكن ثبتت لنا استحالة هذا الأمر، ولما كان علينا أن نختار بد لنا من الحكمة أن تركز على التربية العلاجية، وأن نركز على المشكلات المدرسية وحلها ، إذ يبدو لنا أن هذه هي الحاجة الملحة في تربية المعلم في مسائل العلاقات الإنسانية، وهي حاجة تنطبق بدرجة متساوية في القوة على جميع من يعملون في المدرسة.

إن استخدام الطالب بصفة منتظمة للاقتراحات التي يقدمها الكتاب والمشروعات والمشكلات والقراءات سوف يزيد من قيمة الكتاب ، وقد تأخذ المشروعات الشكل المألوف الفعل هذا أو ذاك ، ولكن المفروض أن الطلبة سوف يعملون مع مدرسهم على استيضاح هذه النقط قبل البدء في أي من نواحي النشاط هذه . فالمدرس وليس المؤلف هو المسئول عن هذا المنهج .

مشكلات ومشروعات :

١- افترض أنك السيد ترويد "Troy" ناظر المدرسة في مشكلة

الرياضيات و غيرها ثم اذكر ما يحتمل أن تقوم به لكي تفهم المشكلة فهما أفضل لتحلها ، هل تعمل بمفردك في هذا أو تشترك مع هيئة التدريس ؟ ولماذا ؟.

٢- هل تروقك عادة تعيين لجان بالفصل للقيام بالقراءات أو الدراسات ثم عرضها على باقى تلاميذ الفصل ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، وإذا كان المدرس يرغب في هذه الطريقة أيضا نظم مجموعات كل منها من اثنين أو ثلاثة من الطلبة لقراءة كتب مختلفة متعلقة بالموضوع هنا ، وتقوم كل لجنة بعرض ما قرأت على زملاء الفصل .

٣- اذكر رأيك فيما يشكل مشكلة من مشكلات العلاقات الإنسانية ، وكيف يمكن تعريفها تعريفا دقيقا . مثل لذلك بأمثلة من تجاربك مع الناس .

٤- هل تحب ان تنظر نظرة عريضة للأمور، وأن تفلسف مجتمعنا ، بتغييراته ومشكلاته؟

٥- هل تجد نفسك تناقش آراء مؤلف في كتاب تقرؤه ، فتتفق وتختلف معه عليها ؟

٦- هل تقوم جماعة البحث التي أنت عضو فيها بوضع خطة لاستخدام الأفلام ، والفانوس السحري ، والتسجيلات في أثناء عملها ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل تنصح لجان البحث بأن تبدأ الآن لترى ما

يمكن استخدامه من الموارد المتاحة لها؟

٧- هل تصورت مدى نسيان الإنسان أنفسه في معترك الحياة الواسعة الحالية ؟ إذا . كان مدرسك يوافقك . فجهز مقالاً عن كفاحك لحفظ ذاتك أو لنقدها في سياق عضويتك في الجماعة.

الفصل الثاني

ممارسة حل المشكلات

(أفعال مؤذية، ما إن تلحقها بغيرك حتى تعود بالأذى إليك.)

وليم شكسبير – في رواية ماكبث

حل مشكلات الناس الواقعية أمر يفعله المرء في أثناء أدائه عمله – بأن يغير من الفعل الذي يؤدي إلى النتيجة . وبهذا المعني ، لا يكون الفصل الثاني معنونا بالعنوان الصحيح . فلا الطلبة و مدرسوهم في حجرة الدراسة بالكلية ، ولا مؤلفو الكتب المقررة الذين يجلسون للكتابة يكونون على خط إطلاق النار ، إذ أن حل المشكلة لابد وأن يكون تمرينا على التفكير المنطقي بالإضافة إلى ما يستنبط من الأفكار التي يمكن تخطيطها وتصميمها ، وقد لا يكون هذا تربية مثالية إلا أنه لا بأس به فهو يجعل من التعلم عملية تفكير نشيطة ، كما يجعل منها نضالا يتمشى مع مواقف إلا مجرد عملية استظهار .

وفي هذا الفصل يركز الاهتمام على أهداف ثلاثة : أولها أنه مادام الطريق إلى العلاقات الإنسانية هو طريق الحالات الملموسة ، وجب أن تحدد مواد الحالات وأن تصنف . فذلك يوضح أين وكيف أمكن الحصول

على هذه المعلومات ، أو على الأكثر يحضر الطلبة عض حالات من عندهم . وثانيا وهو هدف أكبر وأصعب ، فهم النماذج الرئيسية لحل المشكلات المناقشة ، والبحث وما نسميه بالتصرف المناسب ، وثالثا وبعد الوصول إلى هذه النقطة يكون هناك وقت للتفكير في تدريب المهارات ، وهي الحاجة الأساسية في كل منهج تقريبا أو في مكمل دراسة عملية بالكلية .

عناصر الحالات

تجمع لدينا خلال السنوات ما بين ١٩٤٦ و ١٩٥٠ حوالى ٥.٥٠٠ مشكلة خاصة بالعلاقات الإنسانية في المدارس و البيئة ، ويعد تقرير مدرسة هيبارد الذي ذكر في الفصل الأول مثلا طيبا هذه الحالات ، ونقصد بالحالة وصفا لمشكلة من مشكلات العلاقات الإنسانية ، والأحداث السابقة على الموقف والتصرف الذي اتخذ أو تقرر اتخاذه إن وجد لدراسة المسائل و حلها ، ونتائج التصرف الذي اتخذ لإحداث التغير بمقدار ما يظهر منها . وكانت دراستنا طوال خمس من هذه السنوات ذات نظرة قومية حتى شملت معاهد المعلمين والمدارس العامة المحلية رغم قلتها وتناثرها، وذلك باستثناء واحد هو منطقة مراحل المحيط الهادي ، وهي جزء من البلاد أقمنا به وزرنا أرجاءه في سنة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ولقد كان حوالي ثلاثة أخماس الحالات البالغ عددها ٥٥٦٦ يرد إلينا في صيغة تقارير كتها معنيون بالمدارس والكليات ، بين نظار ومدرسين ، وأساتذة جامعات أما الإنسان الآخران فيما عدا ١٠٦ حالة . فقد جمعت حالاتهما

من دراساتنا الخاصة وتتخذ شكل مذكرات أو تسجيلات عن أعمال كنا نقوم بها ، ومعلومات مشابهة من أشخاص كنا نقدم لهم المشورة . أما الحالات الباقية فقد جمعناها من قراءاتنا كالمشروع الذي سوف نذكره في النموذج (د) بهذا الفصل.

ولقد أمكن الحصول على كل هذه المواد في سرية تامة وحفظت كذلك في سرية تامة ، وهو ضمان أعطى لزملائنا ، وللذين قدموها لنا ، فنحن نستخدمها هنا بإذن أصحابها من أفراد ومعاهد ولما كانت بعض الحالات تزيد الواحدة منها على مائة صفحة . كان لزاما علينا أن نختصرها ، وبذلك أوجزنا المواد ، واختصرنا فيها ، كما غيرنا أسماء الأماكن ، ورمزنا لها بأسماء رمزية ، فيما عدا القليل من المدن الكبيرة ، لكننا لم نشوه الحقائق قط ، ولم نضغطها أو نحرقها أو ما إلى ذلك . وكنا حريصين على وجه الخصوص في معالجتنا للبيانات السلوكية . وإذا كانت هناك بعض الأخطاء فإن حدوثها لا يعني أننا لم نقم بأي جهد في سبيل منعها أو في تناول المسائل التي تصورها تناولا صحيحا .

ولقد كانت مسألة تصنيف هذه الحالات مشكلة ، فبعد محاولة خطط كثيرة استقر الرأي على تخطيط بسيط وسهل يتضح هذا من الجدول (١) ومن عدد الحالات في كل بند .

(الجدول (١) تصنيف المشكلات المتصلة بالعلاقات الإنسانية في المدارس وفي البيئة)

مناطق المشكلات	عدد الحالات
التعلم الأول – التلميذ المبتدئ	٦٠٥
نظام الفصل – طريقة التدريس	٧٩٣
التلاميذ المنحرفون المعوقون	٤٦٨
العلاقات بين الجماعات المختلفة	٥٦٩
وسائل الاتصال بالجمهور – تأثيرها على التلاميذ – استخدام المدرسة لها	٤١٥
نواحي النشاط خارج الفصل (خارج المنهج)	٥١٢
العلاقات بين البيت والمدرسة	٧٥٢
مشروعات السلوك القومي (أو مشروعات تغيير المنطقة)	٣١٠
العلاقات بين أعضاء هيئة التدريس	٦٥٨
حياة المدرس خارج المدرسة	٢١٨
مشكلات متنوعة	٢٦٦
المجموع	٥.٥٦٦

ولم نحاول في الجدول (١) أن نتجنب تداخل هذه البنود بعضها في بعض ، ولم نقم بأية دراسة تتجاوز حصر هذه البيانات كما لم نجمل البنود أكثر من المعنى العام ، فيما عدا واحدا أو اثنين . وتبدأ مناقشة التعليم الأول ببعض الحالات الموجودة في المدرسة ، وتؤكد أهمية عمل طلبة كليات

المعلمين وتنتهي بالسنة الأولى من عملهم في الخدمة المنتظمة ، كما يستخدم عبارة فيما بين الجماعات بمعناها الدارج وهو يتضمن مسائل تصل بالعنصرية ، والعقيدة الدينية ، والأصول القومية . والطبقة الاجتماعية ، وسنخصص فصلا لكل بند في الجدول فيما عدا البندين الآخرين ويجب هنا أن نذكر شيئا عن الحالات المستخدمة في هذا الكتاب هو أن اختيارها جري وفقا ثلاثة مقاييس : أولها : أنا أعطينا الأسبقية لمواد ثبت من استخدامها في الفصل أو في الورشة أنها جيدة ، أولا بأس بها من حيث قيمتها كحافز للطلبة وعلى هذا حذفنا الحالات التي ثبت ضعفها من هذه الناحية .

وثانيا : على الرغم من أن معظم الحالات من النوع الذي يستهوي كل من يعملون بالمدارس فقد آثرنا الحالات التي تتصل بالمدرسين ومشكلاتهم .

وثالثا : يبدو أن السائل المتعلقة بالعلاقات الإنسانية مصدرين أساسيين في البيئة وفي المدرسة على أن معظم الحالات التي استخدمناها كانت من المصدر الثاني. وإن لم تغفل حالات المصدر الأول .

وبعد هذه الاعتبارات كلها، فإن الحالات موضوع الدراسة تبدو عادية في عمل المدرسة، أو على الأقل لا تؤدى إلى أن نشعر بقلق إزاءها فهي ليست بيانات قد تطلق عليها صفة التعميم فيقال إن التعليم كله فاشل، أو أن المدارس العامة غير ذات أثر ، أو أن النشء لا يرجى منه المستقبل . ويجب أن نذكر أن

كثيرا من نظار المدارس والمدرسين والموجهين وغيرهم يعالجون كل يوم أنواعا من المواقف المقدمة في هذا الكتاب .

وأن الكتاب الذي يبحث في الحالات يركز بالضرورة على الحالات المستثناة من القاعدة ، ويجب أن نضيف هنا مع ذلك أن التعرف على الفشل في العلاقات الإنسانية لا يعني أن نجر به ، ولا يعني أن نعتذر عنه .

إن هدفنا إيجابي هو تقوية الجانب الإنساني من التعليم داخل المدارس وخارجها .

حل المشكلات عن طريق المناقشة

يميل الطلبة في تفكيرهم داخل الفصل إلى النظر إلى المشكلة من جوانبها كلها أو كموقف عام يحتاج إلى تحليل ، وإذا ترك الطلبة وشأنهم في عملهم داخل الجماعة يمكنهم التعبير عن نماذج عادية من السلوك والشعور ، أي أنهم يسلكون السلوك الذي تعلموا أن يسلكوه في الماضي. ومن المهام الرئيسية على المدرس أن يقتحم نطاق هذا التفكير التقليدي . وأن يحفز الطالب الذي يقوم بحل المشكلة أن يشعر بالحاجة إلى التريث و التفكير والتمعن في هذا الاحتمال أو ذاك .

وإذا كانت خبرة المدرس من النوع الذي يمكن الاعتماد عليه ، فإنها تؤدي إلى تقدم جماعة الطلبة خطة للدراسة ، والسلوك ذات خمس نقط .

نموذج (أ)

خطوات المناقشة في الجماعة الصغيرة

١- ما هي المشكلة ؟ صفها.

٢- من الذي سببها ؟ وكيف كان ذلك ؟

٣- ما هي الحلول الممكنة ؟

٤- ما أحسن سبيل للتصرف ؟ ولماذا ؟

٥- كيف يمكن البدء في التصرف المؤدي إلى التغيير ؟ و من يبدؤه ؟ ومتى يبدؤه ؟ وكيف يمكن ضبطه ؟

وحل المشكلات عن طريق مناقشة الجماعة هو في مادته خطة لتنظيم الحديث وجعله پليزم الهدف منه . والخطوة الأولى في النموذج (١) هى بيان وضعي أو تحليل للموقف، والخطوة الثانية تتناول عمليات التفاعل بما في ذلك الدوافع والمشاعر ، والهدف هو الوصول إلى معنى من شيء يبدو غير واضح أو مضطربا أو متناقضا .

أما الخطوة الثالثة فتقترح الحلول الممكنة. وأما الخطوة الرابعة فتتعاون بين هذه الحلول في ذوه قيمتها.. وأفضل، حل في رأينا هو الذي يجمع بين القيم الأخلاقية من حيث خيرها للفرد وللصالح العام. كذلك القيم العملية، وبخاصة درجة الكفاءة في العمل، والقصد فيه. ولنحاول الآن دون أن نلتزم حرفيا خطة

النقط الجنس ذكره في الفصل الأول

أن نطبق ذلك على حالة الرياضيات أو غيرها مما سبق حين دعا مدير مدرسة هولتون المؤلف إلى زيارة المدرسة للمعاونة في حل هذه المشكلة ، قام المؤلف بهذه الزيارة في مناسبات عديدة – واستمع إلى السيد تروى وجميع أفراد هيئة التدريس ما عدا واحدا . وكان الهدف هو التحقق من التفاصيل كما وردت في التقرير الكتابي ، وتكوين فكرة مبدئية عن الموضوع. وعندما تبين أن السيد (س) عضو مجلس إدارة المدرسة .

كان يهتم بموضوع الرياضيات بصفة خاصة ، بدأنا نجمع معلومات عنه من النواحي الآتية : من هو ؟ من هم أصدقاؤه المقربون ؟ ماذا كانت وجهات نظره عن التربية ؟ هل كان سلوكه نحو الرياضة البسيطة سلوكا أصليا أو مجرد ستار لفرض آخر ؟ وهل كان يعمل على فصل السيد تروى ، ثم توظيف شخص آخر مكانه . أو كانت نيته منعقدة على تصحيح نقطة ضعف في المنهج من أجل تقوية المدرسة ؟

وقد أثار هذا الموضوع اهتماما عظيما داخل المدرسة نفسها ، فشعر السيد تروى آن مدرسة الصف الثامن كانت حمقاء حين اقترحت هذا الرهان ، وأن خدمتها للمدرسة من ثم يجب أن تتوقف بأسرع ما يمكن وشعر شعورا قويا بأن السيد (س) رجل عجوز متقلب الأطوار ، وأنه يصعب على أي أحد أن يتحدث معه في شئون التربية . وبدا عليه القلق حول ما سيفعله مجلس الإدارة إذ أن منهج الرياضيات قد دس على

المدرسة . لقد شعر أن المشكلة مشكلته هو ، وأن هيئة التدريس يجب ألا يطلب إليها الاشتراك في تقرير الأمور ، وشعر أيضا أن وظيفته أصبحت في خطر وإن كان شعورا غير قوى .

ويبدو بوضوح ، من الفقرات السالفة أن المؤلف قد خلط بين نوعين من البيانات أحدهما خاص بما كان يجري داخل رأسه ، كرأيه بالنسبة للسيد (س)، والآخر يختص بالحقيقة الموضوعية مثال ذلك ما قاله السيد تروى . ولا يؤدي أسلوب الكتابية بهذه الطريقة إلى امتداد المكان وحسب، وإنما قد يؤدي إلى حدوث بعض الحيرة عند الطالب ، وعلى الرغم من أن هذا النهج مثل طريقة حل المشكلات في مكان وقوعها فإننا أن نستمر فيه ، ونكتفي بذكر ما حدث في الحالة ، و كيف وصلنا إلى «حل ، إذا كانت كلمة حل يصح أن تستخدم في مجال العلاقات الإنسانية في المدرسة . وقد يرى القارئ أن يتقه ص دور المؤلف ، ويحاول أن يقدر ما كان يجري في عقل المؤلف بالنسبة للأحداث . بعد فترة قصيرة بدأ أعضاء هيئة التدريس بمدرسة هولتون يعقدون الاجتماعات ، وبدأنا جميعا ندرس الموقف ، ونتبادل الآراء بشأن طبيعته وأسبابه ، وما يمكن عمله إزاءه ، وسرعان ما بدأت تظهر بعض نواحي الاتفاق فقد مت توصيات للسيد تروي ، الذي كان أثناء دراسته لهذه المناقشات محتفظا بآرائه لنفسه ، ولم يحدث في أثناء ذلك أو بعد هذا أن اشترك ناظر المدرسة اشتراكا فعالا في مناقشة الجماعة ، سوى الاعتراض على الموضوعات التي كان يعتبرها متعذرة من الناحية العملية ؟ ومثال هذا اقتراح بأن تقوم الجماعة بإجراء دراسة شاملة لمشاعر الجمهور إزاء مدرسة هولتون و لقد شعر السيد تروي

أن في هذا الاقتراح كثيرا من الخطورة ، وأنه قد يؤدي إلى مزيد من المتاعب.

ومن الاقتراحات العديدة التي قدمت للسيد تروي اقتراح قال تأييده التام وكان هذا الاقتراح خاصا بوضع منهج للعلاقات العامة ، نظرا لأن أعضاء المجلس والمواطنين كانوا في حاجة إلى معرفة معلومات أكثر عن مدارسهم ، وعن المنهج ، وهيئة التدريس ، و مدى تقدم التلاميذ ، ومن ناحية أخرى كان المدرسون في حاجة لمعرفة البيئة ، والتعرف على المواطنين البارزين .

ولقد أدى هذا إلى سلسلة من الزيارات المتبادلة فكان يأتي فيها رجال الأعمال لزيارة المدرسة. في أحد الأيام، وفي يوم آخر كانوا يستقبلون هيئة التدريس ، ويجتمعون بهم في أثناء تناول الغداء ، ولقد سارت زيارات التعارف هذه سيرا حسنا ، كان لها نفع كبير دون شك.

وبين الحين والحين خلال الشهر الذي كان يجري فيه هذا العمل ، تقابل المؤلف مع السيد (س) وتحدثا معا . لقد بدا رجلا صليا لكنه كان مخلصا ، ذا اهتمام حقيقي بالرياضيات . وكان من نتيجة هذه الاجتماعات أن قام المؤلف بزيارة مع السيد (س) ضيفا على إحدى الجامعات

وتحدث فيها مع أساتذة الرياضة وكرر هذه الزيارة مرتين وحده ، وقد رأى بعد تفكير طويل أن الطريقة التي تعالج بها مشكلة مدرسة هولتون هي أن يوضع المقرر المطلوب في الرياضة من أجل الحياة) للطلبة بالفصول العليا.

ولم يتطلب هذا المقرر إلا وقتا قصيرا لكي يصبح صفة ميزة لمدرسة هولتون. وقد نال الكثير من التأييد من جميع من يهمهم الأمر ، أي من مجلس التربية ، ومن الوالدين و من رجال الأعمال ، والطلبة و غيرهم ، وكان لكبار المواطنين ومنهم السيد (س) يعملون لجنة استشارية لهذا المنهج ، ودعى رجال الأعمال الإلقاء محاضرات ، وكان الكثيرون منهم يشعر بالفخر في عرض الوظائف الشاغرة عنده على الخريجين الذين تفوقوا في الرياضة ، وكان السيد (س) يشعر بالسعادة لهذه التطورات ، على الرغم من أنه لا يعتبر المنهج العام (قويا بدرجة كافية من ناحية الرياضيات) وليس هناك الكثير مما يعد فريدا في نوعه في هذه الحالة . فالنمط العام لحل المشكلة نمط عادى . ولذلك سميناه (طريقة المناقشة) على الرغم من أنه يتضمن أكثر من مجرد المناقشة ، فهو نموذج يتتبعه الطلبة غاليا ، في مناقشاتهم بالفصل .

وثمة نموذج آخر . وهناك عدة نماذج أخرى تعتمد من ناحية على المناقشة ويطاق عليها تحليل حالة الصراع ، ولقد وضع هذه الحالة مركز دراسات العلاقات الإنسانية بجامعة نيويورك.

وسنوجز صورة كروكية أعدها هـ – هـ – جيلز ، وندخل عليها بعض التعديلات بما يناسب الحالة التي نحن بصددها .

نموذج (ب)

" تحليل حالة الصراع "

١– عنوان الحالة.

٢- صورة عن الصراع في مرحلته الحادة .

٣- قصة الصراع .

٤- تشخيص الموقف الحالي .

٥- العلاج - أهدافه وطرقه - واحتمالاته الأخرى .

٦- النتائج التي أمكن الوصول إليها.

٧- نتائج عن الحالة ، خاصة بالشخصية والقوى الدافعة للجماعة ، وطرق التصرف ، والمسائل التي لم تحل .

ولنحاول أن تنظر إلى هذا الموجز من حيث علاقته بحالة من الحالات، وبهذا نوضح صورة لاستخدامها بعد ذلك في حجرة الدراسة . إننا نتصور الأحداث التي نجدها في صحن أي مدينة كبيرة تقريبا وهو سلوك ينتشر في مدارس الأحياء الفقيرة .

عشرون حجرة يحطمها جماعة من التلاميذ الأشرار

وجدت عشرون حجرة من حجرات الدراسة محطمة و مخربة بوساطة بعض الأشرار الصغار الذين اقتحموا مدرسة كيتنج . وقد عرض المدير فرانك تشيرش مكافأة قدرها ٢٥ دولارا لأي تلميذ يمكنه التعرف على المذنبين .

وصف تشيرش هذا العمل على أنه إجرامي بحت . فقد حطمت النوافذ الموجودة في أبواب جميع الحجرات . وبعثرت الكتب والأوراق وقلبت المقاعد رأسا على عقب ، و شوهت الزخارف ولطخت الزينات ، وسكب المداد على الأرض و فوق الأثاث ، ولوثت به الأعلام واللوحات . وقال تشيرش إن الشيء الوحيد الذي سرق كان دفتر تذاكر لركوب عربة الترولل سرق من درج أحد المدرسين .

وجاء في البلاغ أن الأداة التي استخدمت في اقتحام المكان كانت مطرقة . وذكر المدير أن المدرسة تعرضت للتخريب عدة مرات في الفترة الأخيرة. فن شهر واحد مضى قام الأشرار

بنزع ساعات الحائط من الجدران و سكبوا المداد فوق علم كبير في مدخل البهو . تتولى الشرطة استجواب عصابات الأحداث في أحياء كيتنج

١- يمكن أن نسمي حالة كهذه (الأجرام في مدرسة كينج) أو بمعنى أوسع مشكلة الرقابة على الأحداث في الأحياء الفقيرة.

٢- إن التبليغ عن هذه الحالة كما ترويه الأخبار ، لابد أن يجرف بالقارئ إلى قلب الحادث ، وأى هجوم آخر على إحدى مدارس المنطقة يجب وصفه لكي يمكن الوصول إلى بحث مقارن .

٣- تتبع التاريخ هو الطريق لوضع العناصر في مكانها الأصيل حتى

يكون لها مشهدها الصحيح . فهل في مدرسة كيتنج ، أو في قسم الشرطة ، أو في ملفات الصحف سجل عن هذه الهجات ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإذا نستدل منه ؟

٤- كيف يمكن تشخيص هذا الحادث الأخير ؟ من الواضح أن هذا فعل عصابية .. ما هي عصابات الأحداث الموجودة في الحي ؟ وأي ظروف البيئة يهيئ لوجودهم ، و تحميل في الحقيقة إلى خلقهم ؟ ما هو الحال في مدرسة كيتنج ؟ هل عدم ارتباطها بالحياة وطرق التربية العامة الشعب بها، تسبب شعورا بالتعثر عند النشء ؟ هل يمكن افتراض أية فروض تم إخضاعها للتحقيق ؟

٥- ما هو حال المنازل في حي كيتنج ؟ وما هي مشاعر الآباء والأمهات نحو المدرسة ونحو إجرام الأحداث ؟ ما هى هيئات العلاج الموجودة – نوادي الشباب ومعسكراتهم مثلا ؟ ما هى آراء رجل الشرطة الذي كان يحرس الدرك ؟ وآراء إصلاحيات الأحداث ؟ ورجال الكنيسة ؟ هل يوجد في أي مكان مثال طيب لمنع إجرام الأحداث أو الرقابة عليهم ؟ صفه . هل يصلح لحي كيتنج ؟ كيف ؟ من الذي يتولى القيادة في هذه الحركة .

٦- أي إجراء اتخذ منذ أن وقعت هذه الحادثة مدرسة كيتنج ؟ ما هي النتائج التي ترتبت عليها حتى الآن ؟ ما هي الإجراءات التي رؤى إتباعها ؟ إذا لم يكن قد اتخذ أي إجراء فلماذا ؟

هل صراع القيم الذي تحدثنا عنه فيما سبق عند تعريفنا لطبيعة المشكلة الاجتماعية ينطبق على هذا الحادث ؟ ما رأيك في عرض مكافأة كوسيلة للرقابة ؟

٧- ما النتائج التي يمكن الحصول عليها من الموقف كله بالنسبة لتفاعل الشخصية ، دوافع هؤلاء الأحداث للهجوم على المدرسة مثلا ؟ وبالنسبة لتفاعل الجماعة كعوامل السلوك لصالح العمل في الحي كله أو ضده ؟ ما الأسباب التي حيرتك فعلا ، والتي لم تستطع أن تتصورها؟

حل المشكلة عن طريق البحث

على الرغم من أن النموذج (أ) أو (ب) يمكن أن يستخدم بمفرده، لإدارة دفة المناقشة داخل الفصل ، فإن كليهما يشير إلى وجود حقائق تجريبية ، فهناك بكل تأكيد طرق مختلفة لتخطيط البحث ، لكن جهدنا هنا سوف يقتصر على اثنين : أولهما هو البحث في مجال العمل ، وهي طريقة يزكيها المربون لأنها تؤدى إلى إجراء التغيرات في أساليب المدرسة وسياساتها ونحن نستخدم الإيضاح ذلك حالة نقلها عن دكورى ، وهو أحد من عملوا مع مارى نيل سميت ، وهيئة التدريس بالمدرسة الإعدادية التي تعمل بها .

النموذج (ج)

محاولة تحسين اجتماعات المدرسين

فكرة عامة :

ظلت مدرسة جروف الإعدادية بدونفر كلورادو تعمل عدة سنوات على تحسين أساليب المدرسين ومحتويات المنهج . ولقد جرى جزء كبير من هذا العمل في اجتماعات المدرسين التي كانوا يعقدونها لتخطيط وقت الدراسة . وعلى الرغم من أن النتائج كانت طيبة لم تحقق كل ما عنده عليها من آمال . ولهذا قررنا أن نحاول تحسين اجتماعات المدرسين عن طريق البحث في مجال العمل .

١ـ المشكلات:

الصعوبات التي شعروا بها : شعر المدرسون أن كثيرا من اجتماعات التخطيط لم تكن ذات قيمة ، وأنها لم تصل بهم إلى أي نتيجة ، ولم يأذن أعضاء هيئة التدريس على عاتقهم أية مسئولية عن نجاح الاجتماعات ، وإنما كان العضو المنسق ، وهو عضو من خارج هيئة التدريس هو الذي يتحمل كل المسئولية ، ولم يكن هناك ما يؤكد أن قرارات الهيئة ستأخذ طريقها إلى التنفيذ وكان الأمر يحتاج بصفة عامة إلى طرق أفضل في العمل الجماعي .

المراجعة المبدئية

كانت هذه وجهات نظر بعض المدرسين ، وكانت الخطوة التالية تجميع ردود الأفعال عند هيئة التدريس . فطلب إلى جميع أعضاء هيئة التدريس أن يجيبوا على قائمة تصحيح البعض الموضوعات تتعلق بشعورهم تجاه الاجتماعات ومدى فائدتها ، ومدى اشتراكهم فيها ، وأي تحسينات يرونها ضرورية لها ، ومن هذا المسح اتخذوا قرارا بتركيز طريقة البحث الصالحة على موضوع الشعور بالمسئولية .

٢ـ افتراضاتالعمل:

الافتراض (١) إذا تحدد دور المنسق تحمل أعضاء هيئة التدريس مسئولية أكبر عن سير الاجتماعات و نتائجها ، وعرفت مهمة هذا الدور بأنها توضيح الأفكار ، ووضع الأسئلة ، و تصوير كل ما يهم الأعضاء ، وتنبيه الأعضاء إلى الموارد ، واقتراح طرق أفضل لعمل الجماعة .

الافتراض (٢) إذا وضع جدول الأعمال في الاجتماعات على أساس تعاوني ، و قيدت القرارات في مجال ، واتبع ذلك مراجعة لمعرفة ما إذا كانت هذه القرارات قد نفذت أصبح لهذه الاجتماعات التخطيطية قيمة أكبر عند المدرسين .

٣ـ اختبارالفرض (١)

دراسة الخطة: إزاء الدور المحدود للمنسق : ما هي البيانات التي تبين

مدى اضطلاع المدرسين مسئولية أكبر في نواحي نشاط الجماعة و نتائجها ؟ أين توجد هذه البيانات ، و بأى شكل ، و كيف يمكن جمعها؟ هل يجب إعداد أدوات الدراسة و توزيعها كجداول الاستقصاء مثلا؟

ولما كانت هذه الأسئلة قد أجيب عليها تقريبا في دراسة النتائج فسوف نبحث عن الدلائل .

نتائج البحث : أمكن الوصول إلى نوع من البيانات من محاضر اجتماعات التخطيط – ويوضح جدول من صفحة كاملة في التقرير الأصلي طفرة كبيرة في اشتراك المدرسين ، إذ ارتفع اشتراكهم من ٩٩ حالة في فصل دراسي واحد إلى ١٧١ في الفصل الدراسي التالي ، ١٦٤ في الثالث.

وعلى الرغم من أن هذه النتيجة أكدت صحة الافتراض، لم تكن هناك زيادة تذكر في اشتراك المدرسين في الموضوعات الأخرى (كاقتراح موضوعات جدول الأعمال أو إتمام مالم ينجز من أعمال الخ).

وأمكن الوصول إلى نوع آخر من البيانات من استقصاء تقويمي، وزع على ثلاث فترات على مدار السنة – وتوضح النتائج في الجدول (٢) .

الجدول (٢) مدى استجابة المدرسين لاجتماعات التخطيط

البيان	درجة الاستجابة		
	فبراير	يونيو	فبراير

	١٩٥٠	١٩٥٠	١٩٥١
١- شعرت أن أفكاري كانت لها قيمتها .	٢.٥	٢.٨	٢.٣
٢- كنا جميعا نشعر بمسئولية تجاه نجاح الاجتماعات.	٢.٧	٢.٧	٢.٨
٣- شعرت أن وقتي ذهب سدى.	٣.٠	٢.٨	٢.٥
٤- ناقشنا أمورا مهمة بالنسبة لى .	٢.٥	٢.٣	٢.٥
٥- بدا أن شخصا أو اثنين كانا يسيطران على الاجتماع	٢.٠	٢.٥	٢.٥
٦- شعرت أني كنت عضوا نشيطا في الجماعة .	٢.٥	٣	٢.٨
٧- كنت أميل إلى الانسحاب من الجماعة .	٢.٣	٢.٣	٢.٧
٨- شعرنا أننا ننجز الأشياء التي قررنا عملها .	٢.٨	٢.٧	٢.٥
٩- تطوعت للقيام بعمل الجماعة .	٢.٥	٢.٤	٢.٠
١٠- نفذنا قراراتنا .	٢.٥	٢.٥	٢.٧

الاستجابات التي رؤى أنها صحيحة منحت ثلاث درجات ، والصحيحة نسبيا درجتين والأقل درجة واحدة.

٤ـ اختبار الفرض (٢)

لما كان هذا الغرض قد اختار بوساطة نفس البيانات التي جمعت لاختبار الفرض الأول ، اقتصر على الإشارة إلى الجدول الذي استشهدنا به . وجدنا أن ما يزيد على نصف الاستجابات في الجدول ٢ مناسبا للاقتراح موضع الاختيار ، وهو أن الاجتماعات كانت أكثر قيمة للمدرسين ويبدو أن البند رقم ٩ كان طريفا فيها بين الملهول أن كثيرا من المدرسين لم يتطوعوا للعمل الجماعة ، أو كان تطوعهم قليلا فإن محضر الاجتماع يبين أن عددا أكبر من المدرسين تطوعوا بالفعل ، وقاموا فعلا

بالعمل الجماعي .

٥ـ استنتاجات عامة:

تدل النتيجة التي وصلنا إليها على أن الدراسة التي قام بها المدرسون التخطيط اجتماعاتهم كانت بالغة الفائدة في تحسين هذه الاجتماعات . فقد أخذ أعضاء هيئة التدريس على عانقه مسئولية أكبر ، وأظهروا اهتماما في البحث عن طرق أفضل للتعاون معا ، وانتشرت الدوافع التي تولدت من دراسة بحث طريق العمل إلى جماعات أخرى من الأساتذة ، والطلبة بالمدرسة وأثرت على نواحا نشاطهم .

وعلى الرغم من أن القليل من هذا النوع من الدراسات يعلو على مستوى النقد فإن هذه الدراسة تبدو لنا مفيدة جدا . والنقطة الأساسية في بحث طريق العمل هي أن الأشخاص الذين يشتركون فيه هم الذين يحتاجون إلى أداء أعمالهم بطريقة أفضل حتى تكون عملية الدراسة نفسها ، لا النتائج الشكلية ، هي عامل التغيير الفعال ، إذا كان هناك تغيير ونحن نعتقد أن التغير غالبا ما يحدث بسبب التغلغل في عملية الجماعة. والقاعدة العامة هي أن أعضاء الجماعة يسمح لهم وضعهم فيها بإجراء التغيير ، وليس الباحث الخارجي الذي يطلب إليه ذلك ، وبين النموذج التالي الطريقة الفنية لحل المشكلات ، و بمقتضاها يقوم مستشارو البحث بعمل العالم الذي يتنبأ بالنتائج . وهذه الحالة تشرح كيف أمكن لفريق من علماء الإجماع مساعدة القوات المسلحة في حل مشكلة معقدة ثارت في نهاية الحرب العالمية الثانية .

نموذج (د)

حول إعادة الجنود إلى أوطانهم

إن المحاولة التي قام بها فرع البحوث في الجيش للوصول إلى طريقة مقبولة لإعادة الجنود إلى أوطانهم بعد استسلام الألمان . يمكن استخدامها كمثال نموذجي للتنبوء في علم الاجتماع .

وتتلخص المشكلة فيما يأتي : كان من المتوقع أن يستسلم الألمان قبل اليابانيين ، وأن تواصل الحرب ضد اليابان بجيش أصفر وإذا ما تصورت الفرق المحاربة أن النظام الذي وضع التسريحهم وإعادتهم إلى الحياة المدنية بعيد عن العدالة و قريب من التحيز . فإن الحالة المعنوية قي. الجيش سوف تعاني كثيرا من جراء ذلك بل ويحتمل أن يؤدي هذا إلى التمرد وهو ما حدث. فعلا في وحدة من وحدات الحلفاء حيث شعر الجنود أنهم كانوا يعاملون معاملة مجحفة .

ونظام إعادة الجنود في وحدات كاملة فيه غبن كبير لأعداد كثيرة من الجنود ، لأن الوحدات. التي أمضت أطول وقت في الجبهة الأمامية كانت تضم عددا كبيرا من الجنود الذين حلوا محل غيرهم فلم يكونوا قد قضوا بول في الخدمة إلا فترة قصيرة . ولهذا لم يكن من العدل أن يفضل هؤلاء الجنود على الذين اشتركوا فعلا في المعركة لأشهر طويلة .

وتنبأ فرع البحوث بتوقع حدوث هذه المشكلة فقام بدراسة حوافز المشاعر نحو التسريح بين هيئات مختارة من الجنود بالمعسكرات في داخل

الوطن وخارجه، وكشفت الدراسة عن الأمة الذي أخاف العوامل التي رأى الجنود أنها تخول لهم حق الأسبقية . وكان من الواضح أنه لا يوجد نظام للتسريح يرضي كل جندى ، على أنه اتبع ترتيب الأفضليات وقدر مع ذلك أن حوالى ١٠% أو أكثر منهم سيصرون أن النظام مجحف . غير أن قياس أهمية مختلف العوامل جمل من الممكن وضع نظام مقرر للنقط التي يحصل عليها كل رجل بالنسبة لطريقة التسريح بحيث تتضمن إرضاء أكبر عدد ممكن من الجنود ، و بالتالي إلحاق أقل ضرر من ناحية الحالة المعنوية ولقد قدم هذا النظام مع جميع المعلومات والحقائق التي تعززه ، إلى قسم التخطيط الخاص بالهيئة العامة لإدارة شئون الحرب . ووافق على استخدام هذا النظام عندما يستسلم الألمان به د إدخال تغييرات طفيفة عليه . وبعد تنفيذه ، قام قسم البحوث بدراسات لمعرفة مدى تقبله لدى الجنود ، ووجد أن التنبؤات التي اعتمد عليها قد تأكدت عند التطبيق حيث كان الجدد الذي تنبأ به فرع البحوث يقرب من عدد الرجال الذين أظهروا عدم الرضا من البداية. وزادت نسبة عدم الرضا عندما قل عدد الرجال الذين بقوا بالجيش ، في نوفمبر سنه ١٩٤٥ ، شعر حوالي ٤٢% من الجنود الذين تركوا للخدمة بالجيش أن الخطة كانت إما غير سليمة تماما أو سيئة جدا، ومع ذلك فلم يوجه أخيرا من هؤلاء الرجال أي نقد للموضوع من ناحية التحيز أو المحاباة .

غير أن كثيرا من الشكاوي وصل الكونجرس الأميركى و فزع له المجلس ، كما هو الحال في مثل هذه الأمور التي تدعو إلى الجدل فأرسل يستفسر من إدارة الجيش ، ولكن عندما عرضت على لجنة المجلس

المعلومات التي قامت عليها الخطة ، والدراسات الخاصة بتقبلها قبل التنفيذ و بده ، خفت حدة النقد. وخمدت اعتراضات المجلس تماما . أما من ناحية الحالة المعنوية في الجيش ، فقد كان وضع آراء الرجال أنفسهم في الاعتبار عاملا هاما في تقبلهم للخطة . وبوجه مام فإن أوجه النقد التي وجهها هؤلاء الرجال كان المقصود بها الطريقة التي نفذت بها الخطة المزيلة نفسها].

وهذا في الواقع هو العلم في خدمة الإنسان ، العلم من أجل تحسين العلاقات الإنسانية ، وكانت المشكلة تنحصر في تصميم خطة لتسريح قوات الجيش ، وجعلها معدة عندما تحين الظروف لاستخدامها. وكان من الواجب أن تكون الخطة عادلة ومنصفة مع توفر عوامل أخرى وتجنب الإدارة بفقد الحالة المعنوية عند المحاربين فكان بالعملية كبار المستشارين في البحوث الذين قاموا بطرق البحث لا يحتاج الأمر إلى ذكرها الآن . هذا مثل من أمثلة بحوث العمليات ، والهدف هو تهيئة أساس لوضع خطة يتوقف عليها اتخاذ قرار هام في سياسة ذاتها.

إن النموذج (د) أو هذا المستوى العالي فلن يظهر كثيرا في البحث على صفحات هذا الكتاب، غير أنه ما يفيد الطلبة أن يعرفوا شيئا عنه وأن يستخدموه في بحوثهم بصفة خاصة. ويستخدم الإداريون بالمدارس هذا النموذج في بحوثهم الخاصة بالتنبؤ كما هو الحال في دراساتهم الاتجاهات السكانية ، واتجاهات التغيير في الرأي العام ويعتبر هذا النموذج أداة ذات شأن للبحث في أقسام البحوث بالمدارس الكبيرة ، وفي أنظمة

المدارس .

إجراء التصرف المنشود (الملائم):

إن أكثر الطرق شيوعا في حل مشكلات العلاقات الإنسانية هي ما يطلق عليه المدرسون اسم (التصرف المنشود الملائم) و قد لا يتضمن هذا أي بحث شكلى ، مع القليل من المناقشة . والقائد الذي يقود رجاله إلى المعركة مثلا لا يحتاج لأن يصرخ فيهم ليبدءوا القتال ، إذ أنه قد يتحرك بكل بساطة إلى الأمام وهم يتبعونه لأن عمله هذا دافع لهم ، يدل على نواياه ، والحال كذلك بالنسبة للمدرسين ، ونظار المدارس . فقد يتحقق الغرض المقصود من مجرد ابتسامة أو تقطيب الوجه . أو رفع الحاجبين ، أو اتخاذ الجسم لموضع معين .

فمتى يكون الفعل صحيحا ؟ يميل المرء إلى أن يقول إن التصرف يكون صحيحا عندما يؤدى إلى النتائج المطلوب التنبؤ بها في ظروف سبق تحديدها ، وقبولها .

ومن الواضح أن وصف التصرف (الصحيح) لا يكون إلا بعد التصرف ، وعلى هذا يكون حكما على النتائج ، وهذا ما يسمى الاحتمال و هو أساس كل علوم التنبؤ .

وفي الجزء الثاني حالات كثيرة اعتبرنا التصرف الذي اتخذه مقرري هذه الحالات تصرفا صحيحا ، وسواء وافق الطلبة أو لم يوافقوا على ذلك

، ومهما كان رأيهم في نوع التصرف الذي يعتبرونه أفضل من غيره يجب أن يتابعوه بدقة وعناية كاملتين .

تدريب المهارات الخاصة بالعمل في ميدان العلاقات الإنسانية

يبقى بعد ذلك هدف هام آخر من هذا الفصل . فحيثما لاحظنا تعليم العلاقات الإنسانية في المدارس أو الكليات ، أو المصانع أو غيرها . فإن نقطة الضمني الكبرى في نظرنا تنحصر في عدم قدرتها على تهيئة تدريب المهارات على حسن توجيه عمليات التصرف ولا يغير من هذه القاعدة وجود بعض استثناءات منها في الورش . إذ أن التدريب العملي للمهارات يصعب تهيه صعوبة بالغة .

وتدريب المهارات لا يعني تعليم أسرار المهنة أي العمل على إطلاق المهارات النافعة البسيطة التي يمكن الاستفادة منها في المهنة على الرغم من أن هذا يجري في كثير من فصول معاهد المعلمين ، و إنما المقصود هو تدريب الطلبة على الاستخدام الجيد الأدوات والوسائل الفنية الأساسية .

١ – لإيجاد العلاقة بين الفرد و غيره من الأفراد.

٢ – واستخدام الجماعة لتربية أعضائها . وما تهدف إليه هو بعض ما يعبر عنه بعبارة القيادة التي تلتف حولها الجماعة .

فمهارات قائد المجموعة كثيرة ومنوعة ، ولا يمكن أن تظهر حالة صغيرة واحدة الشيء الكثير مما تعنيه . و نتناول هنا مشكلة عالجتها

إحدى مدرسات الصف الرابع وهي وضع نظام لاستخدام ملعب جديد بالمدرسة ، والهدف هنا هو أن نوضح كيف يمكننا استخدام الحالات التي يقترحها هذا الكتاب لتدريب المهارات .

تنظيم برنامجل لألعاب الرياضية

تقع مدرسة تيلر في إحدى ضواحي كليفلاند بولاية أوهايو وهي ضاحية يسكنها عمال المصانع ، وعمر المدرسة أقل من سنتين و لأول مرة يعين لها ناظرة ، وآخر شيء أضيف للمدرسة كان ملعبا للرياضة يستخدم أيضا كقاعة المحاضرات والخطابة . ومشكلتنا الآن هي إقامة نظام الاستخدام ساعة الألعاب في دروس التربية الرياضية ، واستخدام الحمامات التي به ، والقيام بجميع أنواع النشاط المختلفة الخ.

ويجب أن أذكر هنا أن المدرسة تبدأ من الصف الأول حتى الخامس

ولنترك هذا الآن و بين الحين والحين لنعلق على الموضوع . ولعل في الفقرة السابقة ما يؤكد اهتمام المدرسين والحاجة إلى تنظيم ساحة الألعاب.

فكيف يمكن وضع هذا النظام ؟ وما هي أفضل طريقة لذلك ؟ إذا بدأ أحد الطلبة في الإجابة فإننا نطلب إليه أن يتريث لحظة في تفكيره. وأن يتصور نفسه ناظرا لمدرسة تيلر ، وأن الفصل هو هيئة المدرسين بالمدرسة ، ثم نسأله عن الآتي :- «والآن بين لنا بالفعل لا بالقول كيف يمكنك كناظر المدرسة أن تسير في وضع نظام ساحة الألعاب ؟ ويقوم الفصل بدوره هذا

فيسلك تلاميذه المسالك الذي يتصورون أن أساتذة المدرسة يسلكونه وهنا يبدأ ناظر المدرسة في تنفيذ خطته ويستمر هذا المنظر إلى أن يتضح معناه ، وحينذاك تتوقف العملية ، وتبدأ الجماعة في تحليل الخطوات ، وقد يود طلبة آخرون أن يعرضوا آراءهم بشأن تنظيم الملعب ، وهنا يحسن إعادة تمثيل هذا المنظر.

هذه تمثيلية جماعية أو على الأقل ألف باء التمثيلية الجماعية – وفي هذا المثال تنشأ الأدوار في الحال ، ويختار كل شخص دوره على هواه أو يتفق عليه مع الجماعة . على أن المشاهد لا تكون من نص مكتوب حتى لا تفقد قيمتها الأساسية وتلقائيتها . ومن المهم أن يتبع التقريظ والنقد آداب السلوك، وأن يرضى الذين يقومون بالأدوار فرصة ليذكروا ما يجول بخاطرهم ولماذا قالوا أو فعلوا هذا أو ذاك . ولنتابع الحالة .

(كانت الخطة أن ندعو إلى اجتماع للمدرسين ، فدعت الناظرة السيدة ما يربو إلى عقد اجتماع بعد انتهاء اليوم المدرسي من جميع مدرسات الفصول، ومدرسة التربية الرياضية ، ومرضة المدرسة ، التي تحمل بعض الوقت، ولقد قضينا الساعة تلو الساعة في جرد عرض النقط التي يجب أن يتناولها حل مشكلة إقامة تنظيم للملعب)

فما هي النقط التي تحتاج إلى حل. قد يرى أحد فصول معاهد المعلمين تنظيم مناقشة حول هذا الموضوع . أو قد يقوم بدعوة شخص متخصص في التربية البدنية . أو مصدر آخر من الخارج للتحدث إلى

الجماعة . وثمة طريقة أخرى لتناول الموضوع ، و ذلك بأن تقسم أجهة إلى أقسام صغيرة ، ويتحدث أربعة من الطلبة سويا لمدة ست دقائق ويقوم عضو كل قسم بإبلاغ النتيجة الفصل .

تقول السيدة آندر وهي التي رفعت إلينا الحالة ، وكانت تقوم بتدوين ملاحظتها عنها ، إنه تقرر أن يعقد اجتماع لأولياء الأمور ، ولقد طلبت مني ناظرة المدرسة أن أكتب مسودة الخطاب أدعو به أولياء الأمور وأشرح لهم مدى حاجتنا إلى مساعدتهم . و كتابة هذا الخطاب وصيغته و محتوياته وأسلوبه ، تعتبر مشكلة كذلك .

فماذا يجب أن يذكر في الخطاب ؟ وكيف يمكن وضع النقط المختلفة في صيغة جمل – إن مثل هذه الأسئلة تثير مشكلة كبيرة، هي مشكلة الاتصال بين المدرسة والبيت ، وغيرهما ، ويرى الكثيرون من نظار المدارس أن هذه هي المشكلة رقم (١) ويمكن أن تقوم إحدى فرق البحث بدراسة الموضوع و إبلاغ النتيجة للفصل فيما بعد ، كما يمكن أن يتقابل أعضاء هذا الفريق مع النظار والمدرسين ، وغيرهم ، وأن يجمعوا عينات من المواد لتحليلها ، ولإحدى جماعات الطبية إذا أرادت أن تحيل عملية كتابة خطاب مدرسة تيلر على لجنة من الفصل ، ويمكن أن ينسخ الخطاب من عدة صور ثم يوزع للنظر فيه ، وتنقيحه بعد ذلك ، وعند ذ يهيأ الظرف المناسب الدعوة أخصائي في العلاقات العامة بالكلية ليتحدث عن أفضل الطرق للاتصال ، ويمكن لعميد الكلية أيضا أن يقدم ما يراه من نصح.

وقد طلب مني أن أضع خمس نقط في الخطاب ، وأن أطلب إلى أولياء الأمور أن يفكروا فيها قبل حضورهم للاجتماع وهذه النقط هي :

١- ما هي الملابس الخاصة التي تلزم للأولاد والبنات في دروس التربية الرياضية ؟

٢- هل يجب أن يكون اهتمامها الرئيسي في دروس التربية الرياضية موجها نحو الألعاب التي من نوع كرة السلة أو نحو الألعاب الجماعية والرقص أو نحو ألعاب القوى وكمال الأجسام .

٣- هل يجب أن يطلب إلى الأطفال أن يأخذوا حماما بعد درس الألعاب الرياضية حتى ولو كان لزاما عليهم أن يسرعوا في الذهاب إلى فصولهم ؟

٤- هل يحق للآنسة هيات Miss Hiat معلمة التربية الرياضية أن تشرف على الأولاد في الحمام ؟ وإذا كان هذا التصرف غير ملائم فكيف تعالج هذه المشكلة إذا لم يكن في مقدور المدرسة أن تلحق بها مدرسا أخر ؟

٥- هل يقوم أولياء الأمور بدفع تكاليف تأجير المناشف ؟ وإذا لم يتيسر هذا فهل هناك طريقة أخرى لدفع هذه التكاليف ؟ مع العلم بأنه ليس هناك بند في الميزانية لذلك .

وقد حددت لاجتماع أولياء الأمور الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأربعاء على أن تكون ناظرة المدرسة هي رئيسة الاجتماع ، فكيف تمكنت

الناظرة من إدارة هذا الاجتماع ؟

هل بدأته بكلمات ترحيب ، كثيرة جدا أو قليلة جدا ؟ هل كانت هذه الكامات رسمية تة ؟ وهل كانت المناظرة واثقة من نفسها وكانت على سايقتها محبوبة ومقاعة ؟ وكيف تناولت النقط المتمس ثم هل تحدث أولياء الأمور ، واشتركوا في المناقشة ؟ وهل اشترك معهم أعضاء هيئة التدريس ؟ وإذا كانت هناك قرارات اتخذت في هذا الشأن فهل كانت عن طريق أخذ الأصوات أو بالموافقة الإجماعية ؟

وهل قدمت المرطبات بعد ذلك ، هل استطاع المدرسون أن يتجاوبوا مع أولياء الأمور وأن يتحدثوا معهم دون كافة ؟ أم أن الحصول على أكبر فائدة من اجتماع عام هو بلا شك زه متكامل من تدريب المهارة عند ناظر المدرسة على العلاقات الإنسانية .

من الصعب وضع قواعد القيام بتمثيلية جماعية بدرجة جيدة من الأداء فالأسلوب الفني الأداء متغير يتكيف مع الظروف بحيث إن القواعد تنطبق فقط على مواقف بعينها ، وفي النموذج التالي نذكر جماعة لحل المشكلات بالفصل أو بالورشة وهي جماعة يمكن معها استخدام حالات ما يرد في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

قواعد للتمثيلية الجماعية

١. ابدأ بمناقشة منطقة المشكلات ذات الأهمية . شجع أعضاء الجماعة على إعطاء أمثلته مختصرة ملموسة وسجل هذه المواقف

حسب عناوينها على السبورة.

٢. اشرح باختصار فكرة القيام بدور ، ثم اختر ثلاثة أو أربعة أفراد تظن أنهم يستطيعون أداء أدوارهم جيدا. واطلب إليهم أن يخرجوا من الحجرة . اشرح لهم أن الجماعة تحتاج إلى دقائق قليلة لمناقشة الدور الذي تقوم به التمثيلية .

٣. اختر مشكلة أو حالة من عندك . أفترض أن المدرس المشرف يواجه مشكلة من طالبة تعد للتدريس تدخل ضمن جماعة ولنطلق على الطالبة اسم الآنسة هنتر وعلى المشرف اسى السيد ستيرنز والآنسة هنتر لا تقبل أي توجيه في تدريسها أو هي تلقي بقوانين المدرسة عرض الحائط أو هي لينة جدا مع الأطفال . عالج هذه الموضوعات تفصيليا إلى أن تشعر أن الحالة أصبحت مفهومة واسأل الجماعة عما إذا كانت المشكلة واضحة أو كانت هناك أية أسئلة .

٤. اختر عضوا في جماعة ليأخذ دور الآنسة هنتر . اشرح طريقة يلعب بها السيد مستيرنز دوره . كأن يوقفها عن الدرس أو يأمرها بأن تغير سلوكها. اطلب إلى الجماعة أن تذكر طرقا أخرى يمكن أن يستخدمها المشرف.

٥. نظم مكان المقابلة – المنضدة و المقاعد – وكل ما تكون في حاجة إليه، استدع أحد الطلبة الذين ينتظرون بالخارج – اشرح الموقف له على اعتبار أنه السيد ستيرنز المشرف ، وأنه يلاقي صعوبات مع

الأنسه هنتر وهكذا ، وأنه قرر أن يفعل شيئا ، وأن المشكلة يجب أن تجد حلا ، تأكد أنه يفهم . ثم ابدأ التصرف ! حسنا جدا ياسيد ستيرنز ، إنك في الفصل بعد الدرس – ولقد طلبت من الآنسة هنتر أن تدخل. هاهي ذي الآنسة هنتر الآن (تدخل الآنسة هنتر و تقول) هل كنت تريد أن تتحدث معي ياسيد ستيرنز ؟

٦. إذا انتهت المقابلة من تلقاء نفسها كان بها ، وإلا فعليها أن تقرر متى تضع لها حدا . استدع شخصا آخر من الخارج لفحص الموقف ، وأعد المقابلة بعد أن تغير دور الطالبة إلى عضو آخر من الجماعة وكلما انتهى المشتركون من أدوارهم أخذوا أماكنهم بالفصل .

٧. قبل فض الاجتماع استعرض مع الجماعة ما حدث – أي الطريقة التي أديتها الأدوار وحاول أن تحكم ما إذا كانت الجماعة تتفق على طريقة أفضل لتناول المشكلة ..

وإذا كان الأمر كذلك فاختر شخصا آخر لم يكن قد أدى دورا وادعه لأن يمثل هذا الدور المفضل . اجعل المدرس يأخذ دور الطالب ، وادخل بعض التعقيدات على المنظر ، إذا رغب. في ذلك كنوع من الاختبار النهائي .

٨. ناقش من الناحية النظرية قيمة هذا الدور كطريقة لتدريب الرواد على فن حل المشكلات.

وبالجملة فإن الطلبة الذين درجوا على دراسة المشكلات أكثر من محاولتهم حلها قد يجدون صعوبة مبدئية عند حلهم لهذه المشكلات.

وقد يرون أن العمل بالفصل لا يمت إلى العلم بصلة ، ولا يمس الناحية الموضوعية ، وهم على حق في هذا ، فنهج الدراسة يعتبر من صميم الحياة ، لأن الناس في الحياة لا يدرسون المسائل فحسب ثم يقفون أمامها جامدين ، بمعزل عنها بل يفكرون فيها بمجرد الوقوف على حقائقها . ويتمثلون في المشاكل في محاولة لإيجاد حل لها، وهم يتخذون القرارات ، ويضطلعون بما يتضمنه ذلك من مسئولية ، كذلك الحال بالنسبة للمدرسين بالمدرسة ، ومن ثم كان التوجيه الذي يوضحه هذا الكتاب .

وثمة فكرة أخرى تحرض لنا ، هي أنه كلما شعر الطلبة أنهم يقومون بحل المشكلات. بأنفسهم دون أن يقدم لهم المدرس أو المؤلف مساعدة خاصة ازداد شعورهم بالنمو والقدرة على الانجاز . ونحن نعتبر هذا من النتائج المحببة في عملية التعليم ، وهي خطوة بعيدة المدى في التنمية المهنية، ومن الناحية النظرية – نرى أن خير الفصول هو الذي يأخذ طلبته على عاتقهم أكبر قدر من المسئولية في تعليم أنفسهم ، وهو الجماعة التي تتولى من الناحية العملية مهمة التعليم .

مشكلات ومشروعات

١- كون لجنة من الفصل الدراسة طريقة دراسة الحالات في التعليم وإذا سمح الوقت اتساول نواحى خارج مجال التربية . كالقانون ، والطب

، والاجتماع ، والعلاقات الصناعية ، لماذا تستخدم هذه الطريقة على نطاق ضيق في تربية نظار المدارس والمدرسين ؟

٢- هل تذكر السيد (س) في حالة الرياضيات وغيرها ؟ تصور نفسك تقوم بدور المستشار لمدير مدرسة هو لتون.اكتب مقالا عن أول مقابلة لك مع السيد (س).

٣- ما هى مزايا بحوث التصرف كما تفهمها ؟

٤- ما هي في رأيك أفضل طريقة لتحليل الحالات الخاصة بالعلاقات الإنسانية في النموذج (١) أو (ب)؟ اختر واحدا منهما واستخدمه لتحليل حالة من خبرتك الخاصة أو من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

٥- حاول أن تقوم في الفصل بتمثيلية جماعية من تصميم مع مراعاة ما أوردناه عن القواعد الثاني الخاصة بأداء الأدوار . ما هي في رأيك المزايا الرئيسية أو نواحي القصور في تدريب المهارات بهذه الطريقة ؟

٦- هل فكرت مليا في فائدة وضرر الألفاظ في علاقتك بالناس ؟

الفصل الثالث

تحديد أهداف منهج العلاقات الإنسانية

ليس معنى التربية أن نعلم الناس مالا يعلمونه وإنما هي

أن تعلم كيف يسلكون بطريقة غير التي يسلكون بها.

" جون رسكين "

هناك طريقان أساسيان لتدريس منهج في تعليم العلاقات الإنسانية، أحدهما أن على الطلبة كيف يخطط العمل وماذا عليهم أن يفعلوه ، والنتائج المتوقعة منهم. وفي هذه الحالة تكون خطة الدراسة من اختصاص المدرس ، فهو الحجة فيها وهو المسئول عنها . وأما الطريق الآخر فهو على النقيض من هذا تماما ومظهره التقليدي هو المعلمة التي تواجه تلاميذها بسؤالهم : "حسنا.. والآن يا أطفالي ماذا نفعل اليوم ؟" وهذا يكملى تأكيد رسم تخطيطي للتربية التقدمية... على أن هناك طريقا وسطا... بين هذا وذاك .. هو تخطيط داخل خطة ، وهو جهد مشترك بين الطلبة والمدرس والمؤلفين لإقامة موقف عمل ... يؤدى إلى أفضل النتائج في التعليم .

ما هى نواحي التعليم التي يتطلبها منهج العلاقات الإنسانية ؟

وماذا يريده التلاميذ منها ؟ و ماذا يريده المدرس ؟ كيف يستطيعون

وضع هذه القرارات واستخدامها ؟ لا يستطيع المؤلف أن يجيب على هذه الأسئلة لأي جماعة فصل مدرسى ، لكنه يستطيع أن يسهم في إجاباتها . ولنبدأ بكلمة عن عملية تخطيط المنهج ، ثم نتناول بشيء من الإسهاب بعض نتائج التعلم التي وصل إليها عدد كبير من فصول العلاقات الإنسانية ، ثم نتحدث باختصار عن الحاجة إلى الموافقة على طريقة لاختبار ما تعلمه الطلبة ثم نستعرض الجزء الأول من الكتاب

نظرية تخطيط منهج العلاقات الإنسانية

ظلت نظرية تخطيط منهج لإعداد المدرسين معروفة لدى رجال التربية أكثر من عشر سنوات وكانت تستخدم استخداما عاما إلى حد ما، ويرجع الفضل في هذا إلى "تايلر Tyler " الذي عمل الكثير ليعطي هذه النظرية الشكل والمحتوى وليس من شأننا هنا أن نتعرض للتفاصيل الدقيقة في هذه الطريقة وإنما أن نختار بعض الآراء التي تؤكد أهميتها وكفايتها في توجيه جماعة التخطيط في الفصل.

مهام تخطيط المنهج

١- حدد أهداف المنهج في صورة أنواع التغيرات المطلوبة في سلوك المتعلم والتغير المطلوب في فهمه وفي مهاراته حسب النتائج المطلوبة.

٢- حدد أنواع الخبرات (القراءات ، الرحلات العملية ، مجالات الدراسة وحصص التطبيق العملية في حل المشكلات التي ينتظر من

الطلبة فيها أن يظهروا أنواع السلوك الجديدة .

٣- جرب طرق التعلم هذه حسب خطة موضوعة يتفق عليها مقدما وذلك لتقويم آثارها . أعد تعلم مالم يسبق تعلمه أو مالم يؤدى تعليمه جيدا واجعل عملية التعليم مركزة على حاجات الفرد والمجموعة.

٤- تذكر أن أهم أنواع التعليم في العلاقات الإنسانية لا يمكن حفزها بالخوف أو التهديد أو القلق الزائد والإمكان العمل على تغيير ما يساور نفوس الطلبة يجب أن يسود جو الفصل روح التعاون والتسامح .

٥- التنويع والتجديد والإبداع في التعليم كلها تؤدى إلى رفع الحالة المعنوية عند الجماعة وهذا يعني بصفة خاصة الاستخدام الواسع للموارد المتاحة أكثر من الاعتماد التام على الكتاب المقرر .

عقدة المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارة وصدق الحكم

كيف يضع الطلبة مع التوجيه بمجموعة من الأهداف المحددة للنهج ؟ العادة في فصولنا أن نبدأ من مجموعة المعتقدات والقيم والمهارة وصدق الحكم التي تتولد نتيجة التعلم الكفء ومن أنواع الأهداف التي تقوم جماعات كبيرة من الطلبة بتحديدها وتتبعها ، ثم بعد دراسة الفصل لهذه الأهداف ومناقشتها ينتهي الاتفاق على النقط الخمس التالية بوجه عام

كإطار أساسي يجري داخله التخطيط والتفكير .

إطار تخطيط المنهج

١ـ المعتقدات :

ما نعتقده في الناس وطرق نظرتنا إليهم سواء صحت هذه النظرة أو لم تصح أو تعذر إثباتها كذلك إيمان الإنسان الذي يعيش به كإيمانه بجهالة الحياة وأهمية بذل الجهد والرغبة في التقدم الإنساني والإيمان بأن العمل الجماعي أكثر فعالية وأن الذكاء قيمته .

٢ـ القيم :

هي ما يريده الناس ويحبونه ويحتاجونه وهي حقوقهم وميولهم ودقة إحساسهم والقيم هي سبيل الشخص في تقديره للناس وفي شعوره نحوه وهي السبيل إلى تقدير الديموقراطية كطريق الحياة وتقدير الاهتمام العام والقانون الأخلاقي الذي يسير على نهجه رائد المدرسة .

٣ـ المعرفة:

هي كل ما تعرفه عن الناس من تصرفات جماعية وعلاقات اجتماعية مما نحصل عليه من بحوثنا وخبراتنا ، كذلك المبادىء العامة في علم السلوك والمفاهيم ، تلك المفاهيم التي ثبت صدقها أو التي تقبل الإثبات .

٤ـ المهارات :

وتعني كيف يتصرف الناس وماذا يفعلون وكيف يستخدمون الأدوات والطرق الفنية في حل المشكلات ، كذلك مهارات الدراسة ، ومهارات الإرشاد و تنظيم عملية التعليم والتعلم ، ودراسة الفنون التي تدخل في دور المدرس الرائد .

٥ـ صدق الحكم :

هو حسن استخدام جميع العناصر السابقة في حل أي مشكلة واقعية واتخاذ القرار الصحيح والقدرة على تشخيص الموقف وحساب الخطر الذي ينشأ عن التعبير وتصحيح الأخطاء كلما ظهرت.

إن هذه القائمة تشمل أمورا كثيرة و تنظر للموضوع نظرة واسعة حرة ولهذا فإن الصيغ المستخدمة غامضة والمشكلة التي يطلب إلى الطلبة حلها هي كيف يمكنهم جعل النقط الخمس دقيقة وكيف يمكنهم تخطيط المحتوى المطلوب في منهج العلاقات الإنسانية حتى نرى في حالة ملموسة كيف طبق هذا على كل حالة محددة .

مثال لتخطيط الجماعة

في المثال الآتي أمضى الفصل الدرس الأول مستغرقا في مناقشة القائمة السابقة و عندما كان الطلبة يقدمون اقتراحات محددة عن أهداف المنهج كان أحد الطلبة مكلفا بتسجيل مذكرة في ذلك وبدلا من نقل هذه

المهمة إلى الدرس التالي طلب إلى الطلبة أن يكتبوا آراءهم ويسلموها للأستاذ حتى يتمكن كل واحد منهم من إبداء رأيه وشكلت لجنة لدراسة هذه البيانات لاستبعاد الاقتراحات المكررة وجمع قائمة نهائية بالنقط المذكورة .

والحالة التالية تستعرض هذه الطريقة ثم قائمة بالأهداف التي حصل عليها الفصل عن طريق أخذ الأدوات عليها ، و مقررة هذه الحالة هي رئيسة لجنة الفصل وهي التي تخاطب الفصل ذاته .

تقرير اللجنة عن أهداف المنهج

عندما شكلت اللجنة أعطيت لنا الأوراق التي كتب فيها طلبة الفصل آراءهم وكانت هذه الأوراق عن أهداف المنهج تتراوح بين صفحة واحدة و بين ورقه أو ورقتين أي حوالي خمس صفحات.

أولا: قام كل عضو باللجنة بقراءة هذه التقارير ثم أخذ كل واحد منا ست ورقات قرأها بكل عناية ملخصا رأى كل ورقة في ضوء أنواع التعلم التي يأمل تحقيقها ثم رجعنا إلى عشرة كتب تختص بالعلاقات الإنسانية وجمعنا آراء مؤلفيها عن أهداف دراسة العلاقات الإنسانية.

ثانيا: اجتمعنا في شكل لجنة لتصنيف البيانات التي حصلنا عليها ولوضع كل البنود في صيغة قائمة المراجعة تعطى للفصل فيما بعد ليقوم كل طالب باختيار إحدى إجابات ثلاث عن كل بند هى :هام جدا أو هام

أو غير هام .

من ذلك أصبحنا على استعداد لأن نضع تقريرا للفصل عما يجب أن يكون عليه أهداف المنهج وعلى الرغم من أن اقتراحاتنا تقوم على أخذ الأصوات بين طلبة الفصل فهو لا يقتصر على البنود التي حصلت على أكبر عدد من الأدوات اللجنة مثلا لم تهتم كثيرا بالبنود الخاصة بالمعرفة في الوقت الذي اهتمت فيه بالبنود الخاصة بالمهارات في العلاقات الإنسانية . وفي رأينا أن معظم الذين يعملون بالمدارس أكثر ضعفا في المهارات منهم في التفهم ومن الواجب أن نذكر ذلك لعل القارئ يرى تعديل تقرير اللجنة .

ولكي أضع التقرير أمام الفصل للمناقشة أروى الحالة لهم قائلا أنتم تفهمون بكل تأكيد قبل أن نبدأ المناظرة أن تفكيرنا ارتجالي في هذه النقطة من عمل المنهج ولا شك أن الفصل سوف يضيف إلى هذه القائمة وسوف يستخلص بنودا أخرى كلما تعمقنا في العمل في أثناء هذه الفترة الدراسية.

أهداف المنهج المقترح

القيم	المهارات
١- الإيمان بالديمقراطية وبالمعاملة العادلة لجميع الناس	١- تعلم طرق تحليل المسائل المعقدة في العلاقات الإنسانية للوصول إلى الأسباب الكامنة
٢- الحمل التعاوني كطريقة لحل المشكلات استخدام الذكاء	٢- تعلم تخطيط الدراسات والوصول إلى الحقائق وإعداد البيانات وكتابة التقارير.

٣- احترام حقوق الفرد أو الأقلية فياختلافها مع الجماعة دون عقاب أولوم

٤- الاعتقاد في التعليم العام وفي تخطيط المدرسة والمجتمع من أجل تحسينالمدارس والمجتمعات

٥- الاهتمام العميق بهم وبأنهم يسعون إلى تحسين علاقاتهم داخل جماعتهم

٦- قيمة التدريس كمهنة محل ثقة قانون الأخلاق عند المدرسين

٧- العزم على القيام بدور فعال في عمل الفصل وتحمل المسئولية

٣ - مسايرة الناس و حبه لهم وحبهم له وضبط الشعور والكلام وقت الضيق واحترام الفرد لنفسه كإنسان

٤- تعلم كيفية علاج توتر الجماعة والأخذ بيد الناس للوصول إلى فهم مشترك و إلى حلول عادلة لخلافاتهم

٥- العمل على توجيه وإرشاد النشء إلى جانب التدريب بالفصل

٦- الإشراف على عمل الآخرين إذا كان فيه ما يفيد تطورهم ونموهم

٧- تعلم كيف تتعلم في كل ما تقوم به وأن نجعل من التعلم الهدف الأول لحياتنا

شعرت اللجنة أن المعتقدات والقيم تعني نفس الشيء تقريبا ولهذا أدمج البندان في بند واحد:-

المعرفة

١- فهم المشكلات التي تجابهه المدارس الآن في ميدان العلاقات الإنسانية

٢- دراسات الاتجاهات السائدة في حياتنا القومية بما فيها من تغيرات المجتمع التي يبدو أنها السبب في هذه المشكلات

الحكم

١- المعرفة أي الأعمال بالمدرسة تناسبني أكثر من غيرها أهي على المدرس أم الإداري .. الخ

٢- التفكير في طرق تصرف بديله تحل محل طرق أخرى والتنبوء بنتائج التصرف وحساب الأخطار والتكاليف المتوقعة.

٣- فهم معنى المشكلة بصورها المنطقية أي في صورة عناصرها المتداخلة .

٣- تحسين قدرتي على البت في الأمور التي تتفق مع المعايير المنطقية والخلقية وغيرها.

٤- زيادة معلومات عن الجماعات وتكوينها وعملياتها ومميزاتها .

٤- قياس الحالة المعنوية عند الفرد والجماعة والاستعداد للعمل وإمكانيات العمل وغيرها

٥- دراسة شخصية الطفل من نواحيها الاجتماعية والسيكولوجية ومعرفة كيف تنشأ مشكلات الفرد ومشكلات الجماعة في الحياة

٥- وإعطاء الأهمية اللائقة للأعمال غير المعقولة في حياة الإنسان وتذكر أن الناس يميلون إلى التصرف بوحى مشاعرهم

٦- فهم قيادة الجماعة في العمل بالفصل وفي تصرف المجتمع وفي الإدارة الديموقراطية للمدرسة .

٦- مواجهة الفشل من جانى دون قلق أكثر مما يجب دراسة نواحي فشلي والعمل على تصحيح أخطائى
.

كانت هذه هي الأهداف التي وافق عليها طلبة الفصل بعد مناقشة جدية انتهت بأخذ الأصوات عليها . فهل كان هذا العمل يستحق الوقت والجهد اللذين استنفدا فيه ؟ قد تختلف الآراء فكلما تعمقت الآراء تغيرت في النهاية عن وجهة نظر الأشخاص في التعليم وعما يتصورون أنه التعليم الصحيح وبذلك نعود إلى الفقرة التي بدأنا بها الفصل وهي أن هناك مبدأين هما : ما هو المنهج الصحيح للدراسة . ثم كيف نسير فيه ويتلخص حكمنا في أن هؤلاء الطلبة قد استخدموا كلمات وجمل كثيرة لم يكن لها عندهم في ذلك الحين إلا معنى ضعيف ، و ثانيا أن الأهداف التي حددوها كانت في معظمها واسعة جدا بحيث يصعب إنجازها بطريقة فعالة في منهج

يستغرق فصلا دراسيا واحدا وليس في هذا ما يؤخذ عليهم لأن معظم أهداف المناهج ما هي إلا مثل عليا نحاول الاقتراب منها ولقد قال د كارول شورزه وهو أمريكي من أصل أجني أن المثل العليا كالنجوم لا نصل إليها أبدا وإنما مضى في طريقنا إليها نسترشد بها كما يسترشد الملاح في البحر بالنجوم .

إن أهم شيء في عملية التخطيط لا يعنى النواحي التي يهتم بالطلبة بها فحسب ولكنه ينشط الجماعة ويحركها لأداء رسالة ذات نتيجة لأعضائها وفضلا عن هذا فإن تعيين الطلبة الاتجاهات التي يريدون السير فيها تجعلهم يلتزمون التزاما بالغ الأهمية بما يرون فعلا أنها نواحي التعلم التي سوف يعملون فيها وهذا كان يبدو لنا من أقوى الدوافع التي يحق لأي أستاذ أن يتوقعها.

التطبيق على بعض حالات

على الرغم من أن عقدة المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات والحكم ليست أداة لحل المشكلات و ليست نموذجا لما ذكر في الفصل الثاني فإن مثل هذه الخطة يجب أن تكون نقطة ثابتة للرجوع إليها في دراسة الحالة واستخدامها . ولنحاول في هذا المجال أن نصور كيف يمكن أن يحدث هذا مسلمين مرة أخرى بأن أساليب التطبيق بالفعل تتباين وأن هذا التباين مفيد إذا كان يزيد من اهتمام الطالب و من قدرته على الإبداع.

ولقد قامت بكتابة تقرير عن هذا طالبة بالسنة الثانية بكلية المعلمين و هي تنوي الالتحاق بالتربية الفنية و عملها في تعليم الأطفال جزء من

برنامج جامعي لتزويد الطلبة المبتدئين بالدراسة في الكلية بخبرة سنة في خدمة النشء خارج المدرسة وبعدها يتخصص الطلبة في الميادين التي يختاروها.

صنع نماذج دمى (عرائس الأطفال)

في هذه المستعمرة الاجتماعية تتكون الجماعات من خليط من البيض والزنوج وقد يكون عنهم بعض المكسيكيين أو غيرهم وكنت أتولى جماعة من أربع عشرة فتاة مختلفات في السن لكنهن جميعا بالصف الرابع بالمدرسة، كن ملونات، فيما عدا أربع من البيض وكان لون بشرة الزنوج يتدرج من الأسود الفاتح إلى البشرة البنية إلى اللون الأسود الداكن.

وجدت في هؤلاء الفتيات جماعة شيقة جدا أحببت العمل معهن إلى أن نشأت المشكلة التي ذكرها الآن ومازلت أشعر أني لم أكن محل لوم وإن كان السيد/ سيالسكي يرى غير ذلك وهذا لا يهمني حقيقة لأني الآن في وظيفة أفضل بإحدى جماعات شباب الكنيسة .

أما المسألة فهي أن أطفال المستعمرة أردن أن يقيمن حفله لأمهاتهن وشعرت شخصيا أنها فكرة لطيفة جدا وكنا ندرس زخرفة الموائد عندما خطر لي أن أعضاء الجماعة قديرين صنع نماذج دمى من الورق يمكن استخدامها على الموائد كبطاقات التعيين أماكن المدعوات و كنت نسيت أن أذكر عزمنا على تقديم بعض المرطبات بعد عرض برنامج قصير وعندما سألتني بنت صغيرة عن لون نموذج الدمية الذي تصنعه أجبتها على الفور أن لها أن تختار لونا من ألوان بشرة أفراد الجماعة ليكون ذلك شيئا لطيفا

– وافق الجميع على ذلك فاشتريت ثلاثة أنواع من الورق المقوى الأبيض والبني والأسود واختارت كل بنت اللون الذي يناسب بشرتها ولم أفكر في الأمر أكثر من ذلك و كان من نتيجة هذا ما حدث لي من ارتباك فيما بعد.

كانت هذه أول حفلة أقيمها للأمهات وكنت في حالة عصبية ولكنها سارت سيرا حسنا قامت فيها الفتيات بحركات بهلوانية وأنشدن بعض الأناشيد . بعد ذلك ذهبنا إلى مقاعدنا بجانب المناضد الصغيرة الكثيرة وكان على السيد اسبالسكي مدير المستعمرة أن يحضر ويلقي كلمة ترحيب الأمهات و لكن عمله منعه من القيام بهذا أو أن ذلك مجرد نسيان من جانبه . وكنا على وشك الانتهاء من تناول المرطبات عندما لاحظت أن إحدى الأمهات تلتقط نموذجا من الورق نظرت إليه ثم أرته للسيدة التي كانت تجلس في المقعد المقابل وبدا الارتباك على وجه السيدتين ثم تحدثنا بشيء لم أستطع أن أتبينه وفي الحال تركت الأم الأولى و لنسميها السيدة (ب) مقعدها وسارت إلى حيث كانت تجلس ابنتها ثم التقطت النموذج الموضوع أمام طفلتها ودينيس، وتحدثت إليها بشدة بشأنه ثم نادتني وطلبت مني أن أذهب إليها ، أشارت السيدة (ب) إلى نموذج الدمية، وسألتني عنه فشرحت لها الأمر وقررت أن لأطفالهن اللاتي صنعن الأشكال المختلفة لتزيين المناضد وكان هناك صمت طويل بينما كانت الأم تحملق في النموذج المصنوع من الورق ، وقد ذكرت في أثناء الحديث أن كل طفلة اختارت لون الورق الذي يتمشى مع لون بشرتها وأظن أنه كان من الخطأ أن أذكر هذا قالت إنها تعرف ذلك و لكن لون بشرة طفلتها ليس بالأسود وكانت دينيس قد لحقت بجماعة من الأطفال فناديتها

لتحضر إلينا تم قلت "دينيس" أظن أننا قد أخطأنا لنرى إذا كان لون النموذج يناسب لون بشرتك ، كان هذا شيئا سخيفا من جانى لان الورق كان أسود اللون كبشرة الطفلة وهنا انفجرت السيدة (ب) في الكلام قائلة أنتي لست على شيء من الذكاء وأني لا أصلح لأن أرعى الأطفال الزنوج ثم جذبت طفلتها من ذراعها وسارت خارج الحجرة.

كل هذا استرعى الانتباه وأنهي الحفل بسرعة جدا وانصرفت أم أخرى مع طفلتها مم عادت تقول إنك متعصبة ولن نرضى أن يقوم بالإشراف على هذه المستعمرة قوم من البيض مثلك ووقفت في مكاني لا أدري ما أقول .. حيث أخذت الأمهات الأخريات أطفالهن وتركن الحفل دون أن يتفوهن بكلمة لي . وإلى يومنا هذا لا أعلم السبب الذي دعا أولئك السيدات إلى أن يتصرفن بهذا الغضب معي .

وأغلب ظني أن السيدة (ب) أخبرت السيد/ سبالسكي الذي استدعاني في اليوم التالي وسألني عن الحفل فذكرت له القصة تماما كما أكتبها هنا غير أنه لم يقم بأي تعليق بل سألني عن أسرتي في جروس يوانت، وعن السبب في اختياري لمهنة التدريس ثم أخبرني عن جماعة شابات الكنيسة وهي الجماعة التي التحقت بها فيما بعد واقترح أن أحصل على بعض الخبرة هناك وعلى الرغم من أنني لم أكن أعرفه معرفة تامة كان يبدو رجلا طيبا و لطيفا .

من حسن حظ الشباب أنهم شباب وأن لديهم وقتا للتعلم ، هل

هناك شك في أن تصرف هذه الفتاة وكمها كان سيئا، وأن مهارتها في التعامل مع ذوي الحساسية من الناس كانت معدومة بشكل ظاهر وما سبب ذلك ؟ هل يمكن أن يكون تعصبا من الفتاة بمعنى أنها متحيزة ضد الزنوج و إذا كان الأمر كذلك فإن للقم دخلا بهذه الحالة ، أم كان سبب الخطأ هو الجهل و عدم المعرفة . وعند التحدث مع الفتاة كان من الواضح لنا تماما أنها لا تعرف إلا القليل عن الزنوج الأمريكيين إذ لم تكن قد سمعت أو قرأت عن أهمية لون البشرة و مدى ارتباطه بالمركز الاجتماعي.

والآن ما هي المعارف التي تتصل بمشكلة من هذا النوع ؟ من المعروف أن الأطفال والبالغين من الزنوج الأمريكيين يميلون إلى المبالغة في تقدير قيمة لون البشرة الفاتح ويؤكدون هذه القيمة عند الصغار . قد تكون هناك استثناءات على ما نعتقد غير أن القاعدة ما زالت سائدة : نؤيدها الدراسة التي قام بها الأستاذ سمان على أطفال الصفين الثالث والرابع من الزنوج فقد وجد أولا (حالة تكافؤ الضدين ، أي أن الأطفال لم يكونوا بعد قد امتصوا الوعي الخاص باللون كما هو موجود عند الكبار . ثانيا : أن للون بعض التأثير في سلوك التلاميذ وتصوراتهم وكان التفاضل دائما من نصيب ذوي البشرة البيضاء ولو بطريقة غير شعورية.

فما هي إذن القيم التي تطبق على الحالة ؟ هل ما هو مطبق هنا هو الديموقراطية ؟ التي تقضي بها المعاملة العادلة لجميع . إن الاتجاه العام والصالح العام يختصمان هنا خصاما واضحا فهل تصرفت الفتاة كعضو في مهنة هي محل ثقة أو كمعلمة يضع فيها الآباء والأمهات ثقتهم ... إن ما

يناسب المقام هنا هو الاهتمام بالناس وحساسيتهم بالنسبة لمفهوم ذواتهم .

كذلك ما هي المهارات التي تنطبع على هذه الحالة ؟ إن قائمة اللجنة مليئة بها كما هي الحال في المهارة رقم (٣) التي تنصح بمسايرة الناس فتحبهم ويحبونك. ويحدث أحيانا أن فصولنا تبدأ دراسة الحالة من النقطة التي تحاط بها علما وهي أن السيدة (ب) ثارت جدا لدرجة أن عينيها لمعتا وبدأتا ترتجفان. ويحب الطلبة أن يوضحوا في أثناء تخيلهم الأدوار ما يعتقدون أنه وسيلة للتعامل مع الآباء والأمهات العصبيين ، على الرغم من أن مثل هذه المشاعر العميقة من الصعب دائما إثارتها . والحكم السليم يكون قاطعا في هذه الحالة كما هو في معظم العلاقات الإنسانية. وإذا كان لابد من حساب الأخطار فإن ذلك يكون بطريق التنبؤ ، والواقع أن هذه الفتاه الطالبة قد أخذت على غرة فنحن نعلم أن من المؤلم أن تهب عاصفة من حيث لا ندري وأن تخبط خبط عشواء ، ومن العدل أن نقول إن هذه الفتاة لم تكن آسفة لأنها لم تكن تحس أنها فشلت مادامت لم تكن تعرف أنها جاهلة في مسائل التفرقة العنصرية .

لقد كان التعليم بالنسبة لمعلمة المستقبل هذه نظريا لا تطبيقا وأملا أو حلما لا حقيقة من حقائق العمل اليومي .وقد وجدنا عند إعادة قراءتنا الاجتماعين معها أن هناك تعليقات كتبت في الهامش تقول إنها لا تأبه للناس وأنها مشغولة بأدوات التربية الفنية والتصميمات الزخرفية ، والتعليق الأخير أنه لا ينتظر أن تغير مشاعرها ، على أننا فشلنا في علاج هذه الطالبة ، فشلنا في أن نجعلها تحس بالناس وأن نعمق تربيتها من الناحية

الإنسانية .

ولنأخذ حالة أخرى وهي حالة شيقة جدا نضعها أمام الفصل ليحللها وصاحبة هذه الحالة جديدة في مهنة التدريس ومع ذلك فإنها تتحدث كما لو كانت قديمة العهد به . لم تضق بالمقابلة التي نكتب عنها تقريرا هنا بل على العكس من ذلك قالت أنها استمتعت بها . إن الآنسة جريهام تقوم بالتدريس للصف الثاني في ستونتون و هي مدينة صغيرة في نيوانجلاند وكنا قد حضرنا مهرجان الموسيقي الذي مثلت فيه "رحلة الدب تيدي" وفيما يلي نص المقابلة نقلا عن شريط التسجيل .

« **رحلة الدب تيدي** »

س : هل جاءت فكرة الرحلة من جانبك يا آنسة جريهام ؟

ج : نعم أظن ذلك .. لقد تحدثت إلى التلاميذ عن مهرجان الموسيقي و سألتهم عما إذا كانوا يودون الاشتراك فيه وبالطبع كانوا يرغبون في ذلك وذكرت لهم أن هناك أشياء ثلاثة لطيفة نستطيع أن نفعلها وشرحت لا منها باختصار وأخذت الأصوات ؟ وقد كانوا جميعا متفقين تقريبا على قطعة الدب " تيدي ".

س : ألم يكن من الأفضل أن تأتي الفكرة من جانبهم ؟

ج : لا أظن ذلك فلا مانع من أن تأتي الفكرة من أي جانب مادامت فكرة جيدة. المهم أن يحبها التلاميذ ويجب أن تكون متمشية مع

أهداف الفصل وفي حدود كفاية الجماعة، والمعلمة ضمن الجماعة بطبيعة الحال.

س: كيف نفذ المشروع وكيف بدأتيه ؟

أولا استمعنا إلى تسجيلات خاصة و بالدب تيدي ، إلى أن حصلنا على الألفاظ، الأفكار ثم بدأنا في إدخال تعديلاتنا ، وقررنا أن يكون هناك ستة من الدببة و صخرتان كبيرتان للقفز فوقهما و عدد من الأشجار وهذا يسمح لعدد كاف من الأطفال بالاشتراك في الغناء الجماعي وكانت مهمتهم ملاحظة الدببة في ألعابها التي كانت تلعبها وإلقاء ثلاث أغنيات، و لقد سألني "جيمي" الذي كان ملك حلة من جلد الأرنب إذا كان من الممكن للأرنب أن يأخذ دورا فوافقنا جميعا على هذا .

س : ولنفرض أن الجماعة قالت إن التمثيلية لم يكن بها أرنب وأنها لا تريد أرنبا ؟.

ج : كان من الممكن أن أطلب إليهم أن يفكروا في هذا . إن هدفي ليس في أن أتبع أي نص حرفيا بل في أن أعدله .

س: ولنفرض أن واحدا كان يريد أن يمثل قرصانا ذا ساق خشبية .

ج : أشك في أن القرصان يصلح لهذا الموضوع . كان من الممكن أن نجد موضوعا آخر ولكن على أن أفكر في ذلك .

س : انتقل إلى النقطة التالية :-

ج : الخطوة التالية هي توزيع الأدوار إن بالفصل ٣٦ تلميذا وكل واحد فيما عدا "جيمى" كان يريد أن يكون "دبا" فناقشنا ذلك وقالت ثلاث فتيات إنهن يرغبن في أداء دور زهرة لأن الزهور جميلة ولم يشأ أحد من الأطفال أن يقوم بدور صخرة أو شجرة أو يغني في المجموعة.

س : كانت هذه المشكلة أليس كذلك ، كيف أمكنك حلها ؟.

ج : فلنأخذ الأشجار مثلا "الأشجار بكماء" وهي تقف جامدة لا تتحرك فإذا كنت تعرف روح الأطفال استطعت أن تتصرف فسألت ماذا يمكن عمله للأشجار ؟ فقال أحدهم يمكننا أن نجعل ريحا قوية تهب وقال آخر يمكننا أن نجمل الأشجار تمايل ... ضحك الأطفال وصخبوا وبدأ البعض يتمايلون إلى الأمام وإلى الخلف . لم يكن ثمة صعوبة بالنسبة إلى من يمثلون العدد الكافي من الأشجار. أما مسألة العدد الكافي للغناء الجماعي فقد بدأت مشكلة أصعب تحدثت عن أهمية الغناء وعينت أصحاب الأصوات الجميلة وكانت أحسن مغنية وهي "هيلين" تريد أن تلعب دور ، دب ، وقالت فتيات كثيرات أنهن لن يقمن بالغناء مالم تفعل "هيلين" فاتفقنا على أن نترك هذه المشكلة معلقة ، أي الدبية .

س : هل لي أن أقاطع هنا ؟ لماذا تركت مشكلة الإلقاء الجماعي معلقة هل كنت تريدين أن تذكرى شيئا آخر ؟.

ج: نعم رأيت أن "هيلين" هي مفتاح المشكلة فأردت أن أقول إن الدببة يجب أن تقفز على قدم واحد . وأن تتدحرج وأن تثب إلى أعلا وأسفل وأن تقفز على رأسها وأن تفعل كل ما هو منشن وعنيف فقد كنت أعرف أن هيلين لا تحب هذا كما أن أمها لن تسمح بها ومن ناحية أخرى فإنها إذا قادت الغناء فسوف تنال الكثير من المديح و كنت أعرف أنها ستخبر أمها عن رحلة الدب تيدي لان كل الأطفال يفعلون ذلك كما أعرف أن والدتها السيدة (ل) سوف تنصحها بالغناء.

س: هل تم الموضوع كما توقعت ؟.

ج: نعم تماما كما قلت .

س: هل أثارت الأمهات أي مشاكل ؟

ج : على العكس تماما أن مدينتنا يستثيرها مهرجان الموسيقى السنوي ولهذا فإنه لا ينقصنا تعاون أولياء الأمور من ناحية توفير العدد اللازم . إن التلاميذ جميعا كتلاميذي يحملون الأخبار إلى البيت كل يوم فتتصل الأمهات بالمسرة ليسألن عما يمكنهن عمله أو يحضرن لزيارة الفصول . وفي الحالة التي نحن بصددها نظمت الأمهات جماعة منهن لعمل الملابس وإعداد الأشياء التي تحتاج إليها على المسرح وانضمت إحدى الأمهات إلينا مصاحبة على البيانو حتى أتمكن من قضاء كل الوقت في تحفيظ الأطفال الكلمات .

س: هل يقوم الأمهات عادة بنشاط من هذا القبيل وهل يقمن بالعمل ؟.

ج. ليس لى علم بذلك – هذه بطبيعة الحال هي السنة الأولى في خبرتى كمدرسة .

س : ألا يتسبب الأطفال في إتلاف أشياء كثيرة ؟ ألا يضيعون الوقت عبثا ويصخبون كثيرا ؟.

ج : أطفالي ليسوا من هذا النوع فأنا أجعلهم يستغرقون في النشاط ويشغفون به وإذا تصادف أن كان هناك واحد من هذا القبيل فأنا أوليه عناية خاصة.

س: كيف ذلك ؟ هل لك أن تخبرنا يا آنسة جريهام !

ج: حسنا نحن جماعة والجماعة عبارة عن تقسم للعمل بحيث يعتمد كل فرد في الجماعة على الآخر وإذا كان هناك من يتظاهر بأنه ليس سعيدا فإني أقترح عملا له ويجب أن يكون هذا العمل من النوع الذي يعتمد عليه زملاؤه كخطوة في العملية الكلية ، إني مؤمنة تماما بالطرق العلاجية.

س : وما هي ؟.

ج : عندما تنشأ بعض نواحي القلق نتحدث عنها وبالمثل فيما يختص بالمخاوف والشعور بالذنب والغيرة. إني أصغى للشكوى وأقدم بين

الحين والآخر كلمة تشجيع ونصيحة ولكن الأساس" أن أنصت فقط بينما تحاول المجموعة أو الفرد التفكير في المشكلة وقد اقترح طرقا بديلة للتصرف ولكني في هذا الدور الذي أقوم به كمعلمة لا أذكر لأي واحد ما يستطيع أو مالا يستطيع عمله .

س : حسنا فلنستمر لقد سمعت تصفيق الإعجاب الذي حصلت عليه تمثيلية الدببة في المهرجان إن إنتاجا كهذا يعني عملا كبيرا وأريد أن أسأل لماذا تفعلينه فيلا هل من المطلوب أن تقوم مدرسات الموسيقى في المدينة بالاشتراك في هذا المهرجان ؟

ج : كلا ، لا أظن ذلك هذا ليس مطلوبا منا.

س : لماذا إذن يشترکن ولماذا اشتركت أنت ؟

ج : إن المهرجان الموسيقى السنوي حدث كبير بدئ منذ خمسين عاما ولقد شاهدته المدينة دائما ما تراه الآن ولهذا ينتظره الناس بفارغ الصبر . أصبح عادة في هذه المدينة ولا أظن معلمة تتخلى عن إدخال السرور على أهل المدينة فإذا لم يكن هذا هو الجواب على سؤلك فالواقع إني لا أعرف جوابا آخر .

س : لقد تحدثت منذ دقيقة عن الجماعة فماذا تتمنين لأطفال جماعتك فكري قبل الإجابة .

ج : أتمنى أن يشعر كل طفل بالارتياح للجماعة و بالأهمية والأمن ويجب

على الأطفال والمعلمة أن يشتركوا معا في تخطيط رفاهية الجماعة و تحقيق الخير للجميع . يجب أن تكون المعلمة خادمة الجماعة أحيانا والموجهة لها أحيانا أخرى ، ويجب أن يكون هناك تنافس بين أفراد الجماعة إلى جانب ما يجب أن يكون بينهم من تعاون .

إن كل عضو في الجماعة يستطيع أن يتنافس مع نفسه وهذا هو أعلا درجات التنافس فهو استطيع أن يعمل بجد ليحسن ما قد يكون قد قام به ولينتفع إلى أقصى حد من نفسه .

س : إني أدهش لعبارة استخدمتها وهي عبارة خير الجماعة فمن يستطيع أن يعرف الصالح لأي شخص أكثر من نفسه ؟ وقد يكون مخطئا حتى بالنسبة لنفسه .

ج : أنا اتفق معك في هذا ولكن هناك أشياء قل أن تكون في صالح أحد ويجب على المدرسين أن يرقبوا علامات القلق الشديد والمنافسة غير المنظمة مثلا. وثانيا يمكن لكل جماعة مدرسية أن تتصور منافسة ضدها و تستطيع أن تقرر وأن تسترشد إلى أشياء على جانب كبير من الحكمة والعدل في قراراتها . و ثالثا إذا كنت أريد أن يكون الآخرون على قدر من الطيبة والأمانة والذكاء والجد فيجب أن أتصف أنا نفسي بهذه الصفات فالإنسان يرى صورته الصحيحة فيما ينعكس عليه من استجابات غيره .

إننا لا نعيد دراسة هذه الحالة ولا نستعيدها في ذاكرتنا دون أن

يتملكنا شعور بالرضا الناتج من أنا أعضاء في مهنة يثق بها الناس ولا بد لنا من قراءة ثانية متأملة فيها لكي نصل إلى ما تشعر به هذه المعلمة الناشئة وإلى أثر الشخصية و لنفكر فيما قالته .

١. بمجرد أن نعرف روح الأطفال نستطيع أن نتصرف.

٢. الجماعة هو تقسيم الجهد يعتمد فيه كل واحد على الآخر .

٣. علاج مؤكد كلما ثارت متاعب ناقشناها ويكون دورى أساسا بمجرد الإنصات.

٤. إنها السعادة ولا أظن معلمة ترضى عن أن تتخلى عن إدخال السرور على الناس.

٥. يجب أن يشعر كل طفل في الجماعة بارتياحه لها والسعادة والأهمية والأمن.

٦. تكون المعلمة أحيانا خادم الجماعة والموجهة لها أحيانا أخرى .

٧. إذا أردت أن يكون الآخرون على قدر من الطيبة والأمانة والذكاء والخبرة يجب أن أتصف بهذه الصفات ؟.

ولنتساءل هل هذا تعليم سليم ؟ وهل يكون الجواب في صورة أحد العناصر التي ذكرناها وهي عناصر المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات و

صدق الحكم أم أنه يتضمن مزيجا من هذا كله ؟ إن كل هذه العناصر موجودة في الحالة ظاهرة أو مستترة ومن المثير أن يساعد الفصل على العثور عليها وقد تعطي هذه الحالة أحيانا لفرقة من المختصين بالتحليل على أن يقوم كل عضو فيها بوضع تقرير عن واحد من العناصر الخمسة.

إن طريقة تقويم الآنسة جريهام أطفالها الصغار ومعاملتها الطيبة لهم تستهوينا كثيرا . إن من اليسير أن نعلم سبع البحر كيف يرقص الكرة فوق أنفه وأن نعلم الدببة كيف ترقص أو تمشي معتدلة القامة وأن يعلم الأسد كيف يقف في وضع مصطنع، و لكن الإنسان مخلوق يختلف عن ذاك كل الاختلاف وهو حزمه من المشاعر والسلوك المعقدة غاية التعقيد ، إنه كتلة من العناد إذا خدع أو ضلل أو أجبر على شيء أو أسيئت معاملته تحت بصره كان في ذلك نهاية المعلمة بالنسبة له و بعبارة أخرى فقدت المعلمة كرائد للطفل تأثيرها عليه .

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن صدق حكم المعلمة مسألة رئيسية في هذه الحالة وأن فيه تمركز قوة المعلمة لأن القرارات محتواها فهي غائرة الجذور في المعرفة وقد تكون في العقل وهى تستر شد. كذلك بالقيم . ولنأخذ عبارة "خير الجماعة" التي استخدمت منذ قرب نهاية المقابلة فماذا فيها ؟ ومن الذي يقطع بأنه يعرف ؟ إن الآنسة جريهام لا تستخدم كلاما كثيرا في هذا الشأن السكن ما نقوله فيه الكثير . إنها تحب التدريس وتقدر له قيمته وهي تحب تلاميذها من أطفال الصف الثاني و تقدر هم حق قدرهم وتعاملهم كجماعة تشكل نظاما متفاعلا ، وهي مرتبطة بروحها مع

أطفالها . إنه من الخير أن نتذكر كل هذا حين نحاول أحيانا تعريف هذه الفكرة المجردة فكرة الصالح العام .

الحاجة إلى التقييم

من الحقائق الأولية أن الإنسان لا يمكنه التأكد من أنه تعلم أو ما تعلمه مالم يعمل على تطبيق ما تعلمه . ومن هذه الحقائق أيضا أن طلبة المعلمين يختلفون في درجات ما تعلموه وفي أنواعه، وعلى الرغم من هذه الحقائق فإن الكثير من المدرسين قد تخلوا عن واجبهم في تقدير الأمور، فهم مثلا يعتبرون كل الطلبة في درجة متوسطة عند أول اجتماع للفصل ، وذلك ليتمكنوا من السير في المنهج، على أن من رأينا أنه لا مفر من أن تتحمل مسئولية تقدير الأشياء فهى واجب على عاتق المدرسين تفرضه المهنة والمجتمع . والقول بأن الحياة هي محل الاختبار قول لا يقنع به أحد. هذا فضلا عن أن انتظارنا للحياة إما ينافي أو ينقص كثيرا من مهمة المدرس من الإرشاد وهي خدمة يحتاج إليها الطلبة ويقدرونها في منهج العلاقات الإنسانية. كما أن الرأي الذي سرى أن الحياة هي المعلم يفترض أن تعلم الإنسان لنفسه كاف وهذا وضع نتردد في اتخاذه دون الحصول على أدلة تؤكده دائما . ، ومن رأينا يجب أن يتفق مدرس الفصل والأستاذ على خطة للتقويم اتفاقا يكون بعد الشرح والمناقشة و بعد بيانات عما يفضلونه. ولا مانع من أن تؤخذ الخطة شكل المراجعة العملية أو تقدير نهائي في نهاية عمل المنهج أو الاثنين معا حسبما تراه ، ولا مانع أن تتضمن الخطة امتحانات قصيرة أو طويلة وتقريرات يكتبها طلبة الفصل ،

وتقويم طلبة الفصل لما يقدمه الزملاء من تقريرات وغير ذلك من الطرق المألوفة التي تبين ما قاموا به وتعلموه. ومن رأينا أن تكلف لجنة صغيرة الدراسة الإمكانيات ثم يشترك الفصل في مناقشة تشكيل الخطة التي يجب استخدامها .

موجز ما سبق

بدأ هذا الكتاب ببيان أن الاهتمام بالعلاقات الإنسانية قديم في التعليم وأن ميدان العلاقات الإنسانية يتسع معناه ومغزاه . وقد ناقشنا هذا في الفصل الأول كما اهتم به الكتاب بصفة عامة . و بسرد بعض الحالات حددنا مجال العلاقات الإنسانية و درسنا لطبيعة المشكلات الإنسانية وذكرنا بعد ذلك نقاطاً خاصة بالحاجة إلى تعليم العلاقات الإنسانية والطريقة التي اتخذتها بعض المدارس الإظهار بعض جوانب هذا الميدان وقد اخترنا من بين الأدوار الخمسة التي يمكن أن تقوم بها المدرسة التربية العلاجية أو فن حل المشكلات في العلاقات بين الأشخاص والعلاقات بين الجماعات.

أما الفصل الثاني فله ثلاثة أهداف :

١- وصف بعض حالات من علاقات في المدرسة والبيئة وتصنيفها وهي حالات سيتناولها هذا الكتاب .

٢- اتخاذ نظرة مبدئية لثلاثة طرق عامة في حل المشكلات وهي : المناقشة والبحث والتصرف الملائم.

٣- تأكيد أهمية تدريب المهارات في منهج العلاقات الإنسانية لكل من يعملون بالمدارس يوضح ذلك حالة و تيلر ، وسنضيف المهارات المختلفة التي ذكرت كمهارات أخرى كلما تقدمنا في هذا الكتاب .

وهذا الفصل غرض أساسي واحد وهو التوسع في تخطيط تعليم العلاقات الإنسانية لطالب المعلمين . وأهم نقطة تحتاج إلى تأكيد هي إطار التعلم الخاص بعناصر المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات وصدق الحكم. وهي العناصر التي يمكن أن يقوم عليها تخطيط الأغراض الخاصة بمنهج بذاته وقد ترك لكل جماعة تتعلم أن تجيب على الأسئلة الآتية :

١. أي الاعتقادات تكون أكثرها أهمية ؟ وما هي القيم التي يجب تأكيدها ؟ وما هى المعارف المناسبة ؟ ونوع المهارات التي يجب تعلمها وكيف يمكن زيادة التبصر أو صدق الحكم. وقد كان من الأمور ذات الأهمية الكبيرة أن نكرر نقطه في هذا الفصل هي أن تصبح التغيرات التي يريد المتعلمون أن يطبقوها على أنفسهم ، الأهداف الأساسية للمناهج التي يدرسونها في كلياتهم .

مشكلات مشروعات

١- في كم منهج من مناهج هذا الفصل الدراسي قام الطلبة بالمساعدة في تخطيط أهداف هذه المناهج ؟ إن كنت اشتركت في منهج من هذا النوع اكتب مقالة عن كيفية سيرك في التخطيط .

٢- استرجع موضوع المعلمة في حالة قطع نماذج الدم . هل حدث لك شيء من هذا وأثار عليك عاصفة من أي نوع ؟ إن كانت إجابتك بالإيجاب فصور لنا الحالة ثم حلها من ناحية العناصر الخاصة بالمعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات وصدق الحكم .

٣- قسم فصلك إلى جماعات تتكون كل منها من ثلاث لمناقشة تقرير (رحلة الدب تيدى) اجعل كل جماعة تقرأ للفصل ما تتفق أو مالا تتفق فيه مع آراء المدرسة أو أساليبها ؟

٤- ما هي المهنة وهل هي متصلة بالمهارات والمعرفة والتيم؟

٥- كتب جون استيوارت ميل سنة ١٨٣٦ يقول : إننا حين نفتح كتابا يستحيل ألا تفاجأ بما فيه من غموض يرد على أنه حقائق أساسية ومبدئية استخلص مما قرأته في الباب الأول من هذا الكتاب أمثلة لما قاله هذا الباحث الأشهر ثم اطلب من طلبتك أن يناقشوا هذه الأمثلة في الفصل .

الفصل الرابع

مهنة التدريس في أول العهد بها المدرس المبتدئ

إن القواعد الأولى التي اهتدينا قديما لكشفها لا لوضعها ما هى إلا الطبيعة نفسها بعد تنسيقها.

" بوب " Pope

قبل أن يكمل الطالب سني الدراسة بوقت طويل ، أي في الوقت الذي تبدأ عنده الرغبة في التدريس يتصور نفسه وهو يقوم بدور المدرس . إن الدراسة بالكلية قد تكون مملة و لكن التدريس مشوق فقد كان كذلك لعدد كبير من المدرسين. غير أن التدريس أحيانا عمل مرهق و متعب و المدرس المبتدئ الذي يجب عليه أن يتعلم المهنة ، تبرز المتاعب من كل جانب دون سبب ظاهر. فالأشياء الصغيرة تحيره وتجعله يتساءل إذا كان قد اختار المهنة المناسبة ، وحتى وهو يحاول البحث عن الجواب عن سؤاله هذا يمضي الوقت ويقل اهتمامه تبعا لذلك ، وهنا فقط تلعب الذاكرة دورها ، فالمدرسون القدامى يميلون إلى نسيان توترهم وقلقهم القديم ليثبتوا أنهم ولدوا لكي يقوموا بمهمة التدريس. .

إن هدف الجزء الثاني من هذا الكتاب هو دراسة سلسلة المشكلات القائمة في ميدان العلاقات الإنسانية داخل وخارج المدارس وهي

المشكلات التي ذكرناها بالجدول في الفصل الثاني من هذا الكتاب . وبعد التخرج من الكلية سوف ينظر هذا الفصل إلى المدرس المبتدئ وإلى السنة الأولى من التدريس على اعتبار أنها أصعب السنوات . وفي النهاية سوف نوجه اهتماما خاصا لموضوع إعداد المدرس وهو المدخل إلى المهنة التي لا تحتاج إلى تأكيد أهميتها .

ولما كان هذا الفصل يبدأ بالجزء الثاني من الكتاب فإنه يحتاج إلى كلية عن التدريس الحالات الخاصة .

كلمة عن تدريس الحالات :

إن أسلوبنا في تدريس الحالات هو كما ذكرنا أن نعرض مواقف من الحياة أو مشكلات تؤثر نتائجها في أطرافها وفي غيرهم ، ونحن نعالج هذه المشكلات بطرق ملائمة وأحيانا نستخدم الحالة مناسبة ينعكس عليها القيم أو المعتقدات وأحيانا للبدء في البحث عن المعرفة وأحيانا أخرى للتدريب على مهارات معينة (محددة) . وغالبا ما يكون صدق الحكم من الأهمية بمكانة ومن ثم يؤدى إلى دراسة وضع القرارات . وغالبا أيضا ما تترك الحالة للطلبة ليحلوها بقليل من الإرشاد أو بدون إرشاد من جانبنا . والفكرة في هذا تنويع استخدام الحالة وتكييف المادة الدارسين والاحتفاظ بالتوازن على طول الخط .

في هذا الأسلوب التعليمي يجب على الفرد أن يكون على علاقة وثيقة بمجموع الفصل فقد يعتمد عمل الغد على سير الأمور اليوم . فنحن

نراجع مع الفصل من يوم لآخر بطريقة منتظمة .

فمثلا قد يطلب من الطلبة أن يملئوا بإيجاز استمارة في نصف صفحة عن مشروعات الجماعة ، كما يطلب إليهم أن يقرروا في صدق أي عضو في الفريق قدم أحسن الآراء، وعندما نحصل على هذه الأدلة نفهم بصورة أفضل شخصية الذين قدموا التقارير والذين قدمت التقارير عنهم وقد يحتاج الأمر إلى محاضرة أو قراءة خاصة عن مهارات عمل الجماعة أو قد يستدعي الموقف استشارة بعض الأخصائيين وإرشادهم. وخلاصة الأمر أنه يجب على الأستاذ والطلبة على السواء أن يتعلموا كيفية استخدام مفردات الحالات وأن طريقة استخلاص المعاني من الحالات قد تختلف. وكل ما نسعى إليه هو أن يكون التدريس معنيا بالمشاعر وأن يكون مرنا وملائما لحاجات الطبية وأن يرتبط بمعارف الطالب كما نشرحه في الجزء الثالث من الكتاب .

مشكلة المنهج والمبنى

متى يتعلم المرء ليكون معلما ؟

هذا سؤال لا جواب عنه : أولا يمكن أن نحدده . فالتعلم يبدأ في الطفولة و يستمر مدى الحياة وهو لبعض الناس شديد العمق عندما يكونوا في الجامعة، وأعمق ما يكون في أواخر عهد الفرد بالجامعة عندما يواجه أمل الحصول على وظيفة . ويحب الطلبة أن يكتبوا قبل تخرجهم تقارير عن وماذا تعلمت، أي التعليم الذي أثر فيهم تأثيرا عميقا خالدا .

إن من السهل أن نجمع أي عدد من التقارير عن الحياة بالكلية وعن جماعاتها و نواحي النشاط الخاصة لأن كل هذه مسائل مثيرة للطلبة . ولكن من الصعب إدخال مواد في العلاقات الإنسانية على مناهج الدراسة ، فالطلبة يفضلون عدم الكتابة عن الفصول أو الأساتذة مالم يحدث شيء غير عادي جدا. وإليكم حالة من هذا النوع الأخير . وصاحب التقرير رياضي ممتاز متخصص في التربية و هو رجل مستقيم .

إحدى حالات الغش في الامتحان :

شاهدت حالة غش في أثناء الامتحان فوكزت زميلي تشاك ليلتقي نظرة عليها وكان الأستاذ "سيرز" رجلا عجوزا لا يحرك ساكنا جلس إلى مكتبه يقرأ كتابا . وهز تشاك رأسه كأنما يعني أنه ليس في الإمكان عمل شيء . كان من الممكن أن تفشي الأمر لكننا لم نر في ذلك خيرا.

ويمر الوقت كما يقولون و بعد تصحيح أوراق الإجابة كان تشاك وبل وليد وأنا من الراسبين وإني أذكر هؤلاء الشبان لأننا على صلة طيبة فنحن جميعا شركاء في اللعب في جماعة واحدة و على أية حال رسبنا وكان علينا أن نترك الجماعة. وماذا كان في إمكاننا أن نفعل مادام أحد الغشاشين واحدا من أحسن أصدقائي بل وأصدقائنا جميعا .

وتشاورنا نحن الأربعة فاقترح و تشاك ، أن يكون صريحا وأن يواجه الموقف . ووجدت هذه الفكرة صدى في نفوسنا وكذا ذهبنا لمقابلة "سيرز" Sears ووضع الأمور أمامه . قال سيرز أنه لم ير غشا و أنه لم يحدث أي

غش وكان سلوكه معنا كأننا لا نتمتع بأي روح رياضية لأننا ربنا في الامتحان. أخبر ناه بأن أحد الناجحين يستطيع أن يقسم بأن غشا حدث . وعندما سألنا عن الأسماء رفضنا أن يكون ذلك من جانبنا . فقال إنه لا يستطيع من ثم أن يفعل شيئا . وانتهى الأمر وبارحنا المكان .

واجتمعنا مرة أخرى وكان اقتراح "إيد" أن ترفع الأمر إلى مدير التعلم لاستخدام نفوذه مع هذا الأستاذ الضعيف. ومرة أخرى كان لا بد أن نذكر أسماء الغشاشين ، وكنت أرفض أن أفشي سر أحد. وقال ، تشاك ، إنه يجب علينا أن نذهب إلى "كوتش" ونسأ له النصح ولكن طرأت على فكرة أفضل هي أن أذهب إلى الغشاشين أنفسهم وأضع الأمر أمامهم وإذا فشلنا في هذا فسوف نذهب إلى السيد (ل) مدير التربية الرياضية . وفي المساء رأيت الاثنين اللذين تزعما حركة الغش فضربت ضربتى ولكنهم قابلوا الموقف بشيء من البرود وقالا إن منهج الدراسة كان فاسدا ، فإذا كان يمنع من الغش ؟ إن نصف الفصل لجأ إلى الغش فلماذا لا نفيد من الفرصة. وكدت أصفع هذا المغرور لولا أن ذلك لا يحقق غرضا. فأخبرته أن جماعتها سوف تكتب إلى مدير التعليم ونذكر أسماء الغشاشين و من الخير له أن يذهب إلى الأستاذ و سيرز ، العجوز وأن يواجه بحقيقة الأمر وليس من الضروري أن يقول من لجأ إلى الغش وإنما يكتفي بأن غشا وقع. وفزع الطالب الغشاش وأسرع إلى "سيرز" بكل تأكيد. لأنه في اليوم التالي بدأت الأمور تنكشف. إذ تحدث العجوز إلى الطلبة وقال إن عدد الراسبين كان أكبر مما يجب وأنه سيلقي بالأوراق جانبا ويعطي اختبارا آخر عندما يذهب إلى الفصل في المرة القادمة. وعندئذ: هتفنا وفي هذه المرة

راعينا أن يسير كل شيء على ما يرام وأن ينال كل طالب ما يستحقه].

إن هذا التقرير غير رسمى ولكنه واضح. وقد أدت هذه الحالة النتيجة المطلوبة رغم أنها على مستوى صغير. إنها حالة ملموسة و قيمتها تعتمد إلى درجة ما على ما تستخلصه منها:

أولا : لنحاول أن تنظر إلى الأحداث من الخارج نظرة موضوعية فنجد ثلاث طرق بثلاثة قطارات تجري على كل الخطوط :-

(١) الراسبون (ب) الأستاذ (ج) الغشاشون.

لما نظرنا إلى الأمر من زاوية الطريقة التي استخدمت فيها الجماعة (١) والجماعة (ج) للضغط على الجماعة (ب) و جدنا أنها طريقة تعليمية . فالجماعة (ج) في موقف يحتم عليها أن تقف موقفا لينا حتى لا تجابه نتائج تسميتها بالغشاشين في الامتحان .

وعلى الرغم من أنه لم يذكر لنا الكثير عن الأستاذ « سيرز، فلابد أن الضغط عليه كان شديد جدا.

ثانيا : النظر إلى الحالة من الداخل. على الرغم من صعوبة هذا و مادام من المستحيل أن يكون شخص متأكدا ما يجول في عقل أي إنسان آخر سوى نفسه ، فإن هذا النوع من التحليل هو الذي يطلق عليه التنبؤ وهذه مسألة تتعلق بالرأي والرأي قد يختلف بين واحد وآخر أما الحقائق فهي واحدة للناس جميعا .

وكاختبار للتفكير الداخلي يمكن أن يتخذ الأستاذ و سيرز ، مثلا لهذا الاختبار. فإن أي نوع من الرجال يحتمل أن يكون الأستاذ "سيرز "!

هل هو عجوز ؟ بجهد ... كسول.. عليل .. غير كفء .. أم أنه رجل مظلوم ؟... واجه موقفا عسيرا في أحد فصول الدراسة ؟ أم هو أستاذ علامة ، من ينصت إليه يتعلم الكثير ؟

إن الطريق العادي لاكتشاف هذه التخمينات هو المناقشة التي يتبادل فيها الحجة بالحجة، وهي التي تعد أداة أساسية من أدوات التعليم، وهناك طريقة هي طريقة تغيير الذات، وهى وطريقة جديدة بالنسبة للطلبة.

في هذه الطريقة يختار الطلبة عن طيب خاطر الأدوار الأساسية في الأحداث التي سردت من حالة الغش . وعندما يتحدث طالب يستمع إليه طالب آخر يجلس إلى جانبه ، ويخبر عما يجول بذهن المتحدث ، وما يظنه حقيقة وما يشعر به . ونتيجة لهذه المناقشات يتضح أن السيد "سيرز" قد جانبه التوفيق في مواجهة الموقف . فعندما اتهمنا الطلبة بأنهم جلبوا لنا العار قالوا إن بعض أساتذتهم أسوأ بكثير في الواقع ما هم عليه في ظاهرهم وقال بعضهم إن جانبا من التعليم الذي يعطي لهم شائن .

ويقول المتخصصون في التربية إن الكثير من مناهج الدراسة التربوية ضعيفة وينقصها المادة والتعمق . كما استقر رأي بعض الأساتذة على إتباع طريقة يطلق عليها الطلبة (مسك الأيدي) إذ يقسمون الفصل إلى جماعات صغيرة ، وكل اجتماع يقصد به تقوية استمرار تماسك المجموعة.

وأكثر من هذا يقوم الطلبة قدر إمكانهم بأن يذكروا لأستاذه ملاحظاتهم بانتظام في المدارس العامة . ولا يشعر بعض الطلبة بالرضا عن مناهج الفنون الحرة وخصوصا ما يتعلق منها بالعلوم الاجتماعية والسيكولوجية . ويضيقون بانعدام الحيوية في الفصل والميل إلى شحن الذهن بالمعلومات والنظريات . وثانيا لا يميلون إلى تقدير أهمية المحاضرات ولا الاستظهار والتذكر . وثالثا إنهم يدعون أن بعض الأساتذة لا يميلون إلى التربية و يكرهون مهنة التعليم وإعداد المعلم .

إن حالة الغش المذكورة هنا لم نتناولها من أجل هذه التعليقات . فإن أهميتها تظهر في توجيه فصل بالكلية إلى الاهتمام بهذه الحالة عن طريق متابعتها . و يقتضى هذا دراسة المبنى المدرسي كنظام اجتماعي أو كأسلوب للمعيشة والتعلم . ولعل البحث الذي قام به نيوكوم عن التغييرات في شخصية طلبة كلية بننجتن هو مثل من أمثلة هذا النوع من البحث.

السنة الرابعة الفصل الدراسي الثاني

السنة الرابعة الفصل الدراسي الأول	تدريس طول اليوم في نوعين مختلفين من المدارس المدرس الأصلي لا يحضر الفصل، يقوم أستاذ الكلية وناظر المدرسة بالإشراف على الطالب والاجتماع به
مسئولية كاملة في التدريس لمدة نصف يوم استمرار الاجتماعات مع أستاذ الكلية عن أهداف التعليم ووسائلة ومشكلاته	

السنة الثالثة الفصل الدراسي الأول

السنة الأولى والثانية	ملاحظات موجهة عند الأطفال في المدارس د ترويت دراسة حالات قراءات ومناقشات عن نمو الطفل ونشوئة وسلوكه الاجتماعي.
١٠٠ ساعة خدمة في القيادة عند الأطفال في مؤسسات البيئة أو في ما يزيد على ٢٥٠ مؤسسة تتعاون مع الجامعات.	

الشكل (٢)

كسب خبرة المعلم بالأطفال في برنامج لإعداد المدرس يستغرق ٤ سنوات بجامعة ولاية وين سنة ١٩٥٦

إعداد المدرس

يتطلب الكثير من عمليات التربية كما سبق أن ذكرنا من طلبة السنوات الأولى والثانية وحتى الثالثة أن يهيئوا لأنفسهم خبرات في قيادة

الأطفال خارج المدرسة. وقد أوجزنا في الشكل (٢) خطة لهذا البرنامج في جامعة ولاية وين. فكل فصل دراسي كما يرى في شكل (٢) يضع مسئوليات أكبر على أساتذة التربية إلى أن يتمكن الطالب في النصف الأخير من السنة الرابعة من السيطرة التامة على الفصل . وعلى مدى هذا الطريق يصادف مدرسو المستقبل مختلف المشكلات . وتمتلئ تقاريرهم بأن أصعب مشكلات تقابلهم هي تلك المتعلقة بالعلاقات الإنسانية.. ومشكلات العلاقات الإنسانية في إعداد المدرس تأخذ أشكالا كثيرة ، يمكن أن تملأ بها كتابا . على أننا نكتفي بذكر ثلاث حالات لم نراع فيها الاختيار، وأصحاب هذه الحالات طلبة بالسنة النهائية بالكلية التي تعدهم للتدريس.

قابلني بعد الانتهاء من الدرس

كلفت بالتدريس في مدرسة ريد الإعدادية ووضعت تحت إشراف السيد بيل Bell لأن الرياضيات كانت ميدان تخصصى ، وكان على أن أدرس الجبر .

استرعي انتباهى تلميذه تسمى ليزماريا . كانت نصف مكسيكية وكانت في الخامسة عشرة من عمرها ، ولكنها كانت تبدو أكبر من ذلك ، وكانت نسبة ذكائها ١١٠ . كان أبوها من أصل إنجليزي ، وأمهامن مكسيكو سيتى ويملكان مدرسة للرقص. كانت لين تحطي فيها درو سافي الرقص كما كانت ترقص في النوادي وفي برامج التلفزيون وكانت تنوي أن تتخذ الرقص مهنة لها.

وعندما تخلفت ليزماريا في الجبر اقترح السيد بيل أن أقوم بإعطائها دورسا خاصة . وسرنى ذلك ، وكنا نقضي نصف ساعة معا بعد الحصة ، وكان السيد بيل يبقى أحيانا ليصحح الأوراق . ولكننا كنا في معظم الحالات نعمل بمفردنا . وعلى الرغم من مساعدتي لها فإنها رسبت في الفصل الدراسي الثاني ، مما جعلني أشعر بخيبة أمل. ولشعوري أنه يجب على أن أقدم لها مساعدة أكبر كتبت على ورقتها بعد تصحيحها ، آسف أرجو مقابلتي بعد الحصة . ووضعت خطة تحت كلمة ، مقابلتى ، لكي أتأكد من أن ليز سوف تستجيب :

وبعد أيام قلائل تركت الآنسة رانكيز ناظرة المدرسة كلمة لي لكي أنتظرها بمكتبها . سألتني عن مدى حي للمدرسة وعن كيفية سير التدريس معي ثم عن ليز ماريا ، فأخبرتها عن مساعدتي لها ولكنها كانت تعلم بها . و قالت إن السيدة رج، قد تحدثت بالتليفون عن التلميذة به وسألت عني . ولم أستطع أن أعرف ما تقصده الآنسة رانكين إلا حين سألتني عما إذا كنت أداوم على صحبة ليز . وكانت هذه صدمه لى فقلت : لا بالطبع لا، ولكن الناظرة استمرت تقول إن ليز قد أخبرت بعض الفتيات إلى صديقها ، وأنني قد وعدتها بأن أصبها للرقص في المدة القادمة ، الأمر الذي أربكتني كثيرا .

كانت الآنسة رانكين كما استرجع الموضوع الآن ، كريمة معي في هذا المأزق الذي وقعت فيه ، فشرحت ما يقصد بالعلاقات الطيبة بين المدرس والتلميذة وخصوصا بالنسبة للمدرسين المبتدئين ، وقالت إنها تعرف أنه لا

توجد علاقة خاطئة بيني و بين ليز ، ومع ذلك فإنها تشهر بأن الدروس الخاصة يجب أن يرجع فيها إلى السيد بيل

وعلى الرغم من أن هذا النوع من الحالات يمكن أن يكون خطيرا ، فهو ليس كذلك عادة . إن المسألة لا تعدو أن تكون مسألة خطأ في تقدير مدى العلاقة الاجتماعية بين التلميذ والمدرس ، وقد تكون الفروق بين الاحترام والمودة هي ما يريد الطلبة مناقشته، فالطلبة لا يتفقون في آرائهم و نظراتهم في هذه المسائل .

افعل هذا وافعل ذلك

تجمعت شكوكي في نجاحي في عملية التدريس ، عندما قابلت لأول مرة مدرسة الفصل وهى التي كانت تتولى نقد عملي ، كما يسمونها . طلبت مني أن أدعوها الآنسة بتى Mis Bety كما يدعوها الأطفال ، وقالت إنها قامت بالتدريس الصف الرابع في مدرسة إلم Elm طوال السنوات الثماني عشرة الماضية .

ومن أول الأمر أحاطتني الآنسة بتي بمثل ما تحيط به الدجاجة أفراخها . وكانت تسألني أسئلة ، ثم تجيب عنها بنفسها . كانت تطلب مني أن أقوم بأشياء ثم تقوم بها نفسها وعندما كنت أفعل شيئا لم تكن تسلم بصحته. لم تكن تريد أن أكون وحدي مع التلاميذ . وكانت تندفع داخل الفصل حين أتحدث معهم وكان أسوأ ما في الأمر تلك الطريقة ، التي تنهي بها كلامها كانت تقول ، أشكرك ، أشكرك كثيرا ، كما لو كانت تنهى فصلا تمثيليا.

وفي نهاية الأسبوع الأول فيلم Elm تحدث في هذا الموقف مع صديق وكان أيضا مدرسا ولكنه كان قد مر بتجربة سارة . قال إن الأمور سوف تتحسن ونصحني بأن أظل على ما كنت عليه .. إنك تحصلين على نقطة سوداء ، إذا ما عكرت العلاقة بينك و بين زملائك في المدرسة .

وجاءت أول فرصة أقوم فيها بالتدريس بالفصل فعلا ، قبل عيد الشكر بثلاثة أسابيع . وكان على أن أعد أغنيه عن عيد الشكر وأراجعها مع الآنسة بتي ، ثم أقوم بتدريسها . يجب أن أعترف بأني كنت مضطربة نوعا ما بالنسبة للموقف . وعزمت على أن تكون الأغنية جيدة الأداء.

وأظن أني قمت بمجهود كبير في عمل الوحدة طوال أسبوع كامل . صحيح أني أعرف أنها تتطلب هذا الوقت الطويل . وفي النهاية أتممت الأغنية وذهبت بها . قالت إن هذه الأغنية طيبة ولكن بعض كلماتها صعبة جدا على الأطفال . وهذه الحروف الكبيرة التي أرهقتني وأتعبتني) يجب أن تكون باللون الأحمر والأبيض والأزرق لأن الأطفال دائما يحبون الأحمر والأبيض والأزرق ، وهو لون علم بلادهم وأرجو أن تكتبي في الأغنية شيئا عن الطيور لأن الأطفال يحبون الطيور وعليك با جراء هذه التغييرات الليلة يا آنسة ميل حتى يمكننا البدء غد اشكرا . شكرا جزيلا.

وأدخلت التغييرات و وافقت على الأغنية . كان لدي شك حينئذ. تحقق فيما بعد أن الآنسة بتي لم تكن تفهم ما كنت أنوي عمله . فلم تسمع مني إلا تفاصيل قليلة دون أن تلم بنا لفكرة الرئيسية ، وكانت

جديدة وطريفة . فما كان يمكن أن توافق على المشروع . وفي اليوم التالي بدأت أقص القصة العادية الخاصة بالمهاجرين عند نزولهم Plymouth والشتاء الأول لهم أمريكا ، والاحتفال الكبير ، إلى غير ذلك . مررت مرا سريعا على هذا لأن الأطفال كانوا يعرفونه عن ظهر قلب ، ولأن هذا كان مجرد تهيئة الجو لما كنت أريد عمله ، وهو إعادة تمثيل هذه الأحداث الرائعة في تمثيلية اجتماعية ارتجالا . ويحسن بي أن أقرر الآن أني لم أعط هذه الفكرة فرصة للاختيار . وكانت الآنسة بتي تدخل الفصل بين الحين والحين تلقي بعض التفاصيل أو تنمق القصة التي أقصها . ثم تشكرني كل مرة . وعندما وجدت أنه من المستحيل على أن أستمر ، تخليت عن العملية كلها ، وبعد أن اعتذرت لترك الفصل ، ذهبت إلى حجرة المدرسات وانفجرت في البكاء . وشعرت بتحسن فعدت ثانية إلى الفصل

إن الآنسة بني سيدة عجوز ، ترى في كل جديد ما يهددها ، فكانت تنظر إلى نظرة مستريبة. لماذا تقبل طالبات يجرى إعدادهن للتدريس ؟ ولماذا يرسلن إليها ؟ كانت هذه مشكلات في نظرها. وإذا فرض أن هذا الترتيب سوف يستمر، فا العمل ؟ إن التصرف العادي هو المعلمة المشرفة بما يعن لها من مشكلات وهذه بدورها تقوم مع المعلمة . ولكن هل تجريء الطالبة على الخروج من هذا المأزق بنفسها . فإذا أدركنا هذه الأمور فإن هذا التصرف سوف يؤدى إلى أن تعيد المدرسة النظر في موقفها وأن تقدر تأثيرها على الطالبات اللاتي يتدربن على يديها ليكن مدرسات.

ويمكن أن نصل إلى هذا لو استخدمنا طريقة قلب الأوضاع ،

مفترضين أن المشرفين يعقدون اجتماعات دورية مع هيئة التدريس بالمدرسة لمناقشة مشكلات الطالبات اللاتي يعدون للتدريس وهذه الطريقة معناها أن مدرسات الفصل أو (المعلمة الناقدة) تقوم بدور الطالبة في مواقف المشكلات ، وتقوم الطالبات أو المشرفات عليهن بدور المدرسة . والحاجة التي تدعونا إلى ذلك هي إلقاء الضوء على العلاقات الإنسانية وجعلها مادة إلى تحليل ومناقشة دون إيذاء لشعور أحد.

جعجعة الديوك

لم أقابل قط المعلمة التي أسند إلى التدريس في فصلها . لقد تغيبت في أجازة مرضية ، في نفس اليوم الذي وصلت فيه لأبدأ عملي في الفصل وأعطى لى فصلها. إلى أن تدبر معلمة أخرى ، لكن ذلك استمر أكثر من فصل دراسي . ومازلت حتى الآن مسئول عن فصل الثانية الابتدائية.

عندما دخلت الحجرة لأول مرة ، كان التلاميذ يصخبون لدرجة أن المعلمين بالفصلين المجاورين جاءتا إلى للشكوى وأخبرتاني أن الآنسة كنج Mis King كانت ضعيفة من الناحية الصحية ولهذا كان الأطفال يخرجون على النظام وأن استمرار هذه الحالة سوف يؤدى إلى إصابتي بالجنون سريعا. وعندما علمت المدرستان أنني طالبة أعد للتدريس وإني لم أقم بالتدريس قبلا أمسكتا بأيديهما كما لو كانتا تصليان . وقالتا " أيتها الطفلة ، يا لك من مسكينة " قالتا ذلك كما لو كانتا تمنحاني البركة.

وكنت منذ اليوم الأول أحاول أن أسكت الأطفال ، وكان هذا يؤدي

إلى خفض أصواتهم لفترة ولكن ليست طويلة بحيث أسمح بتشويق الأطفال إلى عمل المدرسة . وحاولت بعد ذلك الصراخ فيهم قائلة هدوء! هدوء أو مرة أخرى لم يكن التأثير يدوم فترة طويلة. ولست أخجل إذا قلت إني بعد ذلك لجأت إلى شتمهم عسى أن يسكتوا . وهي طريقة تستخدم في الأحياء الفقيرة . اعرف ذلك لأني أقيم في حي من هذه الأحياء . ولدت فيه ونشأت .

وهكذا استمر الحال فترة والأمور تسير في مجراها ، أيام هادئة وأخرى صاخبة في تتابع يمكن التنبؤ به . وصممت في هذا الوقت على أن أبدأ بداية جديدة كما لو كانت البداية الجديدة شيئا مسلما به في العلاقات الإنسانية . حاولت أن أقسم الفصل اثنين أثنين وأن أجعل كل واحد مسئولا عن سلوك زميله ، لكن ذلك لم يؤد إلى شيء يقال عنه إنه تحسن. وكنت أصبحت أعرف مدرسات كثيرات . وعندما تحدثت إليهن عن فصل الثانية أول ، أثنت الكثيرات على . وكان ثناؤهن (كما اكتشفت بعد ذلك) ليس موجها للتدريس ولكن لكوني مستمرة في العمل.

قد يكون قد طرأ إلى ذهنك أن أطفالي كانوا جماعة من الغوغاء لكنك تخطيء الظن . لم يكن الأطفال هكذا دائما. كانوا يحبون الكلام فسب ، مهما كان قربهم لبعضهم من بعض. كانوا يصرخون في منازلهم وفي الشوارع . فلماذا لا يصرخون في المدرسة؟ كان آباؤهم وأمهاتهم يصرخون في وجوههم وكانوا يصفعونهم أيضا ، وبدأت أفكر في هذا .

وعندما جاء عيد الشكر طرأت على ذهني فكرة طيبة . وكلما فكرت فيها بدت حسنة في نظري لهذا فإني في صباح أحد الأيام تحدثت إلى فصل الثانية أول قائلة «أنصتوا يا أطفال هل رأيتم ديكا روميا قبل هذا؟ أنت يابيل ؟ أنت يا بوب ؟ أنت يا جورج واشنطن جونز ؟ لابد أنكم جميعا رأيتم الديك الرومي . إن الديوك الرومية تجعجع عندما تتكلم وهي تتكلم طوال الوقت . وعندما تصرخ عاليا هكذا يجب أن يضعها شخص ما في الحظيرة . إن الديوك الرومية تستطيع الكلام وهي تعلم كيف يفكر كل شخص عنها . و عندما تحاول أن يكون صوتها منخفضا ، وتتحدث بصوت واضح، نطلق سراحها. إن حظيرة الديوك بالفصل ستكون هنا ، ثم وضعت علامة الربع على الأرض إلى يمين المنضدة . وضحك الأطفال عندما سمعوا ذلك . ولم يحدث شيء لمدة ساعة ثم بدا الصخب مرة أخرى وهيه انظروا، صرخ جيمسن وهو يشير إلى صرصور يمر فوق منضدته فقالت له المدرسة "حسنا يا بني إلى الحظيرة ، هيا" أخذ جيمس غلى غرة وتردد في التنفيذ ولكني أجبرته وانزلق إلى الجانب المقابل لمقعده و مشى حانيا رأسه نحو حظيرة الديوك . وسرنا في درس المحفوظات بينما كان الأطفال يحملقون في المذنب . وعندما بدأت تظهر عليه علامات التعب أمرته بأن يجلس على الأرض .

مكث جيمس هناك لمدة ساعة . وفي أثناء ذلك كان الفصل صامتا تقريبا . وقال الديك د يا آنسة أوهارا .

أنا أستطيع أن أتكلم الآن . لقد كان ذلك الصرصور فقلت له

حسنة إني أعرف أنك تستطيع الكلام الآن يمكنك أن تعود إلى مكانك.

لقد مضى على أسبوعان أطبق هذا التدبير الجديد في الأيام الصاخبة. كنت أضع بالحظيرة حوالي خمسة ، ولكن في معظم الأيام لم يكن بها أحد ، لقد قل الصخب الآن بشكل واضح فيما عدا بعض الأصوات التي تصدر في مواقف سليمة ، غير أن عنصر الحيرة في هذا التدبير قد بدأ يختفي ، أما ماذا يكون من الأمر فسوف أتركه لظروفه

أكانت هذه الوسيلة في ظني من النوع الذي يمكن أن نطلق عليه التصرف الملائم ومن الغريب أن الحيل التي تستخدم في الفصل غالبا ما تنجح . وفي معظم الحالات تكون هذه الحيل بمثابة القواعد المنظمة اللعبة لأنها تجذب إليها تلاميذ الفصل كمجموعة. غير أن هذه الحيل لا يمكن استخدامها (كما نظن) في الدروس التي تتطلب تفكيرا عميقا على الرغم من أن أراء المدرسين تختلف في هذا الشأن . ويبدو لنا أن الآنسة أوهارا معلمة ناشئة واثقة من نفسها واسعة الحيلة ، وعلى هذا تستحق الثناء على سعة حيلتها في موقف من المواقف الصعبة .

عند الالتحاق بوظيفة

الأسلوب العام للالتحاق بوظيفة أو عمل هو التقدم بطلب الالتحاق ، ثم المقابلة الشخصية ، ثم القبول ، ثم كتابه العقد – أو مثلا خطاب اعتذار ، ويختلف هذا التتابع ومحتواه حسب الظروف المحلية من عرض وطلب مدرسين. على أن نظار المدارس جميعا يعبرون عن اهتمامهم

بالعلاقات الإنسانية – اى بالمدرسين الذين يستطيعون التعامل مع الأطفال ، وإن قل منهم من يحرص على اختيار هذه القدرة في طالي الالتحاق كما سنذكر في الحالة التالية . والتقرير قدمته معلمة متخصصة في علوم الطبيعة ، وهي فتاة لا تبدو أكبر من التلاميذ الذين ترغب في التدريس لهم الصف الرابع والخامس.

العنكبوت والذبابة

قالت العنكبوت "تعالى إلى مكتبي" وذهبت إليها : كانت هذه ثالث زيارة أقوم بها لإحدى المدارس لأداء الاختبار الشخصي ، وكنت آمل أن أحصل على هذه الوظيفة . وبينما كان السيد ميد Meade . M يستعرض أوراق دلف إلى المكتب أربعة أطفال في سن أخي الصغير التلميذ بالصف السادس ، وأومأت برأسي إليهم .

وناول الولد الأول السيد ميد ورقه زرقاء فهمت فيهما بعد أنها ورقة عقاب التلاميذ وأن عليهم أن يذهبوا إلى الحجرة المجاورة لمكتبه وينتظرونه فيها.

ثم استدار نحوى و قال و قد يستغرق النظر إلى أوراقك دقائق قليلة ، بين العشر والجنس عشرة فهل تسمحين ببحث مشكلة هؤلاء الأطفال ؟ وكانت مفاجأة لى و قمت من فوري إلى الأطفال . كما لو كنت قد قمت بهذا الشيء مدة طويلة من قبل . دخلت الحجرة التي بها الأولاد وأغلقت الباب ورائي وتحدثت إليهم . فتح السيد ميد الباب ليذكرني أن الساعة

تشير إلى التاسعة والربع وأنه كان يريد أن يراني قبل التاسعة والنصف . وفاتني أن ألاحظ أنه ترك الباب مفتوحا قليلا وأنه بذلك كان يستطيع أن يسمع كل ما نقوله.

قلت حسنا يا أطفال لماذا نحن هنا ؟ لم تلق هذه العبارة اهتماما كبيرا، بل نظر الأولاد إلى تم حلقوا أمامهم أو إلى الأرض فاستطردت قائلة: أقول لكم من أنا و تقولون لي من أنتم أنا الآنسة يرون ، منزلي في بلدة صغيرة تبعد حوالي ٤٠ ميلا ، لكن لم أحصل على جواب من أحد ، بل ولم يغيروا من وضعهم . فحاولت مرة أخرى قائلة : هيا نشد هذا المقعد الطويل قليلا ، وكان يجلس عليه ولدان . وبدأت أشد من ناحية فقام الأولاد. وعندما رأوا أني لم أستطع أن أحرك المقعد ظنوا أني لا أستطيع ذلك وأمسك ولد يلبس قميصا داكن اللون بالطرف الآخر من المقعد ثم جررناه معا إلى الأمام. وتمتم الولد : هل هذا الوضع صحيح ؟ قلت له نعم ورفعت الساعة في يدي : لقد انقضت أربع دقائق.

وعل الرغم من أن الأولاد قد خرجوا عن جمودهم ، فإنهم لم يتكلموا. فقلت أين نحن ؟ قلت هذا كما لو كان نقل المقعد من مكانه هو سبب قطع الحديث قلت، آه «كنا نذكر أسماءنا ، لكن السكون استمر .. فأشرت إلى صاحب القميص الداكن قائلة « ما اسمك ؟، وكاد الولد يتحفز الإجابة لولا أن الولد صاحب ورقة العقاب سبقه قائلا "لا تخبرها ياريخ Rig . أن هذا ليس من شأنها وليس لك أن تخبرها . فهي لا تقوم بالتدريس هنا ، وشعرت أن الرد كان منطقيا وأن الولد كان محقا فيما قال"

فقلت " ليس عليك أن تذكر اسمك وأنا لا أقوم بالتدريس هنا . أود أن أدرس هنا ولكن لا أظن أني أستطيع الحصول على الوظيفة . وبدأ بعض العطف أو على الأقل التساؤل في عيني الولد صاحب القميص الداكن ، لم يكن يحدث تغيير في الأولاد الآخرين . فأردفت قائلة «كما ترى أنا في مأزق، وبدا الاهتمام على صاحب القميص بكل تأكيد و قال وأي مأزق يا آنسة – آنسة »

"برون لقد ذهبت إلى ثلاث مدارس أحاول أن أجد وظيفة . وأنا أعتمد على مساعدتكم لى . فقال الولد ، أنت معلمة يا آنسة – آنسة برون ؟، هل أنت كبيرة إلى هذه الدرجة ؟ كان هذا من الولد الثالث، وأصبح الجميع الآن يبدون اهتمامهم. وكان قد مضى من الوقت ثمان دقائق ونصف .

وأدى هذا حقا إلى بدء الحديث. فقال الولد صاحب القميص و استمر يا إد Ed أخبرها لماذا أنت هنا . أيها الغي. هيا: كانت القصة بسيطة و مضحكة جدا ، وكانت حقيقية فقد تشاجر إد وهو في طريقه إلى المدرسة مع بعض الأولاد و تمزق سرواله . وفي الفصل ظهر جزء خلفي من جسمه ، وعندما رأى الأولاد هذا ضحكوا عليه ، وحاولوا أن يجعلوا فتاة تنظر إليه فرأتهم المعلمة ، وعلى هذا ذهب الأربعة إلى حجرة الناظر لأن هذه حالة خرق للنظام .

وكان الأمر مضحكاً جداً، شعرت معه أني أكاد أنفجر من الضحك،

وعندما رأيت الكآبة البادية على وجوه الأطفال التقطت دبوسا من قميصي وشبكت به السروال الممزق مما أدى إلى ارتباك إد . وفي هذه اللحظة ظهر السيد ميد . وبعد أن أخبر الأولاد بأنهم يستطيعون الانصراف قال إنه مستعد لاستمرار المقابلة الشخصية معي]

وحصلت المعلمة على الوظيفة وأبلت بلاء حسنا فيها وفي خطاب كتبه السيد ميد يقول الحادث الذي وصفته الآنسة برون كان مجرد حادثة بسيطه. غير أنه إذا تعمقنا في الموضوع رأينا أنه لم يكن مجرد صدفة . وأن من سياستي أن أعد حالة ، أو أنتفع من حاله قائمة لكي اختبر أولئك الذين يتقدمون لنا ونشعر باهتمام نحوهم. والهدف من ذلك هو معرفة ما إذا كانوا يستطيعون العمل مع الأطفال، أو كانوا واسعي الحيلة و قادرين على سرعة التصرف، إن أوراق شد مهم للوظيفة لا تمس هذه الناحية. ونحن نعتبر أن هذا ما يسمى و باختبار المواقف ، وهو أسلوب يستخدم في الصناعة وفي إدارة الأعمال وفي القوات المسلحة وفي غيرها للوقوف على مهارات الأولاد. ويجد طلبة المعلمين أن من الأمور الشيقة أن يتأملوا في هذا النوع من الاختبار وقيمته و نواحى قصوره في اختبار من يصلحون للعمل . ويجب على الطلبة أن يأخذوا في اعتبارهم على وجه الخصوص أنواع المخاطر التي تواجههم في المواقف المختلفة .

السنة الأولى من التمرينعلى التدريس

إن قيام طالب المعلمين بالتدريس هو عبارة عن تدريس موجه . وبهذا فهو في أساسه برنامج من برامج الكلية . ففي التدريس العادي

يكون المدرس على سجيته حرا فيما يعمله ، وعليه أن ها به كل ما يتطلبه الموقف منه ، وما يمر به يومه الدراسي من أزمات كبيرة أو صغيرة. ومعظم تفاصيل الحالات لا يعدو أن يكون من مثل هذه الأحداث و ما يجري فيها، وهي تبين مدى ما عند المدرس من سعة الحيلة وصدق الحكم أو حرمانه منهما .

والحالة الآتية حالة غير متطرفة، وهي من ثم تصلح لأن نتعلم منها ، كما نتعلم من أي تقرير سلى. وصاحب الحالة هو السيد كيمي يبلغ من العمر السابعة والأربعين وكان وما يزال راعيا لبعض. الكنائس ، وهو مركز يجمع بينه وبين التدريس في مدرسة القرية ، إذ يحمل شهادة بسيطة ، ومنها بعد أن أعد إعدادا ضعيفا للتدريس.

مدرس متعاظم

كان الفصل (ب) من الصف السابع فصلا ضعيفا من أول أمره ، على أننا سرنا في منهج الرياضيات حتى وصلنا إلى دراسة الكسور وهي جزء في منهج الرياضيات يتطلب انتباها تاما . فرأيت أن أسير فيها على مهل ، وكان صخب التلاميذ في أول الأمر ضعيفا لكنه أخذ يزيد فأوقفت العمل وبدأت أناقش المسألة مع الفصل ، ما هذا الصخب الذي يجري وراء ظهري؟

تقرر أن نحاول مرة أخرى فاستأنفت العمل وسار كل شيء على ما يرام حوالي عشر دقائق وعاد الشياطين الصغار للصخب من جديد ولماذا

لم يستطيعوا الوفاء بوعدهم أعطيهم علاجا للصمت وهو أن أكف عن الكلام و هو علاج سبق أن أتبعته وحقق آثارا طيبة . عرفوا منه ماذا يكون من أمرهم جلست إلى منضدتى و انتظرت عازما ألا أعير التفاتا لمن يتكلم ولا أن أجيب عن أي سؤال. وكان هذا العلاج مجديا في البداية ولكنه ضايقهم ، فقالت شيرلين، "يا أستاذ" ولكني لم أرد عليها فقالت : "كيف يمكننا أن نتعلم أي شيء يا أستاذ إذا لم تعلمنا" ولم أستطع أن أقاوم هذه الملاحظة فقات و جميل أن يكون هذا السؤال منك يارئيسة العصابة.

هذا السؤال جيل جدا. وكنت قادرا على أن أنتهكم عليهم كما تهكموا على ، لكن ذلك لم يكن ليضايق شيرلين .

قالت "لا أظن أن من الأمانة أن تجلس هكذا . بمجرد أن نجلس . ووجدت أنها تحاول أن تدخل في جدل فذهبت إليها .

وكلما زاد صياح هذه الفتاة زدت ضيقا لا لأني مهتما بصياحها ، إذ أنها كانت تفعل ذلك من عهد بعيد . فنظرت إلى الفصل وقلت إن الخطأ كله خطؤهم ، لقد كنت مستعدا لأن استمر في الدرس ، وكنت حذرتهم . لكن رغبة مني في إرضاء الغاضبين ، قلت إنه إذا كان أحدهم يرغب في الانتقال في أي وقت إلى فصل الآنسة "مكسول" في الرياضة فلن أمانع . ورأيت في نظرتهم جميعا أنهم يريدون الانتقال ، لكني كنت أعرف ما هو أكثر من هذا وكنت قد واجهت متاعب كثيرة من هؤلاء الصغار من أول يوم عملت فيه في هذا الفصل. فرأيت أن قد آن الأوان لأنفذ فكرتى،

فقلت: شيرلين أريد أن أعرف أن كنت تريدين الانتقال إلى الفصل الأخر ، ولم تجب شيرلين أو عرفت بأني هزمتها . ثم تكلم رونالد وهو أس الفساد ، قال وإذا سألتني فإني أقول إني أرغب في الانتقال وكان هذا تمردا و عصيانا على أن أجابه فقلت سأرسل اسمك إلى الناظر لينقلك وكتبت اسمه على ورقة و سألت وهل يريد أي واحد آخر أن ينتقل ؟، فأجاب لود وهو صديق لرونالد إنه يرغب ذلك . قالت شيرلين إنها ترغب وكذلك فعلت فتاتان أخريان .

وأرسلت الجنسية إلى الناظر. وأنا أشفق على الآنسة ماكسول عجوز عندما يذهب إليها هؤلاء المشاغبون، إن أمثال هؤلاء الصغار لن يستفيدوا شيئا، وأنا لا أستطيع أن أكون مسئولا عنهم

وكانت هذه أول تجربة للسيد كيمي في التدريس ، ونحن نتمنى أن نأمل أن تكون هذه آخر تجربة له . لقد ظل اثني عشر عاما وهو يقوم بعمل الراعي في كنائس القرى أو المدن في دائرة قطرها ثلاثون ميلا حول منزله . وكانت قصته في كل كنيسه هى هي لا تتغير . و كانت كل وظيفة جديدة تبدو مأمولة النجاح له ، غير أن كل وظيفة كان يثبت فشله فيها . كانت هناك متاعب مع رجال الكنيسة وأعضاء الطائفة أو مع الأطفال في مدارس الأحد. وكان على السيد كيمى ، إما إن يترك العمل أو يقال منه ، ثم يجد وظيفة أخرى . وكانت أطول مده قضاها في إحدى الوظائف تقرب من عامين ونصف.

وفي حديثين قصيرين معنا كان السيد كيمى يقطع لقاءه معنا بمجرد أن يشعر بأننا نضيق الخناق عليه ، معتذرا أنه مرتبط بمواعيد أخرى . على أنه كان راضيا عن التقرير السالف وعن سيره في عمله . وكان يؤكد أن هدفه في الحياة هو المحافظة على أربعة مثل عليا هي ضبط النفس والدأب على العمل – والإيمان بالله – والاعتماد عليه ، وكان عليه في بعض الأوقات أن ينتقل إلى أرض المعركة بنفسه ، كما هو الحال في مدرسته الحالية . لقد رأى أن الناس في جميع الأعمار يميلون إلى الخطيئة والكسل والتصرف غير المقبول ، ولم يكن يستطيع أن ينقذهم جميعا أو الكثير منهم لكن مع ذلك لم يستطع أمام ضميره الحي أن يتخلى عنهم .

ونحن لا نرى أن الأمر أمر التجربة الأولى بالنسبة إلى هذا الرجل ، لكن الرجل لا ينتمي إلى مهنة التدريس . وهل حالته العقلية سليمة . ولما كان قد ترك الكلية فليس من الممكن تهيئة اختبار نفسي له على أننا نستطيع القول بأنه شخص غير ناضج ، عنيف ، لا يعرف الندم ، وإذا

عرفنا أنه كان يهرب من لقائه لنا. فنحن نتساءل عما إذا كانت هناك طرق أخرى للعمل معه . إذ كيف يمكن لشخص مثله أن يراجع نفسه ليدرك صلابة رأسه .

رفع مستوى إعداد المعلم

قضينا سنوات عديدة في تجارب حول الطرق غير المباشرة لدراسة اتجاهات الطلبة للوقوف على خير ما يريدونه ويقدرونه . مثلا قد يطلب

إلى طلبة الكلية أن يقدموا المشورة لمؤسسة من المؤسسات عن كيفية إنفاق مبلغ كبير من المال لرفع مستوى إعداد المدرس ، ويعنى الطلبة كثيرا قبل التخرج، وخصوصا طلبة السنوات النهائية عناية كبيره بإعداد المدرس وغالبا ما يضعون الإعداد في المقام الأول.

وفي المسح الذي أجرى عام **١٩٥٣** لمائة وثمانين كلية وجامعة للمعلمين ، وجد العميد روبرت ماجي أن **٦٣ %** منها ركزت إعداد المعلم فتره دراسية واحدة أي في ربع سنة ، وأن خمس هذه الكليات قصرت عملية إعداد المدرسين على فترتين دراسيتين **١٣٪** منها لإعداد المدرسين ثلاث فترات وكلية واحدة خصصت لهذه العملية عاما كاملا على أن الفترة تتراوح بين أربعة أسابيع وأربعة وخمسين أسبوعا متوسط قدره ثمانية عشر أسبوعا. وفي ولاية وين تستغرق العملية أربعة وأربعين أسبوعا. وجامعة واحدة فقط خصصت أربعة وخمسين أسبوعا.

وقد عهدت ثلاثة أربا ع المعاهد بإعداد المدرس إلى مدارس لمدة لا تقل عن نصف يوم مدرسى في الأسبوع كما عهدت ... منها بهذا الإعداد لمدة يوم كامل .

ولقد وضع الطلبة الذين يعدون للتدريس بجامعة ولين ستيث تحت البحث من وقت لآخر الدراسة اتجاهاتهم وخبراتهم وطلب منهم تقديم مقترحاتهم لأساتذة الكلية وفي عام **١٩٥٤** أجرت السيدة وإما كارول ، استقصاء أجاب عن أسئلته عدد **٢٢٥** طالبا من طلبة المعلمين وقد

تضمن التقرير الذي وضعته البيانات التالية.

آراء الطلبة في إعداد المدرس

١- إن إعداد المدرس يلقي كثيرا من الأعباء على وقت الطالب وطاقته وقدرته أثقل مما تلقيه محاضرات الكلية التي لها نفس الأهمية حيث تكون مسئولية الطالب في الحالة الأولى أكبر بكثير لأن قيمته تقدر على أساس ما يعمل لأعلى أساس ما يعرف . وإعداد المدرس لا تسامح فيه، كما يقال في محاضرات الكلية إذ أن المعلم في معظم الحالات يكلف بما يعمل وما لا يعمل.

٢- قل أن يجد الطلبة الفرصة لتطبيق طرق التدريس التي تعلموها في برنامج دراستهم بالكلية أو أن يجربوا أفكارا وطرقا جديدة و يقوموا بدراسات عن الأطفال وما إلى ذلك ،. يضاف إلى هذا أن التدريس بالمدرسة خصوصا في مناطق المدن الآهلة بالسكان يشمل مجموعات كبيرة من الطلبة ويجب أن يوجه أساتذة الكلية مزيدا من الاهتمام إلى طرق العمل الجماعي والأساليب التي تعالج الفروق الفردية في هذه الظروف .

٣- إن الخبرة الأساسية لطالب المعلمين في ميدان العلاقات الإنسانية إنما تكسب من . صلة المشرفين على الفصل بالمدرسة أو الكلية إلى جانب اتصاله بالتلاميذ ، فالكثير من الطلبة يبلغون عن حاجتهم إلى اتصالات أفضل وأوثق مع أولئك الذين يحملون على عملهم المدرسي ويجب أن يعطي الطلبة الجدد من الإرشاد والتوجيه

والتشجيع أكثر مما يجدونه الآن.

٤- أن المشكلات الرئيسية في العلاقات الإنسانية التي يقابلها طلبة المعلمين في أثناء إعدادهم للتدريس تنحصر في نظام الفصل وتنظيم الأطفال المشاغبين، ومقاومة المدرسين المناهضين للأفكار والأساليب الجديدة، وهناك أيضا الأعمال الإضافية المتعلقة بالإشراف في المدرسة وعدم القدرة على التعرف بأولياء الأمور والحصول على تعاونهم وقلة الاجتماعات مع المشرفين بالكلية . كل ذلك يزيد من العبء الثقيل الملقي عليهم أو ضيق الوقت .

وإذا افترضنا أن التكاليف يمكن مجابهتها فما هي التغييرات التي يمكن إدخالها على إعداد الدرس من الناحية النظرية والناحية التطبيقية ؟

من رأينا أن نجري تحسينات في سبع نواح متداخلة على أقل تقدير

إن المدرسين الذين يقومون بالنقد يحسن اختيارهم بطريقة أفضل بالتعاون مع المدارس . يجب أن تزاد مكافأتهم المساعدات التي يقومون بها. ويجب أن نخفف العبء عن المشرفين بالكلية كأن يكتفي بتخصيص عشرة طلبة لكل واحد منهم . كما يجب أن نعقد اجتماعات أكثر مع الطلبة في أثناء تأديتهم عملهم ، و يمكن وضع خطة لعمل أو دراسة عملية لمدة يوم في آخر الأسبوع للطلبة جميعا . كذلك يمكن أن يشترك في هذه الاجتماعات مدرسو النقد والمشرفون على المدارس حتى يمكن توضيح أي خلافات نظرية أو تطبيقية .

ويجب أن يعطى للطلبة في أثناء إعدادهم للتدريس فرصة لاستخدام أحدث الأساليب والمواد والأجهزة ، وهذه الطريقة قد تحتاج إلى عدد من الأساتذة المتخصصين يحضرون عند استدعائهم إلى المدرسة ليروا الأخطاء التي حدثت ولإسداء النصح في المشكلات . ويمكن إقامة بعض المشروعات النموذجية تحيز الطرق الجديدة لإعداد المدرس ، ويجب أن نعطي العلاقات الإنسانية من الأهمية أكثر مما يعطى لها حاليا .

مشكلات ومشروعات

١. جرب طريقة تغيير الذات . استخدم موقفا تتخيله أنت مثلا كموقف معلمة جديدة (خجول ضعيفة الثقة بنفسها) يبدو أنها لا تسير جيدا في فصلها من الذي يقوم بمساعدتها ؟ وكيف ؟

٢. هل فكرت جيدا في تدريب أشخاص آخرين على مهنة التدريس مثلا، إخصائيين اجتماعيين مثلا .

٣. إذا كنت طالب معلمين في حاله (شكرا) فاشرح كيف كنت تحاول أن تساير الآنسة بتي بطريقة أفضل . هل كان من الممكن فعل ذلك عن طريق كسب ودها وإذا كان كذلك فضع تمثيلية اجتماعية لذلك تجري في الفصل.

٤. ما هي مرتبات المدرسين والنظار في منطقتك ؟ قارن بينها وبين مرتبات النظراء في منطقة أخرى في تقرير ترفعه إلى أولى الأمر

٥. لماذا تظن أن إعداد المدرس مهم ؟ كيف يجري في كليتك ؟ وماهي طرق تحسينه ؟

الفصل الخامس

نظام الفصل وطريقة المدرس

من الطبيعي أن يكون الصغار وقدين و مغالين في تصرفاتهم وأن يلفوا و يدوروا هنا وهناك وأن يتخبطوا كما يتخبط الحيوان المتوحش عند وضعه في قفص لأول مرة والمسألة هي : كيف تروض هؤلاء الصغار .

روبرت لويس ستيفنسون

كتب ج . أبوت ذات مرة في إحدى المجلات يقول : عندما تبدأ التدريس سيسألك الناس عما إذا كانت لك القدرة على حفظ النظام ، ويعنى ذلك ما إذا كنت أكبر وأقوى من التلاميذ وما إذا كنت تستطيع أن تحفظ النظام في مدرستك .

ولعل أبوت كان يعجب بما جاء في أحد كتب التربية القديمة التي كانت ترى أن الضرب وسيلة لتأديب الطفل . أما ما نذهب إليه اليوم من أن السلوك شيء طبيعي أو ممتع أو محبوب فكان لا يمكن أن يرضيه.

ولعل المشكلة الكبرى التي عانى منها المدرسون في بلادنا ومازالوا يعانون منها هي مشكلة نظام الفصل أو السيطرة عليه ، وحوالي ٧٩٣ حالة من الحالات التي جمعناها تدخل في هـ ذا المجموع ، وخطتنا في هذا

الفصل أن نأخذ عينات من هذه الحالات وأن نعرض أكبر عدد منها يسمح به المكان ، ثم نفسر موضوع نظام الفصل من وجهة نظر قوة حيوية الجماعة .

فصل يسوده النظام

من المفروض أن المعلمين يحبون أن يسود النظام فصولهم ، وهذه هي طريقة أخرى لأن نقول إن التعليم يتضمن العلاقة بين الذات والغير وإن الجماعة ككل تعمل على تعليم أعضائها التعليم الأساسي ، فما هي بالجملة والتفصيل جماعة الفصل الناجحة ؟ هل هي ككومة من قوالب الطوب ، جامدة ، يبني فوقها ؟ أم هي كخلية نحل ؟ وهل في الجماعة حياة لها صخب المال وضجيجهم ؟

إن معظم طلبة المعلمين يشعرون أنهم بعيدون عن الصغار مالم يكونوا يعملون بالتدريس فعلا ، ولهذا فهم يحتاجون لزيارة فصول بالمدارس ، وها نحن هؤلاء نقضي يوما في روضة من رياض الأطفال نتناول فيه على الأقل الخطوط العريضة لعمل اليوم.

يوم مع الأطفال الصغار

[من ٨.٣٠ – ٩.٠٠ تفتيش . الوقت شهر نوفمبر ، والجو دافئ نوعا ما ، يلعب. الأطفال خارج الفصول أو داخلها كما يحلو لهم . وعند دخولهم الحجرة تحيى المدرسة كل واحد منهم باسمه ، إن صوتها هادى فيه ود وهي تنطق بأسمائهم على مهل وفي وضوح حتى يسمعها كل واحد منهم

، وتجلس المدرسة في مستوى نظر الأطفال في سن الخامسة، وتلمس كل واحد منهم من ذراعه أو خده أو شعره ، لمسة فيها حنان الأم. :

وفي الفصل اثنان وعشرون طفلا ، بين ولد و بنت ، والهدف من التفتيش هو معرفة أن كل طفل منهم صحيح و مستعد لقضاء اليوم في المدرسة . ولذلك تفحص المعلمة لون البشرة والأعين والأنف والفم والحلق كما تفحص داخل الأذن . وإذا ظهر أن طفلا مريض طلبت إليه أن يجلس إلى مقعدها حتى تتحدث مع ممرضة المدرسة أو تتصل بمنزل الطفل عن طريق المسرة ، وقد ترسل مذكرة لقسم السجلات أو تكتب إلى الآباء والأمهات فيما يتعلق بأي أعراض عضوية أو سلوكية عند أطفالهم .

٩.٠٠ – ٩.٤٥ – فترة درس : بعد أن يجري التفتيش يذهب الأطفال إلى مشجب الملابس يخلعون المعاطف ويعلقونها عليه . وإذا نسي واحد منهم نبهه طفل آخر أو تذكره أو تساعده المعلمة .

ولتلاميذ رياض الأطفال أن يعمل كل منهم وحده إذا أراد ، لكن معظمهم يفضلون العمل في جماعات ، فينتقلون في جماعات من اثنين أو ثلاثة في العادة ويعملون غالبا في مشروع مؤجل من اليوم السابق وقد تسأل المعلمة الجماعة عن عملها الذي لم تتمه وذلك قبل البدء في مشروع جديد .

ومشروع الجماعة التي نحن بصددها هو تدبير شئون البيت، وتتكون الجماعة من ثلاثة أطفال، . فتات طفلة لتخبر المدرسة أنهم في حاجة إلى

من يقوم بدور بائع اللبن ، وبحاجة كذلك إلى لبن ، وإلى قطيطة تشربه فيتقدم طفل ليكون بائع اللبن ، وتقول بنت إنها القطيطة ، وتحصل على اللين من الثلاجة.

وثمة جماعة أخرى تنصرف إلى النظر في كتاب مصور ، ويدهش الأطفال لألوان الزاهية فيتابعون بأصابعهم حروفه الكبيرة ، يقرأون بعض القصة التي يعرفونها عن ظهر قلب ، و يلون بكل كلمة منها كما يكتشف القاري ذلك إذا غير قليلا في أثناء قراءة القصة لهم .

والعمل الذي يكلفون به محدود ، وأداؤه اختياري لهم ، وليس هناك وقت لتدريس القراءة مثلا أو الكتابة أو الاستماع ، فكل هذه الأشياء تدرس في عملية حية واحدة .

ويحضر "بوبي" إلى معلمته بطاقة ويطلب منها أن تكتب له عليها كلمة د مطار ، فتعود المعلمة إلى جماعته التي تكون في ذلك الحين تعمل في بناء مطار وتضع المعلمة البطاقة في مكان بحيث يمكن للجماعة أن تراها ثم تبدأ بكل بطء في كتابة حروف الكلمة ، وعندما يطلب إليها و بوى ، كلية مطار ليضعها في مكان آخر تقترح عليه معلمته أن يكتبها بنفسه فيخبر جماعته باقتراح المعلمة ويبدأ مع زملائه في كتابة بطاقة أخرى تحمل كلمة "مطار".

إن المعلمة لا تنتقل من جماعة إلى جماعة أو يبدو عليها الارتباك والحيرة بشأن الأطفال الذين يكونون بمفردهم، غير أن من الواضح أنها

تعرف كل ما يدور حولها . وهي تتحرك بسهولة وانشراح تنصت إلى ما يقال وتكتب ملاحظاتها عما يحدث ، لكنها لا تتطوع لتقديم المساعدة لأحد.

وقد ترى المعلمة طفلين صغيرين عند خزان الرمل يقومان ببناء قلعة وقد أخذ أحدهما يقذف الرمل بقدمه على زميله ، فيصرخ الثاني ، ثم يبدأ الاثنان في قذف الرمل على بعض البنات الصغيرات ، فتترك المعلمة منضدة مبادئ العلوم وتسير قليلا فتقول: هل يذكر الأطفال أن قواعد الجماعة لا تسمح بقذف الرمل على أحد بعيدا عن خزان الرمل ؟

٤٥ ر٩ – ٠٠ر١٠ – وقت التنظيف : يتوقف النشاط ويضع الأطفال أدواتهم في أماكنها . هناك مكان لكل شيء – رفوف وأحواض وصناديق ، كل منها يحمل بطاقة تدل على محتوياته ، وتوضع الكتب والصور في خزانات للكتب في حجم الأطفال . وتوضع الأقلام الملونة في أطباق ملونة ، حمراء وخضراء .. الخ ، و يساعد الأطفال بعضهم البعض في ترتيب المكان ثم يخلون المكان لفرقة النظافة ليقوم هؤلاء الصغار بتنظيف الأرض .

١٠.٠٠ – ١٠.٣٠ اللعب خارج الفصل: يخرج الأطفال إلى الفناء ليدربوا عضلاتهم . فهناك المراجيح والزلاقات وأحواض الرمل والمركبات التي تدور في الهواء و قضبان التسلق والكرات الناعمة . ويدفع أحد الأطفال طفلا آخر فيسقط الاثنان الواحد فوق الآخر ثم ينهضان

ويتأهبان للعراك ويدفع أحدهما الآخر مرة أخرى وتنتهي المباراة بالتعادل فلا تعيرها المعدة أي اهتمام لأن الولدين سرعان ما يعودان إلى اللعب. وتسقط طفلة من فوق قضبان

التسلق و تبدأ في البكاء ثم تأتي إلى المعلمة فتمسح وجهها . وترى بنتين تضربان بعض الأولاد بكرة خفيفة ، فتأخذ المعلمة الكرة و تذكر الأطفال بقواعد الجماعة . إن هنا من الحرية ما يوجد في الفصل تماما ولكنها حرية داخل قيود معينة .

١٠.٣٠ – ١١.٠٠ مناقشة الجماعة : يعود الأطفال إلى الفصل بعد اللعب بالخارج يخلعون معاطفهم ثم يجلسون في نصف دائرة . ويقدم لهم . فريق الصحة ، عصير الفاكهة ويتكون الفريق من أربعة أعضاء يقومون أيضا بجمع الأكواب بعد الشرب.

ثم تتحدث المعلمة عن رحلة يكون الفصل قد قام بها لزيارة مطار المدينة فنسأل المعلمة عما يبقى على الطائرة في الجو ؟ فيقول أطفال كثيرون والهواء.. وتبتسم المعلمة إنه سؤال سخيف بالنسبة لأطفال في الخامسة والجواب عنه أيضا سخيف ، وتسأل المعلمة سؤالا آخر ، أين تطير الطائرات ؟ ، فيحضر الأطفال بعض الخرائط من فوق الرف ويضعونها على الأرض خريطة للعالم وخريطة للوطن . ويقول أحد الأطفال . إن تلك الطائرة أي الطائرة التي شاهدها كانت ذاهبة إلى سان فرنسيسكو . ويصدح طفل آخر قائلا إن الطائرة تتوقف عند سان

فرنسيسكو في طريقها عبر المحيط إلى اليابان . وهنا يوجه هذا السؤال . أين تقع اليابان ؛ فيتدافع الأطفال بعضهم بعضهم فوق بعض ليصلوا إلى الخريطتين ، باحثين عن اليابان لكنهم لا يعثرون عليها في الخريطتين . ويتذكر أحدهم الأوراق التي أعطيت لهم في المطار . فيحضروها ويفحصوها ويجدون اليابان في خريطة منها . وبعد معرفة الإجابة عن هذا السؤال يتساءلون «أين تقع سان فرنسيسكو ؟ ، فيكون من السهل تحديد الموقع أن أحد أعضاء الجماعة زارت سان فرانسيسكو . وتدور مناقشة الجماعة حول الطريقة التي سافرت بها هذه الطفلة وماذا شاهدت في سان فرانسيسكو ومن من الناس قابلتهم هناك .

لم يبق سوى بضع دقائق قبل أن يبارحوا الفصل فتسأل المعلمة الأطفال إن كانوا قد استمتعوا بزيارتهم للمطار ؟ وهل من الواجب كتابة خطاب شكر المدير المطار ؟ ومن الذي يوقع الخطاب؟ وهل يوقعه جميع أعضاء الفصل ؟ وما الذي يجب أن يكتب فيه ؟ وتكون كتابة الخطاب مشروع اليوم التالي ، وعلى كل طفل أن يفكر فيما يكتب في هذا الخطاب.

١١.٠٠ – ١١.١٥ – فترة راحة : يأخذ كل طفل حصيرة للراحة ويضعها في ركن مخصص له من أركان الحجرة حيث توضع الحصر في صفوف ، ويمكنه أن يغفو أو لا يغفو إذا شاء مادام هادى النفس، ويأخذ بعض الأطفال معهم لعبة أو كتابا أو صورة فإذا كان طفل قلقا ساعدته المعلمة على الاسترخاء بأن تقول : ولكي أنام أضع جسمى هكذا ، ثم

تسترسل المعلمة قائلة ، أولا يدي المني أمددها هكذا . انظروا إنها متعبة ، إنها تمتد ساكنة . هل هي راقدة ؟ نعم إنها ترقد الآن في سكون والآن يدي اليسرى وبعدها ساق اليمني ، ويأتي الاسترخاء و يصحبه غالبا إغفاءة قصيرة.

١١.١٥ – ١١.٣٠ ألعاب داخل الفصل : يحمل الصغار الحصر التي كانوا يرقدون عليها إلى المكان المخصص لها ويكومونها هناك ويقوم الفصل بالغناء أو التمثيل أو الاستماع إلى تسجيلات أو العزف على آلاتهم الموسيقية الصغيرة ، وقد تقص عليهم المعلمة قصة و يقوم الأطفال بإضافة أحداث عليها ، أوقد تقرأ قصة حقيقية للفصل ويحب الأولاد والبنات القصص المثيرة كقصة جاك وحبة الفول وهي قصة تكثر فيها حوادث القتل والإثارة.

١١.٣٠ – العودة إلى المنزل : فاليوم المدرسي في رياض الأطفال قد انتهى . فيأخذ الأطفال معاطفهم وقبعاتهم ويلبسونها إذا استطاعوا ذلك ، ثم يودعون مع المتهم ويتوجهون إلى المنزل – إذا كانت أمهاتهم أو غير هن قد أتوا لصاحبتهم . ولا يسمح لأي طفل بالذهاب إلا إذا أعطى لشخص معروف مسئول و موثوق به .

على أن هذه ليست مدرسة عامة ، بل هي مدرسة للأقلية المحظوظة ، للطلبة الميسورة التي تحظى بعناية كبيرة . يشهد بهذا حجراتها الكبيرة و فناؤها الواسع وأجهزتها ومعداتها الغالية الثمن ومعلمتها المدربة تدريبا

حسنا . ولكن هل تمنع هذه الحقيقة من جعلها نموذجا يحتذى ؟ إن أمنيتنا أن نرى مثل هذه المدارس لكل أطفالنا ، لكل من يفيدون منها.

والآن لنتساءل ما الذي يجعل هذه المدرسة مدرسة طيبة ؟ لكل منا آراؤه الخاصة به وهذا حقه ، على أن هذه المدرسة فيها نظام ، فيها القواعد والأنظمة اليومية التي يعتمد عليها الصغار ، فيها تتشابه الأيام يوما بعد يوم، وفيها من ناحية أخرى حيوية وتعليل وتخطيط ، وبين الحيوية والنظام اليومي تقف المعلي، ، عجلة التوازن بينهما ، فإن كان لها ما تؤمن به ، ولا شك أنها تملك هذا الإيمان ، فهو الإيمان بالنظام في الجماعة والنمو في الفرد.

العقاب كوسيلة للسيطرة :

تذكرنا الحالة السالفة الذكر بكثير من التقارير الخاصة بنظام الفصل وهي التقارير التي تواجه فيها المشكلات عند ظهورها بطبيعة الحال ، لكن في الحالات التي نتناولها فيما بعد حالات على عكس ذلك ، ففي هذه الحالات تصل المشكلات إلى مرحلة حادة ، حالات يستخدم فيها العقاب أو التهديد بالعقاب كوسيلة للسيطرة. صاحب هذه الحالة مدرس للدراسات العملية في مدرسة إعدادية ثانوية .

قواعد الأمن في الدراسات العملية

بعد أن أعطيت طلبة الفصل العاشر درسين على كيفية المحافظة على الأمن في الورشة اتبعتهما باختبار تحريرى استغرق حصة عن قواعد الأمن.

وأعطيت التلاميذ الذين حصلوا على تقدير مقبول أو أقل كتابا ليدرسوه واستبقيتهم بعد انتهاء اليوم المدرسي لاختبار شفوي وتحريري. وبعد ذلك علقت ثلاث نسخ من القواعد في أماكن مختلفة من الورشة وكنت في أثناء الأسبوعين الأولين في جميع الدراسات بالورشة أراعى دائما اتخاذ الاحتياطات ضد الحوادث ، إذ أن الآلات التي نستخدمها تدور بالكهرباء وعملنا خصوصا في الأعمال المعدنية معقد ، وكنت أشتد على الذين يخالفون القانون بعنف حتى يدركوا أني جاد في كل شيء .

بدأ هذا الفصل (ب) من الصف العاشر متخلفا وقبل أن ينتهي الأسبوع كان أحد الأولاد قد جرح له أصبعان على منشار الخشب ، لكن لم يكن الجرح خطيرا جدا غير أنه احتاج لبعض الغرز . فعدت إلى قواعد الأمن ولكني جعلت الامتحان التحريري أكثر صعوبة وفي نفس اليوم الذي أعلنت فيه الدرجات دفع طالب زميلا له فسقط في خزان تبريد المواد المعدنية . عندئذ قلت (وكنت في حالة انفعال شديد) إنه إذا خالف أي طالب قواعد الأمن مهما كانت فسأكلفه أن يكتب مقالا من ألف كلمة عن كيفية المحافظة على الأمن في الورشة .

وأفزع هذا الأمر الطلبة ، وبصرف النظر عما يكتبه أو يقوله رجال التربية عن المعاملة الخشنة للطلبة ، كان على أن أفعل ذلك في عمل الورشة إذ أن الأخطار كانت من الكبر بحيث لا تسمح بأي تساهل في قواعد الأمن .

وسار العمل سيرا حسنا فترة ما ، ثم لاحظت طالبين أو ثلاثة يهملون فيندفعون بين الآلات دون تفكير ، وأكمام قمصانهم ترفرف . وكان في هذا السلوك مخالفة واضحة لقاعدتين على الأقل من قواعد الأمن. وبعد أن ضبطت د جاك ، يلعب لعبة الحصان مع طالب آخر اسمه «ركس و بختهما كثيرا وأمرت كل واحد منهما أن يكتب مقالا من ألف كلمة في ظرف أسبوع من ذلك اليوم .

ثم جاءت فترة هدوه ، وفي أحد الأيام شاهدت جاك يعمل على آلة لسن الأسلحة دون أن يضع نظارته التي تحمي عينيه . فأوقفته وأخذه إلى حيث يمكننا أن نتحدث . قال إنه نسى نظارته فأخبرته أن ما بدر منه كان المخالفة الثانية وعليه أن يكتب مقالا آخر من خمسة آلاف كلمة.

وفي اليوم التالي استدعاني المدير إلى مكتبه وسألني عن جاك فأخبرته بكل ما حدث منه وكان السيد / سميث يعلم جيدا طرق التدريس التي أتبعها ، ولهذا فهو لم يتحدث عنها بل قال إنه يظن أن المقال طويل جدا ، وأني طلبت من الطالب شيئا فوق طاقته . فناقشته مدافعا عن وجهة نظرى و شرحت (كما شرحت له من قبل مرات كثيرة) المخاطر الموجودة في الورشة ولماذا يجب على المدرس أن يكون شديد التدقيق . فالعامل المهمل قد لا يعرض للخطر نفسه فيسب ولكنه يعرض الأولاد الآخرين كذلك . فوافق المدير من الوجهة النظرية ولكنه قال إنه مازال مصمما على أن ألغى فكرة كتابة المقال .

وفي الفصل أخبرت جاك أنه ليس من الضروري أن يكتب المقال . فقال إنه كان يعلم ذلك إذ أن الناظر قد أخبره بذلك . إن مثل هذا التدخل من جانب الناظر فيما يختص بعملي في الفصل كان يغضبني كثيرا . فأخبرت جاك بكل هدوء أنه إذا خالف مرة أخرى ولو قاعدة واحدة من قواعد الأمن فإني شخصيا سوف أعمد إلى طرده من الفصل ، فلم يبد على الولد أنه مستهين بالأمر وشعرت بأنه قد يسلك سلوكا أحسن .

ومرة أخرى ساد الهدوء المكان قرابة أسبوعين . وفي أحد الأيام حدث كسر بالمنشار وكان على أن أصلحه ، فنظرت إلى أعلى ولكني لم أكن أصدق عيني . كان هناك جاك يلعب مبرد رفيع طوله عشرون بوصة . وكان يضرب به الطلبة ويلوح به في الهواء كما لو كان سيفا ، وانطلقت بسرعة وراءه ولكني لم ألحق به في الوقت المناسب إذ قبل أن أصل إليه خرج الفصل من السير ، فاصطدم بمخرطة وارتد منها وطار في الهواء حوالي عشرة أقدام ثم انحرف فوق ولد واصطدم بولد آخر يدعى "بيرى ج" فأصاب عينه اليسرى . فقد الولد شعوره في الحال الحسن الحظ فلابد أن الأم كان شديدا جدا فاحتضنته وحملته وفعلت ما استعطت إلى أن حضرت سيارة النجدة وأخذ الولد في الحال إلى المستشفى حيث أجريت له جراحة في عينه بعد بضعة أيام. ولكنه فقد عينه . و لقد عاد إلى المدرسة بعد ذلك وصار من أحسن العاملين بالورشة حتى الآن.

أذكر هذا ما حدث وأنا أعرف من المتسبب في الخطأ . أنا الذي تسببت في كل هذا . كان يجب على أن أقبض على جاك الأحمق المفسد

وأطرده من الفصل . إذا أنه عندما يتعلق الموضوع بالأمن كما قلت فلن تستفيد شيئا من عدم الحزم . إن الأخطار التي تلحق بحياة الناس وبأطرافهم خسارة لا يمكن تعويضها

وقدر ما كان المدرس يعرف المخاطر التي كانت تحيط بهؤلاء الأولاد ، وبقدر ما حاول تنفيذ قواعد الأمن، لم يستطع أن يمنع الحادثة المحزنة من الوقوع. وفشل المدرس هنا جعلنا نتوقع احتمال وقوع مثل هذا الحادث لأي واحد منا . والنقطة الهامة في هذا الموضوع هى اعتماد المدرس على العقاب كوسيلة للضبط . وهي نقطة من المحتمل أن يقف الطلبة منها موقفا مناقضا لها. ولنحاول الآن أن نقترح بعض الطرق لاستخدام حالات مثل هذه الحالة .

إن فكرة بديل الذات طريقة سليمة لمعرفة الاتجاهات . فقد يأخذ أحد الطلبة دور مدرس الورشة السيد بالارد ، بينما يقوم طالب آخر بدور البديل الطالب الأول أي ذاته . وقد يتبع الطلبة نفس الطريقة بالنسبة لجاك الطالب والسيد سميث الناظر ، ولا مانع من أن يفترض أن السيد الناظر يعرف الشيء الكثير عن كل من المدرس والطالب . وعندما يبدأ التمثيل يقوم الأشخاص بأدواره ارتجاليا يأخذ كل بديل مكانا بالقرب من الشخص الذي يمثله ، حتى إذا انتهى هذا البديل من دوره في الكلام أو العمل تحدث الشخص الأصيل عما يدور حقيقة في عقله وعن شعوره الداخلي وغالبا ما يأخذ هذا النوع من الحديث شكل مناظرة حول أسلوب السلوك بين عقله وعواطفه ، أو شكل صراع بين أنماط عاداته وأنماط

أخلاقه .

وثمة طريقة أخرى لتناول هذه الحالة هي طريقة الجماعات المنقسمة الرأي ، فإذا فرضنا أن الفصل طلب إليه الإدلاء بصوته فقد يرى بعض الطلبة أن المدرس مسئول عن الحادث ، بينها يرى آخرون أن جاك مخطئ ويقع اللوم عليه ، ويرى فريق ثالث أنه لا يستطيع أن يقرر رأيا في الأمر ، عندئذ نقسم الفصل إلى جماعات صغيرة و نسمح لهذه الجماعات بعشر دقائق مثلا لنرى ما إذا كانت كل جماعة تستطيع أن تصل إلى رأي مسبب ثم يعود الفصل كله إلى الاجتماع ويتولى رئيس كل جماعة إبداء رأى جماعته و تسير المناقشة بعد ذلك بما يحقق الخبرة من اشتراك أكبر عدد ممكن من الطلبة.

ننتقل بعد ذلك إلى حالة أخرى هي مجموعة متشابكة معقدة من الظروف

مشكلة خاصة بالحالة المعنوية للجماعة

الموقف الذي نعرضه هنا موقف متطرف أيضا ، وهذه الحالة لا تنشأ في التعليم العام ، ولكن في الصناعة . وصاحب التقرير يقوم بالتدريس في برنامج قسم العلاقات الصناعية .

لا تعليم ولا تعلم

أعمل ضمن ستة مدرسين في قسم العلاقات الصناعية في مصنع في

دترويت والمصنع مرتبط مقود مع الحكومة لإنتاج مواد لاستخدامها في الحرب وينص العقد على أن العاملين في خطو التجميع وكذلك مشرفيهم يجب أن يحضروا فصولا للتدريب مدة عدد من الساعات تمهيدا لمنحهم مرتبات أو وظائف أرق . ومهمة قسم العلاقات الصناعية هي تخطيط وإدارة هذه الفصول لجميع درجات الموظفين المذكورين .

وأول نقطة أريد أن أوضحها هنا هي أن تدريسنا غير مجد . فالعاملون عبارة عن مجموعة غير متجانسة بحيث إنه مهما كانت جميع الظروف مواتية فمن الصعب أيضا تعليمهم . وهناك أشياء أخرى غير مواتية ، فمثلا لا تقوم الترقية على أساس نتيجة التحصيل العلمي بل تقوم على الأقدمية المطلقة كما هو متفق بين الشركة والاتحاد المحلى ، وعلى ذلك فليس هناك دافع عند هؤلاء العاملين إلى العمل في هذه الفصول وأصبح سلوكهم مشكلة . إن معظم الطلبة في هذه الفصول عمال باليومية يتقاضون مرتباتهم حسب ساعات العمل . وبعضهم يقوم بالعمل في المكتب بينها يقوم آخرون بالإشراف. وعلى ذلك فهناك ثلاث مجموعات . بعضهم حصل على أربع ساعات أو أكثر من التدريب في الكلية ولكن الغالبية العظمى لم يتموا تعليمهم الابتدائي . وفي أدنى المجموعة ما يزيد على مائتين من الأميين وتبلغ نسبة الزنوج حوالي ٤٠٪ معظمهم مهاجرون من الجنوب . وبين البيض ١٩ جنسية مختلفة معظمهم من أصل بولندي وأعمارهم متفاوتة تتراوح بين ست عشرة وأربع وستين و متوسط الأعمار سبع وثلاثون سنة.

كان في الفصل الذي أعمل به ثمانية وأربعون عضوا. وتستغرق الدراسة ثماني ساعات يوميا لمدة خمسة أيام في الأسبوع. وهذا ما يحدث تماما مع العمال .

وفي يوم الاثنين كان يمكنك أن تشاهدني وأنا أحاول تدريس وحدة عن تكاليف المواد . وكان حوالي نصف المجموعة يصغون بعض الإصغاء . أما الباقون فلا يمكن التهكن بما كانوا يفكرون فيه .

كان من الممكن أن ترى رجالا مفترشين الأرض مستغرقين في نوم عميق ، بينما يقرأ آخرون المجلات الفكاهية أو جريدة أو مجلة مصورة ، وكنت ترى عددا منهم يناقش بعضهم بعضا و كأنما يتكلمون بصوت واحد، بينما يغدو بعض آخر ويروح نحو خزان تبريد المياه أو يخرجون وهم يحكون أقدامهم في الأرض ينادون واحدا منهم ويدفعون الباب وراءهم . وإلى جانب هذا كله ضجيج الآلات في المصنع.

هذه هي الحال التي تعمل فيها نحن المدرسين . ومنها ترى لماذا لاندهش كثيرا لما يسمونه مشكلات المعلمين ولماذا تيأس إلى حد الرغبة في ترك العمل لولا أن على الرجل أن يعمل ليعيش هذا إلى جانب أننا جميعا متزوجون وأن لنا أسرا نعولها.

تعود إلى الفصل . كيف يمكنني أن أحفظ النظام في هذه المجموعة إذا جاز لنا أن نعتبرها مجموعة ؟ حاولت أن أخفض من صوت الذين يصيحون في الكلام فكانوا لا يكتفون بأن يلمحوا إلى بترك الفصل بل يعرضون على

ذلك عرضا حتى يكونوا في شرف توديعي إلى الباب . فإذا حاولت طرد المشاغبين اشتد صخبهم على سمعي فإن نقابتهم تحميهم ولابد أن تثار مشكلة إزاء أي تصرف من جانبي يحد من فسادهم . و لقد نسيت أن أذكر أنه ليس في الاتفاقية التي بين الاتحاد والشركة درجات التحصيل الدراسي . إن كل ما يسجل هو تقرير خاص بالحضور والغياب.

وفي أحد أيام الاثنين بعد الغداء قام الرجال بصخب استحال على معه أن استمر في المحاضرة التي كنت ألقيها وكانت عن تكاليف المواد كما ذكرت . وهو موضوع مهم جدا في إدارة المصانع وكان رئيس العصابة التي تسببت في الصخب رجلي أسمه بولينكسى واختصاره . بول كان رجلا دينا خشنا سيء الخلق فناديته باسمه وطلبت إليه أن يلزم الهدوء . لم يعر في أي انتباه بل استمر في الكلام دون اكتراث ، فسرت نحوه فاستعد للعراك معي ، وأنا قوي كذلك فضلا عن تمريني على القفز مع البحارة . وليس عندي مانع من أن أصارع إذا كانت القضية عادلة .

فقلت : وبوليسكى ، كيف يحدث منك ذلك ؟ أفلا تحب هذه الحصة ؟ ما عيوبها ؟ ، فرد بكلام لا يمكن أن يكتب غير أن أحد أفراد عصابته تكلم ويدعى تيج . قال "نحن لا نحب حديثك الطويل . إنه في نظرنا كلام فارغ" وعندما سألته ماذا يعني تدخل بول و قال ولا نريد أن نتعلم شيئا منك اسكت ، فأجبته بالإعجاب وقلت . ولكن ما يدهشني أن هذا مضيعة لوقتكم. ماذا تريدون ؟ ماذا يجب أن نفعله ؟ ، فلم أسمع جوابا ، ثم قلت "ألا تريدون أن تتعلموا شيئا ؟" فقالوا "لا أيها العاقل . لا

نريد " ثم قال تيج "وإذا أردنا فإننا لن نطلب منك . إنكم تضايقوننا هنا "ولما لم أستطع التفكير فيما يجب على أن أقول انتهيت عند هذا الحد .

والسؤال الذي أسأله الآن هو : ما الذي يمكن عمله إزاء هذا الوضع ، لقد أعطى أحد الأساتذة فصلية استقصاء لكن ثلاثة أرباع الطلبة لم يستطيعوا أو لم يرغبوا في الإجابة . إني شخصيا أعتقد أن النظام خاطئ كله : وأن محتويات المنهج لا دخل لها في ذلك : وسواء كنت على صواب أو على خطأ فقد طلب إلى مدير قسم العلاقات الصناعية وهيئة التدريس أن أطلب إليكم المشورة في هذه المشكلة .

إن هؤلاء الناس مشاغبون ووضعوا في منهج العلاقات الإنسانية بما لا يتفق مع رغباتهم . والموقف هدد بالانفجار . فهل هناك أي فرصة لتغيير الأوضاع ولتحسين التعلم والتعلم ؟ . وبناء على دعوة مدير الهيئة بدأنا نتقابل مع جماعة قسم العلاقات الصناعية وأن ندرس النواحي التعليمية وغيرها من المواد . وكانت هناك من البداية مشاركة فعلية في الأفكار والخطط والاقتراحات بروح جماعية ما تزال حية حتى الآن. وكان من الفرص السعيدة أن نعمل مع هذه الهيئة .

١- ما هي المشكلة : في أول اجتماع لهيئة التدريس سأل كل عضو نفسه هذا السؤال ووافق كل واحد على أن يكتب مقالا عن المشكلة ليوضح رأيه بخصوصها و يبلغه لمستشار العلاقات الإنسانية واقترح مدير العلاقات الصناعية أن يعد بمجموعة من المواد متضمنة منهج الدراسة ،

وأن يسمح بدراسة الحقائق المجمعة في الملفات الأوامر والمذكرات وقضى المؤلف طوال بعد ظهر ذلك اليوم في زيارة الفصول التي كانت تعمل .

واتفق على أن يقوم المستشار بعرض ملخص يقوم هيئة التدريس بمناقشته في الاجتماع التالي وكانت نتيجة هذا الملخص تقريرا من خمس صفحات وزع على الأساتذة مقدما لدراسته . و ثبت أن المشكلة الرئيسية هي الحالة المعنوية السيئة عند المجموعة ، وهذا راجع إلى عدد من الظروف . وهناك طريقتان لقياس الحالة المعنوية وقد اقترح تنفيذ. واحدة أو الأخرى منهما .

٢- من الذي سبب المشكلة : وما هو سببها ؟ اتجه التفكير آخر الأمر إلى معرفة على من يقع اللوم ولماذا ؟ واستقر الرأي على التفكير في الأسباب والنتائج. كان من الواضح جدا أن هؤلاء العمال لم تكن تستهويهم الدراسة ، وأسوأ من هذا كان لدى الكثيرين منهم ميوله عدوانية صريحة . فهل كان الخطأ في محتويات المنهج ؟ أم كان الخطأ في طريقة التدريس وهل كانت هناك عوامل أخرى هامة كحقيقة أن الترقية لم تكن تعتمد على تعلم ما في المنهج؟

في أثناء هذه المناقشة تحول التفكير إلى مسائل أكبر من بينها تلك العلاقة المعقدة بين الشركة والنقابة وكان هناك عدد من الأشياء المحددة هنا ، منها الاتفاق الكتابي بألا يجري أي اختبار للمعلومات المتحصلة من المنهج وألا يمنح العيال ترقيات نتيجة لذلك .

٣- فإذا كانت الحلول الممكنة ؟ كان رأي هيئة التدريس أن دراسة الحالة المعنوية على الرغم من فائدتها لم تكن ضرورية . فإن روح العدوان وعدم الاكتراث وغير ذلك كانت واضحة الكل ذي عينين . وكان هناك الشعور بأن هذه الدراسة لها خطرها لأنها تؤدي إلى كثير من الارتياب والسخط.

قد يكون من اللازم وضع ملحوظة في أسفل هذا الكلام لأولئك الذين يعملون في ميدان العمل الجماعي ويظنون أن مستشار العلاقات الإنسانية هو الحاوي الذي يصنع الأشخاص أو هو الحاكم الذي يفرض قراراته عليهم ، فإن في الحالة التي نستعرضها نقطة هامة ، ففي الاقتراح الخاص بعمل بحث وفي مواقف أخرى ، لم يحصل المؤلف على قرار من المجموعة ، واعتبر رأيه بعيدا كل البعد عن الموضوع ، بل اعتبر غير عملي من ناحية سلامة السير في هذا الموقف الشديد التوتر .

والمشكلة الأساسية كما بدت هنا هي حفز هؤلاء الناس إلى أن يركزوا تفكيرهم وتصرفاتهم على الأهداف التعليمية . و بمعنى آخر كانت المسألة مسألة بناء جماعة بما فيها من ضبط نواحى السلوك المنحرفة . ويبين من محاضر اجتماعاتنا أن ما يزيد على عشرين سؤالا حول الاقتراحات الخاصة بما تعمل تضمنت عناصر متعارضة بدرجة يصعب معها عمل ملخص لها وتبين أن اقتراحنا الخاص بتقسيم الآراء المختلفة إلى ا، ب ، ج ثم اختبارها في جماعات تجريبية اقتراح غير صالح للعمل به إذا كان الأمر يتطلب عضوين آخرين في هيئة التدريس على الأقل وكانت الميزانية

لا تسمح بهذه الإضافة .

٤- ما هو أفضل حل إذن ؟ وكيف نبدأ بإجراء التغيير ؟ تقرر مجابهة المشكلة من أربع زوايا وسار العمل في حل المشكلة سنة تقريبا ، وفي رأينا أنه نجح إلى أبعد مما توقعته الجماعة، ودون دراسة الحالة المعنوية التي اقترحت في البداية، لم يكن هناك قاعدة يمكن على أساسها قياس التغييرات التي تطرأ على الموقف .

(أ) بدأنا مراجعة مواد المنهج - قامت وحدات الدراسة الأولى - كالوحدة الخاصة بتكاليف المواد مثلا بمراجعة ما ترى الإدارة أن يدرسه العاملون في المصنع واستبعدت نصف هذه الوحدات لأنها لا تصلح للتدريس في الوقت الحالي ، وأنشئت وحدات جديدة غيرها . نذكر منها على سبيل التوضيح وحدة العلاقات بين العمال والإدارة وبعد فترة مبدئية سنعود إلى تقويم كل وحدة في ضوء استجابة العاملين لها فإذا رأوا ضرورة إجراء تغييرات أخرى في منهج الدراسة كان قسم العلاقات الصناعية مستعدا لإجرائها.

(ب) بدئ في اتجاه علاجي للمنحرفين عن الجماعة ، واستخدم العلاج الذي يستخدم مع المذنبين من العسكريين في الحرب العالمية الثانية واتخذ هذا العلاج من ناحية شكل السماح بشروط ، إلى جانب المساعدة على إعادة بناء السلوك . مثلا لماذا نضايق الذين يقرأون المجلات الفكاهية والذين ينامون في المحاضرة والساخطين ؟ لماذا لا نسمح لهم في صراحة بأن

يحتلوا ركنا من الفصل. إن ما يفعلونه في هذا الوقت من شأنهم ماداموا لايقلقون العمل الذي يسير في مجراه . إن الهدف هو أن نجعل العمل في الفصل يؤدي إلى معلومات قيمة حيث إن الحديث بين الجماعة بجذب نظر الذين لا يظهرون تعاونا من جانبهم ويجذبهم إلى الجماعة . أما بالنسبة لقسم العلاقات الصناعية فيحق لنا أن نقول إن أعضاءه لم يظنوا أنهم يستطيعون أن يغيروا دورهم العادي الذي يقومون به في المحاضرات إلى دور قائد المناقشة دون أن يجتازوا تدريبا، وعلى هذا فإن أكثر من نصف هيئة التدريس التحقوا مدة فصل دراسي في دراسات بالكلية خاصة بالإرشاد الجماعي .

(ج) تناولت المحاولة الثانية العلاقات بين الإدارة وزعماء النقابة بما فيها الاتفاقية الخاصة بعدم إعطاء درجات . كانت هذه العلاقات تقف ضد أي تغيير. وعندما شعر المؤلف أنه لا يمكن الوقوف على نوع هذه العلاقات بالحدس ولا بالخبرة اقترح مرة أخرى عمل بحث رسمي ، لكنه لم يفلح . وفي أحاديثنا مع زعماء النقابة حول إعطاء درجات نجاح أو رسوب للعمال ارتابوا في أن الإدارة تتآمر عليهم . فلما طلبنا إلى مديري المصنع ضرورة إعطاء هيئة التدريس بقسم العلاقات الصناعية قدرا أكبر من التأييد ، قالوا إن النقابة لن تسمح بهذا . وبعد بحث طويل تعذر الوصول إلى حل لهذه المشكلة.

(د) وضعت خطة لمنهج العلاقات الإنسانية لزعماء العيال ورؤساء الإدارة وشكلت لجنة مشتركة للعمل مع قسم العلاقات الصناعية في هذا

المشروع . وإلى هنا والمناقشة تكاد تنحصر في أنواع الحالات المطلوب دراستها ، ولسنا نعرف ما ينتهي إليه الأمر وإن كان هناك ما يبشر بالأمل.

وعلى الرغم من أن حالة معقدة كهذه تحتاج إلى تحليل يشغل فصلا بأكمله فإنا لانتوى استخدام هذا المكان لهذا الغرض لأنه يستبعد حالات أخرى . فإذا رغب طلبة الفصل التعمق في العلاقات بين المال والإدارة يحسن الاستعانة بأخصائي في علم النفس أو علم الاجتماع أو في شئون العاملين.

نظرية النظام

يقال إن التعليم عملية حفز ذاتى ، فلا يستطيع أحد أن يعلم أحدا غيره ، وكل ما يمكن للمدرس عمله هو تهيئة الجو وفتح مغاليق الأمور والمكافأة على المجهود ، ولكن هذا وحده لا يكفي . ومشكلة النظام تنشأ عند هذه النقطة أي عندما تكون اتجاهات التلميذ وتصرفاته ضد أهداف الفصل . وهنا فقط يستطيع المدرسون التصرف للمحافظة على الأهداف التعليمية و لخلق النظام أو إعادة استتبابه وإعادة الترابط في الفصول .

ونتساءل الآن كيف يمكن المحافظة على النظام ؟

إن نصيحة بأجلى المدرسين والمدرسات الجدد ما تزال قانونا يطبق في الكثير من المدارس اخلق النظام وحافظ على استتبابه .

قد تسأل المعلمة الناشئة و ماذا أفعل إذا كنت قد جربت كل طريقة

أعرفها ومازلت فاشلة؟ ليست هناك قاعدة محددة يمكن استخدامها في كل حالة على حدة ومع ذلك يمكن أن نوصي بشيء واحد هو خلق النظام. أصرف النظر عن كل شي إذا لزم الأمر إلى أن يستتب النظام . أجمل سلطانك يمتد إلى نهايته إذا لم يمكنك أن تفعل شيئا آخر . إن القانون يظاهرك ، والرأي العام الذكي يساندك وإلا فإذا كان القانون بطيئا جامدا وكان الرأي العام غير ذكي فالحق إلى جانبك ما لديك من خبرات تجمعت من الأجيال السابقة من المعلمين .

كان باجلي من رجال التربية الكبار ومن أفضلهم وهو يعبر عن وجهة نظره الخاصة وهي المعاملة الصارمة التي كانت سائدة في عصره. غير أن طرق باجلي قد بطل العمل بها – سواء كان ذلك خيرا أو شرا – من جانب معظم المدرسين تقريبا ولكنها مازالت محل التقديس عند الجمهور بوجه عام. وعلى الرغم من أن هناك بعض التناقض بين تأييد الطريقة ومعارضتها فإن وجهة النظر الخاصة باستخدام الصرامة في المعاملة يحبذها دائما جماعات أهل المدن بالمدارس في المدن الكبيرة إذ أن هذه المدارس تتعرض للنقد على عدم قدرتها على حفظ النظام بين الطلبة المراهقين .

ومن الكتب المشهورة في هذا الموضوع تلك الصورة المثيرة التي رسمتها (جواندن) في كتابها و النكوص عن التعلم، فبعد تخرجها في الجامعة قامت المؤلفة بالتدريس في مدرسة ثانوية في نيويورك مدة أربع سنوات ، وعندما شعرت بيأسها من الحالة وأصبحت على وشك الانهيار تركت التدريس بالمدرسة ، وقصتها شخصية نسجتها من خبراتها اليومية اكتشفت

الأنسة (دن) أن طلبتها ليس لديهم الرغبة في التعلم ، فعندما تسأل طالبا متأخرا عن حصته يجيبها «كنت أحلم بك ولم أشأ أن استيقظ، وعندما كانت تصحح أخطاء النطق كان الطالب يقول "أنا لا يهمني ، أنا أنطق الكلمة هكذا وجميع أصدقائي يضحكون على، كان بكثير من الفصول تلاميذ تبدو عليهم الكآبة والتحدي ، يتثاءبون ويتلكأون ويدقون الأرض بأقدامهم ويطبلون ويخبطون ويتجولون كما يحلو لهم . وبصرف النظر عن العمل القليل الذي كانوا يقومون به كان القانون يفرض على المدرسة استبقاءهم ، قال أحد المالية للمؤلفة و يمكنك أن تطلي إلى أن أخلع .طني ولكنك لا تستطيعين أن تأمريني بذلك . وكانت المدرسة في نظر بعض هؤلاء ، ناديا أو مكانا للاجتماعات ، مكانا للحصول على وجبة غذاء رخيصة الثمن ولمقابلة الأصدقاء ، كان الكثير من المراهقين يخلقون من أنفسهم مشكلة حين "يرون ما صاروا إليه من أهمية"

وتقول المؤلفة «إن الفقر وتفكك الأسرة وعدم اكثراث الآباء هي كلها المسئولة عن الحالة السيئة التي توجد عليها المدارس في المدن الكبيرة ، والمؤلفة مع ذلك ترجع فشل المدرسين إلى تمسكهم بنظريات التربية التي تقول ونحن لا نعلم المادة ، وإنما نعلم الطفل ، "اجعل كل درس له معنى يربطه بنواحي اهتمام الطفل، " فليكن المنهج مرنا لا جامدا" فالحقيقة الهادفة تقاس بمقياس التجربة العملية والنظام بنزوات الطالب والإدارة الجيدة بالبيروقراطية المركزة وهي تقول ، إن الرأي السائد عن الكتب المقررة أنه إذا كان أحدهما صعبا جدا ، فاستعن بكتاب آخر أحدث وأسهل و تكون الحروف فيه أكبر والصور أكثر حتى إني أخشى أن تحل

الصور في المستقبل محل الكلمات . ومن المقرر أن اللغة تتعرض للانحلال بصفة عامة.

إن هذا التقرير كما قلنا إدانة للتعليم الثانوي . فإذا نستخلص منه ؟ هل يعدو أن يكون مجرد شكوى أو تعبير عن الهبوط و الفشل ؟ إننا نميل إلى هذا الرأي وعلى الرغم من أن تلخيص الأدلة على ذلك يقتضينا وقتا طويلا ومع ذلك فإن كتاب (دن) متحامل على المدارس فبينما نحصل منه على بعض المعلومات ، لا يمكن أن يصلح أساسا للحكم على المدارس الكبيرة في المدن بصفة عامة.

ونعود مرة أخرى إلى الكلام عن النظام فنقول إنه مشكلة أساسية في كثير من المدارس دون شك وأن دراسة النظام في أي مدرسة يجب أن تكون أعمق بكثير من الدراسة التي قامت بها الأنسة (دن) . فمن الناحية النظرية تقوم هذه الدراسة على جمع معلومات وحقائق خاصة بالسلوك وربطها بالأهداف والطرق التربوية الملحوظة ، ثم ربط الاثنين بالجو العام للمبيت والبيئة . وعلى الباحث أن ينقب في ثقافة المراهق وفي التغييرات التي تطرأ عليها نتيجة للاتجاهات الاجتماعية والتربوية في المجتمع ، والباحث فوق كل شيء بحاجة إلى أن يرى المدرسة مهنة للطفولة وبعبارة أخرى عليه أن يحاول أن يسبر غور الصغار في أثناء مرورهم بالتجربة المدرسية وأن يتبين كيف يتصورونها وكيف ينفعلون بها و كيف يتصرفون تجاهها. غير أن هذا النوع من البحث لم يجر حتى الآن فيما نعلم.

ماذا يمكن ذكره غير ذلك عن النظام ؟ ليس عندنا الكثير إذ أننا في طريقنا إلى ختام هذا الفصل على أن تتناول النظام من الناحية النظرية في الفصل الثالث عشر ويمكن قراءته بعد الانتهاء من هذا العمل.

وفي تعليقنا باختصار على النظام ، يجب أن يفرق بين تعليم الأطفال و بين القيام بدور الشرطى في المحافظة على النظام في الفصل . إذ لا يصح أن يقف أي مدرس مكتوف اليدين وهو يرى طفلا يصيبه أذى أو يرى جدران المدرسة أو أثاثها يشوه أو يرى أي سلوك مشاغب – مالم يكن المدرس عاجزا عن وقف هذا السلوك . إن هذا إجراء شرطي في المحافظة على النظام . ومن الواجب على معظم المدرسين أن يمارسوا هذا الإجراء أحيانا.

ثانيا– أن مبدأ الحزم مع اللين أقوى في إحداث تغييرات في الأشخاص أكثر مما يحدثه الحزم وحده أو اللين وحده فعلى المدرس أن يكون حازما في موقف الحزم وأن يتمسك بأن يتم العمل إذا كان الطلبة يميلون إلى التواكل . وعليه أن يكون هينا لينا أمينا شديد الإدراك لكل ذلك وهو يعمل كل يوم على أن يفوز باحترام الصغار له . أما عن الرقة في المعاملة فإن العمل يستحق الثناء إذا جاد إنجازه والعمل الذي يتجاوز حدود الواجب عمل يستحق التمجيد. إن المدرس إنسان وهو يكشف عن إنسانيته بين الحين والحين و لكنه شاب دائما فهو لا يثور في وجه تلاميذه مثلا عند عجزه عن تحقيق النظام بل يعمل على فهم تلاميذه ومساعدتهم على السلوك كأعضاء في الجماعة وعلى تحقيق توجيه ذواتهم .

وثالثا – تعتمد فاعلية المدرس كرائد عمل على ما كونه في نفسه من أساس متين من العلاقات الإنسانية فهو مالم يكن قد أقام هذا الأساس وجد صعوبة كبيرة في كبح جماح غضبه إذا اضطر أن يغضب . وما ذكرناه الآن ينطق على الأفراد العاديين الذين نقابلهم كلى يوم ، أي التلاميذ الذين يكونون جماعة بها الطيب و بها الخبيث . أما شواذ التلاميذ المضطربين عاطفيا فيجب أن يلقوا عناية خاصة و معاملة عادلة لهم ولزملائهم متى كانوا يستحقونها.

مشكلات ومشروعات

١. هل هناك متخصصون في رياض الأطفال في فصلك ؟ إن كان هناك متخصصون فنحن نقترح مناقشة تدور حول حالة الأطفال الصغار أوادع أخصائيا في رياض الأطفال ووجه إليه ما تشاء من تساؤل حول هذا الموضوع .

٢. كيف كان من الممكن معالجة مسألة الأمن في حالة الورشة ؟ إذا كنت قد مررت تجربة من هذا النوع فاذكرها واذكر ماذا تعلمت منها ؟

٣. هل تريد جماعتك أن تقوم برحلة ؟ من المشروعات الطيبة إذا سمحت به ظروف مدرستك القيام بزيارة مصنع أو مؤسسة كبيرة و لنتحدث مع رئيس شئون العاملين عن العلاقات الإنسانية في هذا المصنع كوحدة اجتماعية .

٤. ما هي نظريتك الخاصة بالنسبة للنظام في المدرسة ؟ أعد بحثا يحال على لجنة من الطلبة العمل على تصنيف آراء الطلبة ورفع تقرير عن مختلف الآراء للفصل .

٥. يمكن تمضية وقت طيب بالفصل بتكوين فريقين من الطلبة كل فريق من طالبين ويقوم الفريقان باستعراض كتابين مختارين على أن يرأس الاجتماع طالب آخر من طلبة الفصل.

الفصل السادس

تعليم الأطفال ذوي الفروق الفردية

قالت الطفلة «هل يجب أن أذهب إلى المدرسة؟، قلت ونعم . فلا شك أنك لا تحبين أن تشي جاهلة. أليس كذلك؟، فأجابت الطفلة ولا يهمني ذلك. انظري . ألا ترين أني كسيحة ولا أستطيع المشي؟ لقد قالت لي ذلك أمي ..

(من كلام طفلة صغيرة في مسح استقصائى)

إن قولنا إنه لا يوجد شخصان متماثلان ، أي أن كل شخص يختلف عن الآخر هو قول مسلم به . والفروق غالبا من الكبر بحيث إنها تساعد فردا أو تعوقه لأنها تعمل في كلا الاتجاهين. وفي كلتا الحالتين يكون الانحراف الملحوظ عن معيار معين لمشكلات عنيفة في العلاقات الإنسانية وفي الدراسة المدرسية ، و لقد أدت هذه الحقيقة إلى إيجاد ميدان مهني هو ميدان التربية الخاصة التي تتميز في أساسها بالاهتمام الموجه للفرد الشاذ، وأكبر ما نشده في هذا الميدان من المدرسين والمدرسات هو تصميم على مساعدة أولئك المعوقين حتى يحيوا حياة طيبة مع زملائهم وذلك بإرشادهم إلى معيشة أسعد وأكثر فاعلية .

ولسنا أخصائيين في هذا الميدان .كما لا يحتاج الفرد لأن يكون أخصائيا حتى يعمل في ميدان مشكلات العلاقات الإنسانية . وما على العاملين في المدارس سوى أن يبحثوا أولا عن المنحرفين وأن يعملوا على فهمم تم على تعليمهم المفاهيم السليمة و للذات ، إلى جانب المهارات الجماعية ومهارات المشاركة مع الجماعة، و ثمة شيء هو تعريف الأشخاص العاديين بهؤلاء المعوقين وبحقيقة أن المشاعر نحو المنحرفين تسبب مشكلات ما كان يجب أن توجد . وهذا التعليم يصعب تشربه وإن كان قد تحقق فيه تقدم . وسنتناول الموضوع بشيء من الإسهاب في هذا الفصل لأهميته .

الفروق الفردية

التعليم الحديت الحياة الحديثة، كلاهما يتكيف بالمجتمع ويوجهه المجتمع. وأول دلائل الحكمة عند الكثير من المدرسين والمدرسات حساسيتهم للفروق الفردية، ونشوء وضع عقلي عندهم يمين الأفراد عن الجماعات وفيما يلي بعض ما جاء بتقرير معلمة بالصف الثالث الابتدائي.

أفراد كثيرون

(إنني أفكر أولا في بمجموعنا – لأن الفصل أصبح جماعة – ثم أفكر في الفروق فيما بيننا . هناك (شارلز) مثلا الذي أصيب بشلل الأطفال ويلبس مشدا ثقيلا في ساقه يصل إلى أعلى الفخذ،... وهو يتلقى الكرة عندما يلعب الأولاد بالكرة الخفيفة ويضربها بالمضرب ولكنه لا يجرى ..

وعند اختيار الفريقين للعب يرد اسمه ضمن اللاعبين القلائل الذين تذكر أسماؤهم لأنه يتقن عمل كل شيء يقوم به . وفي الدرس يتفوق على كل شخص آخر في كل مادة . وهو يقرأ كتبا أكثر من زملائه جميعا . ولقد سألني عن نوع العمل الذي لا يعوقه عيبه عن أدائه والقيام به . وكان هذا سؤالا خارقا بالنسبة لولد في هذه السن.

وجاك طفل جميل المحيا وهو رائد في جميع نواحي نشاط الجماعة وهو من أسرة فوق المتوسط أسرة كبيرة مطمئنة متماسكة . وجاك يختلف اختلافا تاما عن "توني" إن توفي ولد خشن وعنيف من تلاميذ الصف الثالث. وبالأمس كان توني يغيظ هيوتا وهي طفلة صغيرة سريعة الخوف فنهره جاك بأن يكف عن ذلك . ويمكنني أن أضيف هنا أن من الصعب التحدث إلى هيرنا أو فهمها غير أنه حدث من أيام قلائل أنها أخبرتني عن قطتها الصغير قائلة " إني آخذ قطتي معي إلى الفراش فأحتضنها وأقبلها . إن قطتي تحبني "

ثم هناك " تشارون " طفلتنا الجميلة المدللة بشعرها المقصوص وأظافر يديها الوردية اللون وأثوابها ذات الطراز الجميل التي تثير حسد زميلاتها . وهي تأخذ درسا خارج المدرسة في الموسيقى والرقص والتمثيل – إنها تلك الفتاة التي تحسن الأداء بصورة تجعلني أدهش ما إذا كانت طفلة حقا . وكانت أمها قاسية وقد طلبت إليها في منتصف الفصل الدراسي ان تساعد شارون في الحساب . لكن الأم كانت تطلب الكثير من الطفلة وكانت شديدة التوتر حتى أن الطفلة أظهرت تأخرا كبيرا – أنها لا تتعلم

بسهولة ولكنها تحرص على العمل الذي تكلف بالقيام به.

وكان جورجى طفلا يعاني من اضطراب في الغدد و استعداد واضح للسمنة حتى أطلق عليه الأولاد كلمة و سمين ، وذا الأعين الأربع لأنه قصير النظر ويلبس نظارات . وهم ينقدونه ويجعلونه هدفا لسخريتهم . وإذا دفع إلى لعبة خشنة تؤدي إلى كثرة الوقوع فإنه يميل إلى الخدش. والعض كما تفعل البنات ، وكان يحب أن يقول الغازا من النوع الذي ينتهى بقافية ، والقافية من الأشياء المحببة عند الأطفال . ومن ثم كان جورج يحاول أن يكسب لنفسه مركزا اجتماعيا بها عند زملائه .

وهناك مايك . طفل جديد في الفصل ، وهو زنجى جاد و التلميذ الملون الوحيد في الفصل ويميل معظم الأولاد إلى الابتعاد عنه . أما صديقه الحميم فهو كيرتس الذي يسكن في نفس الشارع ولقد رأيت كيرتس يقف إلى جانب مايك ضد الأولاد الآخرين كما أعرف أن مايك يساعد كيرتس في دروسه .

وهكذا يسير هذا التقرير متضمنا صفحتين أو أكثر عن الاثنين والأربعين تلميذا . وفي رأينا أن في هذا التقرير صورا من الفروق العادية يمكن أن توجد في عدد كبير من المدارس العامة والتي لا يمكن الاستعاضة ملاحظات المدرس في دراسة أعمق ، وإن تكن خطوة سليمة نحو التلاؤم بين الفصل والمدرس ، وأساسا لجعل التعليم أكثر عناية بالأفراد. على أنه كلما كبر الفصل أصبح هذا الأمر أكثر صعوبة كما يقول المدرسون في

تقاريرهم عن خبراتهم الفاشلة .

الموهوبون

إن طبيعة التعليم العام للجمهور تجعل المدرسين يميلون إلى أن يقضوا وقتا أطول في تعليم الأطفال المتفوقين بما في ذلك الأطفال الذين يعتبرون مشكلة ، أطول مما ينفقونه على الأطفال الموهوبين . وهو أسلوب له مزاياه وله عيوبه . والغريب أن القليل من التقارير يتناول الأفراد الموهوبين بينما لا نجد في مجموعة التقارير التي لدينا ما يتعرض للعباقرة . وحالة كهذه تصلح فاتحة طيبة.

والمثال الذي نقدمه الآن مأخوذ من سيرة حياة "نوربرت واينر" الذي كان طفلا معجزة ، وأصبح الآن عالما بارزا في الرياضيات و صاحب نظرية في الآلات الالكترونية والحاسبة منها بصفة خاصة . ففي سن الحادية عشرة التحق نوربرت بالمدرسة الثانوية وفي سن الرابعة عشرة تخرج في الكلية وفي الثامنة عشرة ، بعد أن أمضي دراسته بجوتنجن وكمبردج تسلم شهادة الدكتوراه وأصبح أستاذا بالجامعة ، ولقد قام والده الذي كان يشغل منصب أستاذ اللغات السلافية برعاية الطفل في سنيه الأولى من الناحية التعليمية . ولقد حصلنا على معلومات عن السنوات الماني الأولى في حياة واينر من سنة ١٨٩٤ إلى ١٩٠٢ بقلم صاحبها .

الذكريات الأولى

(كتب واينر يقول " نشأت في بيت علم فقد كان والدي مؤلفا

لكتب كثيرة وأستطيع أن أتذكر منذ صغرى صوت الآلة الكاتبة وكانت رائحة أواني الصمغ مألوفة لدى"

وإن ذكريات المؤلف ترجع إلى الوراء حين كان في الثانية من عمره، فهو يتحدث عن درجات السلم الذي كان يؤدي إلى مسكن العائلة والذي كان يبدو صاعدا إلى السماء ، ويذكر ذهابه مع المربية إلى السوق لشراء بعض الحاجيات ، وكانت هناك مستشفى على ناصية الطريق الذي يوجد فيه منزله . وعلى الرغم من أن الطفل لم تكن لديه فكرة عما يكون هذا البناء إلا أن والنغمة التي كانت أمي تتحدث بها عنه كانت تملؤني بالانقباض ،.

أما في سن الثالثة فكانت الذكريات واضحة وكثيرا ما ترتبط بعيد ميلاد وأصدقاء اللعب والخدم والحي والأم واللعب والكتب والأغاني ، ويتذكر واينر خادمة فرنسية بدأت تعلمه اللغة فيقول : لا أتذكر جوزفين نفسها ولكني أتذكر كتب الأطفال التي كانت تستخدمها بما فيها من أسماء وصور الملعقة والشوكة والسكين و حلقة فوطة المائدة .

وبدأ الطفل القراءة وهو في سن الثالثة فهو يقول "وحتى قبل أن أستطيع القراءة بسهولة كنت معتادا أن أمر بأصبعي على الصور ، وكانت كتبه في غالبها كتبا تقليدية غير مناسبة حتى الطفل ناضج قبل أوانه ، كان أحدها عن التاريخ الطبيعي والآخر رسالة عن الكواكب وكانت مجلة سانت نيقولا وحيا إلى وكانت مصدر الكثير من أحسن قراءاتي في طفولتي ".

ويقول المؤلف إنه سريع الخوف ويذكر اثنين من الممثلين الهزليين في استعراض تمثيلي وقد بدأ كل منهما يصفع الآخر وير فسه فأصابه الذعر لدرجة أن استبعد من المسرح .

وفي سن الرابعة التحق الطفل بإحدى رياض الأطفال وهو يذكر أنه كان يحب الألعاب و النشاط وأنه قابل أول حبيبة له هناك ، طفلة لطيفة وصغيرة وكان صوتها يسحره .

وذكريات واينر الأولى واضحة عن أمه لاعن أبيه ، وهو يقول عن أبيه و لقد كان أبي شخصا صار ما ميالا إلى العزلة فلم أكن أراه إلا عرضا في مكتبه يعمل على مكتب كبير ، وهو ألا يحمل ذكريات خاصة عن قسوة والده أو بروده سوى أن ر النغمة المنخفضة في صوت الرجل كانت كافية في حد ذاتها لإدخال الذعر في نفسي ،، فكان الطفل الصغير الشديد الحساسية يرى في أمه الأب والأم لما كان فيها من وحدة وحنان .

ويذكر واينر دراسته الأولى فيقول « بدأت دراستي بمدرسة تقع في منزل أحمر صغير في الريف ، كان يلتحق بها الأطفال من جميع الأعمار يدرس لهم مدرس واحد، لا يستطيع المؤلف أن يتذكر شيئا ما كان يدرس في المدرسة و سوى أنه كانت هناك بحيرة صغيرة خارج المبنى وكان الأطفال في الشتاء يتزحلقون على جليدها .

إن قدرة الولد العقلية وقراءاته الواسعة جهات و ضعه حسب مرتبته في الفصل أمراً صعبا . جرب وضعه في الصف الثالث ثم قل إلى الرابع

حيث لم يمكنه التمشى مع معلمته ، ومن الأمور العجيبة أن نذكر هنا وقد أصبح بارزا في الرياضيات في مهنته الحالية أن قصوره الأكبر كان في الحساب فسحبه أبوه من المدرسة وبدأ يعلمه تعليما منتظما جعل الولد يشغف بدراسة الجبر الذي أصبح و باعثا كبيرا لخيالي ".

ويعلن السيد واينر من وقت لآخر على سرعة تعلمه فيقول " من المستحيل على الطفل سواء كان معجزة أو لم يكن أن يقارن المراحل الباكرة لنموه العقلي مع مراحل غيره من الأطفال . إن الآباء والأمهات والمدرسين يستطيعون إجراء هذه المقارنة و لكن الطفل نفسه لا يستطيع ذلك . ففي المراحل الباكرة من التعلم يكون الشخص مقياس نفسه ، وإذا اختلط عليه الأمر ، فإن الجواب الوحيد الممكن هو ما قاله الرجل المندي و أنا لم أفقد نفسي وإنما الكوخ هو الذي ضاع"

وعندما بلغ الولد السابعة أو الثامنة كان قد طاف بمكتبة والده الكبيرة فهو يقول ، كنت قارئا نهما وفي هذا الوقت كنت قد أجهدت عيني رغم ضعفهما ، ولقد ملك عليه نفسه كتاب عن الضوء والكهرباء ، فيقول لقد اتبعته بقراءة أوسع في علم الطبيعة و علم الكيمياء . و هذه مجالات كان عليه أن يتبعها بعد ذلك في شبابه . ولما لم يستطع مواصلة القراءة بسبب إصابته بقصر النظر أحضر والده أحد طلبة المعلمين متخصصا في علم الكيمياء ليعد له معملا في البيت ويعلم الطفل التجارب البسيطة . وكان الصبي حينئذ في سن الثامنة .

ويكتب واينر صفحات كثيرة عن طريقة والده في التدريس فيقول "كان يبدأ المناقشة بنغم هادى ، حتى إذا أخطأت استحال هذا الوالد اللطيف الحبيب إلى دور المنتقم ، ويوجه أول إنذار إلى واينر الصغير متسائلا . ماذا ؟ ينطقها بصوت أجش وجاد فإذا لم يصحح الصبي خطأه في الحال طلب منه إعادة العمل المرة تلو الأخرى . وإذا وقع في خطأ آخر ثار الأب وأخذه يتحدث في كلمات يصفها الطفل بأنها وعنيفة إلى أقصى حد".

ويعلق المؤلف " إن ناظر المدرسة يستطيع أن يغفر لتلميذه بعض سخافاته " أما أبوه فقد كان تهكمه عليه واستهزاؤه به وإصراره على الكمال سوطا مسلطا فوقه ، ويقول واينر دكانت دروسي غالبا ما تنتهي بمأساة عائلية".

كان الأب ثور ، وكنت أبكي وكانت أمي تبذل جهدها لتدافع عني . وزاد خوف الطفل من ألا تستطيع العائلة الصمود أمام هذا التوتر وهو يعبر عن ذلك بقوله "إن في هذا الترابط بين أفراد العائلة يكمن شعور الطفل بالأمن"

ويعتقد واينر أنه لم يكن بد من أن يقرأ في طفولته الأولى قصة جون ستيوارت مل وعن أيه وعلاقته به و هي علاقة تشبه العلاقة بين واينر وأبيه فيقول : إني لا أنكر أن في مشاعري نحو والدي كانت هناك عناصر عداء ، ويسهب المؤلف في هذا لكنه في النهاية يرفض تفسير فرويد للصراع بين

الأب وابنه .

وفي هذه السن أو حتى قبل ذلك بين الطفل ثقل حركاته بالنسبة لزملائه في اللعب فهو يقول كنت أظن أني لا أستطيع أن أمسك بالكرة ، بينما كانت الحقيقة هي أني لم أكن أستطيع أن أراها .

وهكذا تولد في نفسه بسبب هذا القصور ، كره لمعظم الألعاب التي تتطلب الخشونة والعنف وخصوصا رياضة السباق. كان عند الطفل ذخيرة من الكلمات التي حصلها من الكتب وكانت تبدو للأولاد الآخرين الذين من سنة أنها غريبة ، كما كان عنده ميل الطالب الذي يطوى نفسه في عالم الأفكار ، ويقول المؤلف عن فكرة الطفل المعجزة . إنها ليست نعمة ولا نقمة وإنما هي حقيقة من حقائق الطبيعة ، حقيقة واقعة يجب مجابهتها فهي قد تؤدي إلى أحد الاتجاهين إلى نجاح فذ أو إلى فشل ذريع. لقد تعلمت أن طلب العلم واجب يتطلب التركيز ، واكتسبت كرها شديدا للخداع والتظاهر العقلي وتعلمت الفخر بألا اضطرب إذا قابلتني مشكلة لا يمكنني حلها بسهولة . إن هذا كله ثمنه من العناء . إني لا أطلب هذا الثمن من رجل ليست عنده القوة الصمود أمام المشكلة ، فالثمن لا يدفعه الضعيف لأنه ثمن قاتل "].

ولقد قيل إن الطفل المعجزة لا يمكن الإيمان به . وأنه لم يحدث أبدا أن وجد مثل هذا الطفل المعجزة . ويميل الطلبة إلى تصديق هذا الرأي إذا لم يكن قد مر بحياتهم مثل منه . إذ كيف سكن الطفل في الحادية عشرة أن

يلتحق بالجامعة ؟ وأي نوع من البشر هو ؟ وكيف تكون نظرة زملائه إليه ؟ واضح أن في ذلك مشكلات عويصة في العلاقات الإنسانية ، و لقد وضحت هذه الحقيقة في سني وابر الباكرة . ونكرر قولنا بأنه قد آن الأوان لتشكيل لجنة من الفصل الدراسة الموهوبين ، ومراجعة كل ما كتب في هذا الشأن.

الأطفال المعوقون

تتضمن حالات المدرسين عن الأطفال المعوقين، ضعاف الجسم منهم والمتأخرين عقليا والمضطربين عاطفيا والمغبونين اجتماعيا . وصاحب الحالة الأولى معلم بالصف الثالث ،

جيري يحصل على يد صناعية

في أحد أيام شهر ابريل تحدثت والدة جيرى روزنتال بالمسرة لتقول إن حادث سيارة وقع وإن ابنها أرسل إلى المستشفى – فلقد صدم الطفل وهو في طريقه إلى المدرسة – صدمه السائق وجرى وقطعت يده اليمني حتى الرسغ . فواسيتها وأن الخبر صدمة لها وعبرت لها عن أسفنا جميعا لما حدث . ثم سألتها عن حال جيرى ، وإذا كان من الممكن أن نقوم إزاءه بشيء فقالت أمه إنه بخير ولو أنه مازال يشعر ببعض الألم . وأضافت أنه لن يستطيع أن يعود إلى المدرسة قبل شهر إذا سار كل شيء على ما يرام.

وزرت جيرى بعد أسبوع بمنزله ، لكنه لم يظهر اشتياقا لسماع أخبار المدرسة وقالت والدته إنه كان يرقد ووجهه إلى الحائط معظم الوقت ، إذ

كان يحملق في سقف الحجرة . فتركت له القصص التي كنت قد أخذتها معي وعرضت عليه أن أحضر إليه أي كتاب يريده ، لكنه لم يطلب شيئا .

ولمعرفتي أن فقد اليد أمر ثقيل جدا على الصبي – شعرت أن تلاميذ الفصل يجب أن تهيأ أذهانهم لاستقباله عندما يعود وكنت قد أعددت موضوعا عن أسبوع العصا البيضاء ولم أكن قد استخدمت هذه المادة بعد . ولذلك فقد عزمت على أن تؤدي هذه المواد إلى الغرض كوسيلة لتقديم مادة عن الأطفال المعوقين . .

وضعنا قائمة بالأطفال المعوقين جسمانيا وخصوصا ذوى الأجزاء الجسمية المعطلة ثم در سنا طبيعة معجزهم وما يمكن عمله إزاء هذا واستطعنا أن نعد بيانا بوسائل الإيضاح وظنت أن فيها جمعناه الكفاية .

إن مدرستنا تقع في المدينة ، وأطفالها يقيمون في كل أحيائها ، وقد أخبرت الفصل بأن جيري كان في المستشفي وأنه قد صدمته عربة لكني لم أزد على ذلك شيئا . فلما اقترب موعد عودته إلى المدرسة قمت بزيارته مرة أخرى. لقد زود بيد صناعية ، إلا أنه كان يجد استخدامها صعبا عليه . وعندما ذهبت إليه مرة أخرى بعد بضعة أيام كانت حالة جيري أسعد كثيرا فقد قام بعدد من التمرينات التدريب على استخدام يده، وكان فورا جدا بمهارته المتزايدة . كان هذا يوم السبت وتحدثت معه في عودته إلى المدرسة يوم الاثنين التالي ، ووافقت أمه على ذلك وبهذا تحدد الموعد ، و لقد ارتكبت هذا خطأ مؤسفا لأني لم أطلب إلى أمه أن تحضره مباشرة إلى

حجرتي .

وفي يوم الاثنين حضر جيري إلى الفصل وكان يخفي يده الصناعية داخل معطفه بعيدا عن الأعين ، لقد مر بتجربة لا أعرفها فكان يبكي وسألني إن كان عليه أن يلبس يده فأجبته في إشفاق مزق قلبي بأن ذلك من مصلحته .

وفي هذا الوقت كان الأطفال يعبرون عن ترحيم هم له بكلمات مختلفة وهم يشدون أنفسهم لرؤيته ، فأجلست جيري فوق منضدتي بينما عملت على إسكاتهم ، وبعد أن همست إليه بكل تشجيع أخبرته بأني أعتمد عليه كثيرا وشرحت للفصل أن جيري له يد جديدة وأنه سيرينا كيف يضعها إلى ذراعه .

ومن واجبي أن أقول إن الصبي كان شجاعا ، فقد ثبت اليد في مكانها بقليل من المساعدة من جانبي ، وعندما التقط كتابا من فوق القمطر هلل الأطفال وصفقوا فرحين ثم التقط جيرى كتابا آخر ثم قلما ثم محبرة . كان التقاط القلم صعبا عليه وقد دعوت الله له وهو يحاول أن يمسك به ، ولا أكون مغالية ! إذا قلت إن الأطفال بالفصل قد تأثروا جدا و أخذ بعضهم يناول قلمه للصبي طالبا منه أن يلتقطه ، ورغب كل واحد أن يلتقط جيري شيئا له كمجرد رمز يقدمه لهذا الصغير الشجاع.

وسأل أحد التلاميذ : كيف تعمل اليد وما الذي يجعل اليد تفعل ما يريد ؟ وعمل جبرى على أن يرى الفصل . ومرة أخرى قمت بمساعده ته

ولم يستطع التلاميذ أن يصدقوا أن تشغيل بعض عضلات الذراع والكتف يجعل اليد. تفعل ما يريد صاحبها . وبدأ بعض الأولاد يثنون عضلاتهم العليا ليروا إذا كانت يده اليمنى تستطيع أن تلتقط قلما ، وضحك جيري على فشلهم في هذا].

إن هذه الحالة يمكن أن تؤدي إلى مناقشة طبية عن المعوقين تتضمن استعراضنا لما كتب عن هذا الموضوع من الناحية الفنية . ونحن غال! ما نستخدم هذه المادة إلى جانب الحالة التالية التعليم معنى تربية العلاقات الإنسانية . إن دور العلاقات الإنسانية في حالة وجيري يحصل على يد هو كيف نعيد الطفل إلى الفصل وكيف نبني في تلاميذ الفصل فهما وفي الطفل نفسه روح الثقة بالنفس . وفيما يلى نفس موضوع المشكلة بصورة أخرى .

بوبي لا يقرأ:

بوبي طفل في السابعة ولم يكن يستطيع القراءة ، لم يكن يستطيع أن يتعلم القراءة وعندما طلبت إليه القراءة في الفصل برقت عيناه وارتجفت يده وهو يقلب صفيحة في الكتاب ، و نظر بسرعة إلى الصور ليرى إذا كان ممكنا أن يعبر عما تدور القصة حوله. و لقد كانت ظنونه تصدق أحيانا بالنسبة لنوايا المؤلف لكنها كانت تظهر الكثير من مشكلات الصبي . وفي أحد الأيام عبر عن صورة لولد صغير يبكي بأن تظاهر بأنه يقرأ " بيلي يبكي لأنه ضل طريقه ، فهو لا يستطيع أن يجد أمه ولا أباه ، أما الحقيقة فهي أن القصة تقول إن بيلي كان يبكي لأنه جرح ركبته.

بدأت أعلم بوبى ساعتين يوميا مستخدمة طريقة الحركة الحسية في القراءة ، وهذا معناه أنه يتبع بأصابعه الكليات التي كانت مكتوبة بحروف كبيرة على ورق مقوى كبير . والفكرة هنا هي أنه عندما يضطر الطفل إلى تحسس الحروف فإنه يصبح معتادا عليها فيستطيع أن يرى الكلمات بعينيه . الأمر الذي لا يستطيع عمله وهو تحت ضغط الخوف .

وعندما بدأ بوبي يتحسن في القراءة واجهتني مشكلة أخرى وهي طريقة معاملة الصبي في الفصل : إن عدم مطالبته بالقراءة لا يفيده وفي هذا التميز في المعاملة ما يبعث فيه القلق غير أني لم أكن أستطيع أن أعطى فرصة لتسميع مليء بالأخطاء وشعرت أنه لزاما على أن أنقذه وأنقذ نفسي وأنقذ الفصل من تسرب انفعال الألم لأننا كنا نشعر بالألم لفشله في دراسته كما كان هو يشعر به .

وفكرت في طريقة بسيطة أؤكد بها لبوبي نجاحه فبدأت أطلب إلى التلاميذ حسب نظام جلوسهم أن يقرأ كل منهم سؤالا ثم يجيب عنه . إن المعلية الساذجة وحدها هي التي ترتكب هذا الخطأ التربوي إذ كان كل طفل يحسب عدد الجمل ليجد الجملة التي سوف يقرأها ثم بعدها جيدا للقراءة وكان الأولاد في هذا الفصل دائما يتبادلون النظرات بطريقة خبيثة كل مرة كنت أعلن عن هذه الطريقة في دروس المطالعة.

وكان بوبى كغيره يحسب الجمل إلى أن يصل إلى السؤال بكل جد ، وكنت أراه يحرك شفتيه حينما كان يجاهد في نطق الكلمات المرة تلو

الأخرى في صوت منخفض . وعندما كنت أنادي اسمه كان يقرأ تعيينه وهو شاعر بعض الفخر . وكانت هذه أول مرة يفعل فيها هذا .

ولم يمض وقت طويل حتى كان الأولاد قد كفوا عن الشعور بالشفقة على بوبي . وكان بوبي قد توقف عن الشعور بآلام المعدة أو غيرها من الآلام هنا و هناك ، ولم يلحظ أحد أنه لم يكن يقرأ عندما كانت المحفوظات تسمع بطريقة لا تتبع نظام الجلوس. و حوالي نهاية الفصل الدراسي كان بوبي يقرأ فعلا ، كان أسوأ قارئ في الفصل ومع ذلك فإن انتصاره كان في ذلك . إذ أنه على الرغم من أنه كان أسوأ قارئ ، كان عليه أن يقرأ وكان هذا عملا لم يقم به من قبل قط].

إن هذا المثال يعبر عن نقطة هامة وهي أن المشكلات الدراسية غالبا ما تنشأ عن مشكلات

في العلاقات الإنسانية ، ولقد شعرنا منذ وقت طويل بأن الأخصائيين في بعض ميادين هذا الموضوع كالقراءة وكذلك علماء نفس الطفل في عياداتهم النفسية يميلون إلى إغفال هذه الحقيقة و إلى الاستهانة بالجانب الاجتماعي من التعلم، وتورد (لويز بيكر) أمثلة لحالات كثيرة من خبرتها في التدريس يبدو فيها أثر العوامل الخاصة بالعلاقات الإنسانية بشكل واضح. ويظهر أثر هذه العوامل أيضا في الحالة الآتية ، وهي حالة يبدو فيها الاضطراب الوجداني وما يتبعه من الغين الاجتماعي .

لعبة الوجوه الجامدة .

عندما انتقل تنكي من الصف الثاني إلى الصف الثالث أرسلت معه بطاقة تسجيل أعماله ، وكانت الآنسة رايلى قد كتبت هذه الملاحظة في البطاقة ، حاولي أن تعرفي ما يمكنك عمله أزاء كذب تنكى . لقد عملت ما وسعني لعلاجه ولكن لم ينفع معه علاج . أتمنى لك حظا سعيدا معه يا آنسة فان .

وفي الأيام القليلة الأولى بالصف الجديد كان تتكي في حالة طيبة . كان طفلا صغيرا مرتبا عتلها بالحيوية . كان مصرفيا ومتعاونا لكنه كان يبدو مكتئبا أحيانا ، كما لو كان معرضا لنوع من التوتر، مما يدل عادة على ظروف منزلية سيئة .

وفي أحد الأيام بعد عودته من دورة المياه ، ترك تنكى باب الفصل مفتوحا فقلت له ، لقد نسيت أن تفعل شيئا يا تتكي ، اذهب واقفل الباب ، فرد قائلا : يجب أن نتركه مفتوحا يا آنسة فان ، قلت ،لماذا يا تنكي ؟ ، فقال ، النار – إن البناء يحترق ، فصرخت طفلة صغيرة حريق ! حريق ! ، وصرخ تلاميذ آخرون (حريق ! حريق ! ، وجفل تلاميذ الفصل نحو الباب . وقبل أن أتمكن من إيقاف هذا الاندفاع كان الأطفال قد قذفوا بأنفسهم في البهو ، فتبعتهم ونظرت إلى أعلا وإلى أسفل ، أتشمم رائحة الدخان ، ثم رددتهم ثانية إلى الفصل وأمرتهم بأن يعود كل واحد إلى مكانه وأن يستمر في عمله .

ثم قلت "تنكي . تعال هنا ، فتقدم إلى منضدتى و هو مضطرب و منتبه ودار بيننا الحديث التالي "أين النار ؟" قال إنه لم يرها وأنما شمها "أين" وهناك عند البهو ، في مكان ما ".

"ماذا كانت رائحتها؟" إنه لم يشمها بالفعل ولكنه ظن أنه ربما كان قد شمها . إن الحريق الكبير قد يحرقنا جميعا . أليس كذلك يا آنسة فان ؟ حقا يا تنكي ، مالم تذهب بعيدا عنه ، إن الحريق الكبير يبدأ عندما يقرض فأر بأسنانه هكذا د كيف يا تتكي ؟، كما تقول جدتي عندما يقرض عود ثقاب رهل لك أن تفسر لي يا تنكي ؟ ، و إن منزل السيدة جيرج قد احترق كله عندما أكل فأر بعض أعواد الثقاب في المطبخ ، هكذا تقول جدتي ، و هل رأيت فأرا هنا بالمدرسة يا تنكى ؟ نعم يا آنسة فان – رأيت فارين في دورة المياه يقرضان أشياء .

وفي اليوم التالي أعطيت درسا عن قول الحق . فسألت من رأى فأرا يقرض أعواد ثقاب مما أدى إلى حريق منزل ؟ وبدأ تنسكي يتكلم ثم توقف . فقلت والآن لنأخذ ميكي وميني ، وهما فاران من الحيوانات المستأنسة بالحجرة ، ثم وضعتهما على منضدتي وأعطيتهما بعض أعواد الثقاب. وبعد أن شما الثقاب مرة أو مرتين أغفلاه ، فقلت : انظروا ، إنهما لا يحبان الثقاب ،.

ثم استطردت في الحديث أقول ، والآن هل لكم أن تعوا ما سأقول ؟ فلنفرض أني قلت إن المدرسة تحترق بينها المدرسة لا تحترق . هل يسمى

هذا كذب ؟ هل يؤذى هذا الناس ؟ وأثناء كل هذا كان أمر تنكي واضحا تماما . فقلت "لا يصح لأحد أن يكذب ، حتى ولا كذبة صغيرة . إن الكذبة يمكن أن تقتل الناس تماما الجاموس الكبير ".

وكان في ذلك إشارة إلى قصة كنا قد قرأناها عن فرار قطيع من الجاموس .

وفي نفس هذا اليوم أرسلت « تنك» و « تف» في مهمة لى وهي أن يحملا رسالة إلى البواب ولم يكن قد مضى وقت منذ غادر الصبيان الحجرة ، حتى اندفع تنكي في الحجرة وهو أحمر الوجه يلهث من الجري إلى الطابق الأعلى في أغلب ظني وقال «هناك مشاجرة . مشاجرة . هناك في البهو" لقد ظللنا فترة في ذهول واستمر تنكي يقول ، مشاجرة . هناك ولدان كبيران ، والدم في كل مكان . دم ! دم ! دم ! ".

فقلت "انتظروا يا أطفال ، انتظروا" هذه المرة لم أسمح لأي طفل بالفرار ."تعال إلى يا ولدي " :

وبينما كنت أتكلم فتح تف الباب ، وكان يبدو متهما من أثر تسلقه درجات السلم . تقدم نحوى ونظر إلى ثم إلى تنك وجلس دون أن ينبس ببنت شفة فقلت وهل هناك مشاجرة ياتف؟ "لا يا آنسة فان " ثم هز كتفيه وقال إنه هذا الولد الأحمق تنك ".

إن هذين الحادثين يعطيانك فكرة عن تنك، فمن الواضح أن قوة

خياله كانت تعمل طول الوقت لكي ترضى حاجة في نفسه ، قد تكون الحاجة إلى اعتراف الفصل بيه ، وإلى أن أتمكن من زيارته في منزله ، ومعرفة كل ما يحيط به ، كان على أن أوقف محاولته إثارة الفزع عند زملائه من الأطفال .

وعندما طلب الولد في المرة التالية أن يترك الحجرة، سمحت له أن يذهب ثم قلت الأطفال "ماذا لو لعبتم لعبة على تك ؟" ووافق الجميع في صوت واحد صاخب فقات حسنا " إنها لعبة الوجوه. الجامدة وهي هكذا" ومن فورى رسمت الحيلة :

واستطردت قائمة و هل حاولتم مطلقا أن تجعلوا وجهكم يشبه الوجه الصامت ؟ تفعلون هكذا وأوضحت لهم كيف تبدو وجوههم عابسة و كيف ينظرون إلى القمطر أو إلى الأرض وألا يبتسموا ولا يرفعوا أعينهم ولا تفهموا شيئا كأنكم وجوه جامدة . لا تهتموا بما يقوله أحد، ولا ترفعوا أعينكم إليه ولا تحلوا به ولا تظهروا له ما تحسون نحوه و إذا شعرتم أن هناك شيئا مضحكا فلا تضحكوا . وإذا دخل تلك الفصل الآن فلتتظاهروا بأنكم لم تروه . أنسكم وجوه جامدة والآن استعدوا لأن تتك قادم إلى الفصل . سأستقبله على الباب وأقول لكم الوجوه الجامدة ، الوجوه الجامدة و تفعلون ما أمرتكم به .

وعندما سمعت تنك بالباب ، أعطيت الإشارة بتنفيذ الأمر ، دلف تنك إلى الفصل منفعلا متضايقا كالعادة وصاح رأوه يا آنسة فان . إن

بعض الأولاد يكسرون النوافذ، يحطمونها تحطاء. كان الأطفال جامدين صامتين يحملون في الأرض ، لا ينظر أحدهم إلى فوق .

ولمح تنك ذلك لأول وهلة ، ولم أر في حياتي شخصا دون حراك هكذا ، وسألته ما الخبر ولكنه نسي كل ما كان يقول . ثم مشى إلى مقعده مقطب الوجه و من هم أعلنت أن اللعبة انتهت وهلل الأطفال وضحكوا وكان تنك يتميز بقدرته على التكيف فاشترك معهم إلى أن علم سبب الضحك .

وأصبح كلما بدأ تنك رواية جديدة من رواياته صرخ أحد الأطفال قائلا والوجه الجامد) و من ثم تجمد المجموعة في مكانها وهكذا أخذ خيال الطفل في الضعف و ثبت أن لهذا العلاج أثرا طيبا وإن كنت أعتقد أنه لابد من إجراء آخر يتضمن وسائل إيجابية يمكن بها كسب ثناء الفصل وتقديره ، وأكرر هنا أن هذه اللعبة كانت أول خطوة في خطة رسمتها لذلك .

ولعل من الإنصاف الآنسة (فان) أن نقول إنها قامت فعلا بوضع خطة دراسة وتنفيذها وهي خطة تعادل إلى حد ما الخطة التي وضعتها و نفذتها (روشنى) في دراسة الحالة وإن كانت ذات محتوى اجتماعي أكبر. و تعليقنا الرئيسي هو أن المدرسين الذين يستخدمون الفصل لتحريك دوافع الفرد أو إرشاده أو ضبط سلوكه يجب أن يتذكروا أن من الأسهل استخدام ضغط الفصل استخداما إيجابيا لاسلبيا ، إذ أن ضغط الفصل يمكن أن

يكون قوة موحشة عنيفة أثقل بكثير ما يستطيع الأطفال تحملها .

ويجب أن يقترن اختيار من يعملون بالمدارس في ميدان العلاقات الإنسانية بإجراء دراسة دقيقة لروح الفكاهة عند الأطفال ، ولقد كان هذا من العوامل الهامة في حالة الوجه الجامد حيث أجرت ولفشتين اختبارا شخصيا لتسعين طفلا من مدينة نيويورك تتراوح أعمارهم بين الرابعة والثامنة عشرة . وطلبت منهم أن يقصوا عليها قصصا مضحكة وفكاهات وألغازا وأوزانا شعرية الخ. ويمكن مراجعة هذا البحث وإعطاء تفسير له يختلف عن نظرية فرويد وتفسيرها لهذه الحقائق فإن الدراسة الميدانية لروح الفكاهة تفيد كثيرا في تعريف الطلبة بطبيعة المرح وأهميته في حياة الأطفال.

الطفل المشوه الوجه

الوجه المشوه عائق من العوائق الجسمانية التي لم يكن لها نصيب وذكر من الاهتمام في إعداد المدرسين مع أن الشخص الذي يشوب وجهه عاهة أو قطع أو علامة قد يعاني أكثر مما يعانيه الأصم أو الأعمى ويمرض (ماكجريجور) هذه النقطة عرضا طيبا .

"مالم يكن التشوه مصحوبا بعطل وظيفي كشرم في الشفة العليا أو شق في سقف الحلق فإن هؤلاء المشوهين قد لا يعانون من عجز عضوي أو وظيفي عند القيام بنواحي النشاط العادية في الحياة اليومية ، ومع ذلك فإنهم معوقون بسبب مظهرهم ، فالفم الملتوي والوشم الواضح والأنف ذو الشكل الغريب قد تكون كلها عقبات في طريق ما ينفسح من ميزات

وفرص أمام غير المشوهين .

فهذه المحنة إذن عائق اجتماعي أكثر مما هو عائق بدني فإن عناء الفرد إنما ينشأ عن وضوح العامة وما يراه الآخرون ويراه هو نفسه فيها . إن الناحية الجمالية فقط هي التي تجعل من مشكلات تشوه الوجه مشكلات ابرز من غيرها من العاهات الجثمانية الأخرى . .

ويؤكد المؤلف في الواقع ما بوجه الشخص من أهمية بالغة في العلاقات الإنسانية ، فالناس حين يلتقون تكون الأوجه هي مركز الجاذبية أو النفور ، والثقة أو الريبة ، وتبقي صورة الوجه عالقة بالذاكرة مدة طويلة بعد أن يمضى الشخص المحبوب . وإذا قلنا إن الشخص إنما حكم عليه من وجهه فليس هذا مبالغا فيه . ففي أوضاع كثيرة يكون الشخص هو الوجه الذي يلبسه . فالمفروض أن الوجه يعبر عن صاحبه وهو الذي يكشف عن نفسيته وقيمته ، ولا يقلل من قيمته ذلك أن أخطر المجرمين الذين نعرفهم لهم وجوه ذات طلعة لطيفة .

ومراقبة الوجه طريقة بارعة من طرق التفاهم بين الناس ومهارة لها سحرها وجاذبيتها على أنه ليس من السهل دراسة تقاطيع الوجه في أطفال المدارس إذ تكون الظنون قوية والحساسية

عميقة وخطر الشعور بالأذى شديد . وجاذبية الوجه فيمن تترواح سهم بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة بصفة خاصة رأس مال له شأنه – الوجه بتقاطيعه المتناسقة ، والبشرة الوردية النصيرة والعينان اللامعتان ذات

الظلال والأنف والفم والذقن اللطيفة ، والأسنان المنتظمة البيضاء التي تبدو في إعلانات مداجين الأسنان والأذنان الصغيرتان كالأصداف .

ولنتساءل الآن : ماذا يرى المشوهون في نظرة الغير إليهم ؟ نقتبس فيما يلي بعض أحاديث عن هذا الموضوع مع بعض الناشئين قبل بلوغهم سن المراهقة .

ماذا يرى المشوهون في نظرة الغير لهم

١. قالت فتاة ذات شفة عليا شرماء " لقد سئلت ما إذا كان هذا وراثة في الأسرة أو إن كانت أمي تلعب مع أرنب أو شيئا من هذا القبيل " .

٢. وقال صبي ذو في ملتو د إني ولد خشن . انظر . إني أتكلم من جانب في كأفراد العصابات . إن الأولاد الصغار يقلدونى . هاها . هذا شيء مسل أليس كذلك ؟

٣. وتقول فتاة ذات وشم و إنهم يقولون أن أبوي قد ارتكبا خطيئة وأن على أن أدفع ثمنها ، وأنا لا أعتقد أن هذا صحيح ، فهل ترى ذلك ؟

٤. وتقول فتاة ذات ذقن راجع إلى الخلف : "لا تضايقني . إن أمي تقول لا تكترثي لما يقوله أحد عنك" .

٥. ويقول فتى ولد بأذن واحدة وإنهم يظنون أن هذا وراثي وأني سوف أورثه لأطفالي ولا أعرف إن كان ذلك صحيحا ، فما رأيك ؟

٦. ويقول فتى ذو بشرة مليئة بالبثور وتقول المعلمة إني آكل حلوى كثيرة ، بينما أنا لا أمس الحلوى إلا نادرا . والأولاد يهزأون من حياتي الجنسية ويقولون إني أسيء استخدام نفسي وتظن الفتيات أني غير نظيف وأني لا أستحم . أظن أن هذه الثور تختفي عندما أكبر .

٧. ويقول ولد ذو وجه به سرطان " يظن الأولاد أني قد أنقل إليهم العدوى ".

٨. وتقول فتاة ذات وجه به جراح حروق و يقول الناس أيتها الحبيبة المسكينة هل انفجرت فيك قنبلة وكان من الممكن أن تكون جميلة لولا هذا . بعد أن أحصل على وظيفة واقتني بعض المال في نيتي أن أجرى جراحة الترقيع جلدى".

٩. وتقول فتاة ذات أنف مقوس "إنني (زازو) قاتل النساء من ينعتني بكلمة أنقض عليه فى الحال " .

١٠. وتقول فتاة ذات شعر غزير "يسألني بعض الأذكياء إذا كنت من الجنس الثالث الجديد . وهل تحولت إلى رجل بعد أن تعاطيت غدد القرود ، لقد حاولت أشياء كثيرة ولم ينفع أي علاج".

يتضح من هذه البيانات أن الاتجاه نحو الذات تعود بالفرد إلى

طفولته وان وجهة النظر تستمد أحيانا ما يقوله الوالدان أو ما يقوله المدرسون أحيانا و لكن الأغلب الأعم تستمد من شعور الأطفال الآخرين وأن هؤلاء الأطفال الآخرين غالبا ما تكون لهم القدرة على الاختراع وغاليا ما يكونون حاملين لقيم الكبار والمتحدثين باسم المجتمع . إن من الصعب دائما أن يتذكر الكبار أن الصغار جدا يستطيعون أن يروا و أن يسمعوا وأن يشعروا ، وأن أي نوع من القصص السخيف يمكن أن يشكل الخلق . مع أن القصص السخيف قد يجعل الطفل العادي بل والمتوسط يميز نفسه عن الطفل غير العادي أو الطفل ذي العامة ويعتبر نفسه أرق منه .

تعليم الطفل المرتبط بالمنزل

يخيل إلينا أن الولايات المتحدة دون غيرها من الأمم تثبت أنها أكثرها اهتماما بالفقراء والمرضى المعوقين وينعكس هذا الاتجاه في مدارس التعليم العام . فالأطفال المعوقون يتلقون تعليمهم فيها بأعداد متزايدة ، كما أنهم يتعلمون في مدارس خاصة وفي منازلهم ومن الاحتمالات الثلاثة السابقة لا يسمح المكان بالبحث إلا في احتمال واحد – التدريس بالمنزل لأولئك الذين لا يستطيعون الالتحاق بالمدرسة : صاحب هذا التقرير مدرس خاص في ديترويت.

العمل مع الأطفال الكسيحين

في الوقت الذي أقوم فيه بكتابة هذا التقرير كان في ديترويت تسعة عشر معلما ومعلمة يقومون بالتدريس في المنازل للأطفال الكسيحين في

جميع الأعمار كما نقوم بالتدريس للكبار ونحن من مدرسي التعليم العام و نأخذ الحالات التي تحال إلى مدرسة (أوكمان) وهي مركزنا الرئيسي وقائمة الأطفال الذين ينتظرون دورهم كثيرا ما تكون طويلة وهذه الحقيقة كما علمت تنطبق أيضا على معظم المدن الكبيرة الأخرى في الدولة ولقد اتسعت خدماتنا و تسهيلاتنا كثيرا في السنوات الأخيرة لكنها مازالت غير كافية.

والمنازل التي نعلم فيها منازل من كل نوع تتراوح بين الفقر المدقع والثراء العريض و من الذكاء اللامع إلى الجهل المفزع ومن أفضل الخلق إلى أسوأها . ومن التعاون المثمر إلى عدم الاكتراث والمعارضة ، وعندما لا يمكن احتمال الظروف نرفع الأمر إلى قسم الشرطة أو إلى مكتب الصحة أو إلى أي مكان تكون له السلطة القانونية .

ولقد علمت أطفالا من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر وفترة الدراسة في العادة حصتان أسبوعيا وكل منها خمس وخمسون دقيقة والمفروض أن يخصص الآباء والأمهات مثل هذا الوقت على الأقل ليقوموا بالتدريس من جانبهم . وكثير من الأمهات يقمن بتدريس وقت أطول . والاهتمام في هذه المرحلة يوجه إلى المطالعة والهجاء والحساب والكتابة والدراسات الاجتماعية أما في مرحلة التعليم الثانوي فنقوم بتدريس المواد الأساسية كاللغة الإنجليزية والتاريخ و علم الأحياء. ولا يكفي أن يكيف التدريس بحيث يلائم الفرد فحسب، بل يجب أن يكيف ليلائم الآباء والأمهات والظروف المنزلية ، وسوف أتكلم فيما بعد عن هذه النقطة .

وفي الوقت الحاضر أمارس تعليم خمسة عشر طفلا وطفلة كما هو مبين فيما يلي :

التلميذ	الصف الدراسي	السن	التشخيص
كارول	٣/ب	٨	حمى روماتيزمية
نانسي ك	٢/١	٨	حمى روماتيزمية
نانسي و	٧/ب	١٤	لين عظام متعلق بالكلي
جو ان	٧/أ	١٣	حمى روماتيزمية
بيرس	٨/أ	١٥	حمى روماتيزمية
روبرت	ا/أ	١٦	زهري مائي
باتريشيا	٠ ٠	١٦	شلل في المخ
مايك	٣/ب	١٠	ربو
ماري	١١ / ب	١٧	نقص في تكوين العظام
ويليم	٤ / أ	١٢	ورم بالعمود الفقري
جيري	٨ /ب	١٤	شلل أطفال
ميرا	٦ /ب	١٢	شلل أطفال
لورين	٩/ ب	١٧	سل رئوي
كارولين	١ / أ	٧	حمى روماتيزمية
مارجريت	٧ / أ	١٣	حمى روماتيزمية

وبعض هؤلاء الأطفال تلقوا تعليمهم كله بالمنزل طوال سني حياتهم المدرسية، بينما تلقى البعض الآخر تعليمهم بالمنزل لعدة سنوات . والقليل منهم بدأوا الآن التعليم بالمنزل – وبعض هؤلاء الأطفال يدخلون مدارس خاصة أو مدارس التعليم العام أو مدارس الكنيسة عندما يصبحون قادرين

، وإن كان هذا أملا لا يداعب الكثيرين منهم .

وفيما يلي أمثلة حالات كثيرة مبتدئة بحالة مارلين وهي طفلة في السابعة من عمرها تعاني شللا في المخ ، وقد عملت معها الصيف الماضي . ومارلين تعيش مع والديها في منزل مريح في الجانب الشرقي من المدينة ووالدها رئيس عمال في مصنع أما أمها فقد درست سنتين بالجامعة ولمارلين أخت اسمها بات وأخ يسمى إد وكلاهما أكبر من مارلين . وتعاني مارلين من ضعف في تحكمها في عضلاتها وضعف في النطاق وفي مستوى ذكائها ، غير أننا نعتقد أنها تستطيع أن تتعلم كيف تصرف في المواقف البسيطة . ولا شك أن حالتها الراهنة يمكن أن تتحسن .

وتحتاج مارلين إلى عناية مستمرة فهي لا تستطيع أن ترتدي ملابسها بنفسها ولا أن تطعم نفسها أو تعني بنفسها في دورة المياه . وهي دائما مشدودة إلى مقعد ذى عجلات ومن المفروض أن ترتدي حمالات ولكنها لا ترتديها إلا نادرا . والمفروض أيضا أن تستخدم منضدتها القائمة قدر الإمكان.

وعندما أعطيت هذه الحالة كانت المشكلات المباشرة التي قابلتني هي العمل على تصحيح نواحى الفشل هذه و تنظم علاج لها، وكانت المشكلة التربوية هي العمل على أن تبدأ الطفلة القراءة في كتب الصف الأول الابتدائي الصف الثاني في الحساب . وكانت المشكلة السيكولوجية كالعادة هي بناء الشجاعة والمثابرة والأمل ، أي تحريك هذه النواحي فيها،

ولم تكن ظروف المنزل مواتية وكان هذا يرجع في أساسه إلى الأم.

وفي الأسبوعين الأولين كانت مارلين تردد قائلة ، أمي تريدني أن أمشي ، ولقد شرحت لها ولامها أن المشي عملية معقدة وأن التمرينات على المشي يجب أن تسبق حتى تقوى العضلات و تناسق ، واعترضت أمها على وجهة النظر هذه وأصرت على وجهة نظرها ورفع الأمر لرئيسة قسمنا للبت فيها.

وفي هذه الزيارات الأولى ، كنت أثبت كتبا وأوراقا في منضدة مارلين وذلك بسبب عدم قدرتها على التحكم في يدها وكانت كل يوم تنزع هذه الأشياء وتقول ، ماما تقول لا . ماما تقول لا ، وكانت أمها تريد من الطفلة أن تقوم بعملها دون هذه الوسائل المساعدة .

وكانت تقول لها ، حاولي يا مارلين حاولي ، حاولي ، حاولي ، ولقد طلبت منها أن تكف عن فرض هذا الضغط الشديد على الطفلة ولكن كانت مجهوداتي تذهب هباء ، وكان شعورها أن ابنتها لم تكن تقوم بأية محاولة ما جعلها طفلة (غير مطيعة) . ومرة أخرى اضطررت إلى الاستنجاد برئيسة القسم التي هددت بأن تنقل الطفلة إلى معهد أو مؤسسة مالم تعط آرائى فرصة للاختبار .

ومضى شهر دون أن ألحظ أي تغير في مارلين . فلم تكن تستجيب لي ولم تكن تحاول كما تقول أمها . وفي أحد الأيام أحضرت كلى معى، وضحكت مارلين في فرح عندما حملت كلبتي ، أولد ليدي ، الأوراق

ووضعتها فوق ركبتيها وصفقت لها كثيرا قدر استطاعتها وهي تصيح بأصوات عالية ، ثم تحركت لكي تدلل الكلبة . ومنذ ذلك الحين ، كنت أحضر الكلبة معي كل مرة تقريبا . وكنت أجد مارلين تنتظرني بالنافذة ترقب مجيئي ، وقبل ذلك كانت تحاول أن تختبيء عندما كنت أذهب إليها.

وكانت أمها تجعلها تقوم بتلوين صور محددة خطوطها بالأقلام الملونة . وكانت تقول لها ولا تخرجي بالقلم عن هذا الخط . لقد فعلت ذلك هنا مرة أخرى، . وعندما كانت مارلين تقوم حل مسائل بسيطة كانت تقول أمها لها و بكل تأكيد يمكنك حلها . انظري لقد توقفت عن المحاولة . ولم تكن الأم تعير أي انتباه إلى مرشد المدرسين الخاص بالعناية بالأطفال المعاقين بالشلل ولا إلى أي وسيلة من الوسائل التي أحضرتها إليها .

وبينما كانت الكلبة " أولد ليدى " تجلس إلى جوار نا بدأت مع مارلين في كتابة قصة عن الكلبة ، وكان على ماراين أن تؤلف القصة و على أن أقوم بالكتابة هكذا ! مالون "ليدى" ؟ ماذا كانت تأكل ؟ كم عمرها ؟ كم تكلف طعامها؟ هل تستطيع الجري بسرعة ؟ لماذا تذبح ؟ وغير ذلك من أسئلة من قبيل ما تفكر فيه مارلين ، وكنا كل يوم نتفق على جملة واحدة عادة تتكون من ثلاث أو أربع كلمات وكان على مارلين أن تنسخها في كراسة أسمتها "كراسة كلبتي" .

وحوالي منتصف الصيف كانت مارلين قد تقدمت بسرعة أكثر مما قدرت ها ، واستطاعت أن تأتي بفكرة أخرى جديدة ، وكنا أيضا نقوم بحل

مسائل في الحساب من نوع « إذا كانت علبة واحدة من طعام الكلب ثمنها عشرة سنتات ، فكم يتكلف من علبتين ؟.

وثمة كلية إنصاف أقولها عن السيدة ؟ أم مارلين ، فلم تكن بأية حال يعوزها الذكاء ، وكانت تكرس نفسها إلى درجة كبيرة لمارلين ، ولقد كانت تشعر ككثير من الأمهات أن هناك محبة حلت بها لأسباب لا قدرة لها على فهمها . كانت تملؤها أفكار العامة عن البلاهة ، وكانت معظم هذه الأفكار ضارة بالطفلة . وكانت تنظر إلى على أنني أهدد العلاقة الراسخة بين الأم والطفلة – علاقة اعتاد الطفلة على أمها . وكانت السيدة (١) تنتظر أن يحقق الطب في علاج شلل الأطفال ما حققه من انتصارات معجزة في غيره ، و على الرغم من أن هذا قد يبدو قاسيا، إلا أنت أعتقد أن السيدة (١) كانت تخشى وجود مثل هذا العلاج.

وينتقل التقرير إلى حالات أخرى الإجابة عن الأسئلة : ماذا كان في استخدام الكلب ما رفع الحواجز بين المعلمة وهذه الطفلة وجعلها تبدأ التعليم ؟ وإذا قدر للأم أن تكون هي المعلمة الحقيقية للطفلة فكيف يمكنها كسب ثقتها ؟ وما نوع معلمة المنزل التي تستطيع أن تعالج حالات تكون مسئولة عنها مثل هذه المعلمة ؟ إن مثل هذه الأسئلة تؤدي إلى التعليم الخاص، و إلى الإلمام التام بكل ما هو معروف في هذا الميدان الفني.

إعادة تربية الجمهور

إن الموضوع الذي ندرسه في ختام كلامنا موضوع عالجناه عدة سنوات وهو أن الذين يعملون بالمدارس وغيرهم يفقدون صبرهم مع الجمهور ومع بطء الجمهور في تقبل الأفكار الجديدة عن طبيعة المنحرفين وتربيتهم والعناية بهم و علاجهم ، على أن كلام الجمهور وأساليبه وإن كان من النوع الذي يقبل المقاومة، إلا أن هذه الأساليب تخضع للتغير ، فهي تستسلم الآن للعلوم الطبية والسيكلوجية والاجتماعية كما يدل على ذلاك مختلف البحوث والإحصاءات العامة .

إن الاستقصاء الذي جرى بين بعض المواطنين في مدينة لويزفيل بولاية كنتكم عن المرض العقلي وعلاجه هو مثل من أمثلة البحث الذي أشرنا إليه ، فقد شملت المقابلة قطاعا عرضيا من السكان عدد أفراده ٤٩٧١ شابا يقيمون في المدينة ، وتولى تلخيص نتائج الاستقصاء كبير الأخصائيين في تحليل الاستقصاء .

تغيير الآراء الخاصة بالأمراض العقلية

١- تسير الاتجاهات العامة في لويزفيل نحو نظرة إنسانية وعلمية من ناحية الأمراض العقلية ، فالآراء القديمة التي تقول بأن المرضى عقليا أشرار خطرون، ومن ثم يجب تجنبهم أو أنهم مضحكون وعلى ذلك يجب أن يعاملوا معاملة مضحكى القرية، هذه الآراء القديمة حل محلها (إلى حد ما) الشعور بأن الأمراض العقلية أصبحت تتطلب

الفهم والعلاج من أخصائي ، ومن الحقائق الأخصائية إن الشباب (في سن الثامنة عشرة حتى الرابعة والعشرين) يكون أكثر حبا الأخير من الكبار في سن الخامسة والأربعين وما فوقها . ويصدق القول نفسه على المثقفين بمعنى علمي إذا قورنوا بغير المثقفين (لم يصلوا في التعليم إلى أبعد من مرحلة التعليم الإعدادي).

٢- تبين الإحصاءات التي وصل إليها البحث أن عددا كبيرا من المواطنين لم يعد يعتقد أن معظم المرض العقلي يرجع إلى الوراثة) أو أن (معظم المستشفيات تعامل مرضاها معاملة سيئة) بل إن الشعور بالخجل عند الكلام عن المرضى أو عند مناقشة حالاتهم مع الآخرين يتحول إلى اتجاه يتميز بالتبليغ الصريح الضروري ، وإذا أخذنا كل شيء في الاعتبار كان هذا دليلا يبشر بأمل كبير .

٣- عندما سئل المواطنون عما يمكن عمله إزاء تصرف ولد في الخامسة عشرة من عمره، هرب من المدرسة بعد أن سرق عربة ، كان اتجاه الإجابات الأولى هو عقابه وإرساله إلى إصلاحية الخ، و عندما ذكر اسم ناد للفتيان كنوع من أنواع العلاج الستة الممكنة ، لقي هذا الرأي تعضيدا من أغلبية كبيرة ، ولم يحصل الرأي القائل بإرسال الولد إلى الإصلاحية أو معاقبته بالضرب بالسوط الخ. إلا على أقل الأصوات . ويمكن أن نستنتج من هذا أن الباحثين الاجتماعيين والعاملين في ميدان الصحة والمدرسين و غيرهم قد استطاعوا أن يشقوا طريقهم إلى الجمهور ليجعلوه يتقبل وجهات نظرهم العامة .

٤- ويبدو أن الأخصائيين النفسانيين يحصلون الآن على مزيد من اعتراف الجمهور بهم بصفتهم مصدرا رئيسيا في التعامل مع الأطفال المشكلين . وتدل أصوات أربعة أخماس قطاع المدينة الذي أخذ لمدينة لويز فيل على أن مساعدة الأخصائيين النفسيين كان لها فضل كبير في علاج حالات الأمراض العقلية ، وقرر الخس الأخير أن طرقا أخرى كان يجب استنفادها أولا ، وحين ذكر لأفراد العينة أن المدينة قد وضعت خطة لإنفاق مبلغ من المال لمنع الاضطرابات العقلية تم طلب إليهم أن يذكروا أسماء أربعة أشخاص (من بين ثلاثة عشر مرشحا) يمكنهم إسداء النصح للمدينة في هذا البرنامج، كان الاختيار على هذا النحو:

(١) قسيس أو واعظ (ب) طبيب أسرة

(د) باحث اجتماعى . (ج) أخصائي نفسى

وكان ترتيب رجال الأعمال في آخر القائمة، كذلك كان ترتيب ناظر المدرسة ولم يذكر عالم المدرسة على الإطلاق .

٥- وكان خريجو الجامعات متقدمين جدا على غيرهم من القطاعات الأخرى في اتجاهاتهم الحديثة عن الصحة العقلية . وظهر أن هذا التفوق راجع إلى مؤثرين عامين : هما التعليم الرسمي و خبرات الحياة . فإذا كان الأمر بين خريجي الجامعات أنفسهم وأي قطاع منهم كان ينتظر منه أن تكون له الزعامة في تعضيد برامج الصحة العقلية ؟ كان المعتقد أن المحامين

أكثرهم تمسكا بالقديم و ميلا للرجوع إلى عوامل الضغط ، ولم يختلف غيرهم من أصحاب المهن (خصوصا المدرسين والأطباء ورجال الدين) فيما بينهم في تقدير الاستقصاء كما اختلفوا عن المحامين ، ووجد أن المدرسين أكثر الجميع استعدادا لفكرة إعطاء المذنبين الصغار العناية النفسية والعلاج النفسي .

ونتائج مثل هذه البحوث مشجعة . وخلال السنوات القليلة الماضية حدث تغيير كبير في اتجاه الجمهور نحو الأشخاص المصابين بالأمراض التناسلية ومشوهي الحرب والمدمنين على المنور . وفي الصناعة كان هناك تقبل ملحوظ للصم وذوى الأعضاء المبتورة والمشلولين ، وهناك من الأسباب ما يجعلنا نفترض أن الوقت قد حان لأن يفهم الجمهور تلك الحالة السيئة التي يعاني منها ناشيء يختلف عن الناشئين الأسوياء وأن يعمل الكثير في المستقبل لمساعدته على أن ينمي تفاؤله ، أما كيف نتجه بسرعة أكبر نحو هذه الأهداف فهي مشكلة تستحق كل تفكير يمكن أن يكرس لها فصل من الفصول.

مشكلات و مشروعات

١. كيف يجب تعليم ذوي المواهب ؟ أجر مناقشة بالفصل عن تعليم الأطفال الموهوبين.

٢. تذكر بوبي الذي لا يقرأ . عين لجنة من الفصل لمقابلة أخصائي أو اثنين في تدريس القراءة العلاجية . قدم تقريرك للفصل واذكر على

وجه الخصوص م دى الاهتمام بالعلاقات الإنسانية .

٣. الآنسة هاو المعلمة التي تقوم بالتدريس في المنزل في ديترويت كانت مسئولة عن خمسة عشر طفلا وطفلة لم يستطيعوا أن يذهبوا إلى المدرسة ، ماهي المواهب الخاصة التي يجب أن تتوافر في هذا النوع من المعلمات ؟ اكتب مقالا عن هذا وناقش هذه المسألة في حدود عناصر المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات وصدق الحكم.

٤. هل لديك خبرة في تصميم الدراسات ؟ إن كنت كذلك وإذا وافق أستاذك ، ضع في الفصل تخطيطا للتعليم الخاص في المدارس المحلية و عين لجنة لعمل هذا البحث ورفع تقرير به للفصل.

٥. ما هي المؤسسات المحلية والقومية التي تعمل على تعليم الجمهور طبيعة المعوقين والعناية بهم ؟ هل يجب دعوة ممثلين لهذه المؤسسات لزيارة الفصل والتحدث معه ؟

٦. هل تحب أن تقرأ سير الحياة ؟ هل تقرأ من تلقاء نفسك أو تنتظر حتى يخصص لك ما تقرأه ؟

الفصل السابع

مسائل خاصة بعلاقات الجماعات بعضها ببعض

"إن عزلهم عن المجتمع.. بسبب عنصرهم، يولد عندهم شعورا بالحطة قد يؤثر على قلوبهم وعقولهم بصورة لا يحتمل - أن يبرأوا منها أبدا "

(من حكم للمحكمة العليا بالولايات المتحدة سنه ١٩٥٤)

سر ببطء وتوقف بين الحين والحين، ولو للحظة واحدة.

وليم فوكنر

الناس في العالم كله يعرفون أن الولايات المتحدة دولة ديمقراطية، وأنها أكبر الديمقراطيات في العالم وهي موطن الأحرار ، وأرض الفرص ، وهي المدافع عن الحقوق المدنية و قانون الإجراء الصحيح ، وعلمها روز على المساواة بين البشر، وعقيدتها أعلى قانون في البلاد، هى المثل الأعلى الذي تنشده الدولة، غير أن ما يؤسف له أن الأمريكيين بشر ومن ثم كانت اتجاهاتهم وتصرفاتهم قبل بعض الشعوب تقصر عن مبادئهم الديمقراطية وليس أظهر من هذا النقص من معاملة الأقليات العنصرية أو الدينية أو القومية .

إن معظم الحالات التي نوردها تشير إلى العنصرية وخصوصا إلى العلاقات بين الزنوج والبيض إليها في القدر تلك الحالات الخاصة بالعقائد الدينية ثم يليها حالات تختص بالمهاجرين ذوى الثقافات الأجنبية ، ولما كان من المستحيل أن تعالج هذه الموضوعات المتباينة في فصل واحد ، فسنركز اهتمامنا على التفرقة العنصرية مع بعض الاهتمام بالتفرقة الدينية والعلاقات العنصرية فضلا عن كونها مركز الكثير من الصراع القائم تتعرض للتغيير ، وهي عملية قد تضع بعد زمن طويل حدا لذلك النظام الأمريكي الذي يقسم سكان البلاد تقسيما أساسه اللون ، وقد تكون هذه الموضوعات صعبة في مناقشتها إلا أن الخلافات العقائدية أصعب في تناولها تتناولا موضوعيا . على أن طلبة الكليات قد بلغوا من النضوج ما يسمح لهم بدراسة هذه الموضوعات من حيث علاقتها بالمدارس.

حالات من العلاقات العنصرية

يقصد بكلمة العنصر فصيلة نباتية أو حيوانية أو نوع أو نموذج. أما في العلاقات الإنسانية فيقصد بالكلمة معنى آخر . فالعنصر ، ويقصد به خط من الصفات الجسمانية وبخاصة لون الجلد و تقاطيع الوجه ، التي يعزوا إليها الناس الفروق العقلية والخلقية والاجتماعية . وقد يعتبر عنصر من العناصر أرقى من كل ما عداه ويعامل ما عداه على أنهم الأقل. وقد تقبل الأجناس الأخرى هذه التفرقة وقد لا تقبلها، تبعا لوضعها الاقتصادي أو التعليمي أو تبعا لاعتزازها بنفسها ، وغير ذلك من العوامل . وحيث تكون هذه الأوضاع مقبولة ، يكون الموقف تقريبا ماثلا لما يحدث

في حالة الزواج بين شخصين من لونين مختلفين .

إن اعتبار الناس جميعا بشرا نتيجة تتطلب من الأستاذ أن يوجه طلبته للوصول إليها ، وفهمها حق الفهم ، و صاحبة الحالة التالية معلمة تعمل بمدرسة تتكون من حجرتين في منطقة ريفية (بانديانا) ولم يكن يوجد قبل هذه الحالة أي زنوج في الحي الذي تقع فيه هذه المدرسة .

ريهوفسRehoFus **لا يختلف عنا في شيء قط**

في العام الماضي كنت أقوم بالتدريس في مدرسة ريفية في أنديانا الجنوبية ولم يكن في هذا الحي أطفال زنوج ، إلى أن انتقلت أسرة مارفيل إلى المنطقة ، إن الأخبار تنتشر في المناطق الريفية بسرعة، ولذلك أثارت هذه الأخبار تلاميذه جميعا من الصف الأول إلى الصف الرابع)، فقال أحد الأطفال ذات يوم و إن الحي بدأ يمتلئ بأعداد كبيرة منهم ، ثم استطرد يقول و تقول أي إن ستة أطفال سوف يأتون إلى المدرسة هنا ، فقلت وهذا شيء لطيف ، لدينا الآن سبعة وأربعون تلميذا فكم سيكون العدد إذن إذا أضيف إلينا ستة آخرون؟.

وفي اليوم التالي كانت هناك جلبة كبيرة في فناء المدرسة ، ووقع أقدام في البهو وعندما دخل تلاميذ الفصل ، قال أحدهم وإنه هنا، هاهو ذا، ودفع بطفل صغير ملون في اتجاهي . وكان الطفل يبكي ويصيح قائلا إنه يريد أن يعود إلى بيته ، فأخذته إلى مقعد . وكان ذلك وقت دق الجرس ، فدفعته . وبعد أن أشرفت على أطفال المدرسة في أثناء دخولهم الفصول ،

طلبت إلى التلميذ الجديد أن يأتي إلى منضدتى ، كان اسمه ريهوفس وقد ألحقته بالصف الثاني .

وفي فترة الاستراحة خرجت إلى ملعب المدرسة . فوجدت الأطفال يحيطون بالطفل – يحملقون فيه ويسألونه أسئلة ، وكان البعض يلمس جلده أو شعره ، فاقتحمت الدائرة ووضعت يدي على كتف الصبي وهي حركة يألفها أطفالي . وقلت " ريهوفس هل تعرف لعبة المزارع في الوداي ؟ " وعلى الرغم من أنه لم يجب . كان عندي شعور خفي أنه يعرف اللعبة . وحين سألته: " من سيكون الفلاح ؟" وكنت معتمدة على أن الأطفال سيفعلون مثلى ويمنحون هذا الشرف للتلميذ الجديد ، و بدأت البنات يغنين "روفس روفس" ذلك لأنهن لم يفهمن جيدا الاسم الصحيح للولد.

وسارت اللحية لفترة سيرا طيبا ، لأن روفس كان يعرفها فعلا، ثم شاهدت ولدا يلمس جلد الطفل الأسمر و يتظاهر بأن اللون قد انطبع على يده ، وبعد ذلك رفضت بنت أن تمسك بيده بينما كان تلاميذ الفصل يحيطون بالفلاح وزوجته.

وبعد أن انتهت الفسحة واستقر التلاميذ في أماكنهم طلبت أن تبقي كتبهم مغلقة وأن يستعدوا لمناقشة ، ثم سألت : هل تعرفون وأطفالي من خلقكم ؟ فقال أحدهم ، الله خلقناه ووافق الآخرون . فقلت و نعم هذا ما أعتقده . لقد خلق الله الناس جميعا .

وانتظر الأطفال دون أن يفهموا ماذا يؤدي إليه هذا الحديث

فواصلت كلامي . فمن خلق ريهوفس ؟»، فردت طفلة من الصف الثاني قائلة ، الله خلقه ، إن الله خلق كل شيء في العالم . خلق القمر والطائر الكبير أيضا. وخلق جميع الأطفال في العالم "

كان هذا الحديث بعيدا جدا عن تصور بعض الكبار من الأطفال ، فقال أحدهم : ولكن روفس أسود ، فسألت هل هو حقا ؟ ، و نظرنا جميعا إلى الولد . فأومأ بعض التلاميذ برءوسهم بالإيجاب واستمر الآخرون ينظرون إليه . ثم سألت ، مالون السبورة بالفصل ؟، فردوا قائلين إنها سوداء . وطلبت إلى ريهوفس أن يتقدم معي إلى السبورة حتى يستطيع كل واحد أن يرى الفرق بين اللون الأسمر واللون الأسود . و استدرت نحو طفلة صغيرة اسمها (بيث) وسألتها عن لون معطفها وعندما قالت إن لونه أسمر طلبت إليها أن تتقدم نحونا ورفعت كم قميص الولد ووضعت ذراعه إلى جانب كم معطف (بيث) حتى يستطيع كل واحد أن يشاهد التوافق التام بين اللونين .

ثم قلت ، أرجوكم جميعا أن تنظروا جيدا لأننا سوف نأخذ الأصوات في هذا الشأن . كانت هذه هي الطريقة التي نبت بها في الأمور الكبيرة في الفصل وكان الأطفال يشعرون أنها طريقة سليمة وأمينة و ناضجة .

وعندما سألت عما إذا كان جلد التلميذ الجديد أسود اللون لم يرفع أي واحد منهم يده . فسألت عما إذا كان أسمر اللون ، رفعت جميع الأيدي إلى أعلى بعدها . وقلت هكذا ترون أن ريهوفس ذو بشرة سمراء .

فهو أمر وأنتم وأنا بيض اللون . و لكن بصرف النظر عن لون الجلد فهو مثلها تماما "

وبعد أيام قلائل جرح ريهوفس في رأسه أثناء اللعب وعلى الرغم من أن الجرح كان بسيطا ، فقد قاده إلى ولدان واحد من كل جانب من جانبيه وقالا، إن دم ريهوفس ليس أسود . إنه مثل دمنا تماما، و لفترة وجيزة ساد الصمت الولدين في غمرة غموض الموقف. ثم قالا، إن روف المبك، أليس كذلك يا روف ؟ لقد ضحكنا كثيرا عندما انقطع حبل الأرجوحة..

إن هناك على الأقل ثلاث نقط هامة في هذه الحالة ، الأولى هي أن الأطفال اقتنعوا بأمور أكثر من لون الجلد. وفي حادثة أخرى لا يتسع المكان هذا لسردها كان روفس يلعب دورا ، فقالت إحدى الصغيرات و من الممكن أن يختلف الناس عني ، ومع ذلك أستطيع أن أحبهم . إن هذه الكلمات صغيرة ، ولكنها تحمل في طياتها معاني كبيرة ، والواقع أنه من الصعب أن نفكر في أساس أكثر ذكاء يمكن أن نقيم عليه برامج العلاقات بين الأجناس . فإذا استطعنا أن نتعلم كيف نتقبل الفروق بين الأجناس ونحترمها ونقدرها . كان العمل التعاوني ممكنا ، بل وكان من الممكن التنبؤ بحدوثه في حالات كثيرة .

والنقطة الثانية هي : إن طرق التدريس لها من الأهمية ما يجعلها تستحق الذكر ، ومن هذه الطرق تعريف الموقف . و (التصرف الموائم) كما شوهد في تصرف المعلمة حين وضعت يدها على كتف الولد فأعطته

مركزة خاصة . وثمة طريقة أخرى هي العرض البصرى، كما وضح في مسألة لون البشرة ، فكثير من الناس صغارا وكبارا لا يصدقون إلا ما يرون ، وبخاصة فيما يتعلق بالمشاعر ، وطريقة ثانية هي طريقة القرار الذي يتخذه تلاميذ الفصل ، أي التأكيد العام للآراء والقيم ، وصاحب هذه الطريقة هو كيرت ليوين الذي أثبت بالتجربة قيمتها في إحداث تغيرات السلوك . وهو نوع من التعاقد بين الشخص والفصل ، والتزام الفرد لصورته في جماعة الفصل .

والنقطة الثالثة هي : أن معاملة ريهوفس Rehofus قد تؤدي إلى أن يقوم فصل بالكلية بعمل دراسة لوضع فرد الأقلية بالنسبة للأغلبية . ولقد أقنعتنا الملاحظات المتكررة أن الكثير من الأطفال الأقلية يبذلون ما في وسعهم كما قرر ذلك ليفين ، لكسب مركز في الفصل ، كما" يكونون شديدي التوتر والحساسية ، وأحيانا ذوي ميول عدوانية شديدة . ومن ناحية أخرى، يمكن عمل دراسة عن مطالب الأغلبية في الفصل وعن تطلعاتها ؛ هل يتوقع الأطفال البيض أن يتفوق عليهم طفل زنجي ، وأن يكون عمله أفضل من عملهم ، إذا سمح للطفل الزنجى أن يلتحق بفصلهم ؟ إننا نشك في هذا . وعلى أية حال أحسن بنا أن نعل الآن أن علاقة الفرد بالجماعة، أو علاقة الجماعة بالجماعة ، إنما هي أجزاء من الكل العضوي. وأن النتائج التي يمكن ملاحظتها إنما هي نتائج التفاعل الظاهر والمستتر.

إن عدداً كبيراً من الحالات بالمدارس تتناول التعصب والتمييز ، وفي

كل حالة ما يلقي الأضواء على بعض هذه المسائل الصحية ، وصاحب التقرير الأول ناظر مدرسة فريمونت.

انتخاب ملكة العودة إلى الوطن

"جوجارفيس" زنجي يعمل بوابة يقوم بالحراسة ليلا في مدرسة فريمونت ، وهو في الستين من عمره ، وعلى الرغم من أن الاتجاهات المحلية تجاه العنصرية ليست طيبة ، فإن «جو» يعتبر شخصا غير عادى ؛ فقد عاش هنا طول حياته ، وهو معروف و محبوب من الجميع . وبصفتي ناظرة المدرسة عرفت (جو، عدة سنوات وأعتبره رجلا لطيفا ذكيا جديرة بالثقة . والحادث الذي أرويه يتعلق بابنته « سارة، وهي فتاة حسنة المنظر و محبوبة ، كما أنها طالبة بالمدرسة الثانوية .

أعترف أننا نحتفل بالكلية في مدينتنا ؛ فيوم الاحتفال السنوي بالعودة إلى الوطن ، وهو عيد كبير يجري فيه انتخاب الملكة ووصيفاتها ، ويقام عرض للعوامات ، وحفل عشاء راقص للخريجين ، بكل ما فيه من أناقة في الملبس والمظهر.

وقبل موعد هذا الحفل بحوالي شهر ، عمدت إلى «جو» بعمل يقوم به ، وبعد أن انتهينا من حديثنا سألني إذا كنت أرغب في شراء تذكرة لمباراة كرة القدم . فاشتريت منه ، وقال إن ابنته سارة اشتركت في مسابقة لانتخاب ملكة العيد ، فقلت له : إني آمل أن تفوز ، وكانت المرشحة التي تحصل على أكبر عدد من الأصوات تنتخب ملكة وكان عدد الأصوات

التي تفوز بها كل مرشحة يوازى عدد التذاكر التي تبيعها من تذاكر المباراة . وقال "جو" إنه سيعمل بجد لكي يبيع أكثر ما يمكن من التذاكر.

وباع «جو» حوالى ٧٠ تذكرة الأساتذة . وباع عشرين تذكرة في الكلية ، وأكثر من هذا العدد بكثير لحوانيت البلدة ومحالها ومكاتبها . وشغل نفسه بذلك بعد ظهر كل يوم مدق أسبوع أو أكثر وكان "جو" يعمل شماسا بالكنيسة ، ولقد سمعت أن القسيس وهو رجل و زنجى، لعب دورا هاما في المسابقة وأنه طلب من جمهور الكنيسة أن يساند سارة وعندما أعلنت الأصوات في أول الأمر كانت سارة متقدمة كثيرا على المرشحات الثلاث الأخريات، ٤ وكن جميعا من البيض و مر أسبوعان قبل أن ينتهي بيع التذاكر . ولهذا كان كل شيء من قبيل التخمين فيما يختص بالنتيجة النهائية .

وقبل اليوم الكبير بأسبوع ، وعندما بدا أن فوز سارة كان أمرا مؤكدا ، علمت أن فتاتين من المرشحات أو بالأحرى من يقومون بمساندتهما قد اجتمعوا لعقد صفقة . وكان قائد هذه الصفقة والد إحدى الفتاتين ، وهو رجل أعمال مرموق في (فريمونت) . وقد أعلنت لجنة الاحتفال ، أنه إذا انسحبت أي مرشحة أمكنها أن تعطى أصواتها لأي مرشحة أخرى تبقى في المسابقة و لقد أعطت إحدى هاتين الفتاتين أصواتها للفتاة الأخرى ، ومن ثم زادت أصواتها على الأصوات التي حصلت عليها سارة .

ولعلمي بأن هذا الأمر كان مدبرا فقد اعترضت على تصرف اللجنة

في تغيير قواعد المسابقة ثم استدعيت جو وأخبرته ما كنت أشك فيه فقال إنه علم فعلا بما حدث وعندما سألته عما منوى عمله هز كتفيه وقال (سوف أبيع عددا أكبر من التذاكر على ما أظن).

بدأ «جو» يطوف ليبيع التذاكر بقوة جديدة وهو يسافر إلى البلد ويضغط كثيرا على الأعضاء من بني جنسه ولابد أنه سبب للجانب الآخر صدمة كبيرة غير أنه في اليوم السابق على التصفية النهائية أذعنت الفتاة البيضاء الأخرى للهزيمة وأعطت أصواتها للفتاة البيضاء الثالثة و هذا زادت أصوات هذه الفتاة على مجموع ما حصلت عليه سارة من أصوات ، وعرفنا قبل إعلان النتيجة أن سارة قد فشلت في الانتخابات.

وفي يوم الاحتفال بالعودة إلى الوطن ركبت الملكة ووصيفاتها سيارة مقفلة مزينة بالأشرطة وحضرن المباراة ورأسين في المساء حفل العشاء الراقص ، ولقد لاحظت أن سارة لم تسكن إلى جانب الملكة في الاستعراض في مكان الوصيفة الأولى التي تفوز بالعدد التالي من مجموع الأصوات بل ولم تكن سارة حاضرة في الاحتفالات التي عقدت في المساء . وعندما حضر "جو" ليعمل ميكرا بعد ظهر يوم الاثنين سألته عن سبب غياب سارة في المباراة فقال إنها لم تكن بخير وإن الإثارة كانت شديدة جدا عليها ولهذا فقد بقيت بالمنزل ، ومع ذلك فقد علمت بعد أسبوع أو أكثر أنه قد أقام حفلا لتكريم سارة في ليلة الاحتفال بالعودة إلى الوطن).

والآن ما الذي نستنتجه من هذه الحالة ؟ هل هي حالة تعصب

عنصرى ؟ وجهنا هذا السؤال لناظر المدرسة في اجتماع سجلته .

س – هل تظن يا سيد (بيك) أن هذا تعصب عنصرى ؟

ج– هذا واضح وضوح الشمس ، ليس من الممكن أن تكون ملكة العودة إلى الوطن في فريمونت زنجية ولهذا في الوقت الذي يحاول «جو» أن يبيع تذاكر أكثر كانت الفتاة تدخل في مأزق.

س– هل كان من الممكن أن يدبر هذا المأزق لفتاة بيضاء إذا كانت قد تقدمت للمسابقة؟

ج– مطلقا ، فما كان السيد جو ليفعل هذا.

س– السيد جو هو والد الفتاة التي تنازلت أليس كذلك ؟ هل تعرفه جيدا؟

هل عملت معه في مشروعات للمدرسة ؟

ج– نعم أعرفه فقد كان في مجلس الكلية ، وهو رجل غني جدا و بارز في الشئون المدنية يؤدي أعمالا طيبة جدا المدينة فريمونت.

س– لابد أنك كنت تعرف الأمر فهل شعرت أنه كان يجب عليك أن تفعل شيئا س لإيقافه ؟

ج– نعم إن السجل يمين هذا فقد قدمت احتجاجا إلى اللجنة واستدعيت

جو وشرحت له الأمر ، وكان هذا كل ما أستطيع عمله .

س- هل كان ممكنا أن تذهب إلى السيد جو وتخبره بما عرفت ؟ أكان يمكنك أن تقول له مثلا إن أصحف قد سمعت بعض القيل والقال وأن أحد محرري الصحف قد طلب إليك أن تكشف المؤامرة؟

ج- هذا إجراء مستحيل أولا لأني لم أكن أعرف شيئا على وجه التأكيد و ثانيا لأنك لا تتحدث إلى مواطنين من ذوي المكانة على هذا النحو، ولذلك فإن ما تقترحه غير عملي على الإطلاق.

لقد كان السيد بيك يبدو لنا في هذا الحديث وبعده شخصا مخلصا ولكنه في حيرة فهو بكل شجاعة من أجل العدالة و لكنه يشعر أنه موقف حرج لا يستطيع تغييره . وفي رأيه. يقف أن التعصب العنصري يرتبط بالشهرة والغني أو بمعنى آخر بالمركز والثروة والنفوذ . و بطريقة أو أخرى ، عمل المجتمع على أن يهزم سارة ويفهم منه ضمنا أن المواطنين الزنوج يجب أن يلتزموا مكانهم – أي أن يبقوا تابعين للبيض . ونحن نميل إلى الاعتقاد بعد دراسة كافة المعلومات والحقائق أن أمثال السيد جوهم الذين يسكنون للشر في البلاد ويمهدون لحركته ونشاطه .

التعصب والتحيز

ما هي أمكنة التعصب والتحديز ؟ ولماذا يجب على المدارس أن تعترض عليها ؟ إننا نقصد بالتعصب ذلك الشعور العدائي أو الشعور

المضاد لكل عضو من خارج الجماعة لا لسبب إلا لأنهم من خارج الجماعة ، والتحيز هو الجانب العملي للتعصب ، أي أنه طريقة السلوك التي تحرم هؤلاء الأشخاص من حقهم وتسلبهم مزايا المنافسة العادلة والتمتع بتكافؤ الفرص.

وهناك أربعة قوانين بين التعصب والتحيز ، وكلها احتمالات منطقية:

تعصب + تحيز

عدم تعصب + عدم تحيز

عدم تعصب + تحيز

تعصب + عدم تحيز

فالشخص المتعصب المتحيز هو الذي يتعصب ويتحيز كالمدرس الأبيض الذي لا يحب الأطفال الملونين وبذلك يجعل الأمور صعبة عليهم . أما الشخص غير المتعصب وغير المتحيز فهو الذي لا يميز بين الناس بل يعاملهم جميعا معاملة واحدة مثال ذلك المدرس في حالة ريهوفس. إن هذين الشخصين نقيضان منطقيا ، وكل منهما ثابت من وجهة نظر توجيه القيم أما النوعان الآخران في المثال فهما مركبان ، ينقصهما التكوين الخلق الملائم. كما أنهما موضوع أساسي من موضوعات إعادة التربية من حيث النظرية .

نعود للحالة لنقول إن فريمونت بلدة تتكون من حوالي.٥٠٠٠

نسمة ، في تكوينها العام نفس التكوين العام الذي يوجد في بيئات نفس الحجم بالغرب الأوسط للولايات المتحدة حيث توجد هناك ثقافات عامة و ثقافات خاصة، وهناك أيضا عدد من التنظيمات المتداخلة لكل منها أسباب تبرر عملها في التكوين العام . وكل شبكة من هذه التنظيمات المتداخلة تعمل كنظام فرعي للعلاقات الإنسانية الموجودة في المجتمع وهي تعمل وحدها كما تعمل على اتصال تنظيمات أخرى متنافسة أحيانا و متعاونة أحيانا أخرى . وقد نفترض إذا اقتضى الأمر الدراسة الميدانية أنواعا مختلفة من هذه الأنظمة الفرعية ، يمكن ضمها بعضها إلى بعض عند القمة لكي تشكل ما يمكن تسميته بهيكل السلطة أو النفوذ.

ولقد كشف البحث عن أن هيكل النفوذ عبارة عن نسيج من القيادات المنسوجة بعضها في بعض ، فيه "محورا" داخليا، قوامه ٥ إلى ١٠ قادة وفيه "سدا" خارجيا قوامه قادة مساعدون المحور أو القلب يربطون المجتمع في الأمور التي تحتاج للتصرف . إن هؤلاء الأشخاص الذين تتركز فيهم السلطة السيد جو في فريمونت مثلا هم الذين يضعون قرارات تؤثر في الصلح العام ، وهم يتصرفون بالتأكيد داخل حدود أنظمة ذات سلطة ونفوذ أكبر وأوسع كالولاية والإقليم والدولة . هؤلاء الناس طيبون من زاويتهم الخاصة ، وهم يتصرفون أو يعمدون إلى أن يتصرفوا بما يتفق مع المصلحة العامة .

في مناقشة الطلبة لحالة فريمونت يميلون إلى تركيز تفكيرهم على جوانب السلطة فيها وقد سلك بعضهم طريق المعرفة ويحاولون أن يزيدوا

معرفتهم عن التعصب ، وقد يهتم آخرون بالجوانب الأخرى من عناصر المعتقدات والقيم والمهارات وصدق الحكم ، فهم يعرفون كما يعرف غيرهم أن أي مجهود حقيقي تتولاه المدرسة لتحسين العلاقات العنصرية لابد أن يدمج هيئات التدريس في نظام السلطة المحلية . ومن المفيد أن يتناول الطلبة الحالة من النقطة التي أحتج فيها السيد بيكه على تصرف اللجنة .ثم يحاول الطلبة بعد ذلك مناقشة الموضوع أو كتابة بحوث عنه، شيرون فيها على ناظر المدرسة بما يمكن عمله لحل المشكلة .

القضاء على الفوارق العنصرية وإدماج عناصر الأمة بعضها في بعض

إن المسائل المحرجة في العلاقات العنصرية في البلاد إنما تتمثل في المفاهيم التي ذكرناها من قبل ، وهذا الموقف ينشأ إلى حد كبير من قرار المحكمة العليا بالولايات المتحدة الصادر في ١٩٥٤، وسنذكر جزءا منه فيما بعد. وقبل أن نتقدم خطوة في هذا الاتجاه، لابد لنا من فهم المفهومين ، وأن ندرس حالة من حالات إزالة الفوارق العنصرية .

ويقصد بإزالة الفوارق العنصرية باختصار إزالة الحواجز بين العناصر ويتضمن هذا عملية تغيير في نظام يفرق بين التسهيلات المخولة للبيض وتلك المخولة للملونين ، وهو نمط يقوم البيض على تنفيذه أولا وأخيرا – إلى نظام لا يسمح بالتميز العنصري – وعلى النقيض من هذا فإن إدماج عناصر الأمة يتضمن ارتباط اختيارية ومشاركة في القيم . وعلى هذا

فالإدماج في جوهره عملية سيكولوجية ، أي مسألة اختيار شخص أكثر منه إلزام قانوني .

ولما كنا قد اشتركنا في حالة فنيل وعرفناها عن كثب ، فسندرس هذه الحالة ، وصاحب هذا التقرير هو مدير المدارس، وهو رجل تربوي من أهل الجنوب ، ولما كان ذلك التحول المطلوب يجري في طريق التنفيذ ، فإن التقرير غامض في بعض جوانبه ، مما يسترعي الالتفات إلى تلك المنطقة .

إزالة الفوارق العنصرية في فينيل

هنا في هذا الجزء من الجنوب ، عارضنا بقلوب حزينة قرار المحكمة العليا الصادر في مايو سنة ١٩٥٤ . ولحسن الحظ كان حكم المحكمة في يونيو سنة ١٩٥٥ قد أتاح لنا وقتا لحل أكبر مشكلة واجهها الجنوب بعد الحرب الأهلية بين الولايات .

هناك كما نعلم جميعا وجهات نظر متباينة . فيرى البعض أن تقام مدارس خاصة يدفع الآباء والأمهات تكاليفها ، ويرى آخرون أن تشريعات الولايات تخول تحويل أموال الحكومة الفيديرالية إلى هذه المدارس غير العامة ، ويقترح آخرون إقامة مدارس مثلثة النظم ، تضم مدرسة للبيض وأخرى للملونين و ثالثة للعنصرين إذا وافق آباء الطلبة على الاختلاط . هذا بيها يدعو أخرون إلى تقسيم المدارس في المنطقة كما تقسيم الدوائر الانتخابية بما يحقق فوز حزب معين على غرار ما يحدث في المدن الكبيرة في الشمال . على أني أستطيع أن أؤكد أن في معظم الأماكن

في هذه الولاية سينفذ قرار المحكمة العليا وإن تطلب هذا سنوات قد تمتد إلى جيل بأكمله.

ولقد سرت الخطط الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية في المدارس بمدينة فينيل وحدث هذا كما تعلمون ، رغما عن المعارضة القوية التي قامت وكانت لجنة التخطيط التي أقامها مجلس المدارس لاستشارتها في المسائل العنصرية تضم جماعة من أهل المدينة ما بين رجال الأعمال وكبار المهنيين كما تضم أعضاء من الزنوج فتضم مثلا رجل أعمال و قسيسا ومندوبة عن اتحاد الآباء والمعلنين الزنوج وهي السيدة (س) وهي التي أقامت من اتحاد الآباء والمدرسين الملونين آداة مفيدة للتعاون بين المدرسة والبيئة .

وكان الغرض هو وضع خطة خمسية وكانت السنة الأولى فترة تخطيط أما في السنة القادمة فسنعمل على إزالة التفرقة في الصفوف الأول والثاني والثالث والرابع بين الأطفال الذين يلتحقون بالمدارس العامة القريبة من منازلهم إلى أن تستوعب هذه المدارس أقصى إمكانياتها. وبعد ذلك، يلتحق التلاميذ بالمدارس التي تلي هذه في القرب وسيطبق هذا المبدأ على جميع فرق المدرسة وفي السنة التالية سيعاد تنظيم هذه الصفوف، وفي السنة التي تلي ذلك تتبع نفس هذه الطريقة في المدارس الإعدادية والثانوية. وتخصص السنة الخامسة لدراسة ومناقشة موضوع عدم التفرقة، وترسل التوصيات إلى مجلس المدارس لمراجعة وتعديل نظام المدارس إذا وجد المجلس ضرورة إلى ذلك .

ولقد أسميت هذه الخطة فلسفة العقل و التدرج. لكن أحدا من البيض لم تستهوه كلمة واحدة من الكلمتين في الجنوب وغيره وحين استدعيت لإبداء الرأي للمجلس قلت إنه لا توجد خطة غيرها ممكنة من الناحية السيكلوجية أو الإدارية في فينيل وقلت ومازلت أكرر هنا ، أنه إذا أمكننا أن نعمل على عدم التفرقة بسرعة أكبر فستفعل . ولكنى ، مع ذلك ، أشك في هذا . فإنه مهما يكن ما نعرف أو نظن أننا نعرفه عن هذا التحول الكبير ، فهو قليل بالقياس لما سنعرفه كلها سرنا في تنفيذ هذه التغييرات.

ومن مزايا هذه الخطة أنها تعطي الجمهور وقتا يعتاد فيه على تقبل فكرة المدارس المختلطة العناصر . وثمة ميزة أخرى ، هي أننا في المدارس نستطيع أن نقدر حاجاتنا المباشرة والطويلة الآن كما ذكر لنا مجلس المدارس حتى نتقدم بتوصياتنا الخاصة بالتنفيذ بأقل تكلفة ممكنة ونختم تقريبا هذا بعرض بعض المشكلات الخطيرة التي واجهناها ، أو لابد أن نواجهها.

من هذه المشاكل إجراء تقدير سكاني للقطاعات المختلفة في المنطقة، وهناك بناءان غير صالحين من مدارس الزنوج لابد من إزالتهما وهناك مدرستان جديدتان للصفوف الأولى لابد من إقامتهما ثم مدرسة إعدادية ثانوية تبني فيما بعد. وهناك أدوات وأجهزة وأثاث يشتري ويوزع وهناك مدرسون يستبدلون بغيرهم ممن لا يصلحون المدرسة متكاملة الصفوف والعناصر، ثم هناك مشكلة وضع التلاميذ في الصفوف المناسبة

حسب قدراتهم وما يستتبع هذا تغيير في توزيع الصفوف وفي نصاب المدرسين من الحصص. .

وهناك مشكلات أخرى كتعاون الآباء مع المدارس ، على أني أستطيع أن أرى أن المسائل الرئيسية التي تواجه المدارس والمجتمع تتجمع في اثنتين أولاهما : هل يواصل المواطنون مساندة هذا التغيير ، ومساعدة المدارس والآباء و غيرهم على تحقيقه ؟ أعتقد أنهم سيفعلون إذا أن معظم الحديث عن العنصر أو الجنس كان وما يزال ذا صيغة سياسية ، بمعنى أنها وعود كان يبذلها السياسيون للناحيتين في مسائل لا يحسنون التصرف فيها، وثانيتها: أن أكبر مشكلة تواجهنا هي مشكلة مالية وقد يستطيع مجلس المدارس أن يرفع الضرائب المحلية و لكن بقدر قليل لا كثير كما تستطيع الحكومة الفيدرالية عن طريق حكومات الولايات أن تخفض من النفقات الإضافية على المدارس التي تعمل على القضاء على التفرقة العنصرية.

ولقد استمرت مدارس فينيل في عملية القضاء على التفرقة العنصرية، بعد أن أتمت تغيير الصفوف الأربعة الأولى. وكانت هناك بعض المشكلات مع الآباء والأمهات، ونشأت حركة ضد هذه المدارس ولو أنها لا تبدو قوية فقد كان مدير هذه المدارس من القادة المحبوبين الذين يعتبرهم مجلس المدارس د رجلا ذا نظرة معقولة بالنسبة للعنصر ، ومجلس المواطنين الذي يقوم بإسداء النصح لمجلس المدارس عبارة عن هيئة من ذوى الرأي المستنير قادرة على خدمة ما ترى أنه الخير العام للمدينة أو للولاية أو الأمة وقد يبدو مجلس المدارس كحلقة ضعيفة في السلسلة . إذ أن اثنين

من أعضائه تاجران محليان وقد يضار ان إذا كان هناك رد فعل مضاد من الجمهور.

وتوضح حالات أخرى من حالات القضاء على التفرقة أنماطا مختلفة وإن لم يتسع المقام هنا لتناولها وقبل أن نبحث في هذه المسألة يحسن بنا أن نقرأ جزءاً من قرار المحكمة العليا .

قرار إجماعي للمحكمة العليا١٩٥٤[١]

لعل التعلم الآن أهم وظيفة تضطلع بها حكومات الولايات والحكومة المحلية و لعل قوانين التعليم الإلزامي وتلك النفقات الكبيرة التي تنفق على التعليم تؤكد ما نذهب إليه من أهمية التعليم لمجتمعنا الديمقراطي .... فمن غير المحتمل أن ينتظر من أي طفل أن ينجح في الحياة إذا حرم فرصة التعليم . وهذه الفرصة التي تعهدت الدولة بتهيئتها، هي حق يجب أن يكون متاحة للجميع بصورة واحدة متكافئة.

ونعرض الآن لسؤالنا ، هل الفصل بين الأطفال في مدارس التعليم العام فقط على أساس العنصرية وحدها حتى مع تساوى كافة العوامل المادية وغيرها من العوامل الملموسة تحرم أطفال الأقليات العنصرية من الفرص التعليمية المتكافئة ؟ إن الجواب على ذلك بالإيجاب . فإن الفصل بينهم وبين غيرهم من سنهم ومؤهلاتهم بسبب العنصرية يولد شعورا بانحطاط شأنهم في المجتمع انحطاطا يؤثر على قلوبهم وعقولهم تأثيرا لا يمكن أبدا إزالته ....

ونحن نختم بقولنا إن في ميدان التعليم العام لا مكان للمبدأ القائل بالانفصال مع المساواة ، مجرد وجود تسهيلات تعليمية منفصلة يتضمن عدم المساواة .

ولهذا فإننا نعتقد أن المدعين وغيرهم ممن هم في وضعهم يكونون بسبب هذه التفرقة محرومين من الحماية المتساوية التي تكفلها القوانين التي يكفلها التعديل الرابع عشر من السذاجة أن نظن أن هذا القرار لم يكن متوقعا في الجنوب وإن جاء إعلانه صدمة واضحة ، وكانت الصورة القومية في هذا الوقت كما يلي :

٤ ولايات تخول (حرية الاختيار المحلى) فيما يتعلق بالفصل بين العنصرين في المدارس العامة .

١٦ ولاية تمنع التفرقة في المدارس العامة .

١١ ولاية ليس لها قوانين محددة للتفرقة.

ولقد أجلت المحكمة العليا تنفيذ حكم صدر في يونية ١٩٥٥ ، إلى جلسة تالية تطبيقا للقانون.. وجاء في حيثياتها أن عملية التنفيذ يجب أن تشرف عليها المحاكم الفيدرالية في المنطقة وأنه يجب اتخاذ الإجراء لبداية عاجلة ومعقولة إزاء المدارس المتكاملة ، كما يجب ألا يسمح بالتخلي عن المبادئ المنصوص عليها بسبب الاختلاف عليها . ويمكن القول بصفة عامة بأن الجنوب انقسم بسبب قرار المحكمة العليا فقال بعض حكام الولايات والمجالس التشريعية إن الدولة ستقاوم عدم التفرقة بالاستغناء عن

التعليم العام إذا لزم الأمر وهذه حركة يمكن أن توقفها المحاكم العليا قبل أن توضع موضع التنفيذ . واتخذت بعض الولايات سياسة الانتظار والترقب لما تسفر عنه نتائج القضايا المنظورة أمام المحاكم للفصل فيها . على أن الولايات الجنوبية بدأت تستجيب للقانون ، أو أن تحدد فترة معقولة للقيام بهذا الإجراء

وفي عدد كبير من الأماكن طرأ تقدم كبير على الآراء الخاصة بعدم التفرقة والإدماج ، وفي عاصمة البلاد بدأ تخطيط نظام المدارس العامة على أساس عدم التفرقة قبل حكم المحكمة العليا بسنوات ، ووجد العاملون بالمدارس ما يشجبهم على حضور المؤتمرات والدراسات التطبيقية على العلاقات الإنسانية الديموقراطية ، وفي سنة ١٩٥٢ اصدر مكتب مدير المدارس كتابا عن هذه النواحي من النشاط أعدته لجنة من المعلمين . و تقابل النظار والمدرسون البيض منهم والسود،. وإن كان في نظام مزدوج ، تقابلوا لبضع سنوات التصميم مشروعات وبرامج مدرسية . وأقيمت دراسات عملية محلية لكي تخلق تفاهما أفضل بين المدرسة والبيئة .

وبمجرد أن صدر حكم المحكمة العليا ، أمر الرئيس أيزنهاور المسئولين في المناطق بالبدء في عملية عدم التفرقة ، وبعد ثلاثة أسابيع أصدر مجلس التعليم سياسة حازمة لوضع نظام وحيد موحد للتعليم ، وبغير ما جدل جديد نقل التلاميذ ، وأدمجت هيئات التدريس بالمدارس . وفي مدرسة ماكينلى الثانوية كانت المشكلة الوحيدة هي الرقص المختلط . وعندما عرضت هذه المسألة على مجلس الطلبة لحلها ، رأى بعد بحث ودراسة

حذف الحفل الراقص بمناسبة عيد الميلاد بالمدرسة لهذه السنة ومنذ ذلك الحين ، قل التوتر بشكل ظاهر وأصبح التصرف في جميع مناسبات المدرسة للطلبة جميعا ، ولقد اتفق الطلبة على ألا يكون هناك رقص مختلط ورؤى أن يترك هذا الأمر لهيئة الأساتذة للنظر فيه.

ويجب أن نذكر أنه كان من الممكن التنبؤ بزيادة النفقات الإضافية للمدارس في فينيل وهو خبر صحيح بالنسبة لمدارس الزنوج التي كانت مهملة من قبل ، أما في واشنطن لم تسكن هناك زيادة تذكر في مصروفات التعليم نتيجة عدم التفرقة وفي سانت لويس طلب تحقيق وفر في النفقات لا يقل عن نصف مليون دولار. وفي مقاطعة ميسورى missouri بلغ المدخر ما بين ثمانية وعشرة ملايين من الدولارات في السنة الأولى .

ونحن نعتقد أنه ليس هناك طريق واحد لعدم التفرقة كما أنه ليست هناك قواعد تتجاوز حدود العقل ، وعلى الرغم من أن اتخاذ القرارات يجب أن يشترك فيه المجتمع كله فإن السلطة التي غليها أن تتصرف يخولها القانون المجلس التعليم ويحتمل أن يسير عدم التفرقة سيرا طبيا إذا كان قرار مجلس التعليم واضحا وحازما ويجب التفكير فيما ينتظر من قيام معارضة منظمة من جانب المواطنين مقدما ووضع خطة العمل على مغالية هذه المعارضة إذا قامت. إن كل ما عرفه وما تعلمه الباحثون وأنصار الواقعية من حل المشكلات بطريقة ديموقراطية مناسب لهذه العملية البالغة الأهمية عملية هذا التغيير الهام .

تعليم المعتقدات الدينية

قد يبدو من غير الطبيعي أن ننتقل من العنصرية إلى الدين ، لكن هذا ليس صحيحا في الواقع ، فالمسائل العقائدية كما سبق القول ، ليست بالنسبة لفصول الكلية أمرا يسهل تبينه ومناقشته وسنضع أولا قائمة بالمشكلات الرئيسية الموجودة في تفاصيل الحالات .

نوع المشكلة أو المسألة

١- قراءة الإنجيل في المدارس العامة . تختلف الحالات مابين رفض القراءة والموافقة عليها ، وهل تتناول القراءة العهد القديم أو العهد الجديد مع التعليق على ما يقرأ أو بدون تعليق ؟

٢- مراعاة المدارس أو عدم مراعاتها للعطلات الدينية ، عيد الميلاد ، الجمعة اليتيمة ، أربعاء الرماد ، تحية العلم ، العهود .

٣- سلوك الطالب الأخلاقي في المدرسة وفي طريقه إليها وعودته منها ، اللغة والسلوك . بناء الخلق والمدارس العامة . تعليم المثل العليا الأخلاقية :

٤- معارضة الكنيسة لآراء المعلمين ، التعليم ومواد المنهج . عدم الاتفاق مع مجلس المدارس ، أو قرارات السياسة الإدارية .

٥- ما تفرضه الكنيسة على الأطفال من ناحية الوقت برامج لفترات

الراحة التعارض بين جدول المدرسة ونواحي النشاط الخارجة عن المنهج .

٦- اشتراك المدرسة أو عدم اشتراكها في نواحي النشاط الخاصة بالنشاط العقائدى كأسبوع الأخوة وأحد العلاقات العنصرية ، والتسامح الديني .

٧- المساعدة الفيدرالية للتعليم العام أو غير العام (كالتعليم الذي تشرف عليه الكنيسة أو الهيئات الكنسية) تعزيز الخدمات الإضافية بالمدرسة . -

ويبين عدد من الحالات المجهودات التي تبذل من أجل إدخال الدين والأخلاق في المدارس العامة ، أي تعليم الدين كوجه من أوجه الثقافة والاحتفاظ بالآراء العقائدية خارج المدرسة . ولقد ذكرنا في مكان آخر بالتفصيل حالة من هذا النوع ، وهي موجز لبرنامج مشترك بين المدرسة والبيئة . ولا نرى حاجة إلى تكرار هذا النوع من الحالات و لعل أحسن رأى ضد أي تعليم من هذا النوع ، بصرف النظر عن أي الضمانات المتخذة هوما كتبه «تاير»

إن الحالة التي نتناولها لا تقع في مجال الجدل العنيف وإنما هي خدمة من خدمات المدرسة للبيئة . متضمنة موضوعا دينيا ، وهذا لا نكون بمنأى عن النقد ، والذي يعنينا منها هي جوانبها الفنية و مشكلات العلاقات الإنسانية وصاحبة هذا التقرير متخصصة في الموسيقى ، وهي فتاة موهوبة

، وهذه هي السنة الأولى لها في التدريس بالمدارس العامة وكانت هي التي تقود جماعة الم تلين .

ترتيلة عيد الميلاد

تجربة في ميدان التعاون بين المدرسة والبيئة

عندما قبلت وظيفة في مدرسة ودزبوينت ، كان المفروض أن يقتصر تدريسى على الصفوف الجنسية ، وكانت ثلاثة منها يختص بالخطابة العامة ، واثنان في مخارج الألفاظ والإملاء ، ثم تدريس فن المناظرة والتمثيل للكبار. أما كيف امتدت هذه الواجبات بحيث أصبحت تغطى مادو الآن أنه الترتيلة السنوية لأعياد الميلاد ، فهو موضوع هذا التقرير ، وكان الجانب الذي يعنيني هو جانب التنظيم ، أي كيف أقود مشروعات من هذا النوع ، ولهذا سأركز على هذا الجانب في تقريري .

وكنت قد قضيت صيفا رائعا قمت فيه بعدة زيارات المدينة ستراد فورد أون أفون وغيرها من المراكز الأوربية التي تشتهر بالفنون المسرحية ، لذلك كنت أتوق جدا لأن أقوم بتجارب في ترتيل الجماعات . ولم تكن إلى آراء غريبة متطرفة ، كخلق النجوم مثلا ، أو عرض تليفزيوني لامع ، أو الكشف عن موهبة خارجية إذا كان من الممكن تجنب استخدامها ، وإنما كان كل ما لدى هم طلبة وطالبات بالمدارس الثانوية وهيئة التدريس ، وهاو أمين في الإخراج ، وكان هذا أفضل ما يمكننا خلقه ، وكان المشروع تتولاه المدرسة بالاشتراك مع البيئة . وكان يشمل الموسيقى والرقص

والكلام والتمثيل وأنواع مختلفة من فن المسرح . وقد يمتد إلى أقسام أخرى بالمدرسة كقسم الصحافة مثلا.

وفي أوائل شهر أكتوبر ، كاشفت بالموضوع السيد روس ناظر المدرسة ، الذي طلب منى أن أضع تخطيطا مبدئيا للخطة العامة . وعرضت هذه الخطة على مدير المدارس السيد ماكلين ليوافق عليها ، وجاءت موافقته الخماسية في الحال بشرط أن يقوم المشروع بتمويل نفسه نظرا لحالة الميزانية ... الخ... الخ .. ولقد وصل السيد روس بالمناقشة إلى نقطة الحصول على ثلاثة أرباع التكاليف من بيع تذاكر ، وأن يؤخذ الباقي من المصروفات الإضافية بالمدرسة . ودفعت جماعة الترتيل النفقات وأبقت مبلغا إضافيا صغيرة للعام التالي .

وبعد الحصول على الإذن بالعمل ، عقدت اجتماعا يضم كل من كان يجب أن أستشيرهم في البداية . وكانت مهمتنا هي إقامة جماعة كبيرة دائمة تمثل المدرسة والبيئة ، ويمكن لهذه الجماعة أن تختار لجنة صغيرة منها لوضع سياسة الجماعة ، واللجان الأخرى التي قد تحتاج إليها وكانت هذه اللجان الأخيرة – أو اللجان الإضافية – تتكون من مجموعات يختص كل منها بأحده الموضوعات الآتية :

البرنامج	بيع التذاكر
الملابس – الفرق المسرحية	الحفلات
التدريب – التعليم	تقويم المشروع
المشرفون – الدعاية والنشر	مشروعات العام التالي

ولعلى أشعر بحيرة الآن من كثرة التفاصيل الدقيقة التي أذكرها . خذ مثلا لجنة السياسة أو لجنة التخطيط كما أصبحت تسمي – كان من الأهداف الأساسية هو أن ينسق بين أقسام المدرسة المختلفة للاشتراك كلها في الترتيل فرؤى أن يدعى ممثل لكل مهارة و لكل نشاط (كالموسيقى ، والرقص وغيرهما) للعمل في هذه الجماعة – كذلك لما كان من الضروري الحصول على تأييد البيئة ، رأت لجنة السياسة أن تضم إليها مثلين المختلف الجماعات في المنطقة كالكنيسة ، واتحاد الآباء والمدرسين ، ورجال الأعمال، وسيدات النوادي وقد ووفق بالإجماع على أن يطلب إلى السيد ما كلين مدير المدارس ليوفد مندوبا عنه ، وسرنا أن وقع اختياره على السيد روس ليخدم في هذا الميدان .

وبعد مناقشات كثيرة ، وضعت هذه اللجنة النقط الآتية كسياسة عامة :

١. على جماعة الترتيل أن تصور الفكرة الدينية لميلاد السيد المسيح مع تأكيد الإخوة بين البشر وحب الإله ، والسلام على الأرض والنية الطيبة .

٢. يجب أن ينوع البرنامج بصورة حية لميلاد السيد المسيح ، مع الاهتمام بالموسيقى المقدسة أكثر منه بالتمثيل أو الخطابة أو فنون الكلام

٣. لا تستخدم مواهب من خارج المدرسة. فالطلبة والمدرسون هم

الذين يقومون بكل الأدوار وتوزع الأدوار على أساس الهواية، والقدرة وحسن الأداء .

٤. يكون البرنامج من البساطة من الناحية الفنية بحيث يمكن التدريب عليه بالملابس مرة واحدة في النهاية.

٥. إذا لم يحضر أحد أصحاب المواهب تدريبين متتاليين دون عذر مقبول وجب عليه أن عطر أمام لجنة إضافية لتسمع أسباب تغيبه وإلا فإنه يصرف النظر عنه .

٦. تقوم جماعة التراتيل من البداية إلى النهاية في ضوء الاعتبارات الآتية:

(أ) ما تعلمه الطلبة وانعكاسه عليهم .

(ب) مساعدة هيئة التدريس والإدارة و تعضيدها .

(ج) تعاون البيئة و تقديرها لما يبذل من جهود .

وبدلا من التعرض لكل من هذه النقط سما تناول بعض مشكلاتنا . وكانت هذه المشكلات من نوعين ، فنية وإنسانية . أما المشكلات الفنية فتتمثل في تأليف التراتيل وإعداد الإضاءة والموسيقى وما شابه ذلك ، ولم نجد هنا شيئا يصعب علينا ، وإن كنت أعترف أننا قلما وصلنا إلى المستويات الفنية .

وأما المشكلات الإنسانية ، فهي أصعب في وصفها فقد اعترضتنا بعض المؤامرات الصغيرة ، وبعض أنواع الغيرة القوية بين الأشخاص ، ومرة أو مرتين حلت فترة هبوط في الحالة المعنوية ، وتنصل عام من المسئوليات ، ولقد شعرنا أن من الحكمة أن نصفي الأمور مع الكنائس

المحلية، واستطعنا لحسن الحظ أن ندخل التعديلات البسيطة التي كانت تطلب منا وكان لهذا العمل أثر حميد في الإعلان عن الحفلة وكسب مساندة الكنيسة . كما كان له أثر سيء إذ أنه أثار اهتمام بعض قادة التراتيل والذين كانوا يغنون غناء منفردا ، وكان بعضهم يسأل مباشرة أو يدور في طرق ملتوية لكي يضمنوا لأنفسهم دورا . وكانت بعض أقسام المدرسة تعمل مدة طويلة بجد، بينما كان بعضها الآخر يظهر عدم الاكتراث .

وفي مساء السبت من الأسبوع السابق علي عيد الميلاد ، وأيضا في مساء الأحد قدمت فرقة التراتيل عرضا أمام جماعة من المتفرجين الخبراء وجرى كل شيء على المسرح كل مرة دون خطاء على الرغم من أن العمل كما قلت كان ينقصه العمق والأناقة التي نجدها حتى في أي عمل فني متوسط . كانت المناظر حية ، و بسيطة ومتنوعة . كما بينتها التعليقات في حينها والرسائل التي أرسلت فيما بعد ، ولقد حظينا، بما يسمى في الدوائر الأخرى ، بجمهور طيب وبصحافة طيبة .

وتقوم لجنة التقييم في جماعتنا بدورها من العمل الآن ، وفي ضوء

تقريرها وخبرتنا ستخطط إنتاج العام القادم . ولم نعد نشعر بعد بأننا هواة ، وإن كان أمامنا الكثير الذي نتعلمه ، إن هدفنا للمستقبل هو إيجاد جماعة أفضل وليست أكبر ، لتراتيل أعياد الميلاد ، اشترك فيها عدد كبر من الطلبة والمدرسين علاوة على تأييد أكبر من البيئة ورعاية أكبر من جانبها

هذا النوع من الخدمات يوافق عليه ويسانده الكثير من المدارس . وفي تناول الحالة يمكن للذين يتخصصون في الموسيقى وفن التمثيل أن يلخصوا لفصلهم بالكلية الناحية الفنية الوضع البرامج . وقد يرى غيرهم من الطلبة تحليل مشكلات العلاقات الإنسانية الظاهرة أو المستترة في التقرير بما في ذلك تعاون الهيئات الدينية بالبيئة . ويمكن الوصول إلى تدريب جيد للمهارات بوضع خطة التقويم التي ذكرتها صاحبة التقرير .

تعليم الجماعات المتداخلة

وفي الختام ، يجب أن نوجه الأنظار إلى ميدان جديد في التربية الاجتماعية يظهر في بطء و لكن في يقين وهو ميدان العلاقات بين الجماعات بعضها وبعض . إن المطبوعات ، بما فيها الكتب المقررة ، تظهر الآن بكثرة و تنوع يدلان على أن الميدان حى وأنه ينظم الإفادة منه في تدريب المدرسين . إن البحوث التي ظهرت في هذا المجال فاقت انتشاره في مقررات الدراسة بالكليات، والحلقات الدراسية والدروس العملية مما يشير إلى الحاجة إلى سد هذا الفراغ.

وينطبق ما قيل انطباقا قويا على المدرسين في مدارس المدن الكبيرة

كمدينة سان فرانسيسكو أو شيكاغو، أو ديترويت ، لأن الكثيرين من هؤلاء المدرسين قد نشأوا في أماكن معظمها ريفية ومدن صغيرة وكانت اتصالاتهم فيها بأعضاء من عنصرهم وعقيدتهم وطبقتهم الاجتماعية، و مالم يأخذ تدريبهم بالكلية هذه الحقيقة في الاعتبار فإن القائمين بالأعمال في المدارس لا يكونون مئين تماما للتعامل مع الحياة المتحركة غير المتجانسة بالعواصم الكبيرة ، كذلك فإنهم لا يكونون مهيئين للقاء والاختلاط مع مختلف الناس الذين يكونون الأمة . وقد لا تكون أي دراسة أساسية معلومة تقوم على العلاقات بين الجماعات المختلفة بديلا لخبرة تمتد طول الحياة ، غير أنها على أي حال ذات تأثير ظاهر محسوس على الطلبة .

إن معظم الكتب المقررة التي تعالج موضوعات التربية بين الجماعات المتداخلة تركز على مفاهيم العنصرية والعقيدة الدينية والشعوب المهاجرة ، وقد تركز على الطبقة الاجتماعية لكن

جميع هذه الكتب تنميل أو تتحيز نحو الأقليات ، وهي مشاركة وجدانية ضرورية على الأقل . وفي رأى مؤلف هذا الكتاب أن بعض هذه الكتب تقرر في صراحة أن الجماعات العنصرية ، والعقائدية والقومية عليها أن تتحمل معركة الأمة في البحث عن اللباقة و العدالة في العلاقات الإنسانية والعمل على المساواة في الحقوق المدنية . وكلها تتحدى الخرافة المهنية التي تقول إن كل شخص مفكر يمكن أن يقف موقف الحياد في النضال من أجل المساواة ، و تكافؤ الفرص واحترام النفس ، كما أن لها تطالب بأن تقوم المدارس والكليات بدور أكثر فاعلية في هذه الحركة

الدائبة التغير التي لا تنتهي .

مشكلات ومشروعات

١. هل هناك طلبة أجانب في كليتك ؟ نظم مناقشة المشكلات علاقاتهم الإنسانية . اجعل الكثيرين من هؤلاء الطلبة أعضاء في المناقشة.

٢. هل التلميذ ريهوفس "مثلنا" حقا ؟ في أي النواحي يكون الجواب نعم ، وفي أي نواحى يكون ولا ؟ هل يجب أن يتعلم الأطفال أنهم جميعا سواء أم أنهم يختلفون كأفراد و كأجناس ؟ أو هذه الجوانب الثلاثة جميعها ؟ أيد رأيك بذكر الأسباب .

٣. ماذا يقصد بتعليم الجماعات المتداخلة ؟

٤. كيف يمكن تخفيف الصراع بين الأقلية والغالبية والتوتر الذي يحدث بين الجانبين ؟

٥. اكتب بحثا تذكر فيه أولا : ما إذا كان يجب القضاء على التفرقة العنصرية في مدارس فينيل ؟ و ثانيا : كيف كان يمكن عمل هذا بأفضل طريقة ممكنة ؟ ، وثالثا : تنبؤاتك الشخصية فيما يختص بالتكامل العنصري في هذه البيئة .

الفصل الثامن

وسائل الاتصال بالجمهور، استخدامها والرقابة عليها

"إن صورة الطفل مفعمة بالشعور بالإفساد .... وبالتطلع إلى ملذات اليافع – تلك الملذات التي لم تعد من حقه بعد" .

مارثا ولفنشتين

من الحقائق الغريبة ، أنه في الوقت الذي بلغت فيه وسائل الاتصال قمتها ، قل التفاهم بين الناس عما كان عليه قبلا. ويوجه بعض الناس اللوم بينما يدافع البعض الآخر – عن وسائل التأثير على الجمهور ، وخصوصا الوسائل الأربع الكبيرة ، وهي الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما وهي الوسائل الكبيرة التي يعتبرها بعض الناس أنابيب توصيل الأخبار إلى الجماهير . وهي تعمل على تنبيه كل شخص للأحداث وتأكيد الأهداف الوطنية ذات القيمة ، وتهيئه وسائل الترفيه الضرورية . ويعتبرها آخرون أنها الوسائل التي تنشر في أرجاء الأمة الكثير من التفاهات و ترهف الحس عند الإنذار بالخطر وتحط من الأذواق والأخلاق ، وتخلق عوامل من الخيال ظن الصغار خطأ أنها صورة حقيقية للحياة كما هي .

هذه فكرة عامة عن هذا الفصل . وهو موضوع دراسة يمكن لمجموعة

من الطلبة تغطيته في تقرير يقدم للفرقة عن بحث خاص بوسائل الاتصال . وتقوم خطة البحث في هذا الفصل على اختيار بضع حالات قليلة من وسائل الاتصال بالجمهور ، وصلة النشء بهذه الوسائل التي تؤثر على الاتجاهات والسلوك ، واستخدام هذه الوسائل في المدارس ، ومشكلة تأثير هذه الوسائل على قيم الجماعات ورقابتها.

الاتصالات بوساطات الجمهور

ما يسمى إحصاءات الاتصال أو تعرض النشء لوسائل الاتصال بالجمهور، هي إحصاءات تغير وتتنوع مع الزمن وتتبعثر في الصحف اليومية والدوريات. ويمكن لفصل بالجامعة أن يحصل على حقائق خاصة بهذا الموضوع إذا تيسر له قراءة مرجع في هذا الميدان . وسنذكر هنا إحصاء واحدا، و دو دراسة التليفزيون نوضح به اتجاه البيانات المتصلة بهذا الميدان .

في سنة ١٩٥٠ كان لدى ٤٣٪ . من تلاميذ المدارس في ايفانستون بولاية التيوي أجهزة تليفزيون في منازلهم ، وفي سنة ١٩٥١ كان لدى ٦٨٪ . منهم أجهزة تليفزيون و٨٨% كانوا يستطيعون استخدام أجهزة وفي سنة ١٩٥٣ وصل عدد الذين حصلوا على أجهزة تليفزيون إلى ٩٢٪ ويمكن معرفة الوقت الذي كان يقضي في مشاهدة التليفزيون في هذه الضاحية وغيرها من الضواحي القريبة منها في الجدول٣.

جدول (٣) متوسط عدد الساعاتالتي تقضي أسبوعيا في مشاهدة التليفزيون الفئة

١٩٥٣	١٩٥٢	١٩٥١	١٩٥٠	الفئة
٢٣	٢٢.٥	١٩	٢١	تلاميذ المدارس الابتدائية
١٧	١٤	١٤	—	تلاميذ المدارس الثانوية
١٩	٢١	٢٠	٢٤	آباء وأمهات
١٢	١١	١٩	—	مدرسون ومدرسات

المصدر كتاب المدرسة والمجتمع "لبول ويتى" صفحة ١٥٠

وتبين كل مجموعة أرقام رأيناها عن استخدام المذياع والتليفزيون تزايد استخدام الأطفال والكبار لهذه الوسائل . ويصدق الشيء نفسه بالنسبة لوسائل الاتصال الأخرى وإن كان لا يعدل التليفزيون والمذياع وسيلة أخرى في حشد المتفرجين والمستمعين ، وفي تسهيل عملية جمع أكبر عدد من الناس .

و يميل المدرسون لأن يسلموا بفكرة تقديم تلاميذهم إلى المذياع والسينما والمجلات الفكاهية وما شابه ذلك ، ومع هذا فإن التلاميذ يتأثرون بالحقائق حينما تعرض لهم بطرق جديدة.

لعب لكوريا

من عادتنا أن نقضي حوالي عشر دقائق في بداية اليوم المدرسي للتحدث في كل ما يريد الأطفال إثارته من موضوعات ، ولقد ناولتى شيرلى قصاصة من جريدة و طلبت إلى أن أقرأها على تلاميذ الفصل .

وكان الخبر عن طالب سابق بالمدرسة الثانوية ، وهو جاويش شاب عاد حديثا من الحرب الكورية . وكان مقر عمله بوزان حيث كان يساعد في إقامة مركز لرعاية الأولاد والبنات الكوريين ، وكان الجيش يمد هؤلاء الأطفال بالطعام والملبس والمأوى والرعاية الطبية ، كما كان قد أعد خططا لإنشاء مدرسة ولم يكن ينقص الأطفال شيء إلا أدوات اللعب . ولقد تذكر الجاويش هذا فطلب من أهل البلدة أن يرسلوا لعبا إلى كوريا .

وعندما تحدثنا عن هذه الفكرة تقبلها الأطفال وتساءلوا لماذا لا نرسل كل ما يمكننا الاستغناء عنه من لعبنا ؟ وكانت طفلة تمتلك دمية جميلة تريد إرسالها ، وكانت هناك دمية أخرى ، و مجموعة من كتب القصص و بعض البلى ودراجة أطفال مكسورة وكان صاحبها متأكدة من أنه يستطيع إصلاحها.

وعندما رأيت أن الفكرة قد وجدت قبولا وأن كل طفل كان عنده شيء يقدمه لهذا الغرض قلت إننا يجب أن نتحدث إلى ناظرة المدرسة لأن جمع اللعب وحزمها وشحنها يجب أن يكون منظما و تمضي المعلمة في سرد كيف قامت المدرسة في مسألة اللعب وكيف اتفقت اتفاقا تاما مع ورشة لإصلاح اللعب و مركز لحزمها وشحنها ولقد أدى هذا النوع من النشاط إلى نوع آخر هو تبادل الخطابات بين تلاميذها وبعض أطفال المدارس الكوريين .

تحديد فصائل الدم في كالمان

طلب إلينا أن نعلق على مشرع تحديد فصائل الدم ، وأن نعد حجرات المدرسة لذلك في المواعيد الواردة بجدول المشروع. وكانت المشكلة هي كيفية إعداد التلاميذ لهذا الأمر دون إفزاعهم . و كنت أعلم أن هذا لن يكون سهلا لأن تلاميذ الصف الرابع يخافون من أي شيء . وكان هناك ما يكفي لإفزاعهم في أوقات الحرب هذه ، ولهذا فإني أعددت لهم كلمة مبسطة .

وفي اليوم السابق لليوم المخصص لنا تحدثت إلى تلاميذ فصلى ، وشرحت لهم كيف أن مدينتنا قد تكون هدفا للقنابل يوما ما ، ولهذا تحتاج لدفاع مدني ، وأن جزءا هاما من هذا الدفاع المدني هو أن نأخذ قطرة أو قطر تين من دم كل شخص لنعرف نوع فصيلته لكي ندرسه كان السبب وجيها جدا ، إذ أنه إذا تعرض أي واحد لحادثة ، يمكن معرفة نوع دمه كما يمكن العثور على شخص يمنح المصاب دمه أو قد يؤخذ المصاب دم من بنك الدم ، و بهذه الطريقة ، يمكن إنقاذ حياته ويكون هناك أمل في شفائه.

وأضفت أن الدور سيحل علينا في الحصة الثانية في اليوم التالي وبعد أن أعطيت كل تلميذ ورقة يأخذها إلى منزله ليوقع عليها ولي الأمر بالموافقة ، سألت عما إذا كانت هناك أي أسئلة وكالعادة كانت هناك بعض أسئلة نذكر منها ما يلي :

هل تحدث عملية أخذ الدم ألما شديدا ؟ أين تغرز الإبرة وما حجمها ؟ هل أخذت منك سعيدة دم يا آنسة أور ؟ هل آلمك ذلك كثيرا ؟ إني أراهن أنك بكيت . أليس كذلك ؟ حسنا . أراهن "أن بيتى آن" ستبكي ولكني لن أبكي .

وجاء اليوم جمعت أوراق الموافقة ورأيت أن هناك خطأ ، ثلث الفصل لم يحضر أوراق الموافقة . ولما لم يقدم لي سوى ولدين فقط خطابات يرفض فيها الآباء الموافقة على هذا ظننت أن الأطفال كانوا يرفضون لأسباب خاصة بهم .

ولما كان ترتيبنا الثاني في جدول هذا اليوم . لم يكن هناك وقت لتضييعه . فقلت ماذا بكم ؟ وساد سكون . ثم تبعه بعض الضحك بين الأولاد . سيدنى ، ماذا حدث ؟ هل حدث شيء أمس بعد المدرسة ؟ ولم يحب أحد و بيتى آن ، أين ورقة الموافقة التي وقع عليها والدك ؟

وبالتدريج بدأ الأطفال يتكلمون ، وبدت القصة كلها غريبة الشكل. إن عددا من الأطفال ق د ذهب إلى دار السينما التي كانت تعد برنامجا للأطفال و كان العرض الرئيسي قصة باسم واحذر أيها البحار ، و كان بطلا الفيلم مثلين مزايين معروفين ، وفي أحد المناظر يجرى كشف طي على جيري لويس لاختيار فصيلة دمه . وعندما يحاول الطبيب أن يسحب بعض الدم . لا يجد شيئا يحاول مرة أخرى وأخرى ، ثم يستدعى أطباء آخرين . وبينما يستمرون في وخزه كبر حجم هذه الإبرة إلى أن تصبح رمحا

. ويستمر الأطباء في محاولتهم ويستمر جيري في أنينه وكان ما يخرج من جسمه سائل شفاف لا يشبه الدم فيأخذ المتفرجون في صياح هو دون شك صباح الخوف و لقد ذهبت لمشاهدة العرض ، ووجدته مزعجا حقا .

ولنعد ثانية إلى القصة ، يزداد أنين جيرى و تأوهه . ويستمر الأطباء في طعنه إلى أن يغمى عليه في النهاية فيعطى كوب ماء وينعش قليلا فيبدأ يتمايل على قدميه و يدفع ماء من كل مكان وخز فيه بالإبرة : كانت هذه صدمة قاسية أفزعت الأطفال . كانت تظاهرا كاذبا كما كان يعلم الأولاد جيدا ، ولكن هذا المزاح لم يكن مناسبا في هذا الوقت وعندما دق جرس الإنذار ، عرفت أنه يجب على أن أقوم بمحاولة أخيرة بائسة .

فقلت : واستمعوا جميعا إن ما نحتاج إليه هو بعض القادة لهذه المجموعة فن منكم يتولى قيادتنا في عملية أخذ عينات الدم ؟ ، قال أحدهم وافعلي أنت هذا . فأجبته حسنا ولكن اعتقد أن هذا من عمل رجل فقالت "بيتى آن" إن الأولاد خائفون فصاح أولاد كثيرون ولسنا خائفين ، وقال أحدهم أنا أتولى القيادة وصاح آخر بل أنا وكان هذا المحك لمعرفة من يكون قائد الفصل .

لم تكن هناك صعوبة بعد ذلك ، إلا استبعاد الأطفال الذين رفض آباؤهم التوقيع على أوراقهم بالموافقة .

وتنتقل الحالات من هنا إلى أمور أكثر جدية كحالة الأطفال الذين يعانون من مشكلة السلوك والأطفال المذنبين المضطر بين عاطفيا ،

ويطالب المدرسون بنتائج مماثلة تقريبا لتلك التي احصل عليها بلومر وهوزر في دراستهما التي سنذكرها فيما بعد . غير أننا نشك فيما إذا كانت العلاقة بين السبب والنتيجة يمكن أن تكون من البساطة والسهولة بحيث يحتمل تأجيل هذه المسألة الآن .

التليفزيون في المدارس

معظم المدرسين والمدرسات يعرفون ميدان الوسائل السمعية والبصرية ويجد الكثيرون منهم أن هذه الوسائل والأجهزة والمواد ، ذات قيمة كبيرة في تدريسهم ويجب أن يكون المدرس على صلة دائمة بما يستحدث منها .

تجربة في فصل ثالثة رابع

هنا يبرز سحر التليفزيون الذي يعتبر الآن أهم وأحدث وسيلة تعليمية . ويوجب المدرسون العروض التليفزيونية عجبا يظهر في أسئلتهم وفي ارتيابهم أحيانا فيما يرون ويسمعون . ومن الحقائق العلمية المذهلة أن مابين ٧٥ %و ٩٥% . من الأطفال لهم ذاكرة بصرية .

ووضع قائمة بما يلزم للعرض التليفزيوني يملأ صفحات . فهناك جهاز تليفزيوني يغري بمشاهدته وهناك أشرطة التسجيلات من مختلف الأنواع وكلها تعتبر ثورة وانقلابا في التدريس وهناك آلات للتصوير السينائي متوافرة . وكذلك نماذج مختلفة من الفانوس السحري والشاشة الفضية والأفلام والأشرطة السينمائية وغيرها ، وهناك نماذج للكرة الأرضية وخرائط و كتب مقررة ولوحات للعرض . وهناك آلة كهربائية تسمح

للمدرس بأن يجلس إلى منضدة وأن يفرز الأفلام التي يريد أن يعرضها على الفصل .

واللوحات والخرائط والرسوم كثيرة ومنوعة منها لوحات تنقلب صفحتها تلقائيا و منها لوحات تكشف المعلمة عنها سطرا فسطرا . وهناك اللوحات الشفافة التي تسقط فوق قاعدة من خريطة أو لوحة لتوضيح الأشياء المراد تركيزها وتوزيع المعلومات .

وهناك لوحات براقة ، يكتب فوقها بمادة ذهبية فتلمع الكتابة كأضواء الإشارات ، وكذلك هناك لوحات مصنوعة من الورق الحساس تلتصق فوقها الصور دون مشابك أو صمغ أو دبابيس وتوضع فوقها الأشياء و يمكن تغييرها حسب الطلب .

وقد أصبح تصميم حجرة الدراسة وأجهزتها حديثا أيضا وأصبحت الإضاءة داخلة في السقف وصمت الجدران على زوايا مختلفة وأصبحت ذات ألوان مختلفة متنوعة الظلال ويتحرك بعض هذه الجدران بطريقة آلية إذ تفتح وتقفل حسب الحاجة ، وأصبحت أحواض المعامل ، والصيوانات ولوحات العرض تبني في الجدران في تنظيمات مريحة وأصبحت كذلك قوائم الأبواب تصنع دون قاعدة تمنع تحريك الأجهزة والمواد الثقيلة . وتصنع النوافذ من جميع الأشكال والأنواع – جانبية وفوق الرأس . وهي مصممة بحيث تسمح بدخول أكبر قدر من ضوء الشمس وفي الوقت نفسه تحمى منه ، وتصنع المناضد أشكالا مختلفة تسمح بأن يفصل جزء منها إلى

وحدات للمجموعات الصغيرة أو أن توضع بعضها إلى جانب بعض للفصل كله كمجموعة واحدة ..

ومن الواضح أن في المدارس الآن بمجموعة خيالية من الأشياء الجميلة الرائعة . واستخدام المدارس للتليفزيون في التعليم وإن كان ما يزال في طفولته قد حقق تنويعا كبيرا في وسائل التعليم نكتفي بأن نذكر مثالا واحدا لها.

التليفزيون في مدارس فيلادلفيا

تستخدم المدارس العامة بالمدينة ٣٥٠ جهازا تليفزيونيا ، كما يوجد في المدارس الواقعة في نطاق العاصمة ما يقرب من ٢٠٫٠٠٠ جهاز آخر.

أول برنامج للتليفزيون يبدأ في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم المدرسي وهو يتكون عادة من مواد دراسية عادية كالموسيقى والفن والأدب والتاريخ والرياضة والصحة ويقوم بإلقاء الدروس مدرسون يختارون لامتيازهم في ميادين تخصصهم ، وتستخدم فصول في معظم الأحيان للعرض ، ويلخص للطلبة مقدما ما سوف يرونه في البرنامج بحيث يعدون لاستقباله واستخدامه جيدا .

وفي الأسبوع المحدد للعرض قام الكاتب بوضع برنامج مختلف لكل يوم فكان يوم الاثنين للموسيقى وكان التلاميذ في جميع مدارس المدينة يشاهدون ويستمعون إلى تلاميذ آخرين وهم يغنون منفردين أو في

مجموعات فيتمشون معهم في الغناء وكان يوم الثلاثاء للأعمال الفنية وعلى الأخص الرسم على الخشب ، وخصص يوم الأربعاء لرقص الباليه الشعبي وفي يوم الخميس عرضت

رحلة إلى المتاحف ، وفي يوم الجمعة كان يشاهد التلاميذ تمثيليات تعقبها مناقشة حول المائدة .

وقبل أن تدار أجهزة التليفزيون بالفصول ، تقوم المعلمة بشرح البرنامج والنقط التي يجب أن تسترعي اهتمام التلاميذ و بعد أن ينتهي البرنامج يناقش الفصل نواحي الاهتمام ، وقد يبدأ الفصل نشاطا مماثلا . ويعتقد المدرسون والمدرسات أن التليفزيون يضفي واقعية على التدريس، وعلاقة مباشرة لا توجد في التدريس العادي وهو يحث الأطفال على أن يكونوا أكثر وضوحا وطلاقة في كلامهم وأكثر دقة في ملاحظاتهم وأكثر عمقا في تفكيرهم ولهذا أصبح من الممكن أن نرى ونستمع في كل مدرسة إلى دروس تكشف عن مواهب التلاميذ .

وما يزال التليفزيون حديث الاستخدام في المدارس وقد لا يستطيع أحد أن يتنبأ بما يكون له من قيمة ، خصوصا إزاء الازدياد المضطرد في عدد التلاميذ بالمدارس والعجز في عدد المدرسين بدرجة كبيرة. والآن ، ما رأى المدرسين والمدرسات في استخدام التليفزيون ؟ لقد سألنا تلاميذ فصولنا من وقت قريب وعددهم ١.٠٢٨ ليضعوا قائمة لمانى وسائل تعليمية تستخدم في الفصل ترتب حسب أهميتها . ويجب أن يقال إن أقل

من ١٠٪ من هذه العينة قد نالوا خبرة في تدريس برامج التليفزيون . ويوضح الجدول ٤ متوسط درجات الوسائل التعليمية بالنسبة لقيمتها.

وسائل التعليم	(١) طلبة متخرجون	(٢) طلبة إعدادى وثانوى	(٣) متخصصون في التعليم بالوسائل السمعية والبصرية
عدد المشتركين	٥٤٦	٤١٠	٧٢
الكتب المقررة الأساسية	١	١	٢
الأفلام – الشرائط السينمائية	٢	٣	١
أشرطة تسجيل وأسطوانات	٦	٥	٤
كراسات عملية – مراجع – كتب للإرشاد	٢	٢	٦
برامج التلفزيون التعليمية	٧	٤	٣
لوحات – خرائط –رسوم – كرات أرضية	٤	٦	٥
برامج تجارية بالإذاعة والتليفزيون	٨	٨	٧
صحف ومجلات دورية	٥	٧	٨

١. ما يزيد على الثلثين مدرسون عاملون ذوو خبرة في التدريس .

٢. حوالي الخس يعدون للتدريس ، والآخرون ليست لهم خبرة بالتدريس.

٣. ثلاثة أرباع العدد مدرسون ذوو خبرة تتراوح بين ٤ ، ٥ سنوات وما

تزال الكتب المقررة تعتبر أفضل الوسائل التعليمية في نظر الجميع ، فيما عدا المتخصصين في الوسائل السمعية والبصرية فإنهم يضعون الأفلام والشرائط السينمائية في المكان الأول وهذا يرجع إلى حد ما، كما نعتقد إلى تأكيد رئيس قسم الوسائل التعليمية لأهمية هذه الأشياء، ويوضع التليفزيون في المكان الثالث والرابع والسابع وهو ترتيب ، من المحتمل جدا ، أن يتغير كلما تقدم التدريس باستخدام التليفزيون كما هو الحال في العواصم . ولاشك أن التباين في تقدير أهمية كل وسيلة من هذه الوسائل تباين يبعث على الدهشة، ويدعو إلى تكرار الدراسة نفسها مع طلبة الفصول مستقبلا.

استخدام المدارس للوسائل السمعية

من بين عدد كبير من الحالات التي تدخل تحت هذا العنوان نختار اثنتين لمناقشتهما هنا » وأولى هذه الحالات توعية الاهتمام نحو السينما الموجودة في الحي وهي وسيلة تعليمية تكاد تكون مهملة .

استخدام السينما الموجودة في الحي

معظم التلاميذ من صبيان وبنات بالمدارس الإعدادية يذهبون إلى السينما بانتظام ، وبعضهم تردد عليها حوالي ثلاث مرات في الأسبوع .

والسينما كغيرها من الوسائل التعليمية قابلة للتقدم ، ولا يستطيع المدرسون إغفال مثل هذه الخبرة الحية ، لكن معظم المدرسين لا يهتمون كثيرا بالسينما الموجودة بالحي أو أنهم يقللون من قيمتها بالتصرف غير

السليم . إذ يجب على المدرس بطبيعة الحال أن يشاهد الفيلم الذي منوى استخدامه .

هناك مثلا فيلمان يوضحان هذا ، أحدهما يسمي و إطلاق النار ، والآخر يسمى اتفاقية الرجال ،، وكلاهما يدور حول قصة لورا هويسون المعروفة بهذا الاسم ، فبعد أن يعطى التلاميذ فرصة لمشاهدة مثل هذه الأفلام ، يوجه إليهم أسئلة في الفصل عن نوع الأفلام اللطيفة التي شاهدوها وقد يذكرون أو قد لا يذكرون الفيلم الجاري فإذا لم يذكروا هذا الفيلم ، فعلى المدرس أن يسأل مباشرة إذا كان أحد منهم قد شاهده .. ثم يسأل إن كان أعجبه . و يتبع ذلك الاسئلة المألوفة لماذا أعجبك أو لماذا لم يعجبك ؟

هذه الأسئلة كافية كقاعدة لبدء المناقشة وإذا لم يحدث ، فإنه يطلب من أحد الطلبة أن يشاهد الفيلم وأن يخبر الفصل عنه ، أو قد تصبح هذا مهمة من مهام لجنة تكون في الفصل . ويجب أن تهتم مناقشة الفصل بأشياء معينة ، وبعد ذلك توضع قواعد في صورة خبرات من الحياة.

ولكي نعد موضوعا للمناقشة يمكن أن تذكر المعلمة حادثا من الأحداث ، ففي فيلم اتفاقية الرجال ، يعهد إلى رفيل، وهو أحد الكتاب أن يكتب سلسلة من المقالات عن ذوى الآراء المعارضة السامية في الولايات المتحدة فيقرأ بعض الكتب ويفكر ، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى زاوية يكتب منها ، فأي زاوية من زوايا هذه المشكلة يمكن لفصل

بالمدرسة أن يطرقها؟ والنقطة هنا هي أخذ عينة لما يعرفه الطلبة ، وعن شعورهم إزاء اليهود وغيرهم .

ويمكن أن نقول هنا كلية تحذير في الموضوع . إن الطلبة لا يمكن دفعهم إلى التفكير العميق الصادق ، وكذلك لا يمكن تحريك المشاعر الحقيقية عندهم فإذا لم يستجيبوا بحرية . لا تحاول أن تجبرهم . اذكر حادثة أخرى وأتبعها بتوجيه سؤال . فالجو المطمئن يدعو إلى التركيز والعودة إلى التفكير من جديد .

نعود ثانية إلى موضوع فيل فتخبر الفصل عن المنظر الذي يفقد فيه شجاعته ويقول إنه يجب أن يتخلى عما عهد إليه به . اسأل التلاميذ إذا كانوا يتذكرون لماذا لا يستطيع و فيل ، أن يستمر فيها عهد إليه به . أعطهم وقتا ليتذكروا فإذا فشلوا فاعمد إلى تلقينهم . يقول «فيل، أنا لا أستطيع أن أكتب لأني لم أشعر أبدا بهذا الشعور . لم يشعر بماذا ؟ والآن هل لدى الطلبة أي فكرة واضحة عن معنى كون الشخص عضوا في جماعة الأقلية .

إن الأفلام الجيدة هي التي تتغلغل في مواقف الحياة . استرجع حديث وفيل، وهو على مائدة الإفطار مع ابنه الصغير . موضوع الحديث هو الكراهية ، لماذا يكره بعض الناس غيرهم . هل أعطى تومى تفسيرا سلبها ؟ وإذا كنت أيها الطالب في مكان فيل Phil ، فإذا كنت تقول ؟ ولنأخذ زاوية أخرى . هل كان تومي حكيها عندما سأل عن اليهود ؟ هل

من الصواب عدم توجيه مثل هذه الأسئلة . وإن تترك مثل هذا الموضوع الحساس جانا ؟ ماذا يرى الطلبة في طبيعة العلاقات الإنسانية ، وهل يمكن تطويرها إلى ما هو أحسن مما هي عليه الآن؟

ولنستمر في الفيلم كان هناك أشخاص آخرون في السينما ، وكانت تختلف آراؤهم عن اليهود الأمريكيين ما رأى فيل في هؤلاء الناس ؟ هل كانت اتجاهات ديف والآنسة ويلز والدكتور ليبرمان هي نفس اتجاهات و فيل ؟ أي نوع من خبرات الحياة ، وأي نوع من الأحداث يوصل هؤلاء الناس إلى وجهات نظر هم ؟ كان رأي كاني وأم فيل كرأى دين والآخرين . كيف نمى الناس قيمهم ؟ هل هناك شيء يجب أن تعرفه عنهم أكثر أهمية من هذا ؟

إن أي فيلم جدي ، أو كتاب من كتب القصة الخيالية ، أو نوع من أنواع التمثيليات يصلح موقفا مفيدا جدا في تربية العلاقات الإنسانية .

وفي هذا المجال يستطيع الطلبة أن يناقشوا وجهات نظرهم وقيمهم ، نواحى قلقهم وطموحهم ويستطيعون أن يتمثلوا بشخصيات الفيلم أو القصة ويتحدثوا بلسانهم عما يريدون أن يقولوه ولكنهم لا يستطيعون قوله من جانبهم . إن هذا يتحقق فقط إذا كان المدرس ، كما كان في الحالة السالفة الذكر ، شخصا حكيا. إن من الخطأ أن نحاول كشف الغطاء عن الأشخاص خارج نطاق القصة لأنهم في معظم الأحيان يظهرون على حقيقتهم حيث يلبسون لفترة قصيرة قناع القصة الخيالية ليختبئوا وراءه .

إن الحالة التالية طويلة نوعا ما ، وهي حالة تقوم صاحبتها بتدريس الصف الخامس في حي من الأحياء الفقيرة بمدينة كبيرة ، وهي تتساءل ماذا استطعت أن أدرسه عن الروح الرياضية ؟ قد يكون من الصعب على طلبة الفصل أن يجيبوا عن هذا السؤال .

تدريس الروح الرياضية الطيبة

لكي أقدم إلى الفصل مادة عن الروح الرياضية الطيبة ، عرضت على الفصل فيلا يحمل هذا العنوان ، وأتبعته بمناقشة لتقييم الروح الرياضية الطيبة حسب مشورة مكتب مدير المدارس.

كان جوردى Gordie أول من رفع يده فسألته قائلة : جوردي ماذا تود أن تقوله لنا في هذا الموضوع ؟

فقال : إن الرجل الرياضي الحق يعرف القوانين و يطيعها ، فبدأنا بعد ذلك نضع القوانين في قائمة ، وكنت أكتبها نقطة بعد نقطة على السبورة، كن عادلا في اللعب ، تقبل قرار الحكم ، لا تتعارك ، لا تخف، احترم منافسك ، لا تسب ، احصل على قدر وافر من النوم ، لا تتعثر ، تعلم أن تتقبل الهزيمة بصدر رحب ، ابعد عن المشاجرات ، لا تشرب ماء باردا عندما يكون جسمك ساخنا ، ابذل ما في وسعك في أثناء اللعب لكي تفوز ، ضع ميركروكروم على الجرح .

وكانت جميع هذه النقط تقريبا با لفيلم ، وظننت أننا ألممنا بها جيدا،

غير أن نيقولا قال إنه الا يؤمن بهذه القوانين ، وإن الرياضيين الكبار لا يحترمونها ووافقه لويس ، وعارضتهما جوردى في مناقشتها . وقال نيقولا إني على حق ، إني على حق تماما وضحك الجميع عليه . فقص قصة أحد الرماة من سكان الشمال في أمريكا حيث ضرب شخصا وأوقف لمدة أسبوع فساندت دورين نيقولا ، وذكرت اسم فتاة في الصف السادس كانت في أثناء مباراة في لعبة الانزلاق قد ضربت منافستها ثم تشاجرت وكان الجمهور يهتف لها . ولكنها أبعدت عن الملعب ، فوقف الجمهور مرة ثانية وهتف طويلا، عندما كسبت السباق التالي .

ولحسن الحظ فقد أعادنا آلين مرة ثانية إلى الفيلم فقال : هل تذكرين يا آنسة هينتون ، منظر الشخص الذي ركل شخصا آخر في الفيلم ؟ حسنا ، إنه اعتذر له ، أليس كذلك ؟ إنه لم يكن يقصد الإساءة . وهنا توقف الولد ، غير أني أومأت إليه برأسي أن يستمر .

فقال : حسنا ، إن أي واحد يمكن أن يخطئ . لكن المهم أن نرى من الذي يتأسف . فوافقت على هذا . وقلت إن القوانين قد تكسر أحيانا ومع ذلك فإنها تظل قوانين . الرياضيون حقا هم الذين يراعون القانون والناس جميعا يحبون أولئك الذين يسبقون دائما في كل ما يفعلون . ثم ذكرت أسماء الكثيرين من الرياضيين المشاهير .

ولقد هيأت هذه المناقشة الفصل ، كما كانت تعتقد الآنية مينتون القراءات في الموضوع وجرى البحث عن كتب عن الرياضيين الكبار ،

كقصة جو لويس . وبعد هذه القراءة ، وضعت خطة لقيام الفصل برحلة

وعلى الرغم من أن القراءات سارت سيرا جيدا ، كان هناك ما يتطلب أكثر ، هو الاتصال بالواقع اختبار لما تعلموه .

فتحدثنا عن رحلات كثيرة ممكنة ، وقررنا مشاهدة لعبة الكرة بعد ظهر يوم السبت . وكان مقررا أن يلعب عمالقة الكرة بعد أسبوع على أرضهم فاستقر رأينا على مشاهدتهم ، ولما لم يكن لدينا سوى وقت قصير فقد بدأنا نستعد في نفس ذلك اليوم .

وفي يوم السبت تقابلنا في الساعة ١٢٫٣٠ في مبنى المدرسة . وعندما كان الأطفال يتجمعون تعرضوا للكثير من الدفع والشد كالعادة . كان جميع الأطفال في حالة شوق وشغف بالبدء بالرحلة ، فلما بدأت عربة المدرسة تستعد للقيام ، تسلق ولدان النافذة قبل أن أستطيع أنا أو السائق إيقافهما فر تبت التلاميذ في صف ورأيت لدهشتي أن ثلاثة أشخاص آخرين قد تسللوا إلينا بطريقة ما .

ولم تكن هناك ، أي طريقة للتحكم في الفصل عند ركوب العربة ، فقد وقعت تلميذتان فوق الأرض، وأصيبتا برضوض ، واضطر السائق أن يمسك بولد أو اثنين . واستطعت بصعوبة أن أجعل صوت مسموعا فصحت مهددا بأنه لن تكون هناك رحلة إلا إذا سلك جميع أفراد الفصل سلوكا حسنا .

وتأخرنا عن موعد وصولنا ، فكان اللعب قد بدأ حين وصلنا إلى الحديقة فاحتشده الأولاد واندفعوا كالمجانين نحو بوابة الملعب ولما كانت التذاكر معي ، فقد اضطروا للوقوف إلى أن وصلت إلى البوابة ، ووضعتهم في صف ، وبقدر استطاعتي سرت بهم إلى أن وصلنا إلى مقاعدنا .

وبمجرد أن جلسوا ، اشترى كل واحد منهم شيئا ليأكله ، وكان البعض قد ملئوا جيوبهم بأشياء مختلفة الأنواع ، وأخذ الأطفال يجرون داخل الصفوف وخارجها ، ويقفزون فوق مقاعدهم ويصرخون ، ويتسلقون عوارض حديدية وكان سلوكهم يميل إلى الشغب فسبب هنا إقلاقا لرجلين خلفنا دعاهما إلى توجيه السباب إليهم وتهديدهم بطردهم من الملعب .

ولست أرى فائدة في الاسترسال في ذكر هذه التفاصيل ، كانت التجربة كابوسا بالنسبة لي ولن أحب هؤلاء الأولاد في رحلة مرة أخرى. على أن أذكر حادثا واحدا هو نهاية الحديث

كان العمالقة The Giants في تدهور فلم تكن المباراة متعة . وعندما صاح الحكم بأن هناك ضربة خاطئة ، اندفع الخاسرون في زئير عال، وبالمثل فعل تلاميذ الصف الخامس وحدث أن سيدة ألقت بزجاجة فارغة فأخذوا يقذفون بالزجاجات وصناديق الفشار ، والجيلاتي وبعض الحجارة وسكين أو اثنين ولم استطع عمل شيء لتهدئتهم . وعندما اشتبك ولدان ، نيقولا وإيريني جوث مع رجلين من رجال الشرطة ، جذبهما رجال الشرطة من قمصانهما وأخرجاهما من الساحة .

ولست بحاجة إلى القول بأن هذا كله أصابني بمرارة شديدة فقد كنت قد اجتهدت في إعداد الموضوع حتى أجعله مفيدا فماذا استطعت أن أقوم بتدريسه عن الروح الرياضية ؟ أين مكان الخطأ ؟ كيف يمكن للإنسان أن يعلم مثل هؤلاء الأطفال ؟ أكون مسرورة جدا إذا قام الفصل بمناقشة هذا الموضوع .

أما الخطأ الذي ارتكبته هذه المعلمة ؟ كيف يمكن معاملة فصل من التلاميذ كهذا الفصل ؟ ما الطرق الأخرى التي يمكن اقتراحها للآنسة هيذنون و توجه المعلمة أخرى تواجه هذا النوع من المشكلات ؟ هل يساعد في هذا إدخال نظام قادة المجموعات بالفصل ؟ هل كان يحسن أن يطلب من بعض أولياء الأمور مرافقتها إلى الرحلة ؟ هل وضعت خطة لهذه الرحلة ، وهل وضعت مجموعة من القواعد والمفاهيم مقدما ؟ هل المعلمة نفسها غير واقعية ؟ أم أنها مثالية بتعبير أصح ؟ إن ما يدعو إلى تساؤلنا أكثر من هذا هو مالو أن المعلمة قد قرأت الحالة التالية ، لكانت تحصل على فكرة أعمق عن اتجاهات وسلوك هؤلاء الأولاد والبنات القادمين من الريف.

مشكلة السيطرة على الجماعة

إن الحالة التي نذكرها الآن، يمكن مقارنتها من بعض النواحي بالحالة التي سبق ذكرها . ولقد حصلنا على مادتها في مقابلة مسجلة على آلة تسجيل أجريت مع مدير أحد المسارح في بلدة كبيرة . ويذكر السيد و يتريث كيف استطاع أن يسوس سلوك بمجموعة من الصبيان المشاغبين في

الحفلات النارية التي كانت تقام لهم في عطلة نهاية الأسبوع.

الأطفال يديرون العرض

(س) لقد سمعت الشيء الكثير عنك ياسيد ويتريث . وعن الحفلات الصباحية التي تقيمها للأطفال في أيام السبت ، لقد سمعت أن الصبيان منظمون .

(ج) نعم إلى حد كبير .

(س) لست أفهم ما تعني

(ج) أعني ، أن الأطفال يشتركون معي في التنظيم لقد وضعنا نظاما خاصا وليست هناك متاعب الآن .

(س) ما هي المتاعب التي كانت موجودة قبل ذلك ؟

(ج) إنها متاعب من النوع العادي كحالة الأولاد الذين لا يتصرفون جيدا ، ويميلون إلى الصخب والصياح ، والتسلل ، وقذف الأشياء، والتدخين .

(س) يخيل إلى أن الأطفال هنا يسلكون سلوكا أسوأ ما يكونون في أماكن أخرى ؟

(ج) لا، مطلقا . الأطفال أطفال على الدوام . غير أنك لا تثور على

سلوك طفل عندما تعرف أن أمه أو أباه يستحق اللوم ، ولست أظن أن المدارس تستطيع أن تفعل الكثير .

(س) هل تخبرنا كيف تحكمت في هذا الموقف ، ماذا فعلت ؟

(ج) كانت المسألة أحد أمرين إما أن أتحكم أنا وإما أن يتحكم الأولاد وعندما لا أستطيع أن أضربهم فإني اشترك معهم .

(س) أخشى ألا أكون قد فهمتك ؟

(ج) حاولت أن أكون خشنا ، وسلكت سلوك رجل الشرطة فلم أفلح ، ولهذا جربت شيئا آخر .

(س) ما هو ؟

(ج) تسألني ما هو ؟ والآن فإني أسألك ، ماذا كنت تفعل ؟ أنت تعرف أن الأطفال أطفال في كل مكان . فإذا كان عندك رأس مال عليك حمايته ...

(س) أظن أني كنت أحاول أن أطلب منهم أن يشتركوا معي في تخطيط الموضوع . وأن أجعل جزءا من العرض من اختصاصهم .

(ج) هذا صحيح . وهو كل ما فعلته . كان على المسرح مكبر الصوت اعتدنا استخدامه في المسرحية الاستعراضية ، فتحدثت عن طريقه

إلى الأطفال وأخبرتهم أني أرغب في أن يتولوا هم إدارة العرض .

(س) كيف استجابوا لهذا ؟

(ج) بالهتاف والصفير ، وضرب الأقدام في الأرض والصراخ كالقطط .

(س) ألم تكن تتوقع هذا؟ .

(ج) بكل تأكيد. إن الأطفال لا يختلفون في أي مكان يجب أن نعلمهم كما نعلم فرقة جديدة من الكشافة لقد كنت معتادا أن أسلك في عملي سلوك الكشاف .

(س) وكيف تمكنت من تعليمهم ؟

(ج) التقطت القادة وكان بعضهم من الأولاد المعروفين بالعنف. ثم عرفت أسماءهم وتحدثت إليهم ، وسألتهم عن نوع الاستعراض الذي يحبونه وقد عرفت كذلك حجم العصابة التي كان كل واحد منهم يرأسها . وطلبت منهم أن يعرفوا أنه لن يكون هناك مجال لأن يندس أي واحد بينهم وقد أخبرتهم أني سوف أمدهم بما يحتاجون إليه من أطفال ينقصونهم .

(س) هل تعهدوا بأن يفعلوا هذا ؟

(ج) بكل تأكيد، لقد كلفني العرض الواحد ٢٢ دولارا و ٥٠ سنتا .

(س) ماذا فعلت أيضا ؟

(ج) داومت على محادثتهم . أخذت بعضهم إلى المكتب من وقت لآخر محاولا التأثير . وبدأت أحضر إليهم بعض الفصول التمثيلية ، والمجلات الفكاهية وبعض الحواة، وأشياء أخرى يحبها الأطفال .

(س) هل استخدمت الميكروفون بعد ذلك ؟

(ج) بكل تأكيد – فقد أحضرته حتى أستطيع أن أتحدث إليهم . وكنت أنال تصفيقا عندما أنتهى .

(س) هل كان هذا هو النظام الذي تحدثت عنه ؟

(ج) بكل تأكيد، لقد أخبرتهم أننا نحتاج إلى مجلس أو خطة لتنظيم العرض وكان على أن أعين قادة في جميع الأقسام ؟ ثم نتقابل لنتحدث ؟

(س) هل أحب الأطفال هذا ؟

(ج) لقد أثار إعجابهم ، كنت قد أعددت شعارات وهي عبارة عن شرائط كبيرة توضع حول الذراع ويكتب عليها كلمة قائد . وقد استخرجت تذكرة مجانية لكل قائد .

(س) ماذا فعل القادة ؟ ماذا كان عملهم ؟

(ج) لقد حافظوا على القانون والنظام في الأقسام وخططوا البرنامج .

وكانوا يحكمون أفراد المجموعة .

(س) هل سار كل هذا على ما يرام؟

(ج) بكل تأكيد – لقد عنى القادة بالأطفال الأشرار .

(س) كيف حدث هذا؟

(ج) كان هذا عملهم ، لأعلى. كانوا يعرفون ما تريد كالمحافظة على القانون والنظام في المكان والمعاملة العادلة لكل من حولهم .

(س) هل ساعد القادة في تخطيط البرنامج ؟

(ج) بكل تأكيد ، كانوا يسألون عن الفيلم عندما كانوا يسمعون عن شيء حسن أو شيء ينفعهم وفي معظم الحالات كانوا يقومون بتمثيل فصول .

(س) أي نوع من الفصول التمثيلية ؟ .

(ج) أي فصول .

كما أنهم كانوا يستخدمون مواهبهم ويلعبون رباعيات موسيقية . وقد اشترينا أرغونا غالى الثمن أحسن ما كان في البلدة . وكان بعض الأطفال الذين يتعلمون الموسيقى بالمدرسة يعزفون عليه جيدا .

وفي أحد الأيام حضرت معلمة الموسيقي لمشاهدتي وقالت إنه يجب أن نشق طريق هذه المواهب غير أني قلت لها إننا نفضل أن نسير بطء وفق نظام خاص ولا نريد تدخل أي شخص.

ويبدو أن هناك مبادئ معينة لقيادة المجموعة فيما ذكر السيد ويتريث. وأحد هذه المبادئ يعتمد على معرفة القادة لهؤلاء الأولاد والبنات فممارسون القيادة عن طريقهم – وثمة مبدأ آخر هو تحديد أعمال ثم توفير الحرية اللازمة لتنفيذها. وسندرك أهمية هذه المبادئ إذا قرأنا هذه المحادثة مرة أخرى، على أن ما يهدف إليه قادة الكشافة بصفة عامة هو غرس الشعور بالانتماء والاشتراك، ولهذا فقد عهد بالاستعراض للصغار، فلما أصبح الاستعراض من مسئوليتهم كان لابد أن يختفي شغبهم .

تأثير المجموعة النظيرة

يحدث أحيانا أن نفكر في نتيجة نظرية من النظريات لنزيد شيئا على ما ذكر في الفصول الأخرى عن حيوية الجماعة ، ونبدأ أولا بما نراه من خطأ رئيسي في البحوث الشاملة التي أجريت على الأفلام السينمائية في أوائل عام ١٩٣٠ وهو الزعم القائل بالتأثير المباشر ، والانتقال السريع من الشاشة إلى سلوك الطفل . فلقد كان هناك ، ومازال ، دون شك ، بعض هذا ، غير أن التأثير ينتقل أصلا بوساطة المجموعات النظيرة . وقد توضح ذلك الدراسات التي أجرتها مؤسسة باين لكن أحسن دراسة وأكثرها تأثيرا في نواح كثيرة هي التي قام بها بلومر وهوزر، فقد ظهر من مقابلتهما لكثير من أحداث الصغار ومن قراءة المذكرات اليومية لهم أن

للسينما تأثيرا قويا في تشكيل السلوك ، ونلخص النتائج التي وصلا إليها في الفقرتين التاليتين :

إن تأثيرات كثيرة هامة وغير مباشرة تدفع أو تقود الأشخاص إلى الجنوح إلى الجريمة يمكن مشاهدتها في خبرات المذنبين من الذكور وذلك بعرض طرق الجريمة وأنماط السلوك الإجرامي وعن طريق إثارة الشهوة للحصول على المال والعيش الرغد بطريقة سهلة ، والإيعاز بطرق مشكوك في أمرها للوصول إلى هذه الأشياء، وبث روح الشجاعة الظاهرية والخشونة وحب المخاطرة وإثارة الرغبات الجنسية القوية ، وتمنى القيام بأدوار المجرمين . بعرض هذا كله قد تخلق الأفلام السينمائية في الشخص اتجاهات ووسائل تؤدي عن غير قصد إلى سلوك إجرامي جامح .

ويستطيع الفرد أن يتبين في حالة الفتيات الجانحات تأثيرات شبيهة بتلك التي تذكر في حالة الشبان . وقد تلعب الأفلام السينمائية دورا رئيسيا أو بسيطا في جنوح الإناث وفي جراهن عن طريق إثارة العاطفة الجنسية وبغرس الرغبة في حياة المرح والتهور السريع و بالإيعاز إلى بعض الفتيات بطرق مشكوك فيها تؤدى إلى تحقيق أهدافهن بسهولة ، وبإظهار أساليب الحب وبتصوير أشكال مختلفة للجرام التي قلدتها فعلا فتيات وشابات ، وبالتسابق بين البيت والمدرسة للوصول إلى مكانة هامة في حياة الفتيات .

وعلى الرغم من أن هذه نتائج نتقبلها بحذر ، نجد أنها أغفلت تحليل دور الجماعات النظيرة. في ربط المعاني بصور الشاشة ، وفي تحديد الشخصيات والحوادث وجعل السلوك مقبولا أو غير مقبول ، وبالجملة

توصيل تأثيرات الشاشة . وعلى الطلبة دراسة هذه النقطة عن طريق البحث التجريب .

ولقد قارنت إحدى الدراسات رد فعل تأثيرات السينما عند الأطفال الذين كانوا أعضاء في مجموعات نظيرة ، مع رد الفعل عند غيرهم ممن لم يكونوا أعضاء في مثل هذه المجموعات ، فاتضح أن أعضاء المجموعة النظيرة ، في اتجاههم إلى مسايرة المجموعة ينظرون إلى وسائط تأثير معيار ، يمكن أن نسميه بالنفع الاجتماعي لاختيار الموضوعات التي يكون لها نفع مباشر في حياة المجموعة .

ونفترض دراسة أخرى أن ، قابلية التأثر بالاتصال في موضوعات تكون ضد معايير المجموعة ترتبط ارتباطا بتقويم الفرد لمجموعته ، وإذا وضعنا هذا في صيغة أخرى ، نقول إن عضو المجموعة الذي يعني كثيرة جدا بمجموعته أن يتأثر بأي اتجاه مضاد لمجموعته مثله في ذلك مثل العضو الذي لا يهتم كثيرا بمجموعته .

ولاختبار هذه الفكرة ، اختبرت اثنتا عشرة فرقة من فرق الكشافة وملأ الأولاد كراسة استقصاء يبين تقييم كل واحد منهم لعضويته في الفرقة . ثم استمع أولاد كل فرقة على حدة إلى محاضرة ألقاها محاضر خارجى ، و نقد فيها أشغال الخشب وقصص الغابة وغيرها من برامج الكشافة ، وقال إن التلاميذ يستفيدون من دراسة مشكلات أكثر ما يستفيدون من غير ذلا ع ، فلما أعيد الاستقصاء ، كانت النسبة بين تقييم أعضاء الكشافة

لعضويتهم ويبين مقدار التغيير في وجهات نظرهم هو ٧١٪، وهو ما يؤيد صحة الفرض .

من هذا البحث نرى أن المجموعة النظيرة عامل هام من عوامل التغيير في التأثير على السلوك ، ومن ثم فإن المدرسين بالمدارس يصبحون أقدر على تحديد الوسائل الجماهيرية للإعلام على الأطفال كأفراد ، وأكثر من هذا فإن المجموعة تصبح أداة تستخدم في توجيه سلوك العضو في المجموعة، ويمكن أن تشاهد هذا في بعض حالات بالجزء الثاني من الكتاب كحالة ، الأطفال يديرون العرض ، ويحتاج المدرسون والمدرسات إلى أن يواجهوا موضوع آخر، نرجع الكلام فيه إلى ما بعد . إن التلاميذ يستجيبون للمجموعة ، ويتكيفون بها. لكن السؤال هو في الغالب أي بمجموعة : وما هي المجموعة التي يدينون لها أكبر ولاء ؟ هذا بطبيعة الحال ، ما يخلق كل تباين في نتائج السلوك في العالم كله .

مشكلات ومشروعات

١. عين لجنة لتختار عينة من أطفال المدرسة وتدرس تعرض الطفل لتأثيرات وسائل الإعلام الجماهيرية ، فإذا استخدمت كراسة الاستقصاء ، فعليك وضع تصميمه وخطته في الفصل إذا أراد الطلبة تدريبا على مهارات البحث.

٢. الجدول رقم ٤ يمين ترتيب وسائل التدريس الشائعة ترتيبا تفاضليا من وجهة نظر الطلبة ، فأعد قامة تفاضلية من وجهة نظرك ، ثم قارن

بينها وبين تفاضليات الجدول.

٣. هل جربت استخدام الأفلام وعلاقتها بالعلاقات الإنسانية في فصلك إذا لم تكن قد جربت ، فحاول ، إن أمكن أن تستخدم فيلا أو اثنين ثم حلل رد الفعل المتحقق منهما .

٤. قمم الفصل إلى لجان كل منها تتكون من ثلاثة أعضاء ، ثم كلف كل لجنة بأن يتفق أعضاؤها في مدى عشر دقائق على أحسن توصيات تقدمها للآنسة هينتون عن كيفية قيادة الرحلة المدرسية . أبلغ الفصل بقرارات اللجان وناقش الأسباب التي أدت إليها .

الفصل التاسع

نواحى نشاط الطلبة خارج الفصل

ولا يسخر أحد من ظواهر المراهقة فالمراهقة عالي
حقيقي لظواهره معنى حقيقي ليتنا نفهمه .

ويلارد والار.

يقال إنه إذا التقى أمريكيان بدأ في الكلام وسرعان ما يجدان أشياء مشتركة تهم كليهما وحافزا لأن يكونا عضوين في نشاط واحد ثم يتألقان . وسواء كان هذا صحيحا أو غير صحيح فهو قول قديم ، يرجع إلى عهد بعيد في تاريخ الأمة : كما يرجع إلى ملاحظات دى توكفيل التي يقول فيها إن الأطفال والكبار على السواء يميلون إلى الاتصال وإلى أن يعملوا من أجل غرض مشترك ، فهم يجدون تسلية في الاتحاد مرحاً وقوة ، ومخاطرة ، وخيالا يجدون ما قال عنه مارك توين "وقتا طيبا ، لطيفا ممتعا" .

ولن نقصر هذا الفصل على فكرة تقليدية خاصة بنواحي نشاط الطالب خارج الفصل ، لأن قدرا كبيرا قد كتب عن هذا الموضوع ولكننا سنختار حالات قليلة من مجموعة كبيرة منوعه تتصل بممارسات المراهقين في وقت الفراغ ، وبسلوكهم الخلق ، وبرامج النوادي ورعايتها وبتحسين مجالس الطلبة والنوادي وتنظيمها وأعمالها ، ونواحي النشاط الخارجة عن الفصل في مجموعها ذات أهمية بالغة لدى نظار المدارس ورجال الإرشاد

والمدرسين وغيرهم ، فيها مجال كبير يطبع الشباب بالطابع الاجتماعي ونشر الديمقراطية في المدرسة .

ممارسات وقت الفراغ وسلوكه

توضح البيانات التي حصلنا عليها نوعا من المواقف يسميه المدرسون موقفا غاية في السخف، حتى إن إحدى المدرسات عندما استمعت إلى هذه الحالة تساءلت و إن كان الأطفال قد تخلوا عن نومهم ، وصاحب هذه الحالة مدرس في مدرسة بير شنج الثانوية .

شبح فوق الحاجز

تخيل الطلبة في مدرسة بير شنج Pershing أنهم يرون شبحا فهم حين يمرون مع غيرهم من طلبة المدارس الثانوية في طريق ستراسبورج وخصوصا في المساء يسمعون صوتا مفزعا وقرعا متقطعا على الحواجز الخلفية للسيارة ولا يستمر الصوت طويلا، لكنه واضح تماما وهو يأتي غالبا من الحاجز الخلفي الأيسر كما أخبروني ، وتصرخ الفتيات و تقبضن أنفاسهن ويضحكن في حالة هسترية على أصدقائهن . ثم يعدن التمثيلية .

ويفسر رعاة البقر بالمدرسة هذا بقولهم إن هناك شبحا يتنجس ، ليس شيحا مؤذيا ، كما في رواية ماكبث ، لكنه شبح ، مثير ، ويقولون حقا يا سيدة ما كما ناس يجب أن تسمعي الشبح. وأعتزم أن أفعل هذا فعلا ، ثم أنسى وسأعود إلى ذلك بعد دقيقة ، وقد عرفت من القصة أن هذا الشيح إنما هو شبح شخص حقيقى شبح فتاة صغيرة صدمتها سيارة

وهي في طريقها إلى المدرسة و تعلقت بالسيارة لحظة وهي تضرب على حاجز الاصطدام لكي يسمعها السائق و لكن السائق لم يسمع أو لعله كان قاسي القلب وهكذا استمر في سيره وهو يجر الطفلة و تعود روحها الآن التردد على السيارات التي تمر بطول الطريق، وبطبيعة الحال ، لكي تخيف رجال الشرطة.

هذه هي القصة التي انتشرت في بيرشنج Perching انتشار النار في الهشيم و نفس الشيء يحدث في المدارس الأخرى بالمدينة إذ تحتشد جموع كبيرة من المراهقين والمرهقات الاستماع إلى القصة . وكان بعضهم من طلبتي يقيمون حفلات في منتصف الليل على الحشائش ، لأني أسكن في ستراسبورج بالقرب من الجزء المسكون بالشبح وفي معظم الأحيان كان الفتيان والفتيات يقودون سياراتهم على طول الطريق ذهابا وإيابا بكثرة كبيرة حتى إن سيارات الشرطة كانت تؤمر بأن تفرق ازدحام السيارات.

إني أسكن هناك كما ذكرت ولمجرد حب الاستطلاع حولت طريق سيارتي إلى الشارع المذكور في طريق إلى المنزل وعندما وصلت إلى مكان الشبح سمعت بما لا يدع مجالا للشك نفس القرع المتقطع على حاجز الاصطدام بسيارتى فاستدرت بالسيارة ورجعت ولم يكن هناك أي قرع على حاجز الاصطدام مطلقا ولكن عندما قدت سيارتي في نفس الاتجاه الأول حدث نفس الشيء مرة أخرى

ولقد دفع أحدهم مبلغا من المال لمحرر بجريدة التايمز فاء معه وعندما

مرا بمكان الشيح ، معا نفس القرع والضرب المعروف ما يثبت أن الشبح مازال هناك فأوقف المحرر سيارته ليشاهد الأمور بدقه أكثر ومن بين من تحدث إليهم المحرر كان السيد نوفاك وهو يسكن هذا الشارع من قديم.

قالت الجريدة على لسان السيد نوفاك في الصفحة الأولى ليس هنالك شبح في ستراسبورج، قل ذاك لكل من يسألك نحن نطالب القانون بأن يأخذ مجراه مع هؤلاء الأولاد والبنات ، إذا لم يكفوا عن طرقهم الاحتيالية .

كان السيد نوفاك واضحا جدا حين قال ليس هناك شبح في شارع ستراسبورج ولم يحدث قط أن كان هناك شبح ولم يحدث أن قتلت طفلة هنا . لقد بدأنا نسمع هذا الدق والضرب فقط منذ أن بدأ الشتاء من شهر فقط وأخبركما هو، لقد وضع رصيف جديد هنا ولهذا فإن بلاطات الأسمنت تتمدد بالنهار و تنكمش بالليل وفي المساء تحتك حوافيها بعضها ببعض عندما تمر سيارة فوقها، هذا هو الدق الذي تسمعه . ثم أضاف السيد نوفاك عليك أن تخبر الأولاد هذا حتى نستطيع أن نستمتع ببعض النوم .

هل أدى هذا إلى القضاء على قصة الشبح؟ لا أبدا ففي هذا المساء بينما كنت أقود سيارتي متجهة إلى المنزل اندفع الطلبة في قوة إلى الخارج متسائلين عما إذا كانت هناك طريقة القتل الشيح أو أن من الأفضل تركه يعيش ويصبح تقليدا من تقاليد المدينة .

هناك مدرسات كالسيدة ما كماناس يستطعن أن يستمتعن بادعاءات النشء وتخيلاتهم وأفكارهم المضحكة و نواحى تحمسهم وهناك أخريات وهن فتيات خائفات كالأراجوز ، لا يجدن تسلية ولا لهوا في التسليه أو اللهو فيصبحن في الغالب موضع سخرية الطلبة والطالبات والتقارير عن مثل أولئك المدرسات كثيرة ، لكننا نمر بها مر الكرام .

لعبة المصباح الأمامي

نحن هنا في مدرسة يمارس الطلبة فيها بعض الألعاب الخطيرة ونحن نتساءل لماذا يفعلون هذا وأي تسلية فيها ؟

إن ثلاثة من القسم الثانوي ماتوا واثنين في حالة خطيرة كل هذا حدث في لعبة المصباح الأمامي . وهي لعبة قوامها سيارتان مليئتان بالأولاد تسيران ليلا دون إضاءة المصابيح في طريق الريف . والمتوفون هم رونالد ريس في السابعة عشرة ، وليل كاهلر في الثامنة عشرة و نورين شاج في الخامسة عشرة، وبالمستشفي يرقد ريكس ما كنيلي في الخامسة عشرة وآلين أندرسون في الرابعة عشرة وقد أصيب ريكس بكسر في الجمجمة ، والساق والذراع وأصيب آلين إصابات داخلية . وقد نجا هذان الولدان من الموت بأعجوبة.

وستغلق المدرسة غدا لتشييع الجنازة فالطلبة في حالة اضطراب شديد لا يمكنهم معه حضور الدراسة .

ويقول رجال الشرطة بالولاية إن هؤلاء الطلبة كانوا يلعبون لعبة المصباح الأمامي وأيد آلين أندرسون ذلك في المحضر. كان الطلبة قد اتفقوا على أن تبتعد السيارتان أحداهما عن الأخرى مسافة ألفين ميل ثم تستديران لتلتقيا والمصابيح غير مضاءة واتجه السائقان كل نحو الآخر في سرعة وكان الهدف أن تسبق إحدى العربتين الأخرى في الاستدارة قبل الأخرى وقد قال أحد المحتشدين حول الحادث ولابد أن السيارتين كانتا تجريان بسرعة مذهلة "

وقد حدث التصادم عند منحتني بالقرب من منزل مزارع هو ناثان ميلر الذي قال إنه سمع اصطدام السيارتين وأكد أن المصابيح لابد وأنها كانت غير مضاءة لمسافة كبيرة لأنه لم يستطع رؤية أي من السيارتين كما لم يستطع أحد من آباء المصابين أن يقدم تفسيرا لما حدث .

وكثيرا ما تذكر الصحف الكبيرة حادثة أو اثنتين من هذا القبيل وتعزو سبب وقوعها إلى أن النشء يشعرون بملل وضياع ولذلك فإنهم يقدمون مثل هذا النوع من التسلية . ومن النادر أن يستطيع الآباء أن يلقوا ضوءا على ما يحدث لأنهم لم يكونوا يعرفون الحقيقة بل كانوا يظنون أن كل شيء يسير على ما يرام. والآن نستعرض حوادث السيارات. في السنوات الأربعين الأخيرة فقد أكثر من مليون أمريكي حياتهم في حوادث سيارات وهذا العدد يعادل تقريبا ضعف عدد الذين قتلوا في جميع الحروب التي خاضتها أمريكا وكان عدد المصابين من ١٥ إلى ٢٠ مليونا والعاجزين حوالي المليون ولست أبالغ حين أقول إنك ما إن تنتهي من قراءة هذه

الصفحة حتى يكون مواطن في أمريكا قد أصيب في حادثة سيارة وقد قاست كل أسرة تقريبا في هذه الأمة من موت أو إصابة أحد على الأقل من أفرادها في حوادث سيارات وتدل الإحصائيات على أن عدد الأطفال الذين يقتلون في الشهر مثلا أكبر من يموتون من أصابتهم بشلل الأطفال في سنة بأكملها .

والآن هل يمكن إنكار هذه الحقيقة وهي أن قتل الناس بالسيارات قد أصبح تسلية مفزعة للوطن كله ؟

ويبدو أن عددا قليلا جدا من السائقين لديهم من العقل والإدراك السليم لأنفسهم ولغيرهم من المواطنين ما يجعلهم يحافظون على القانون، وهذا يجعلنا نتساءل عن هدف غير هؤلاء من السائقين هل يحبون الشعور بالقوة وتستهويهم نشوة السرعة الكبيرة أو المخاطرة حتى الموت المفاجئ وهل هم ضحايا الشعور بالفشل في حياتهم اليومية فينفسون عن مشاعرهم العدائية ؟ وهل هم مدفوعون بقوة لاشعورية تجبرهم على ذلك ؟ إن القيادة الآمنة هي بكل تأكيد أكثر من مجرد مهارة يدوية إنها مشكلة من مشكلات العلاقات الإنسانية وفي المشاعر والقيم الاجتماعية وهي مسألة لم تدخل بعد حساب التربية من أجل الآمان .

رعاية النوادي

النظرية الكاملة وراء نواحي النشاط خارج المنهج هي أن الصغار صغار وأنهم في اجتماعاتهم ونواحي نشاطهم خارج الفصل يحتاجون إلى رعاية الكبار لهم وحمايتهم . وما أكثر المدرسين الذين مروا بتجارب في هذا المجال . وما تزال اتصالاتهم بالفتيان والفتيات حية في ذاكرتهم على الرغم

من مرور سنين عليها . وكثيرا من هذه الرعاية لم تفي بالغرض منها لأسباب متنوعة جدا. . وصاحب هذه الحالة مدرس في مدرسة ثانوية فنية ، كان في أيام دراسته عضوا في الجماعة التي تناقشها في ما يللى .

التدريب في نادي إيرو

في أوائل هذا الفصل الدراسي استدعاني رئيس نادي إيرو للعمل مشرفا رسميا على الجماعة أساعد في التدريب القادم وقبلت الدعوة إذ أن هذا كان تنظما للمتخصصين في الأقسام.

كان المفروض أن يرسل ثمانية عشر شابا إلى نادي إبري للتدريب وحدد الميعاد بعد ظهر يوم الجمعة بعد انتهاء المدرسة وكان المكان في البدروم بالمبنى.

وهو نفس المكان الذي كان يستخدم منذ اثني عشر عاما عندما بدأت تدريب وكانت العادة أن تستخدم هذه الحجرة الكبيرة و مظلة متصلة بها حيث كان المتراهنون يرتدون ملابس قديمة ثم تغمى عيونهم ويدخلون حيث يؤدون ألعابة غير مؤذية على الخيول وبعد ذلك نرتدي ثيابا ثم تخرج لحضور عشاء كبير بالنادي . وكان أول جزء من التدريب كما فهمت شيئا بدائيا هو صنع شامبو من البيض أو دهان أجزاء الجسم أو ابتلاع محار فيء و هكذا . وفي هذه المرة كان الأولاد قد صمموا بالإضافة إلى ذلك صدمة كهربائية فدهن كل مراهن ببعض أنواع الطلاء على الذراعين والساقين والصدر ثم تلمسه شرارة كهربائية وتكون الصدمة

بسيطه بطبيعة الحال ولكنها كافية أن تسبب لمعظم الأولاد هزة خفيفة . ولقد تعرض ثلاثة من المتراهنين لهذه الشرارة .

وجاء الدور بعد ذلك على ولد يسمى دوجلاس و عندما استخدمت الشرارة أمسكت النار بسرواله وفي الحال شب فيه اللهب فصدمنا لحظة لم نستطع معها التحرك وصرخ الولد فأمسكت به وألقيته على الأرض محاولا إطفاء النار وغطيته بجسمي شم ببعض المعاطف ولكنه كان قد أصيب إصابات بالغة .

وأتصل أحدهم بالمسرة ووصلت سيارة الشرطة في الحال و حملته بسرعة إلى مستشفى هاربر حيث أعطى دوجلاس العلاج العاجل .

وفي إجابتي عن الأسئلة التي وجهت إلى في اليوم التالي أخبرت الشرطة أن الأولاد كانوا قد دهنوا بطلاء الألمنيوم العادي وهو مادة غير خطرة ولقد كنت مخطئا في هذا واعترفت بهذا بمجرد أن اختبرت مادة الطلاء ووجدتها عبارة عن طلاء للطائرات به مادة النترات والألمنيوم وعلى هذا فهو سريع الالتهاب بمجرد أن تلمسه شرارة كهربية ولم أكن أعرف هذا بطبيعة الحال وإلا كنت أوقفت كل شيء .

ولما كانت الصحافة في حالة سخط تطالب بأن أفصل من وظيفتي طلب مجلس التربية والتعليم من المشرف على المدارس أن يجري تحقيقا في الموضوع.

واستدعيت لسماع أقوالي فبرئت من تهمة الإهمال لقد ظننت أن الطلاء كان نفس الطلاء الذي كان يستخدم منذ سنوات في التدريبات . وهذا كان طلاء غير خطر . ولقد أصدر مدير التعليم أمرا لجميع النوادي بتحريم استخدام هذه المادة . وكان هذا هو الفائدة الوحيدة من هذه المأساة التي حدثت بالمدرسة .

إن صاحب هذه الحالة مهندس متخرج في الجامعة ومدرس كفء . والآن لنتساءل هل أخطأ في عدم اختياره للطلاء . نميل إلى هذا الظن على الرغم من أن خطأه قد يقع فيه أي إنسان – وفي الحالة التالية فقدت صاحبتها وظيفتها وما حدث يستحق الدراسة الواعية وكنا قد اختلفنا في ما بيننا عليها ثم وقفنا فيها إلى جانب المعلمة .

حفلة في الكابين

كان خطيب الحفل باربك على الرغم من أن الفتيات أوضحن أنهن أخذني لذلك وقلن إن فصلنا سيقيم حفلة في الكابين يوم السبت يا آنسة موندى ونريدك أن تأتي معنا فهل ترغبين في هذا . كان على الفتيات أن يأخذن معهن رفيقة كبيرة وسررت أن أذهب معهن وكان الكابين المسمى كوستيللو يبعد أميالا قلائل في الجبل ولكن الجو كان رائعا يناسب رياضة الانزلاق وغيرها من الرياضة المحببة.

حضرت بارب ونانس مع زملائهما من الفتيان بعد ظهر يوم السبت حسب الموعد وأخذتى بارب في عربتها التي كانت تقودها بنفسها وكان

الثلج لينا و لكنه لم يكن سميكا وأمضينا وقتا طيبا . وعندما وصلنا إلى الكابين كانت معظم المجموعة هناك وكان هناك أيضا والد ووالدة كوستيللو وكنت أعرفهما معرفة بسيطة كانا زوجان متوسطي العمر لطيفين وعلى درجة كبيرة من الثراء وكان أفراد الجماعة مثقلين بالثيلب كمكتشفي المناطق القطبية . مابين معاطف ثقيلة وقلنسوات ووشاحات ملونة وأحذيه برقية وكان معهم زحافتان من زحافات الجليد .. وأزواج كثيرة من قباقيب الانزلاق وغيرها من الأشياء وكانوا جميعا غاية في المرح وشعرت بسعادة لأن أكون ضمن هذه المجموعة قالت السيدة كوستيللو إنهم ظرفاء أليس كذلك فأجبتها قائلة حقا إنهم كذلك . وكنت أفكر في السنة النهائية وأنا طالبة بالمدرسة الثانوية إذ كانت حفلات هذا النوع أكثر شيوعا في ذلك الوقت لانه لم تكن هناك ما نستمتع به اليوم من تسليات جماهيرية .

لم يحتج الأولاد إلى وقت طويل حتى يندمجوا فيما يريدون عمله إذ ذهب اثنان منهم على عجلات الانزلاق وأخذ اثنان من الأربعة الآخرين يركبانها واثنان يشدانها أو يدفعانها وهم جميعا يصيحون متسائلين إن كنت أريد أن أركب معهم. وكانت المجموعة في معظم الوقت تمكث بالقرب من الساحة أو بالداخل ، وكان كل منهم يقذف بالآخر فوق الجليد ، أو يقفون على رءوسهم ويضربون بالسوط ويهجمون على القلعة . كانوا يتسلقون سطح بيت من المروج ثم ينزلقون من فوق كومة متشابكة و تمتمت الأم أوه؟ أوه !، هؤلاء الأطفال لقد جنوا إنهم سوف يقتلون هل يسوءك ما أقول ؟ فابتسم زوجها و كان رجل ضخم البنية ، مرحا ، وكان يستمتع بكل شيء يعمله . الفتيان لكن لأمته ساخرة لقد كان يحب هؤلاء

الأولاد والبنات جميعا دون شك ولكنه كان يحب ابنته باربارا أكثر من كل شيء ، لقد كانت طفلته الوحيدة ، وأظن أنه كان يلاطفها في كل شيء و ليس معنى ذلك أنها كانت مدللة أو متعجرفة أوما إلى ذلك ، لأني لم أر ألطف منها في حياتي .

وعندما ما بدأ الظلام يرخى سدوله ، دخل الأولاد والبنات الكابين وتناولن وجبة من شرائع اللحم المشوي و بطاطس محمرة الخ ونبيذ لأولئك الذين يفضلونه على القهوة وكانت الوجبة على هيئة سماط على الأرض أمام أكبر موقد نار رأيته . وبعد العشاء كان هناك غناء ورقص وكانت هناك موسيقى هادئة و موسيقى دافئة كان ما يحبه المراهقون في ذلك الوقت، ارقصوا (الروك أندرول) و خلطوها برقصات أخرى وبينما كان الوقت يمر، بدأت ألحظ أن بار بار اوجيم الذي كان يصحبها كثيرا الخروج من الكابين لكنهم لم يكونا يقضيان وقتا طويلا فلم أعرهما أي اهتمام عما كان يفعلان بالخارج، شاهدت بر بارا تتعثر في رقصتها وكان جيمي يحاول منعها من السقوط بصحوبة واستطعت ان أسمعه يتكلم إليها بجد وهو يحذرها من شيء على الرغم من أني لم أستطع أن أسمعهما وصممت أن أتحدث للسيد كو ستيللو . وعندما تحدثت إليه عن كثرة خروجهما من الكابين ، ضحك بطريقته المرحة القوية وداعبني بقوله إني معلمة متزمته ، فعلقت على كلامه وأنا أمزح وسرت لكي أتحدث إلى بربارا وكانت قد عادت لتوها مع جيم وبدأت ترقص ولما لم أرد أن أقاطعها قمت بمراقبتها . لحظة ورأيت أنها لم تكن في حالتها الطبيعية المرحة وبدأت تجر قدميها ثم فجأة سقطت ممدة على وجهها وبدا كما لو كانت أصيبت بشيء لأنها لم

تحاول أن تنهض ، وعندما انحنيت عليها علمت ماذا ألم بها. كانت بربارا غائبة الوعي كانت ثملة ، ومن الواضح أنها كانت مستغرقة في نوم عميق ، ودون كلمة حملها أبوها إلى حجرة مجاورة ووضعها في الفراش . فعل ذلك بطريقة عادية كأنما حدث ذلك مرارا من قبل ولم يكن هناك ما يجب عمله لباربارا فسألت جيم أين نانسي وجاك ؟ فنظر حوله وقال : في الخارج على ما أظن ، قلت حسنا هيا نذهب لنرى و خطفت معطفا لأن الهواء في الخارج كان قارسا ، و مشينا في الممر نحو الخليج ، وبعد فترة ، توقف جاك ثم بدأ يعود للوراء وقال: هذا الاتجاه إنما هناك وذهبنا إليهما. كانت نانسي في حالة نوم ، وكان جاك يهزها محاولا أن يوقظها وبدت لي ثملة تقريبا كباربارا . هذا ما حدث في الحفل وهو كل ما حدث. ولقد أخذت إلى منزلى في سيارة أسرة كوستيللى . وفي يوم الثلاثاء تلقيت مذكرة من السيدة س تعبر فيها عن أسفها بشأن ما حدث الباربارا وكنت على وشك نسيان هذا الحادث لولا أن أخبرتى المعلمة التي اشترك معها في نفس الحجرة ما سمعته عن الحفل وكان معظمه كلاما سيئا وأظن أن إحدى الأمهات قد اتصلت بالناظر أو كتبت إليه ، لأنه استدعاني إلى مكتبه وقال هل ذهبت إلى حفلة كوستيللى يا أنسه مونيرى ؟ قلت : نعم قال أخبريني عما حدث ترددت فلم أكن أعرف ماذا أقول فقال يا آنسه مونيري ، لا أريدك أن تكذب كأني طفلة مذنبة أو كنت أكذب عليه أو على غيره فاستمر يقول يجب أن أحذرك فهذا أمر خطير، إن لدينا كما ترين تقريرا من كوستيللى وإني أعترف أن هذا أربكني أو على الأقل ساءتني الطريقة التي عاملني بها . فسألته سؤالا أذهله كيف حصل على التقرير ؟ فاحمر وجه الرجل ،

وكان واضحا أنه كان في حالة عصبية شديدة . ومرة أخرى اعترف إني لم أكن أشعر أنه يجب أن أعتذر له ، بل كنت أريد إيلامه ما آلتي كنت آمل يا آنسة مو نيري أن تتعاوني معي كان هذا هو نفس الاتجاه الاستعلائي وهي نفس الحقائق التي سبق أن حكم على بها. إني أرى الآن أني قد أخطأت خطأ جسيا إذ رغبت في أن مقدمى بيانا فسوف أطالب بأن يكون هذا بعد أن تقسمي المين إن من الواضح أنك لا تصلحين الانتماء إلى هذه المهنة ، ولسوف أوصي بإنهاء عقد عملك وبينما كنت ألهث من هذا الاتهام محاولة أن أحتج رأيت أن المقابلة قد انتهت اذ تحسس الرجل المقعد خلف منضده ته و مشى خلف الباب وفتح وهو يقول طاب يومك يا آنسه مونيرى فخرجت من الحجة .أن سلوك هذه المعلمة في المقابلة مع الناظر سلوك غير ناضج ومع ذلك فإن هناك ظروفا مخففة . إن تراكم اتهامات المشرف وشكه الواضح في استهتارها الخلق كل هذا صدم الآنسة مونيرى كأنه ضربة قاضية أصابت جسمها فأصابتها بصدمة تشنجية . ولقد كان القيل والقال هو المشجب الذي تعلق فوقه اسمها وسمعتها والذي توقفت عليه وظيفتها ، فأصابها الصمت لحظة وشعرت أنها تائهة في موج من الانفعال والاشمئزاز من المشرف فإذا عن السيد والترز ناظر المدرسة ؟ لقد فقد هو هدوءه أيضا وقاده غضبه في طريق تأئه منحرف على أنه يجب أن يقال كذلك إن الناظر يعيش معظم حياته على حافة المتاعب وسوء الفكر والصراع، إن وظيفته مليئة بالتوتر، وظيفته كبيرة يصعب فيها أحيانا حفظ التوازن ، وإذا اعترفنا بأنه أثير إثارة شديدة فهل كانت لديه بواعث كافية يحكم بها على المعلمة، وهل كان هدفه أن يجبر الآنسة مونيري على

الاعتراف بأنها سيئة السلوك الشخصي ؟ في مثل هذه المسائل غير المترابطة يستطيع الطلبة أن يستخدموا هذه الحالة ، وقديرون أن يقوموا بتمثيل أدوار هذه المقابلة بين الناظر والمعلمة ليستبينوا كيف يجب على رجل فني كناظر المدرسة أن يسلك . وهم يستطيعون التنويع في دور الآنسة مونيرى كما يشاءون. والهدف هو أن يكتشفوا ما يمكن اكتشافه من ردود الفعل .

إن هذه الحالة، كغيرها، يمكن أن تفسدها التفاصيل فتجعلها غير صالحة كمادة تدريب الطلبة الفصل على أنه في هذه الحالة لن يكون من السهل أن تمتنع عن تسجيل القصة كلها.

وبعد أن كتبت الآنسة مونيري هذا التقرير رفضت دعوتنا لها لمناقشة الحالة معها . كانت قد عادت إلى الكلية وأرادت أن تعود مرة أخرى إلى التدريس غير أنها لم تكن تريد أن تعيش مرة أخرى ما حدث لها أو أن تستعرضه . على أنها بعد شهرين غيرت رأيها في ذلك لقد كانت الحادثة كما قالت تثقل كاهلها . و لقد شعرت أن التحدث بخصوصها قد يخفف من ضيقها بها. كانت التهمة الموجهة إليها هي العصيان لأنها رفضت أن تكتب بيانا بما حدث بعد أن تؤدي اليمين ، وعلى الرغم من تدخل أسرة كوستيلى . فصلت من وظيفتها وكان التقرير الذي أشار إليه السيد والترز خطابا قصيرا كتبه السيد كوستيللى بناء عن طلب الناظر . وبين الخطاب ضعف باربارا كعادة قديمة عجز الأبوان عن تقويمها . ولم يتناول الخطاب الآنسة مونيرى بشيء . بل لم يذكر اسما قط وكان الأبوان متحملين

المسئولية الكاملة ، وفي خطاب ثان عبرا عن احترامهما وعطفهما على المعلمة .

ولقد طالبا بعد ذلك في أثناء مقابلة لهما مع السيد والترز إسقاط التهمة عن المعلمة. و بعد فصلها لم تعمل الآنسة مونيري في التدريس لحوالي سنة لأنها شعرت بأنها فشلت وأن التدريس لم يكن من نوع العمل الذي يحسن بها أن تؤديه . أما لماذا غيرت رأيها و عادت إلى الجامعة للحصول على درجة الماجستير فليس أمرا يستحق الذكر. وبعد أذنها كررنا أن نعيد فتح الحالة في محاولة الآن نفتى تاريخ مهنتها من النقطة السوداء التي التصق بها، وبعد أن قمنا بمقابلة السيد كوستيللو و ابنته باربارا تحدثنا مع بعض أصدقاء وصديقات الفتاة ثم مع ثلاث مدرسات بالمدرسة الثانوية و بعد ذلك حاولنا زيارة الناظر لكنه قال إن حالة الآنسة مونيرى قد انتهت وأنه يفضل أن يتركها هكذا. ولقد وافق على ذلك ناظر المدرسة عندما اتصل به تليفونيا وأضاف أنه ليس لديه وقت لمقابلتنا .وفي خطابه الذي رفض فيه مقابلتنا كتب يقول إن هناك أشياء في هذه الحالة أكثر مما تراه العين لأول وهلة ، خصوصا عين شخص خارجى . وكلما زادت معرفتنا لهذا الموقف زاد اعتقادنا بأن الأمر كان يتضمن شيئا أكثر ما يعترف به الناظر . والذي قابل أعيذنا في التحليل الأخير للموقف هو ملخص لما يرى غالبا في المدارس. ومن رأينا أن معلمة كهذه الآنسة أو حتى نقطة سوداء لها في ملفها خسارة كبيرة إن هؤلاء الشباب يقظون و متمدينون . فيهم حيوية ولهم كبرياء . والمراهقون يحبونهم وهم ضروريون جدا في مهنة مهددة بأن تصبح تعاليا وادعاء والتزاما للقديم. إن هؤلاء

المدرسين ثروة كبيرة من العلاقات الإنسانية .

تحسين برنامج النوادي

على فرض أن نوادي المدارس وكذلك مجالس الطلبة شيء مرغوب فيه وأن هناك حاجة إلى تحسينها نتناول حالة أو اثنتين في هذا الموضوع، أولا : إقدام المدرسة على التربية من أجل الأمان وهي حالة تستحق مناقشة حامية بالفصل . صاحب هذه الحالة هو ناظر مدرسة في بيئة فوق المتوسطة .

نادي Hot - Rododler

(لينكولن هوفر ضاحية صغيرة يقيم بها سكان طيبون في منازل لطيفة وأكثر من ثلث طلبة المدارس الثانوية يقودون سيارتهم الخاصة و سيارات أسراتهم من المدرسة وإليها على الرغم من عدم رضانا على هذا الإجراء، وعلى الرغم مما قاله أحد الطلبة: « إنك لا تشعر أن كل شيء على ما يرام يا سيدى بغير عربتك ".

لقد كنت مهتما بالتربية من أجل الأمان لمدة عشر سنوات على الأقل . ومنذ بضع سنوات أقامت المدرسة الثانوية بلينكولن هوفر دراسات لقائدي السيارات. وهي أول دراسات من نوعها في الولاية لكنها لم تفد كثيرا مع الأسف لأن جميع طلبتنا يستطيعون قيادة السيارات جيدا إذا أرادوا وكلما ازددت تفكيرا في هذه المشكلة بدأ نوع من التربية من أجل الأمان، يبلور في عقلي ، من ذلك مثلا أن هؤلاء الأولاد يحبون

سياراتهم أو كما يسمونها كوماتهم فهي في العادة حطام قديم مجموع من أشياء متناثرة هنا وهناك يوضع بعضه إلى بعض حتى يسير بأكبر سرعة. وكان لكل سيارة اسم خيالي في الغالب . وبعد أن أخذ طلبتنا وهيئة التدريس هذه الأمور وغيرها في اعتبارهم قروا إبراز فكرة النادي . وكان لابد أن تتضح الفكرة أولا مع قسم الشرطة المحلى ثم كان لابد من الموافقة التامة من أولياء الأمور تم الحصول على مساندة و تعضيد عام من البيئة .

أما كيف حدث كل هذا بنجاح، كان كله من مجهود الطلبة، فهذا يتطلب سرده الصفحات الأطوال ذلك لأن مجتمعنا في إنجلند مجتمع محافظ إلى درجة يقتضى الأمر معها وقتا طويلا لكي يصل الناس فيه إلى قرار .

وفي أبريل من العام الماضي أقامت المدرسة النادي وعلى الرغم من أن المشروع مازال تحت الدراسة وما نزال نضع قواعد جديدة كلما سرنا فيه فإن النشاط الذي يبذل يبشر بأنه قوة أساسية في اتحاد المدرسة وفي بناء الروح والحالة المعنوية فيها ونحن نأمل بطبيعة الحال أن يقلل هذا من عدد الحالات التي توجد في كل مدرسة ثانوية كبيرة وهي الحالات الخاصة بمتاعب السيارات أو ما يتدرج تحتها .

ولكل صبي فوق سن الخامسة عشرة والنصف الحق في عضوية النادي بشرط أن ينجح في عدد من الاختبارات و بشرط أن يكون حاصلا على ٧٥ درجة وأكثر في كونه مواطنا بالمدرسة وأن يحصل على موافقة والديه و موافقته هو نفسه أو أن يدفع تكاليف سيارته إذا سمح له بأن

يكون له شريك فيها . ولا يمكن أن يحصل على شهادة إذا قاد السيارة قيادة المستهتر أو ارتكبه حادثة يقع عليه اللوم فيها . ويجب أن تمر سيارته بتفتيش عليها قبل اشتراكها في أي سباق . وكان السيد بليك هو ضابط المرور الذي يجري هذا التفتيش بأمر من قائد المرور وكان رجلا عنيفا مع الأولاد يختبر الفرامل و عجلة القيادة وإطارات العجلات على وجه الخصوص اختبارا دقيقا جدا وأي مخالفة في المرور بالمدرسة أو في أي مكان آخر كفيلة بطرد الطالب من النادي .

وكان طول الطريق الذي تمر عليه السيارات نصف ميل وكان مغطى بالحصى ولقد منح هذا الطريق لاستخدام النادي وأعد شكاه الطلبة . وكانت السباقات في صبيحة أيام السبت وقد بدأت تجذب جمهورا صغيرا معظمه من طالبات المدرسة الثانوية، ويجب أن أذكر هنا أن قائدى السيارات يتسابقون مع الزمن لا مع بعضهم بعضا . ويدرس الطلبة أرقامهم القياسية كأساس لتحسين سياراتهم .

وثمة جزء مهم جدا من التجربة هو الزمن الذي يقضيه الطلية في إصلاح وضبط سياراتهم . يوضح ذلك أن الزمن القياسي هو ما حققه سيسل (هارد روك بيل) وهو ابن أحد أطباء الأسنان المشهورين في سيارة فورد كان يسميها الأرجوانية. وكانت السيارة عبارة عن عملية جمع أجزاء من هنا ومن هناك تقام فوق هيكل التقط (هاردروك) وشريكه أجزاءه من ساحات بيع قطع غيارات السيارات القديمة. ويلتقي السيد بليك وهو ضابط المرور مرة في الأسبوع في المدرسة مع النادي من أجل ما يسميه

الأولاد التمرين على هيكل السيارات . ويقول الضابط إن الأولاد قد كسبوا خبرة كبيرة بالأجزاء الداخلية للسيارات واعتبر كرايدر كقائد المرور من أشد المتحمسين للمشروع. لقد قل كثير من الجنوح هنا منذ أن أصبح الأولاد منظمين ونحن استمع إلى هذا مع بعض التحفظ لأن لينكولن هوفر لم يكن قد تحدث عن أي جنوح من الأحداث يستحق الذكر .

إن هذا الموجز مقتضب إلى حد كبير، إذ لم يذكر فيه إلا ما يكفي لإيضاح النقطة الرئيسية . إن هذه ليست التربية العادية من أجمل الأمان في المدارس الثانوية بما فيها من شوازع وطراقات غير منتظمة وسيارات ذات قيادة مزدوجة وإنما هي مشروع جماعي أو هو نوع من النشاط الذي تكفله الشرطة وأقسامها وأولياء الأمور والبيئة ، نشاط للأولاد داخل حدود عريضة هم الذين خططوه وأداروه ، وقد استهواهم كما استهوى المدرسة لحصل على كثير من التأييد والحماس . أما النقط التي يناقشها طلابنا أكثر من غيرها ويكون لهم فيها وجهات نظر متباينة فهي المخاطرة الكبيرة التي تكمن وراء المشروع.

كيف لا ندير مجلس الطلبة

لو سئل طلاب المدارس الثانوية عن رأيهم في برامج نواديهم لانقسموا فريقين حولها ، إنهم يحبونها ويثنون عليها ولكنهم يريدون حرية أكثر في إدارتها . لنأخذ مثالا لذلك أحد مجالس الطلبة وهو حالة من خمسين حالة لمجالس المدارس . صاحب هذه الحالة مدرس في المدرسة الثانوية المركزية .

الموافقون يقولون نعم

(في صباح يوم من أيام شهر نوفمبر رآني زميل من المدرسين من سيارته و ناداني "أن أركب معه وهو يقول إني أريد أن أتحدث إليك، كنا في طريقنا إلى المدرسة فشكرته على أن أركبني معه ثم واصل كلامه يقول «اسمع يا بوب هل تحب أن تكون رئيس حفلة عيد ميلاده" كانت هذه مناسبة كبيرة في المدرسة وكان مجلس الطلبة يشرف عليها . فكرت في الأمر ولكنى هززت رأسي قائلا : لا لا لا أستطيع ، إن لدي عملا كبيرا الآن أكثر ما أستطيع عمله . فابتسم هاري وقال حسنا لابد أنك تعرف ما أعني . لقد طلب إلى زندا أن أتحدث إليك في ذلك فهو يحب أن يسيطر على هذه الأشياء . كنت أعرف ذلك تقريبا كما يعرفه هو وزندا هو ناظر المدرسة وهو الذي يديرها ولكني قلت اعتقد أن الطلبة هم الذين رتبوا الحفل كله . قال فعلا ولكن زندا يجب أن يتأكد أنهم يديرونه جيدا ، وهو يعتقد أنك الرجل الذي يصلح للعمل معهم و تضمن تنظيمهم ، إن هارى صريح دائما وهذا أقل ما يقال عنه ؟ قلت و لكن ما الذي أقحم اسمي في هذا الموضوع؟ إن هناك ٧٢ عضوا في هيئة المدرسين كثير منهم ليس لديهم عمل إلا الإشراف على دخول الفصول . استدع أحد هؤلاء المتعطلين لهذا العمل . قال هذا صحيح ولكني لا أظن أن زندا يحب ذلك وعلى أي حال ألست تريد أن تتقدم وأن تصبح شخصية مرموقة . وبعد أن ضحكت من هذا الطموح أنهيت الأمر عند هذا الحد . فقال و صديقي فكر رويا في هذا الموضوع على أن تخبرني بقرارك عند الظهر".

وعلى الغداء تحدثنا مرة أخرى . قال هاري إنه قد قابل زندا وأن زندا مصمم على أن أتولى الأمر . فأذعنت للأمر لأنني لم أكن أرى ما أستطيع عمله غير ذلك. إن هذا يتطلب أشياء كثيرة منها حسن النية التي يتميز بها هاري البرايت الذي كان رئيس القسم الذي أعمل به.

وذهبت إلى مكتب الناظر بعد ظهر ذلك اليوم . وكان الابتسام يملأ وجهه قال إني اخترت بالإجماع من مجلس الطلبة لمساعدتهم في إعداد حفل عيد الميلاد على المسرح بالمدرسة . وبعد أن هنأني على هذا الشرف ناولني خطة تتكون من ثلاث صفحات وقال إنه خطط البرنامج تخطيطا مبدئيا كما خطط اللجان وما شابه ذلك حتى يسهل على الطلبة مهمتهم. وعندما استعرضت الصفحات رأيت أن كل شيء كان قد أعد إلى آخر أسماء أعضاء اللجان كان على أن أخبره بمجرد أن أحصل على موافقة الطلبة وتعيين المواعيد معهم .

واشتمل تقرير هذا الدرس على تفصيلات كثيرة أما النقطة الأساسية فيه فتظهر في جملة في نهايته وإن زندا أدار الحفل عن طريقي وأنا أدرته عن طريق الطلبة، وعندما طلب من هذا الدرس أن يزيد من بيانه عن مجلس الطلبة كتب تقريرا آخر جاء فيه إن المجلس له شكل جماعة ديمقراطية وله دستور وقوانين و مراقبون إلى غير ذلك . ولسوف تفهم طبيعته الحقيقية إذا شرحت لك كيف يختار المراقبون الجدد .

يشغل الطلبة مراكزهم لمدة سنة و ينتخبون في شهر مايو . وما

يحدث هو أن لجنة يعين أعضاؤها من المراقبين الحاليين تجتمع في مكتب زندا . ومع أن زندا ليست له أية سلطة في المجلس الآن المدرسة يمثلها مستشاران من هيئة الأساتذة إلا أنه يتولى الترشيح . و بمساندة الطلبة يضع لوحة المجلس تحمل اسما لكل مكان ! وفي بادئ الأمر عندما يتقابل أعضاء المجلس في مايو يعرض هذه الأسماء .

ويقول الرئيس إن لجنة الترشيح لمجلس الطلبة ترشح لرئاسة المجلس فلانا ثم تذكر اسم الطالب وهكذا إلى أن تعلن أسماء جميع المرشحين . ويضيف الرئيس أن السيد توماس مدير نشاط الطلبة يعتمد القائمة ويطلب أحدهم أن يقفل باب الترشيح فيؤيده الآخرون ، فيقول الرئيس الموافقون يقولون نعم، والمعارضون يقولون لا، وغالبا ما ينتصر الموافقون في هذه المدرسة . ولسوف أقوم في أحد الأيام بقراءة بعض آراء توماس جيفرسون على أسماع السيد زندا إذ أقرأ له مقدمة دستور مجلس الطلبة التي فيها نحن طلبة المدرسة الثانوية المركزية في مدينة كذا كى نه وسيلة الاشتراك الطلبة في قيادة نواحي النشاط المدرسي تقيم ونؤسس ، ماذا أسسوا ؟ ولست أظن أن هذا سؤال غير ذى موضوع وأعتقد أنه لا بد أن أسأ له يوما ما). .

وما لم نكن قد عرفنا ناظر مدرسة السيد زندا فلن نكون في موضع نستطيع أن نتصور كل ما يتضمنه هذا النوع من القيادة، وسواء كان الموضوع يختص بمجلس الطلبة أو غيره فإننا نعتقد أن نوايا القائد حسنة فهو يسعى إلى إدارة مدرسته كما تدار السفينة (برئيس واحد) وأن يجعل

العرف العمل في مستوى عال. وللوصول إلى هذا يشعر أنه يجب أن يحتفظ بالسلطة كل السلطة التي عينها والقانون وسياسة مجلس التعليم الأعلى .

ولسنا في حاجة إلى أن نذكر طريقة أخرى لإدارة المدرسة فسلطة التصرف يمكن أن توكل إلى جماعات وأشخاص يكونون مسئولين عن استخدامها وهذا على ما يبدو هو ما يريده صاحب هذه الحالة وهو أيضا ما ينتظره الطلبة في المدارس بكافة مستوياتها وما يطلبونه من مديري المدارس وهيئات التدريس ولقد أكدوا وجهات نظرهم هذه في بعض حالاتنا تأكيدا بلغ حد القرد فأضربوا عن الدراسة و قاطعوا الاشتراك في النشاط .

ملاحظات أخرى عن مجالس الطلبة

نختتم هذا الفصل بملاحظة عن مجالس الطلبة هي أن الفكرة جديدة نوعا وهي آخذة في الانتشار بسرعة في المدارس الإعدادية والثانوية . وهناك قدر كبير عما كتب عنها في متناول الطلبة على أن من أخطاء ما كتب أن تعني كثيرا مثال واحد معين و تنصح بأن يكون هذا المثال نموذجا يجب أتباعه . وثمة خطأ آخر هو اعتبار المجلس لغزا من الغاز العلوم أو المنطق دون النظر إلى المشاكل التي تتعلق بالإدارة و العلاقات الموجودة بين المدرسة وناظرها وهيئة تدريس طلابها . فنجد أحيانا أن المدرسة هي التي تحدد مواعيد اجتماعات المجلس وتفخر باشتراك الطلبة فيه ، ويقول أحد نظار المدارس في ذلك . الدينا مجلس للطلبة ويجتمع الفصل خمس مرات في الأسبوع كل مرة ٤٥ دقيقة. ويكرس الاثنين الاجتماع خاص

بالعمل أما في الأيام الأربعة الأخرى فتعطي دروس في المواطنة المدرسية أو الإجراءات البرلمانية أو صفات القيادة و أساليب مجالس الطبية في مختلف مدارس البلاد وما شابها من موضوعات وقد حصلت إحدى وحدات العلوم الاجتماعية على امتياز في هذا النوع من العمل،،

وتهيئ المجالس للطلبة (وهيئة الأساتذة) خبرة بدراسة وإدارة نواحي النشاط المدرسي ويضع ريران دوكيركندال ، قائمة تتكون من ٧٤ ناحية من النواحي الأساسية للنشاط الاجتماعي بالمدرسة كتخصيص الميزانية ورعاية البرامج وخدمات البيئة والعلاقات العامة الهدف من ذلك منح السلطة للطلبة «وجعلهم مواطنين مسئولين في مدرستهم " .

ولكن ماذا يحدث إذا كانت قرارات المجلس مناقضة لسياسة ناظر المدرسة. في ثلاث حالات من كل أربع يستخدم الناظر حق الفيتو ويتبعه عادة بلوم الطلبة على تصرفهم. في الحالة الرابعة يوافق الناظر عادة على تصرف الطلبة إذا استطاع ذلك ثم يرفضه بعد دراسته إذا بدا هذا ضروريا. وفي أثناء الدراسة يكون من الممكن غالبا عمل تعديل قد لا يتمشى مع رغبات الطلبة إلا أنهم يوافقون عليه بأغلبيتهم .

وعند هذه النقطة نقطة ممارسة السلطة النهائية يفشل الكثير من نظار المدارس وعمداء الكليات إذ يفقد الطلبة ثقتهم في المديرين والنظار ويفقدون إيمانهم بهم .

وأحيانا تكون آمال الطلبة جامحة الخيال وقد لا يستطيع نظار

المدارس وهيئة التدريس ، حتى إذا أرادوا أن يخلوا أنفسهم من مسئوليتهم عن إدارة المدرسة على أن عليهم مع ذلك أن يعالجوا مسائل المجلس مع الاهتمام بآراء الطلبة فالحاجة ماسة إلى معرفة طريق الوصول إلى الاتفاق عن طريق الاختلافات و إلى القيام بالدور الذي يعلم الجميع أو يعيد تعليمهم .

مشكلات ومشروعات

١. ادع إلى الفصل قائد المرور الرئيسي في البيئة وأخبره سلفا عما يريد الفصل أن يناقشه فيه .

٢. ما رأيك في حفلة الكابين؟ العب دور الآنسة مونيري في مقابلتها مع المشرف السيد والترز.

٣. هل لديك خبرة عن مجالس الطلبة في المدرسة أو الكلية ؟ نظم مناقشة حول المائدة عن المجالس وأخبرنا عن عملها وكيفية النهوض بها، تناول بصفة خاصة الدور الذي يقوم به مشرف المجلس أو مستشاره .

الفصل العاشر

العلاقات بين المدرسة والمنزل

"إن رجال التعليم يشتركون مع الآباء والأمهات في مهمة تشكيل أهداف كل طالب وأعماله في شكل غايات يرضاها المجتمع ".

المبدأ الثاني من دستور الأخلاق

المدرسة أو ثق تشكيلات المجتمع علاقة بالبيت ، فالمواطنون هم الذين يختارون مجالس التربية والتعليم التي تقوم بتعيين المعلمين بالمدارس ووضع السياسة العامة ، وهم كذلك يشتركون بأصواتهم أولا يشتركون فيما يخصص للمدارس من أموال ويرسلون صغارهم إلى المدرسة ، ويشتركون في برامجها وفي لجانها ، فمجالس إدارة المدارس تضم ما يقرب من ٣٥٠.٠٠٠ مواطن كأعضاء فيها، كما أن في مجالس الآباء والمدرسين عشرة ملايين مواطن وهناك ما يزيد على ١١.٠٠٠ عضو مجلس من مجالس البيئة التي تعنى بسير التعليم العام .

وسنقوم في هذا الفصل بدراسة بعض المشكلات في العلاقات بين المدرسة و البيت و هناك ٧٥٢ حالة تدخل في هذا الموضوع بعضها لا محل لتناوله هنا على أن كثيرا من التغييرات حدثت ومازالت تحدث في حياة

الأسر الأمريكية ، تدعو الطالب الجاد إلى قراءة كتاب على الأقل في علم الاجتماع يكون حجة في الاتجاهات والمشكلات ، ولنبدأ بعرض حالة أقل شيوعا من غيرها.

الصراع بين دور الأم ودور المعلمة

يقصد بالدور ما يجب على الناس عمله و ما يتوقع منهم من وجوب القيام به في صورة مجموعة من العلاقات الإنسانية. فكل شخص بالغ يقوم بعدد من الأدوار المختلفة وليس غريبا أن تجد هذه الأدوار في صراع ، فكثير من المعلمين والمعلمات أمهات ومواطنون ، ودافعو ضرائب دون أن ينشأ من هذا الوضع مصاعب أساسية. على أن هناك استثناءات كما سنرى في الحالة التالية .

وصاحبة هذا التقرير تركت التدريس لكي تزوج ، وبعد وفاة زوجها المفاجئة عادت إلى المهنة ، وهي تقوم بتدريس الصف الثالث في مدرسة في مدينة صغيرة ولها ابنة تسمى ايلين في الصف الثاني وفي نفس المدرسة .

دور المعلمة الأم

(هذه هي السنة الأولى في مدرسة و در ثجتون الابتدائية لي ولابنتي إيلين ، وأيلين أكبر قليلا من السادسة و لكنها ذكية جدا بالنسبة لمن في سنها ، واقترحت على السيدة فيليت الناظرة أن تبدأ إيلين في الصف الثالث معي ولكنها وضعتها بالفصل الثاني في الصف الثاني و تكون في العام القادم في فصلي و هذا ما أتطلع إليه بطبيعة الحال . وفي أحد الأيام

من شهر مضى لم تكن إيلين في صحة جيدة فأبقيتها في حجرتي و أرسلت مذكرة إلى الناظرة أخبرها بأن الطفلة مريضة وسألتني المناظرة ردا على رسالتي عما إذا كان من الضروري أن أرسلها إلى طبيب ، ولم أشعر أن هذا ضرورى فشكرتها على عطفها.

ولما كنت دائما أقوم بملاحظة طعام إيلين فقد كانت تتناول وجبة الظهر معي في حجرتى وكنت أحضر هذه الوجبة إلى المدرسة .

ولما وجدت أن الوجبة تكلفني ما تكلفه وجبة المدرسة التي يتناولها الأطفال في قاعة الطعام، أوقفت إحضار وجبتنا معا – وذهبت مع إيلين لتناول الغداء على مائدة المعلمات ، وهنا دخلت ثلاث معلمات فلوحن إلينا وضحكن وقلت شيئا لم أسمعه وكنت أتوقع أن يلحقن بنا إلى مائدة المعلمات ولكنهن أخذن طعامهن وجلسن إلى موائد التلاميذ .

ولما تكرر نفس الشيء في اليوم التالي ذهبت إلى الناظرة وسألتها عما إذا كان هناك ما يمنع من جلوس إيلين معي لتناول الطعام فقالت إن لم يكن هناك ثمة قانون يمنع من هذا لكن العادة أن تجلس التلميذات ليتناولن طعامهن في المكان المخصص لهن ، ولم أشأ أن أثير مشكلة فقلت لإيلين إنه يحسن بنا أن نتناول وجبتنا في حجرتي.

أن إيلين تقرا أفضل من أية طفلة عندي في الصف الثالث كما قلت . ولما كنت أعرف جيدا أنها تستمتع بالقراءة كثيرا ، طلبت إلى الآنسة كيري معلمتها أن تسمح لإيلين بزيارتنا في الفصل لكي تقرأ أمام تلميذاتى

، لكن الآنسة كيري رفضت هذا الطلب البسيط دون أن تذكر أسبابا ، و من ثم ذهبت إلى الناظرة وأدهشني أنها أيدت موقف المعلمة وقالت إن إبلين تنتمي إلى الصف الثاني على إني لا أظن أن هذا تصرف عادل بالنسبة للطفلة لأنها تستطيع أن تقوم بعمل الصف الثالث).

وتواصل المعلمة الأم شرح خطة لحل المشكلة ، أي نقل إيلين إلى الصف الثالث ، وهي لا نكاد تفهم أين المشكلة كما أن الناظرة لا تريد إرشادها ولا توجيهها بدور الأم .

إن المعلمة لا تستطيع أن تكون أما في المدرسة دون أن يضار بذلك دورها كمعلمه . كما أنها لا نستطيع أن تقوم بدور الأم ذلا في حجرة مليئة بالأطفال وأن تكون بديلا عن أمهاتهم جميعا. إن قيمتها كمعلمة تكمن في علاقتها الموضوعية بالنشء ، وفي دراستهم المقارنة وفي معاملتهم معاملة عادلة ذكية بينما تميل الأم إلى أن تؤثر طفلها على غيره في كل مرة .

متاعب الآباء

يجب على المعلمين والآباء أن يشتركوا في مهمة تعليم أطفالهم ، فهذا ما قضى به قانون مجالس الآباء والمعلمين غير أن هذه الشركة يتهددها التمزق أحيانا كما يحدث في الرحلات المدرسية .

رحلة إلى حديقة الحيوان

في الربيع حين يدفأ الجو أصحب أطفالي من الصف الثالث إلى

حديقة الحيوان ، ونأخذ معنا غذاءنا في سيارة المدرسة ونمضى اليوم – السبت في اللعب وفي مشاهدة الطيور والحيوانات. تعد للرحلة بقراءة القصص و مشاهدة فيلم عن الحيوانات من إنتاج شركة هدسون . ولعل المشكلة الوحيدة التي أواجهها هي ما ألقاه من بعض الآباء، وأذكر هنا كيف حاولت حلها.

سألت الأطفال كالعادة عما إذا كانوا يريدون أن يقوموا برحلة إلى حديقة الحيوان ، وكالعادة هللوا موافقين فأعطيتهم أوراقة للتوقيع عليها بموافقة آبائهم ثم بدأنا الخطة فواجهتني المسائل التالية :

الغذاء : يعد الآباء والأمهات عادة سلال رحلات لأطفالهم وهي سلال كبيرة لا يستطيع الأطفال حماها وتملأ السلال بأشياء كثيرة لا يحتاج الأطفال إليها ما بين أوعية زجاجية بها لبن وغالبا ما يكسرونها أو يفقدونها أو يخلطوها بعضها بعض ، وفي هذه الرحلة اتفقنا على أن يحضر كل طفل حقيبة من الورق يضع بها وجبة غذائية ويكتب عليها اسمه .

ثانيا : توضع حقائب الطعام في صندوق كبير خلف سائق السيارة .

ثالثا: يتناول الأطفال جميعاً غذاءهم في وقت واحد و في مجموعة على موائد بالخارج تضع بعضها إلى جانب بعض.

الملابس : بعض الأمهات يلبسن أطفالهن كما لو كانوا ذاهبين إلى المنطقة القطبية ويزودونهم بمعاطف إضافية وملاءات لاستعمالها عند الحاجة

وأحيانا تقابلنا الأمهات بحديقة الحيوان ويحضرن معهن أشياء يكون الأطفال قد نسوا إحضارها معهم وكان النظام الذي وضعناه يقضي بأن يبقى الطفل مرتديا الملابس التي جاء بها مهما كان الأمر باستثناء معطف خفيف يلصق عليه ورقة باسم الطفل .

النقود : بعض الأطفال يحضرون نقودا ينفقونها وبعضهم يحضر معه ما يقرب من دولار ما قد يؤدي إلى متاعب كبيرة ، فاتفقنا على أن يحضر كل طفل عشرة سنتات ليشترى ما يريده بحيث لا يزيد ما يحضره على عشرين سنتا .

الأمهات : هذا موضوع حساس ولهذا فقد خططناه بمنتهى الحرص في غالب الأحيان تجمع حولنا الأمهات والجدات والعيات والخالات و بنات العم وكل منهن مصممة على أن تحرس طفلها الغالي حتى لا يحدث له ما يؤذيه وغالبا يحدث بالمصادفة أن يكونوا في حديقة الحيوان وينضمون إلينا و تكون المصادفة غريبة فسألت الأطفال هل تريد أن تحضر أمهاتنا ؟ وكانت الغالبية الكبرى الأصوات هي النفي .

فشرحت حاجتنا إلى اثنتين من الأمهات لمساعدتنا في الرحلة وكيف يمكن اختيار هاتين المساعد تين واتفقنا على أن :

تكتب اسم أم كل طفل على ورقة صغيرة ثم نضع الأوراق كلها في قبعة و نسحب ثلاث أوراق وتقرأ ما بالورقتين الأوليين من أسماء لدعوتهما، وعلى أن تدعي صاحبة الاسم الثالث إذا اعتذرت إحدى الوالدين

الأوايتين .

خطاب المجموعة: كان هذا الخطاب خاصا بالآباء أكثر مما يخص التلاميذ فاتفقنا على أن تكيف قواعد الرحلة في خطاب جماعي يوقعه الأطفال جميعا . ثم أقوم بكتابة نسخ منه بعدد التلاميذ على الماكينة ويأخذ كل طفل نسخة إلى أمه . وتحمس الأطفال للفكرة واعتقد أن نظام تسليم الخطابات هذا قد سار سيرة أفضل بكثير مما يحدث بالنسبة لمعظم الخطابات التي ترسلها المدرسات إلى البيوت.

والآن نتساءل كيف سارت الخطة ! إن لدى واحدة وأربعين تلميذة بالفصل و لقد جاء معهم ثماني أمهات ! هذا غير الاثنتين اللتين دعتا للمساعدة في الرحلة فإذا كنت أستطيع عمله سوى أن آخذهن مهنا، لاسيما وأنهن يقدن سياراتهن الخاصة. وبعد أسبوع ، أرسلت إلى الناظرة رسالة من إحدى الأمهات تقول إنها ما كانت لتذهب إلى مكان لا يريدها فيه أحد، غير أنها شعرت أن (سلوكي غير مذهب كان اهانة للأمهات) وأنه يجب أن يبلغ عني و كانت الأم تشير إلى الخطاب الجماعي الذي كنه الأطفال تحت إرشادى و توجيهى).

إن أي شخص يتعامل مع الجمهور يعرف أن أعضاءه لا يفكرون في غير أنفسهم عندما يتصل الموضوع بمصالحهم الذاتية . وليس هذا غريبا على المدرسات ، فلا يستدعي دهشتهن ، فالمرء بضع خطة ويعمل على أن ينفذها ويحاول تحسينها بطبيعة الحال ، وطلبتنا أحيانا يقومون بأدوار

مجموعة من الآباء . وتجمعهم الآنسة سميث لوضع القواعد اللازمة لسير رحلات الصف الثالث ، وهناك طرق كثيرة لمعالجة هذا الاجتماع بقدر ما هناك من طلبة يحبون القيام بدور الآنسة سميث.

إن المتاعب التي تصدر عن الآباء تظهر في حالة الرحلات المدرسية أكثر مما تظهر في حالات أخرى، وصاحبة الحالة تقوم بتدريس الألعاب الرياضية في مدرسة الصم . ويتكون فصلها من اثنتي عشرة فتاة . تتراوح أعمارهن بين عشر سنوات وأربع عشرة ليس من بينهن إلإزنجيتان.

العناية بالنظافة

(في مدرسة كولمان تتلقى الفتيات جميعا دروسا في التربية البدنية ما لم تكن إحداهن مصابة بعلة في جسدها وهن يذهبن مباشرة من فصول المدرسة إلى حجرة تغيير الملابس ويستبدلن بملابسهن ملابس الألعاب الرياضية . وفي معظم الفصول نبدأ بتمرينات اللياقة البدنية كالوقوف والركوع والوقوف من وضع الانبطاح وبعد هذا تكون دائرة الألعاب أو نختار الأعضاء للعب الفريق.

وبعد بدء الفصل الدراسي الحالي بقليل . طلبت مارتا أن تعفي من حصة التربية الرياضية ولما كان هذا أمرا غير عادي في حد ذاته فقد أعطيتها تصريحا لها بهذا ، وذهبت إلى حجرة الملابس تعود إلى ملابسها العادية وفي حصة التربية الرياضية التالية طلبت هي و ليندا أن يعفيان من حصص التربية الرياضية وقالت كلاهما أنها كانت تشعر ببعض توعك ،

ولهذا صرحت لهما بأن يغيرا ملابسهما ، و تغيبت مارتا في الحصة الثالثة لكنها بعد ذلك طلبت مرة أخرى أن تعفي من حصة التربية الرياضية ، فطلبت منها أن تنتظر إلى أن يبدأ الفصل لعبه حتى يتسنى لنا أن نتحدث سويا.

قالت أنها تحس ألما في معدتها، وأخبرتها أنها يجب أن تعرض نفسها على طبيبة المدرسة . فأجابت بأن أمها سوف تصحبها إلى الطبيب بعد انتهاء المدرسة ومن ثم سمحت لها بما طلبت .

وعندما حدث نفس الشيء في يوم الاثنين ، تركت الفصل وأخذت مارتا إلى طبيبة المدرسة وتركت الطبية كيل مذكرة قالت إنها فرصت مارتا وسألتها عدة أسئلة و لكنها لم تستطع أن تجد شيئا بها، حيرتني هذه المسألة ، لأن مارتا فتاة لطيفة هانئة مرحة وتقول الحق ولم تكن تحمي الأوامر قط.

وعندما تحدثت إلى مارتا ، كانت تتهرب مني – قالت إنها مازالت تعاني من الأم بالمعدة. وأنها لم تكن تستطيع أن تدرس التربية الرياضية ، وأنها تحت رعاية طبيب العائلة ، ولما كان الشك قد بدأ يتسرب إلى نفسي، طلبت منها أن تجلس أثناء الحمص على جوانب قاعة التمرينات وفعلت ذلك دون أي شكوى ، والواقع أن مارتا بدت كما لو كانت تستمتع بكونها مع الفصل أكثر من اشتراكها في لعبها ، وكان رد الفعل هذا صعبا على فهمى ، فقررت أن أرى السيدة ويلز ، وهي أم مارتا ، وذهبت لزيارتها ذلك المساء بعد المدرسة .

كانت أسرة ويلز تسكن منزلا صغيرة ولكنه كان لطيفا ، طلي بطلاء منذ وقت قريب و حوله الحشائش والكثير من الأزهار – وكانت السيدة ويلز ودودة ولكنها متحفظة ، ولقد ظننت أنها كانت قلقة بخصوص زيارتي .. كانت من الجنوب متخرجة في مدرسة ثانوية و عاملة نشطة

الكنيسة واستطعت أن أحكم بأنها أم قادرة و عطوفة على مارتا وأخوها اللذين يكبرانها ، وكان السيد ويلز رئيسا لقسم الصيانة بمحطة مياه بالمدينة وكان يحب عمله ويحصل على مرتب محترم. فكانت الأسرة تملك المنزل وأرضا قريبة منه ، وكانت الأم مشغوفة جدا بأن ترى مارتا وأخويها يتقدمون في المدرسة . لأن التعليم شيء مدهش .

وبعد أن قضيت في زيارتها حوالي نصف ساعة ، وأخبرتها عن مارتا ، فلم تبد عليها الدهشة مطلقا .

قالت إن الفتاة كانت تتسخ ملابسها على أرض قاعة التمرينات ، وإنها كانت تطلب منها ضرورة الاحتفاظ بنظافتها وعندما أضافت السيدة ويلز بأن النظافة من الإيمان ، بدأت أرى خيطا ، هل قلت لمارتا أن تطلب إعفاءها من حصص الألعاب الرياضية ، كان جوابها بالإيجاب دون تردد أو حيرة .

وافقتها على الحاجة للاحتفاظ بالنظافة ، ثم تحدثت إليها عن أرض قاعة التمرينات . إنها كانت تسكنس كل يوم، وكان الفتيات في كل فصل يأخذن حماما بعد كل حصة ، وكن يستخدمن ما يرون من صابون وماء .

وكنت أعالج كل جرح أو مرض مهما كان صغيرا بمطهر . وكانت الفتيات يغسلن أقدامهن في حمام خاص وهكذا كانت الأم تستمع إلى كل هذا باهتمام ظاهر . لم تكن تفهم هذا كله . فالمدارس التي كانت تعرفها لم تكن تتبع مثل ذلك . إن مارتا تستطيع أن تأخذ دروس الألعاب الرياضية . بل إن هذه الدروس مستفيدها وشكرت للسيدة ويلز ودعوتها لزيارة الفصل وانصرفت وعرفت أن مشكلة مرض الابنة قد حلت.

وفي الدرس التالي الألعاب الرياضية كانت مارتا تفيض بالابتسامات. قامت بكل شيء واستمتعت بوقتها جدا ولم أذكر لها حديث مع أمها لشعوري أن الطفلة كانت محقة في عمل ما كانت أمها تخبرها بفعله .)

من المحتمل جدا أن تكون هذه الأسرة تمارس حقا أساسيا من الحقوق الديمقراطية هو حق التقدم والرقي، فعندما تقدم مركزها وأصبحت تنتمي إلى الطبقة المتوسطة أصبحت النظافة أكثر من مجرد حاجة صحية ، أصبحت النظافة رمزا للمركز الاجتماعى و سلما تدرج به في محيط الثقافة إلى خارجها . ويعقد دافيز Davis وها فجهيرست Havighurst مقارنة من أساليب تربية الطفل في أسر الزنوج وأسر البيض ، وهي دراسة تبين أن الفوارق الطبقيه تتجاوز كثيرا ما يغري إلى العنصرية وحدها.

وهناك حالات من نوع أخر تظهر فيها جمعناه منها ، هي أن المدرسين الجدد يتعلمون بسرعة أن البيوت ترتبط بالبيئة وأن العالم الحديث عالم منظم . وما عليك إلا أن تلمس حالة هذا الطفل حتى تلمس حالة

أسرته كلها وصاحبة حالة ، البيت ، تقوم بتدريس العلوم للصفين السادس والسابع في مدرسة صغيرة بمقاطعة أريزونا.

بيتالله

(في درس عن المجموعة الشمسية شرحت في كلمات بسيطة موضوع الكواكب السيارة وعلاقتها بالأرض فأشرت إلى الأرض بقولي "إنها المكان الذي نعيش عليه " وأضفت " ولكن لا نعرف إن كان هناك بشر يعيشون في المريخ،"

وأشرت بالمؤشر على مكان الكواكب من المجموعة الشمسية ، فرفع جوزيه كورسيكا يده وسأل "وأين يعيش الله ؟ وعلى الرغم من أني لا أستخف بسؤال كهذا لا أستطيع أن أدرس الخرافة على أنها علم ولا يتوقع مني أن أفعل هذا. فأجبته و إني لا أعتقد أن الله يعيش في المجموعة الشمسية وإنما أعتقد أنه داخلنا في قلوب الناس وعقولهم ، فقطب الصبي جبينه وقال مشيرا إلى الخريطة ولكن أليس الله حقيقة وألا يعيش في الفضاء في مكان ما ، فشرحت له أن العلماء لا يعتقدون ذلك بل يميلون إلى الرأي الذي سبق أن ذكرته ، لكن الصبي استطرد يقول : إن الأب فرانسيس يقول إن هناك إلها حقيقية وهو يعيش في سماء حقيقة أيضا ، وشعرت عندئذ أن الأب لم يكن يحتاج لأي تعليق أو على الأقل كان لا يمكنني أن أعلق دون أن أسبب ألما للولد ولهذا واصلت درس العلوم.

ولاشك عندي في أن جوزيه تحدث إلى والده و أن والده تحدث إلى

القسيس فقد أخبرني الأب فرنسيس أن أسرة كورسيكا أصابها القلق وطلبت إليه أن يراجعني في الأمر فيما إن كنت أو من بالله ، وقلت نعم كفكرة قال هل تؤمن بأن هناك جنة ونارا ، قلت إن العلماء لا يعلمون هذا والحقيقة أن الكثيرين يشكرون في أن هذه الأماكن لها وجود حقيقي . قال : هل كنت

تدرس للتلاميذ حقيقة بحتة؟ قلت كلا ، كنت أحاول تدريس حقيقة تجريبية ، قال ، ألم تكن وراء ستار العلم تحطم إيمان الأطفال ، ؟ قلت ولا أظن هذا، ولكنه أصر على أني كنت أفعل هذا . كنت أفسد الشباب وأباعد بين الشباب و بين الكنيسة . وأنا رجل هادئ الطبع بعض الشيء عميق التدين على طريقتي الخاصة لكن هذا الاتهام أساء إلى نفسي بطريقة غير محتملة .

فقلت "أيها الأب" إن بيت الله يتخذ أسماء مختلفة في العالم أجمع في كل مكان يسمون بيت الله اسما مختلفا حسب تفكيرهم. ولم يقل الأب شيئا فواصلت كلامي قائلا أما عن افسادى الشباب فلست أعرف معنى هذا و لكني أعيد على سمعك صلاة تعلمتها طفلة في مدرسة بروتستانتية حيث تردد هذه العبارات "والآن وأنا أرقد لأنام – أبتهل إلى الله أن يحفظ روحى. وإذا قدر لي أن أموت " ثم توقفت هنا لأن الأب فرانسيس كان قد تحول عني.

ولقد أحمر وجه الأب وأخذت عيناه ترمقاني بسرعة وهو يتهمني

بأني لا أومن بالله وبهذا لبس قبعته ومشى متثاقلا إلى خارج الحجرة ثم على درجات السلم إلى حجرة الناظر على ما أظن.

ولو كنت وصلت في العلم نصف ما أرنو إليه لما كنت أجيب على الأب فرانسيس بالإجابة التي قلت إن العلم لا قهر فيه كما أن العلماء لا يحبون الجدل، فهم باحثون يبحثون وراء الحقيقة ، وهم لا يتنازعون مع الدين ولامع الأخلاق ولامع الفلسفة . إن العلم لا يتبعه ولا يؤمن به إلا من أراد ، وهو يلتزم دائرته ، دائرة العلاقة بين السبب والنتيجة . ويخيل هنا أن الأحداث تدور دورة يسوء فيها الحظ فيجوزيه يسأل سؤالا عن الله يحاول السيد جروفيج المدرس أن يجيب عليه ثم يستمر في درس العلوم ويتحدث الأب فرنسيس مع المدرس و بعدها يذهب إلى ناظر المدرسة . وأما ما حدث بعد ذلك فشيء لا يستحق التسجيل إلا أن نقول إن عقد العمل مع السيد جرو فيج لم يجدد وفي السنة التالية ذهب إلى الجامعة ليدرس ثم حصل على شهادة الدكتوراه. إنه الآن مدرس في قسم الكيمياء)،

والمسألة الرئيسية التي أثيرت قديمة جدا وخطيرة جدا وهي كيف يمكن لمدرس أن يعالج سؤالا من نوع السؤال الذي سأله جوزيه ؟ فيلا هل يمكن للشخص أن يكون عالما ودينيا في نفس الوقت ؟ لقد حاول السيد جروفينج بضمير حي أن يكون كليهما فالحقيقة التجريبية في رأينا مهمة جدا له، أما بعد ذلك فهناك إيمانه الشخصي والأمران كما يراهما ليسا في صراع، غير أن الأب فرنسيس لم يوافق على ذلك إذ أن ما يميز طريقة

تفكيره هو إيمانه بالحقيقة المقدسة أو الواضحة كما يطلق عليها أحيانا . و لقد شعر عن صدق كما تعتقد أن المدرس كان يفسد النشء.

كيف يمكن المدرس أن يعالج سؤال جوزيه؟ إن الطلبة يتباينون في إجاباتهم تبيانا سحيقا ولقد حاولنا أن تحل هذه المسألة في مناقشة يتحدث فيها كل ثلاثة طلبة في عشر دقائق وكذلك وسعنا نطاق الموضوع بأن ناقشنا الطرق العامة – لمعالجة الأسئلة الجدلية في فصل من فصول مدرسة عامة وكانت نتيجة هذه المناقشات خروجنا بمجموعة مدادى عديدة يستخدمها الطلبة في تكوين آرائهم .

التعاون بين المدرسة والبيت

الكتاب الذي يتخصص في دراسة المشكلات يركز في العادة على المشكلات و من الخطورة مكان أن تؤخذ الحالات على أنها انعكاس لما يحدث في التعليم العام أو نقد لما يحدث في المدارس. ونحن نحتاج من وقت لآخر أن نعمل نوعا من التوازن في الصورة وأن نشير إلى تقارير نهائية ذات نتائج مرضية، ولعل العلاقات بين المدرسة والبيت مجال طيب لهذه الأمثلة . فقد يكون تعاون الآباء مع المدرسة تعاونا تاما مخلصا أحيانا بصورة تبدي بمثابة صدمة خفيفة مفاجأة سارة .. وصاحبة التقرير التالي تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية والتمثيل في مدرسة ثانوية صغيرة مليئة بالطلبة والطالبات .

ابنة رئيس مجلس الإدارة

كانت مارى ديمار من بين الطلبة الاثنين والعشرين الذين اشتركوا

بأدوار في تمثيلية الصف الأعلى ، وهي ابنة رئيس مجلس الإدارة ، ولقد اشتبكت (كل المدرسات) معها . فأنا أعطى

أدوار التمثيلية على أساس الموهبة مهما تكن النتيجة مع التأكيد في كل سنة على أن يكون ذلك المبدأ مفهوما فهما واضحا وقد قرأت مارى دور البطلة في التمثيلية وكان أداؤها فاتر لا يدل على قدرة في التمثيل ، بل وكان من الواضح أنها لا تستطيع أن تقوم بالدور. فطلبت منها ومن طالبتين أخريين أن تقرها دور الأم فأدت هذا الدور بطريقة أفضل . وبعد أسبوع كنت أعلن توزيع الأدوار فأعطيتها هذا الدور فقبلته ثم رفضته ثم عادت فقبلته ، و عندما بدأنا التمرين على التمثيلية لاحظت منها عدم الاكتراث بالدور ثم بدأت تأتي متأخرة وتهرب من التمرين. وفي إحدى الأمسيات بعد التمرين قدت سيارتي إلى منزل الناظر، إنجيم ورو شخصان يستحب التحدث إليهما مهما كان نوع المشكلة. وبعد الإنصات إلى سألاني إن كنت تحدثت إلى مارى ، وعندما قلت نعم مرات عديدة أقترح جيم أن أذهب مباشرة إلى والدها، ووافقته على هذا فالسيد ديمار مزارع و هو من كبار الملاك ومعروف عنه الصرامة والصلابة . وفي طريق إلى المنزل استعرضت في مخيلتي جميع القصص التي سمعتها عنه ، وبصرف النظر عن رؤيته عند حضوره إلى المدرسة ومبادلة كلية أو كلمتين معه ، لم أكن أعرف كيف أتفاهم معه. ويجب أن أعترف هنا وأنا أتأمل ما حدث أنه لم يكن هناك مبرر لما أحسسته من قلق . فالمقابلة بيني وبينه كانت مرضية في جميع النواحي . قال السيد ديمار إنه لم يكن يعرف أن اتجاه مارى غير سليم تجاه عملها المدرسي و اسكنه كان عندما يحاول كل مرة أن يتحدث

بصراحة إلى إحدى مدرساتها لم تكن تستطيع أن تصور حقيقة مشاعرها نحوها ، كانت كل واحدة تقول إن ماري شخصية لطيفة وإنها تسير سيرا حسنا في عملها أو إنها على الأقل سوف تفعل هذا ...

وأنها تجيد هذا أو قوية في ذاك الخ الخ .

وتحدثنا في ذلك زهاء ساعة رجعنا بعدها إلى موضوع زيارتى ، وسألته ماذا يجب على عمله بالنسبة لتمثيلية الصف الأعلى فأجاب كيف تسألينني في ذلك يا آنسة فينزون ؟ لست عليها بمعاملة الشباب كما يظهر من تصرفات ماري لكنني أعتقد أنني لو كنت أقوم بتعليم هذه التمثيلية لوزعت أدوارها كما أرى .

وفي اليوم التالي تحدثت مع مارى ديمار حديثا طويلا صريحا وأخبرتها أنها تستغل مركز أبيها في المدرسة وأن هذا يعد جريمة . بدأ في عين الفتاة ما يدل على الخوف ، على حد ظنى ،

جعلني أخفف من حدة كلامي . ثم قلت دوالآن يامارى دعيني أسمع رأيك في هذا، فراحت تبكي ولم أحاول أن أسرى عنها وبعد أن استعادت أنفاسها ظهرت الحقيقة ، لم يحدث قط أن تحدثت إليها إحدى المعلمات بمثل ما تحدثت إليها به بأنها ابنة رئيس. كان المدرسات جميعا يحتملن المستحيل منها ، وكن دائما يذكرنها ويذكرن زميلاتها.

ورأيت بوضوح ذلك التوتر الذي كانت ترزح الفتاة تحته – فزال عني

كل دافع عندي إلى عقابها . وتحدثنا قليلا عن عملها المدرسين تحولنا إلى الحديث عن التمثيلية وانهينا بأن أعدنا تشكيل جزء من أحد المناظر كانت ماري تشعر منه بأن الأم سخيفة جدا في أداء دورها).

في خبرة كل معلم لحظات تبصير في ذاته ، أو في ذات غيره ، وإن كانت لحظات نادرة لا يمكن التنبؤ بها ولا تعليلها تعليلا واضحا فإذا حاول أن يحلها أفلتت منه كشى. لا يمكن الوصول إليه ومع ذلك فهي حقيقة واقعة .

وفي حالة مارى ديمار قام نوع من العلاقة صلته أكثر وضوحا من مجرد الكلمات . وثمة جانب عملي للحالة هو سيطرة فكرة راسخة عن صورة عضو مجلس الإدارة التي منعت الصلة المفيدة بين الجانبين . فالسيد ديمار رئيس مجلس الإدارة بما يعزى إليه من سلطات كان ألمم صورة من السيد ديمار الأب ، ذلك الإنسان القلق، فلم يكن من الممكن سماع صوته. على أن هذا الحاجز الذي كان يعوق التفاهم قد انهار ، وكان في ذلك ما أرضى المعلمة وما أشاع الطمأنية في نفس مارى ديمار.

تعليم الحياة العائلية

و لنأخذ موضوعا أخيرا . هو موضوع يعلم الحياة العائلية ، وهو محل اهتمام المدرسة حديثا ومحور أهميته هو محاولة التعليم من أجل حياة عائلية ومنزلية أفضل مع التأكيد على العلاقات الجنسية . و من الطبيعي أن ينظر الآباء كأفراد وكذلك الهيئات الدينية إلى هذا الموضوع على أنه مغامرة مريبة

من جانب المدرسة . على أن القليلين من الناس هم الذين يعرفون ما يرى الأطباء وعلماء النفس ضرورة معرفته حتى يحتفظوا بصحة بدنية وعاطفية ، وحتي يحفظوا العلاقات الإنسانية طيبة .

ومن الأمثلة الطيبة لعمل المدرسة في مجال تعليم الحياة العائلية ذلك هو المنهج الدراسي الذي قامت بتدريسه السيدة اليزابث فورس في مدرسة تومز ريفربولاية نيوجرسي وهي مدينة عدد سكانها حوالي سبعة آلاف نسمة ، ولقد نال مقرر الدراسة هذا موافقة مجلس إدارة المدرسة وتأييد الكثير من الآباء والهيئات المدنية والدينية .

التعليم الحياة منزلية أفضل

(فصلنا بالمدرسة عبارة عن حجرة معيشة كبيرة فرشث بالسجاجيد ، وغطيت جدرانه بالخشب المرسوم والستائر الملونة ، به مناضد صغيرة لجلوس المجموعات ، والحجرة يستخدمها الفتيان والفتيات على السواء من أدوا أو يؤدون منهج تعليم الحياة العائلية وهم فخورون جدا بمظهرها وهنا يجب أن أذكر نقطة هامة بصفة خاصة ، هي أننا تعهدنا يشرفنا أن الأحاديث التي تجرى في هذه الحجرة أن تعاد خارجها وأن تنحصر معيشتنا وتفكيرنا داخل إطار الحياة العائلية الواقعية.

وحين يدعى ضيوف إلى الفصل يعاملون كما لو كانوا يزورونا بالمنزل و هم ما بين أطباء وقسس ومحامين وممرضات و شبان وشابات في دور الخطوبة أو حديثي العهد بالزواج ، وكثيرا ما يسألهم الطلبة كما يسألوني

وتعالج أسئلتهم بصدق وصراحة وعندما ألاحظ نظرات ماكرة أو أسمع ضحكات مكتومة ، أعالجها على أنها دليل عدم الارتياح وأقول . لقد قيل الآن شيء أثار فيكم بعض القلق وقد يكون هذا تعبيرا لم تسمعوه قبلا . إن هذه الدراسات تقدم للطلبة الناضجين ونحن نحتاج لتوسيع مفرداتنا اللغوية ، ويسرني أن أكرر أي نقطة أو أوضحها ، إن المراهقين من دون العشرين يسألون عددا لا حصر له من الأسئلة معظمها عن المشكلات التي تقابلهم بصفتهم أولادا أو بنات وفيما يلي بعض الجوانب التي تهمهم وتعنيهم .

١- ما الذي يجعل الفتيات يتصرفن بطريقة غريبة ؟ هذا السؤل يسأله الأولاد الذين تبدو لهم البنات لغزا كبيرا ، فأقول لهم إن البنات ينضجن بسرعة أكبر من الأولاد وأن الطبيعة تعدهن لدورهن كزوجات وأمهات .

وفي الوقت الذي يكون الأولاد فيه مشغولين بمعاكساتهم تتطلع الفتيات إلى مواعيد . وهذا يخلق مشكلة في حفلات الرقص بالمدرسة أو يلعب الأولاد لعبة اللمس أو يجلسون على الجانبين ، أما البنات فلا بد أن يقفن في انتظارهم أو يرقصن معا .

٢- هل يمكن للمرء أن يحب وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة د نوع الحب الذي يتزوج على أساسه" .

لقد قالت فتاة في السابعة عشرة إنها خطبت في السنتين الأخيرتين

إلى أربعة فتيان مختلفين ووصفها الطلبة والطالبات بأنها متقلبة فشرحت لهم أن معظم الفتيات فيما دون العشرين يمان إلى الحب بشكل واسع في بادئ الأمر ولكنهن لما تقدمن في النضوج يصبحن أكثر تمييزا وهذا التمييز أو هذا الاختيار الحكيم لشريك الحياة هو الذي بين الحب الطائش ، والعاطفة الراسخة التي يقوم عليها الزواج السعيد.

ومن هذه النقطة ننتقل إلى الصفات المطلوبة في الزوج أو الزوجة وإلى الأسس التي يقوم عليها القرار الحكيم في الزواج .

٣- هل يحق للوالدين أن يتدخلا في الشئون الشخصية لابنهما ؟

إن المراهقين خصوصا شباب الطبقة الوسطى يتفجرون غيظا إزاء مقاومة الوالدين و تدخلهما فهم يريدون أن يكونوا موضع ثقة وأن يتركوا لشأنهم ، ومن المتفق عليه أن الأبوين يجب أن يعرفوا أين يذهب أبناؤه ومع من ومتى سيعودون إلى المنزل ، وأبعد من هذا أن طلبة المدارس الثانوية وطالباتها يؤكدون دائما أنهم كبار بدرجة يمكنهم معها أن يعنوا بأمر أنفسهم ، لكن الآباء لا يقبلون هذا وإن كان سلوكهم يرتبط بالموقف ذاته.

٤ – متي يجب على الفرد أن يتزوج ؟ إن الشباب يتزوجون في سن مبكرة أكثر ما كانوا يفعلون في وقتنا والدليل على ذلك أن تسع فتيات من الصف المنتهي يلبسن خاتم الخطوبة وبينما أشعر بالبهجة لسعادتهن فإني متحفظة لدرجة أني أقول أو أحاول أن أقول إن الزواج بعد سن العشرين أفضل لأن حياة المرء تكون أكثر استقرارا

، وأن اختياره يكون أكثر نضوجا ويسأل الطلبة والطالبات أسئلة أخرى متصلة بهذا الموضوع وما تكاليف إقامة منزل ؟ هل يجب على الزوجة أن تعمل لتحصل على مال ؟ كم عدد الأطفال الذين يجب أن ينجبهم الزوجان ؟

٥- هل يتوقف الزوجان عن الحب بعد أن يستقر بهما الحال أو هل يستمران في الحب و لكن بصورة أخرى ؟ إن ما يضايق معظم الطلبة هنا هو حياتهم العائلية الخاصة ، فيقولون لماذا يقضى الأبوان وقتا طويلا جدا في العمل ووقتا قصيرا جدا في المرح معا سويا و إن والدي يكاد يتجاهل أحدهما الآخر كما لو كان حبهما قد مات ، إن هذه عاطفة يعبر عنها الشباب غالبا قبل سن العشرين بصور مختلفة ، فأقول لهم إن الأبوين يمكن أن يحب كل منهما الآخر بعمق أكثر مما يستطيع النشء أن يتفهمه ، ويستطيع المرء أن يشعر بهذا في الأشياء الصغيرة التي قد لا يلاحظها الصغار ملاحظة عابرة أو تذكرة بأوقات مضت أو قليل من المداعبة الخاصة أو حلم يشتركان فيه معا لكنهما قل أن يناقشاه ، وثمة نوع آخر من التفكير أكثر إقناعا للشباب كما يتضح من الإجابة عن هذا السؤال : ماذا يحدث عندما تتعرض الأسرة لنوع من الضغط في حالة حدوث موت أو حادثة أو تعطل عن العمل أو كارثة مالية والإجابة على ذلك أنه إذا تماسك أفراد الأسرة بعضهم مع بعض فإن هذا يعتبر دليلا على الحب وهذا الرأي معترف به ونحاول أن نبحث عن

٦- كيف تعلم الأطفال معلومات عن الجنس ؟ إن السؤال عن الجنس يوضع غالبا بهذه الصيغة . لا أدري على وجه التحديد مقدار ما يعرفه طلبتي عن التناسل أو مدى تفكيرهم عنه ، وهم يكرهون توجيه أسئلة تكشف عن جهلهم وهم لا يلجأون إلى نصح أبويهم أو غيرهم بما يجب عليهم أتباعه ، وإذا أخذنا جميع هذه الأمور في الاعتبار فإني أجد أن عرض فيلم حسن في الفصل هو أحسن طريقة لإشباع اهتمام المراهقين بالجنس. هذه الأفلام وإن كانت للأطفال الصغار تبين لك كيف يمكنك شرح الجنس لأطفالك بعد ذلك فالفيلم الأول عن ظهور البشرية مخصص للأطفال قبل مرحلة المدرسة والثاني عن (النمو البشري ، يصلح لمستوى الصف السادس والفيلم الأول فيه تمهيد للثاني و بين الفيلم الثاني في بساطة ودقة علمية جهاز التناسل عند البشر ذكر أو أي وهو يشرح الأسباب السليمة التي جعلت الطبيعة تخلق في الأنفي نظام المراحل المختلفة المولد الطفل .

ويظهر المراهقون استجابتين أساسيتين عند مناقشة هذه الأفلام ، فيقول الأولاد والبنات أولا إنه كان يجب أن يشاهدوا هذه الأفلام قبل ذلك بسنوات و ثانيا أنهم لم يتلقوا إلا معلومات قليلة عن الحقائق الخاصة بالجنس من أبويهم. وثالثا ليس هناك إلا القليلون من المحظوظين الذين يستطيعون أن يقولوا "كنت أذهب دائما إلى أبي أو أي بأية مشكلة").

لقد تناولت هذه الحالة بشيء من الإسهاب لأن أكثر من نصف

عدد الطلبة والطالبات يجدونها أهم نقطة في الدراسة . وقد لا يوافق الكثيرون على ما تقوله أو تفعله السيدة فوريس، ولكن الجميع يؤمنون أن المدارس يجب أن تساعد في تقوية الحياة العائلية و بناتها و لهذا يجب أن نخطط برامجنا التعليم الحياة العائلية وأهدافها ووسائل تنفيذ هذه الأهداف التعاونية فيما بين العائلات والكنائس وغير ذلك من هيئات البيئة. ولا شك أن هذا موضوع شيق جدا و مناسب المناقشة حول المائدة الأسرة شيء ثمين في تراثنا الثقافي وإن كنا بغير حاجة إلى ذكر ذلك لأننا نعرف هذه الحقيقة من آن بعيد.

مشكلات ومشروعات

١. هل كان في إمكانك كناظرة مدرسة أن تقومي بمساعدة أم إيلين في إعادة تحديد موقفها الصعب ؟ كيف ؟ حددي إجابتك.

٢. عين لجنة الاتصال بمجموعة من مدرسات ومدرسي المدارس الابتدائية والثانوية ، البحث مضايقاتهم مع أولياء الأمور . سجل النقط التي يضعونها وارفع بها تقريرا للفصل . هل هناك اختلاف كلى بين مشكلات المدارس فيها لمستوياتها ؟

٣. اختر متطوعين من الطلبة ليعد كل منهما كلية تستغرق ١٠ دقائق للفصل عن التعاون بين المدرسة والبيت . أعد مقدما درجات تتراوح بين ه وأعد كل واحد ما يستحق . أخبر الفصل بهذه الدرجات ثم ناقش المستويات.

٤. أعد مقالة عن الفوارق الاجتماعية وأثرها في تربية الطفل .

٥. نظم مناقشة في كيف يمكن للشباب أن يستفيدوا أكبر فائدة من زواجهم.

الفصل الحادي عشر

دراسة البيئة والمسائل الخاصة بالتصرفات

"إني أسلم بأن الكليات والمدارس يجب أن تكون أكثر اهتماما بنوع الحياة في البيئة، وكيفية تنظيمها وإدارتها . الحاجات الإنسانية هنا حقيقية جدا كما أنها في تزايد".

ل . هـ . مورلين

إن البيئة بالنسبة لمعظم العاملين بالمدارس ، ليست في أساسها مكانا أو أسلوبا بناء للحياة وإنما هي أفراد البيئة في نشاطهم ، في العمل ، وفي اللعب ، وفي البيت ، وفي العيادة ، وهم يعيشون ويموتون ، ويناضلون ويتكاسلون ، و يفكرون، ويشعرون . فالبيئة هي عملية حياة ، في إطار من العوامل الاجتماعية . وهي أكثر من مجرد تصور . إنها مسألة تخطيط أو عمل جماعي لتحقيق الحاجات الإنسانية ، فالتخطيط الجماعي تقليدي في مجتمعنا ، وهو حجر الأساس للديمقراطية على أنه بسبب إغفال التخطيط فرضت المدارس لنفسها دورا قياديا جديدا ، وهو دور تنفيذ السياسة العامة في البيئة وأمنها ورفاهيتها .

وعلى الرغم من أن هذه الفكرة موجودة في هذا الكتاب بصفة عامة، فهي جديرة بالبحث من زاوية البيئة كلها . أولا، عن طريق دراسة

يقوم بها طلبة الفصل عن التطور السكاني في العواصم ، والحاجة إلى تخطيط المدن . وثانيا ، عن طريق بعض أمثلة خاصة بخدمات المدارس للبيئة . ثم ذكر حالة عن تعلم المحافظة على الموارد ، وهذا الفصل يعتبر مقدمة الجزء الثالث من الكتاب حيث تحلل البيئة تحليلا شاملا .

نمو الضواحي

تبين الحالات دراسات عن البيئة من مختلف الأنواع ، وإحداها مسح قام به فصل من طلبة الكليات المناطق تخطيط المدن . وقبل أن نتعرض الأمثلة ، من المفيد ذكر شيء عن التوجيه العام .

إن سكان الولايات المتحدة اليوم أكثر من سكان أوروبا كلها في هام ١٧٥٢ ، و نمو السكان كما هو معروف تضخم من مجرد مستعمرات مبعثرة أقام فيها المستوطنون فى نيو انجلند New England وفي الجنوب والجنوب الغربي إلى ١٦٥ مليون نسمة منتشرين في قارة بأسرها تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين ميل مربع . وإذا فرضنا أن المعدل الحالى للزيادة ظل كما هو، فإنه يمكن تقرير زيادة السكان في سنة ١٩٧٠ بما يتراوح بين ١٨٩ و ٢٠٤ مليونا وطوال تاريخ الولايات المتحدة . كان زحف السكان نحو المدن سائدا ، فمن مائة سنة كان ٨٥% من جميع الأميركيين يعيشون في الريف ، أما الآن فيعيش في الريف أقل من ٣٦% و ١٦% في الأماكن الزراعية. وفي العشر سنين الأخيرة ، كانت الضواحي وما زالت أسرع المناطق السكنية نموا لأنها كما تسمى حافة العواصم .

والآن لنتساءل كيف يمكن الفصل بالجامعة أن يدرس بيئة يختارها؟ إن الحالة التي نذكرها هنا اختبرت عشوائيا . إذ انقسم النصل إلى لجان لكل منها أهداف في الدراسة وخطة في العمل وقامت كل لجنة بكتابة تقرير وجمعت هذه التقارير في تقرير نهائي كتبه فريق من الطلبة . وطبع من هذا التقرير عدة نسخ و أصبح موضوعا لكثير من مناقشات الفصول . وعلى الرغم من أن التقرير النهائي طويل جدا بحيث يصعب نقله هنا بالتفصيل نكتفي بموجز له يلقي ضوءا على صفته العامة

دراسة الضواحي

لو استمر اتجاه النمو الحالي لأصبحت ميتشيجان الجنوبية كلها ضواحي في مدى خمسين سنة وهذا تنبؤ معقول إذا أخذنا كل شيء في الاعتبار . وليس هذا بجديد على القائمين بتخطيط مدينة ديترويت . و قد لاحظ الكثير من المربين المحليين هذا التطور وعاقوا على سرعته ، ولكن قليلا منهم هم الذين كتبوا شيئا عن المشكلات الإنسانية التي بدأت تظهر للعيان.

إنك إذا ركبت سيارتك إلى خارج ديترويت في أي اتجاه ، سوى عبر النهر إلى كندا ، لرأيت كثيرا من المناظر الغريبة ،

فهناك بيوت مزارع كبيرة جدا ، إلى جوار أماكن صغيرة قديمة وهي عبارة عن سقوف فوق ثقوب في الأرض .

وهناك العقارات القديمة التي تبين أسلوبا رتيبا من أساليب الحياة . أمام مجموعات متزاحمة من المخازن والمصانع و محطات البترول ومصانع الجعة ، ودور الحضانة وأسواق الإنتاج وغير ذلك . إن كل شيء هنا يمكن أن يشاهده الإنسان على امتداد البصر لكن أحدا لايعبأ به ، أما المنظر الخارجي للضاحية فقد امتد بصورة تدل على أنه كان هناك تخطيط ، غير أنه لم يكن بالقدر اللازم .

فماذا حدث إذن ؟ إن معظم السكان قد ذهبوا إلى المدن الكبيرة ليجمعوا الثروة . على أمل العودة ثانية إلى مواطنهم . يصدق هذا بالنسبة لمن جاءوا من البيض والزنوج إلى مدينة السيارات ، يعملون في مصانعها الشاسعة . غير أن كثيرين ممن جمعوا الثروة بقوا في المدينة الواسعة الإنفاق هذه الثروة ، وذكروا لأبنائنا طلبة لجان الدرس مرة تلو الأخرى ، أن شيئا لن يخرجهم من المدينة سوى القنبلة الهيدروجينية أو كما قال فرانک لويد رايت " إن الإنسان إما يخرج من المدينة الكبيرة ، أو ينفجر معها ".

وفي رأي رجال تخطيط العاصمة ، أن نمو ميتشيجان السفلي يرجع إلى مجموعة من العوامل ، أهمها عوامل اقتصادية كاللامركزية الصناعية ، والضرائب المنخفضة على الأملاك ، والطرق الجيدة ، وارتفاع نصيب الفرد في ملكية السيارات . وهناك عوامل أخرى منها رغبة أهل المدينة في مسكن فسيح ، وفي الإقامة في منازل يفخرون بها ، وفي قدر كبير من الشمس والهواء الطلق ومدارس أفضل .

ولقد تحدث أحد أعضاء اللجان مع السيد جودیناف وهو مزارع عجوز يعيش على بعد أميال قليلة إلى جنوب و فلينت ، وكان في وقت من الأوقات أحد كبار ملاك الأرض . ولكنه باع بعض أجزاء من أرضه تدريجيا إلى شركات المساكن التي قامت بدورها بتقسيمها إلى قطع أقامت عليها منازل صغيرة لبيع بالتقسيط. قال جودیناف و كنت محتاجا إلى المال، فاعتقدت أنها فكرة سليمة أن أبيع بعض الأرض ، وأمكن الناس أن يأتوا إلى هنا ليعيشوا . أما الآن فإني ضد فكرة بيع أي أرض بعد ذلك " .

إن القصة التي ذكرها السيد جودیناف سمعناها المرة تلو المرة . فالسكان الذين اشتروا منازل بدأوا في الحال يطالبون بطرقات أفضل و الوقاية من الحريق ، وبشق المجاري والمصارف وفتح مدارس أكبر وأفضل . ويقول المزارع «إنهم يسببون ضجة ، ويشربون حتى الثمالة ، ويحطمون عرباتهم ، وهكذا ، والنتيجة هي أن الضرائب ترتفع ويكون نصيب المزارعين الأغنياء وغيرهم من أمثال هذا الشخص نصيبا كبيرا في حساب الضرائب.

ولقد قامت لجنة أخرى من لجان الفصل بدراسة نمط نمو المكان فبحثوا خدمات البيئة ، كالشراء من المحال التجارية ، ، وتوزيع الصحف ، وملكية أجهزة التليفزيون ، وعدد مرات الذهاب إلى الكنيسة، وفرص الاستمتاع بوقت الفراغ ، و يمكن القول بصفة عامة بأن و نظرية المناطق التي وضعها بارك وبيرجس لم تنطبق هنا في شيكاغو . فأولا هناك تداخل المدن وهو كثير ومهم يجذب الناس في اتجاهين متناقضين . فهم يشترون

مؤنهم من هنا ، بينما هم أعضاء جماعات في مكان آخر ، كما إنهم يرسلون أطفالهم إلى مدارس في مكان ثالث . وثانيا هناك مراكز العمل الكبيرة البعيدة التي كانت تسير عكس النظرية القديمة التي تقوم على فكرة الزحف نحو المدينة ، كما يفعل سكان الريف . و بالاختصار فإن نظرية المناطق في بناء البيئة ونموها لم يمكن تنفيذها .

وركز فريق آخر من الدارسين على التنظيمات المدنية ، وتدل نتائجهم على أن ضواحي. ميتشيجان لا تختلط فيها طبقة رجال الأعمال وأصحاب المهن مع طبقة عمال المصانع . فقد يعيش أفراد من هاتين الطبقتين على مقربة بعضهم من بعض جنبا إلى جنب ، ولكن لا يكون لهم اهتمامات متبادلة ولا يشتركون في عضوية هيئة واحدة . ولقد كنا نوى أن نستخدم مقياس لترتيب الطبقات الاجتماعية على عينة من الأسر، ولكن ثبت أن هذا سيكرن وارنر الخاص عملا مرهقا.

ولقد اهتم فريق البحث ، اهتماما كبيرا بمستقبل التخطيط المدني للمنطقة من ناحية الصحة والرفاهية والأمن والتعليم . وكانت النقاط الآتية موضعا للتساؤل: بل يمكن للناس أن يشدوا بعضهم إلى بعض على أساس المنطقة المحلية ؟ أم أن رجال الأعمال يعتنقون مبادئ رجال الأعمال ، وعمال المصانع يعتنقون مبادئ اتحاد العال ، وإذا لم يكن في استطاعة الناس أن يخططوا من أجل الصالح العام ، فإنه يصبح من الصعب إدراك المعنى الذي تقوم عليه فكرة البيئة . وماذا يحدث بعد ذلك للتعليم العام . فالمدارس تعتمد على اهتمام البيئة المحلية بها وتأييدها ؟

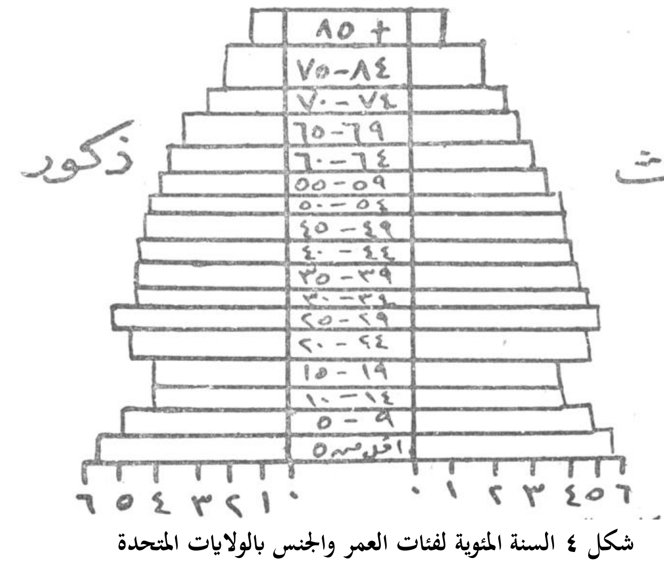
وعني فريق خامس للبحث بدراسة موضوع التعاون . ولقد اتضح لهؤلاء الطلبة من زياراتهم للمدارس أن المدرسين لا يستطيعون استخدام نفس الاهتمامات التوحيد بين أطفال المدينة فنادى ٤ . مثلا لا يستهوى شباب المدن الذين لا يطمحون إلى الحصول وأطفال الريف على جائزة ، ومن ناحية أخرى ، إن الكشافة هيئة من هيئات المدن واهتمامها بناحية الأشغال الخشبية وإقامة المعسكرات والعيش الخشن ، قد لانجذب إليها طفل الريف . على أنه لاشك في وجود اهتمامات مشتركة التصوير وفلاحة البساتين بفرض أن تكاليف هذا النشاط في حدود إمكانياتهم.

والمشكلة الصعبة هي كيفية تحقيق التعاون بين الكبار فني لأنستج قال أحد كبار المسئولين في وزارة الخارجية إن ميتشيجان تحتاج إلى ٢٧٠ مليون دولار لإنشاء مدارس جديدة ، إذا كان علينا أن نقابل زيادة السكان . وتحدث أيضا عن عدد الخلافات التي تنشب حول موضوع "مشكلة المدرسة" فمثلا يريد سكان المدن مدارس جديدة في المدن . ويريدها سكان الريف في الريف . وقال إن عليه أن يرى مكانا لا يوجد به تعارض من ناحية تركيز المدارس وإعادة توزيعها على الأحياء المختلفة.

هل من الأمور المثالية أن نفكر في خطة شاملة لتنمية مناطق الضواحي في ميتشيجان السفلى ؟ نحن لا نرى هذا ، ومن رأينا أن هذه هي الطريقة العملية الوحيدة لمعالجة المشكلة . فالخطة الشاملة لابد أن تكون كبيرة و خالصة من القيود بصورة تسمح للمدن بأن تخطط في إطارها .

إن فكرة الديموقراطية هي الحرية داخل إطار من الوحدة ، وهي حق الأفراد في الاختيار من بين مجموعة بدائل .

لم يكن هذا بحثا قام به طالب ناضج ، ولكنه كان خيرة تعليمية كبيرة لهؤلاء ولأستاذهم . إذ أن البحث استغرق شهرا ، تخللته رحلات ميدانية في عطلات نهاية الأسبوع . فإذا أراد الفصل بالكلية أن يقوم بمثل هذا النوع من الدراسة ، فإن خطة العمل المذكورة سابقا والتي وضعتها بمجموعة واين ، من الوضوح بحيث يمكن مراجعتها وتحسينها واستخدام دليل على مفصل يساعد طلبة الفصل في تشكيل الأسئلة التي يرون توجيهها .



شكل ٤ السنة المئوية لفئات العمر والجنس بالولايات المتحدة
سنة ١٩٥٠ من مكتب التعداد ، قسم التعداد السكانى ١٩٥٠ جدول ٣٧

ولقد أكد التقرير نمو السكان في ميتشيجان السفلى وخصوصا في منطقة العاصمة بدترويت . وعلى الرغم من أنها اضطررنا إلى حذف هذه

الإحصاءات ، إلا أن معرفة تكوين السكان وتوزيعهم والتغييرات الخاصة بهم، وصفاتهم ، لها أهمية كبيرة في فهم العلاقات بين المدرسة والبيئة – كما أن مراجعة ما كتب عن هذا ، تصلح لأن تكون موضوعا لتقرير تكتبه لجنة الفصل .

ولتوضيح هذه النقطة نقول إن ثادن يقسم الإسكان إلى ثلاث فئات: المدرسة ، وما قبل المدرسة والكبار ، والمجموعة التي تدخل في فئة ما قبل المدرسة تضم من هم دون الخامسة . أما فئة المدرسة فتضم من هم بين التاسعة عشرة . وفي سنة ١٩٥٠ كان أطفال ما قبل المدرسة (شكل ٤) ٧ر ١٠ من مجموع السكان ، مقابل ٨٪ في سنة ١٩٤٠. وكانت الزيادة العددية في هذه السنوات العشر تتراوح بين ١٠.٥ مليونا إلى ١٦.١ مليونا وهي زيادة أكبر من أية زيادة تحدث في هذه الفئة ولقد بلغ عدد الفئة التي في سن المدرسة ٢٥ مليونا تقريبا أو ٢٣.٢% من عدد سكان الولايات المتحدة ، وينتظر أن يصل عددها ٥٠ مليونا في ١٩٦٠.

وسيمثل ذلك عبئا ثقيلا على المدارس . فإن عددا كبيرا جدا من المدارس في حالة يرثي لها حاليا كما سنرى من دراسة حالة أو حالتين في الفصل التالي معنى ذلك في صورة العلاقات الإنسانية والتعليمية.

خدمات البيئة

تعتز المدارس بخدماتها للبيئات المحيطة بها . ويصور هذا الاعتزاز مشروع يهدف إلى تحسين الصحة أو الرفاهية يشترك فيه الأطفال . أو

حملة نظافة تقوم المدرسة بقيادتها أو حركة للتجميل ، أو لضبط المرور أو ما شابه ذلك . وسيوضح ذلك بمشروع لمكافحة شلل الأطفال أجرى سنة ١٩٠٣ قبل تعميم التطعيم العام بسنتين وكان موظفو الدولة يقومون بتنفيذ المشروع وكانت البيئة بأجمعها تتعاون معهم . وصاحب هذا التقرير ناظر إحدى المدارس بمدينة ماركيت.

"عملية لوليبوب"

كان هذا هو اسم المشروع. وكان صانعو الحلوى يقدمون للأطفال ٢٠ر٠٠٠ قطعة من الحلوى الملفوفة على عامود بعد أن يحقنوا بالمصل ، وبلغ ما تحمله المشروع أكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ دولار للمصل وحده و ٢٠٠ر٠٠٠ دولار للأطفال الذين يزيدون على ١٠ر٠٠٠ طفل .

ولكي أوضح المشروع، اذكر كلمة عن ماركيت ، إنها مدينة صغيرة ميسورة الحال تقع في الجزء الشمالي من ميتشيجان – وتبرز مرافيء فلزات الحديد الخام في بحيرة سوبيريور ، وتحيط بها أشجار الصنوبر الكثيفة و تكتسحها الرياح الآتية من كندا عبر البحيرة والمدينة ، وريفها مسكن القناصين وصيادي السمك ، والعمال الذين يقومون بأعمال مختلفة في العراء . ولا يمكن الأحد، أن يشك في أن هذه المنطقة مرتع لشلل الأطفال . وهي الحالة التي نحن بصددها ، ولكن عام ١٩٥٢ كان هناك سبع عشرة ضحية لهذا المرض المخيف ، وفي النصف الأول من عام١٩٥٣ حدثت ٢١ حالة وسببت لنا فزعا كثيرا.

وفي يوليه عام **١٩٥٣** وصل إلى مدينة ماركيت والمنطقة المجاورة لها دعوة من مكتب التعبئة من أجل الدفاع بواشنطن للاشتراك في مشروع للقضاء على شلل الأطفال – وقد وضعت الخطط التطعيم جميع الأطفال بين السنة الأولى والعاشرة من عمرهم تحت إشراف الصليب الأحمر الأهلي والمؤسسة القومية لشلل الأطفال ، بمعاونة و تعاون الأطباء المحليين ومفتش الصحة العامة ، والمدارس والمصالح المدنية لتطعيم الأطفال من سن سنة واحدة حتى عشر سنوات.

وكانت الخطة ترمي إلى تكوين مراكز طبية وإيجاد أماكن لوضع المعدات والأجهزة و ترتيب وسائل النقل من المراكز واليها ، وجمع **٣٥** طبيبا و **١٣٠** ممرضة والحصول على ما يزيد على ألف متطوع و تعليمهم بما فيهم العاملون بالمدارس الذين يمكن الحصول عليهم ، وكان المفروض أن الحديث و الصحافة والإذاعة قد وصلت إلى أباء ٨٫٠٠٠ طفل تقريبا وأن نسبة كبيرة من هذا العدد ستقدم الاستفادة من مصل شلل الأطفال مع الاعتماد على فهم أولياء الأمور وتعاونهم .

وفي التاريخ المحدد لهذا وقفت أعداد من الأطفال في صفوف قبل أن يصل الأطباء والممرضات إلى المراكز . جاء الصغار من كافة الطبقات من منازل الصيادين والتجار إلى (اللاجئين) وعمال الموانئ . ولقد كان بعض الأطفال يضحكون وهم يمدون ذراعهم و لكن معظمهم كانوا فزعين ، كما بكي واحتج عدد منهم . وبمجرد إدخال مصل ج ج الذي يسبب وخزا أو قبل هذا مباشرة تدفع الممرضة قطعة من الحلوى التي تمص في فم

الطفل – وفي طريقهم إلى الخارج كان الأطفال يلوحون بحلواهم ويهللون لصفوف الأطفال المنتظرة . وفي فترة الثلاثة الأيام كان ما يزيد على ١٠٫٠٠٠ طفل قد حقنوا بالمصل وقد فاق هذا العدد كل ما كنا نتوقعه الآن بعض الأطفال أحضرهم آباؤهم من مقاطعتين مجاورتين للمدينة .

وفيما ذكرته الآن ما أود أن أؤكده و هو عمل المتطوعين بالمساعدة ، فمثلا قامت ربات البيوت والمدرسون والمدرسات و غيرهم بقيادة سيارات نقل في كل شارع ، يحاولون إقناع الآباء والأمهات بأن التطعيم ضد شلل الأطفال ضرورة ، وكانوا ينقلون الأطفال إلى المراكز الطبية المناسبة ويرعونهم ثم يعيدونهم إلى منازلهم . ولم يحدث أن أغفلت أسرة واحدة مقيمة ، كما لم تحدث. أية حوداث مرور أو غيرها . فما أكثر ما تستطيع بيئة الكبار أن تفعله للصغار في أي مشروع يخطط بطريقة سليمة إذا أمكن إثارة البيئة وحفزها .

إن كل ما كتب عن المدرسة والبيئة ملئ بأمثلة من هذه الأنواع و بمواقف تلعب فيها المدارس دورا رئيسيا وأن نوع الخدمات البيئية الذي لا يحصل فيما يبدو على الاهتمام الذي

يستحقه أو يغفل هو في الحقيقة أقل شكلية بكثير من مشروع شلل الأطفال . وهنا نقدم تقريرا من مشرف رياضي بمدرسة ثانوية يخبرنا فيه عن مدرب صغير ضمه إلى هيئة التدريس و عن تنظيم تحالف رياضي يضم المدينة كلها ولقد سجل هذا التقرير على شريط.

وأقدم للتقرير بأن أذكر أن مدينة واين هي بيئة مناجم فخم في الشرق وهي بلدة لها طابع الخشونة والعنف يبلغ عدد سكانها حوالي. ٢٨٠٠٠ و معظم سكانها من أصل أجنبي وآباؤهم وأمهاتهم من الأجانب ولا يهتم هؤلاء ولا أطفالهم كثيرا بالمدرسة اللهم إلا بالرياضة التي تمارس بها.

تنظيم تحالف رياضي

[لاعبو كرة القدم بمدرستنا تطلبهم الكليات الكبيرة ذات المصروفات ولست أتحدث عن هذا ، بل عن العمل الذي قام به مايك ماكينا في تنظيم الصغار .

كان الأمر عنيفا عندما أحضرت مايك الخريف الماضي . لقد وضعته يدرب مركز النهاية في الجامعة وكان هذا هو المكان الذي يلعبه في نوتردام ، ولكنه كان عليه أن يخرج الحشو من ولد أو اثنين قبل أن ينتبها إليه . ولقد حصل مايك على ما يستحق ، وهذه النتيجة توصلت إليها في ذلك الوقت ولم أغيرها . وكنت أثرثر من وقت لآخر مع ما كينا فأشرح له فكرتي عن نظامنا الرياضي وكنت أقول له و هذه الفرق الكبيرة الخشنة التي لدينا من أين أنت ؟ ولماذا ؟ إنهم يأتون من المدارس الابتدائية و من الأغنية المغطاة بالرمال ، من معارك العصابات ومن كل مكان يقوم الأولاد بحركاتهم العنيفة . إن عندهم شجاعة ، ويعرفون كيف يتصرفون ولديهم الفريق، وهكذا كنت أحاضره عن الأماكن التي تغذينا يا للاعبين والوسائل التي تحصل منها على خاماتنا – وكان يستوعب كل هذا ولا يقول شيئا ،

ولكن عندما كنت أقول إنه يجب أن يتعرف على اللاعبين الصغار وأن ينظمهم وأن يبعث فيهم روح المنافسة ، هنا فقط كان يصيح في وجهي

وهكذا أصل إلى ما بعد ظهر يوم الأحد، ذلك اليوم الذي أريد أن أتحدث عنه ، كان مايك قد كون فرقا من الصغار للعب الكرة الخفيفة و كان يشرف على مباراة . و تصادف أن مررت، شاهدته فتوقفت ثم كان يسخر منه الأولاد الواقفون على الجوانب والذين كانوا في الوقت نفسه – يقذفونه بسبابهم . ومع ذلك لم يمر أو يتقهقر . بل استمر يطلب إليهم موالاة اللعب الواحد بعد الأخر كلما شاهدهم يتوقفون . وهذا عمل الحكم – إنها وظيفة لا تجزي في نظري . أما في نظر الأولاد فهي عمل – لذوي العقول البليدة .

وهكذا ، كما يقولون في الأفلام، ينادي مايك واحدا قريبا منه – ويقفز أحد الأولاد من مكانه و يخطو قليلا . ثم يتجه نحو مايك . لم يتردد مايك فقد كان يعرف ما سيفعله الولد ، فأطاح الولد من يديه وهو يمشي متجها نحوه ، كان الولد جادا ودار حول نفسه فدفعه مايك إلى الخلف تجاه الصفوف الجانبية ، ثم دار مرة أخرى ووقع على الأرض هذه المرة . وخطا مايك خطوة نحوه ثم ناوله ضربة قاصمة تحت ذقنه أسقطته ساكتا. وتبعها بضربة أخرى سقط بعدها فوق الأرض.

وعندما بدأ مايك يرفعه ويحمله بعيدا ، اندفع الجمهور أو جزء منه فأسكتهم مايك في الحال بالكلمات. كان منظرا جميلا لم أر مثله أبدا . فقد

حدد موعدا للملاكمة (بالقفازات) بين هذا الولد الخشن و بينه . كانت المباراة في مساء يوم الاثنين في ملعب الجمباز وكانت هذه هي فكرتي في كيف يجب أن تكون المباراة – حمل مايك الولد إلى أن بدأت تتحسن حاله ، ثم بين له كيف يلاكم، واعتبرت المباراة تعادلا كما اتفق مايك معي على ذلك من قبل ، وصالح الأولاد بعضهم بعضا ، وتبادلوا التحية وهكذا يا سيدي تقوم الصداقة في عالم الرياضة .

إن مدينة ماين ، كما ذكرت مليئة بالأولاد الذين يغلب عليهم طابع الخشونة والبلدة كما يصفها ابن ديف مكونة من عصابات تهاجم هنا وهناك ، تطارد بعضها البعض بالحجارة وزجاجاته البيرة والعصي و أحيانا بالسكاكين.

ولم تكن فكرتي وفكرة مايك أن يكبح جماح هؤلاء الأولاد إذ لم يكن أحد يستطيع أن يفعل هذا ، ففكرنا أن ننشى منهم فرقا ، وأن نلم شماهم بشكل قانوني ، وأن نعطيهم تمرينات عضلية كبيرة ، ولكن كيف نفعل هذا؟ هذه هي المشكلة التي قال مايك إنه يستطيع أن يعالجها بنفسه .

وهنا بالفعل قام مايك بعمل ذكي ، استدعى الآباء ، وكانت هذه هي الطريقة التي كون بها هذا التنظيم الرياضي، في مدينة ماين وهو الآن أكثر التنظيمات المثيرة للحماسة في هذه البلدة . ولسوف أتحدث الآن عن هذا ، وأحاول أن أفكر في كيف سار هذا التحالف الرياضي .

لابد وأن مايك سعي عند الأمهات أولا ، فأنا أتذكره وهو يطوف

بالكنائس ويتحدث إليهن في جماعات ، لا أعرف كيف تحدث إليهن ولكني أعرف أسلوبه مع الآباء ، كان يطارد الرجال في الشوارع ، وفي المقاهي وفي النوادي التي يتناولون فيها غذاءهم وفي كل مكان – وكانت قصته تتركز حول الحاجة إلى أن يتسم لعب الأولاد بالأمانة والنظافة .

إن الألعاب تعلم الروح الرياضية . أليس كذلك ؟ هل هذه هي الحقيقة ؟ ثم تأتي قصصه . إنه يبين حال الأولاد، إنهم مشاغبون – ولهذا فإن هذه الحاجة ملحة وبذلك يصل إلى ما يريد أن يقوله . واقتنع الآباء بهذا كما اقتنعت البلدة لان كلامه كان ذا معنى كبير . وكان من نتيجة الحملة التي قام بها لكي يثير اهتمام الناس بالأولاد أن برزت أول فكرة ر مدرسة الحكام ، تجري فيها اختبارات تؤهل الشخص لكي يكون حكما مؤهلا رسميا ، وأهم من هذا كما اعتقد هو د مجلس إدارة الحلف ويتكون من مجموعة من الشبان ينظر إليهم نظرة عالية ، يتقابلون ليضعوا حلا الخلافات التي تأتي من الملاعب . إنهم يجتمعون للفصل في هذه الخلافات، أو لمجرد . تفسير القواعد .

وهناك نقطة أخرى ، لقد تكلف مشروع إقامة هذا الحلف المكون من ٦٢ فريقا مبلغا من المال، لم يكن الحكام يتقاضون مرتبات بل مصاريف انتقال فقط وكانت أوجه الصرف تقتصر على الأجهزة وإيجارات قليلة للمباني ومكافآت للفائزين الأول والثاني وعشاء في نهاية العام أو ما شابه هذا . وفي كل هذا ، استطاع مايك أن يقود الجمهور، كبار مدينة ماين ، ورجال الأعمال . البارزين في البلدة ، وهو يقول إنهم كانوا على

استعداد أن يقدموا عونا وكانوا فرحين بالحركة وأقول شخصيا أن مايك له قدرة على التملق . ويسرني أنني وفقت إليه وأني أستطيع أن أخلى له وظيفتى بعد وقت قصير].

ليس من الضروري أن تتاح الفرصة لذوي الخبرة في اختيار من يعقبهم في وظائفهم وفي إعدادهم لذلك ، ولا يمكن لأي فرد أن يشعر شعورا خاصا بحظه الحسن كما يشعر هذا الرجل الذي وضع هذا التقرير . والنقطة الهامة في هذه الحالة هي أن نفهم أن هذا فعلا ميدان للخدمة وهو خدمة المدرسة للبيئة . إن ما كتب في هذا الميدان قد يكون أكثر كمالا إذا ضنه الكتاب. هذا النوع من المادة .

واستخدام الفصل لهذه الحالة يقتضي أن يبدأ بالاستفسار عن الصورة الترفيهية للبيئة . وهذا يتطلب الإجابة عن الأسئلة الآتية ؟ وإلى أي مدى تستخدم ؟ وما مقدار كفاءة العاملين بالمركز والملاعب والحلف وتسهيلاتها الموجودة وكيف تمول ؟ وهل لها علاقة بالمدارس العامة ؟ وما أنواع مشكلات العلاقات الإنسانية الموجودة ؟ وماذا يتطلب تحسينالوضع.

المحافظة على الموارد

التعليم من أجل الصيانة ، في معظم أشكالها أقل إثارة من اتجاه المدرسة إلى بيع المجلات . ذفي معظم أنحاء البلاد يركز الاهتمام على بيع المجلات في مدارس التعليم العام طوال السنة . فعلى الساحل الغربي مثلا يمكن للمرء أن يجد وحدات دراسة منظمة بالمدارس الابتدائية والثانوية –

عن موضوعات كموضوعات صيانة الغابات والأراضي، والمياه، والمعادن، والحيوانات البرية، والأسماك، والأصداف، والقضاء على النهب والسلب ، و نمثل لهذه الوحدات بوحدة عن سمك سلمان بالباسفيك ، بعث بتقريرها إلينا مدرس علوم بمدرسة ثانوية .

حافظوا على تلك الأسماك الفضية

كانت الخطة التي وضعناها لعملنا في التعليم من أجل الصيانة والمحافظة على المواد وإنشاء أربع أو خمس وحادات دراسية في أثناء الفصل الدراسي. وفي الفصل الدراسي الماضي أجمع الفصل على القيام بدراسة عميقة لسمك سليمان الموجود حاليا بالمحيط الهادي . وهو مورد مهدد بالنفاد كاليزون ، والقندس ... الخ مالم يبذل مجهود للمحافظة عليه والعمل على إكثاره .

وبدأنا أولا بمجرد الكلام عن السمك نتساءل عن الآنى . أي أعضاء الفصل قاموا بصيد السمك ؟ وأين ؟ وكيف ؟ وبأي قدر من الحظ ؟ وهل كان في صيدها ما يشبع هواية الرياضي ؟ هل كان طعمها لذيذا في الأكل ؟ هل يلذ للإنسان أن يحضر عملية تجفيف سمك سليمان الهندي ؟ كانت هذه أول رحلة لنا ؟ وسأتحدث عنها بعد كلمة أو اثنتين عن خطة الدراسة ومواد القراءة.

كانت نظريتي ألا أؤدي للطلبة ما يمكنهم أداؤه بأنفسهم وألا أحرمهم من حق العمل الذي يفيدهم في تعلمهم. وانتقلت المجموعة من

الاهتمام بسمك سلمان إلى كيفية وضع خطة الدراسة – لم نتعجل في مرحلة التخطيط هذه كما أني لم أقم باتخاذ أي قرارات. وبالطرق المألوفة صيم المدرس والفصل ما يقرب من عشرة أو اثني عشر موضوعا ثم حصروا الاختيار النهائي في أربعة موضوعات هي :

طبيعة سمك سلمان ، تاريخ حياته ، صناعة صيده ، عملية المحافظة على موارده . وكانت الخطوة التالية هي تجميع مواد الدراسة وتخطيط الرحلات التي قد نرى القيام بها . ولم يكن هناك نقص في المطبوعات إذ أن كثيرا منها قد كتب خصيصا لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية . وكان عدد كبير من هذه المطبوعات يوزع مجانا من مصالح الحكومة أو الهيئات الأهلية ومراكز الخدمات أو الجماعات المحلية أو جماعات المقاطعة كالنوادي الرياضية ذات النشاط الكبير . وبالمثل فقد كان هناك عدد من الأفلام الخاصة بعمليات الفقس ، وخطوات إكثاره ، وتلوث المياه وطرق منعه ، ورياضة صيد السمك وهكذا ، أما بالنسبة للرحلات فإننا سعداء الحظ بموقعنا فالميناء الغربي على شاطئ المحيط الهادي ، مركز لرياضة صيد الأسماك كما أن ميناء هودز على قناة هود وهي ميناء معروفة بتفريغ أسماكها الممتازة ، كل هذا كان سهل الوصول بالنسبة لنا . ولم يكن

هناك مصنع تعبئة كبير للأسماك قريبا منا ، ولهذا فإننا نغطي هذا الجانب من الوحدة الدراسية بالأفلام والقراءات.

نعود بعد ذلك إلى تجفيف السمك ، فقد تركنا المدرسة في وقت

متأخر ظهر أحد أيام الجمعة ووصلنا إلى موانئ الصيد في الوقت المحدد لكي نشاهد عملية صيد السمك. كان ذلك في شهر نوفمبر وكانت أسماك القرش والأسماك الفضية تجري في أعلى المجاري المائية لتضع البيض ، فشاهدناها وهي تدفع فوق الحصى ثم تقفز وتسقط و تتلوى فوق القضبان ، تدفع الصخور وكتل الخشب إلى الشاطئ . وكانت المجاري المائية التي تصادف وجودها بها هي مكان مولدها و مكان موتها إذ أن أسماك القرش والأسماك الفضية وغيرها ليست كسمك المحيط الأطلنطي . أن جميع هذه الأسماك تموت بعد أن تبيض ، إذ تكون قد استنفدت كل طاقتها المخزونة في هذا الجهد الكبير

خلق حياة جيدة . و تعتبر الأسماك الفولاذية الرأس استثناء من هذه الحالة ، لأنها تعود إلى المحيط بعد أن تبيض في المياه العذبة ، ومع ذلك فليست من نوع سمك سليمان ولكنها من سمك الصمون .

ولقد شاهدنا الهنود وهم يصيدون السمك بالشص أو يضربونه بالهراوة ، ويقطعونه إلى شرائح ثم يدخنونه فوق نار في العراء ، والسمك الذي يدخل النهيرات بديع جدا ولذيذ في الأكل ولحمه وردي فاتح وليس هناك فرق كبير بينه وبين الأسماك الأخرى ، ويجب أن أضيف هنا أن الهنود وحدهم هم أصحاب الحق القانوني في صيد السمك بهذه الطريقة وهذه عادة يحتفظون بها بحق المعاهدة ، كما أن سرقة السمك يعاقب عليها القانون بغرامة كبيرة . .

وسأحاول أن أضع لكل وحدة دراسية أساسا علميا قويا ، وبهذا أضيف إلى معلومات الطالب الخاصة بالموضوع و أزيد من قيمة العلم في الحياة اليومية ، وفيما يختص بالوحدة الحالية ، تركز اهتمامنا على فصيلة من السمك تسمى سالمون ، وتشمل السلمون الحقيقي وسمك الصمون والسمك الأبيض وغيره من أنواع السمك ذات الزعانف السميكة في ظهرها ، فيما عدا سمك البياض أما سمك المحيط الهادي فهو نوع منفصل عن هذا ويسمى ذو الأنف الشعبية بالخطاف . والاختلافات بين الفصائل مهمة كما سأبين فيما بعد.

و لنبدأ الموضوع التالي ، وهو دورة الحياة بزيارة لمقر تابع للحكومة ميناء هودز . وهنا يرى الطلبة بويضات من السمك فيدرسون مواضع البذور ويلاحظون حالة التفريخ ثم يدرسون حالة السمك الصغير ويعرفون كيف ينقل السالمون وينطلق في مجاري المياه العليا ، وتتضمن هذه الدراسة إحضار بويضات في مراحل مختلفة من النمو وخصها تحت المجهر .

والموضوع الثالث هو صناعة السالمون . ويوضح هذا برسم خرائط يبين عليها انتشار صناعة السالمون فيما بين كاليفورنيا وسيبيريا المتجمدة الشمالية ، ثم على طول الساحل الأسيوي إلى الصين واليابان ، ويرجع تاريخ مصايد الأسماك على الساحل الغربي إلى سنة ١٨٦٠ . عندما وضع ثلاثة من سكان نيوانجلند وهم الأخوة هيوم مع صانع صفائح طريقة لحفظ السالمون في العلب . وكان هذا على نهر سكرمنتو . وبعد ذلك في كولومبيا حيث بدأت مصانع تعبئة الأسماك في العلب تظهر سريعا في هذه الأماكن

وفي غيرها . ولم تمض سنين قليلة حتى أنشئت ماني مؤسسات لتعبئة الأسماك في العلب في منطقة باجت ساوند ثم انتشرت في الاسكا السفلى .

ولما ازدهرت الصناعة ، كثر عدد المؤسسات غير أن الطلبة وعامة الناس لا يعرفون إلا القليل ان هذا الجانب من تاريخ الساحل الغربي ، على أن هذه الفترة بصفة عامة كانت فترة قرصنة صيادين من الصين وكانت التعبئة رديئة والأسواق في داخل البلاد وخارجها مغرقة بالسلعة ، واضطرت المصانع إلى خفض أسعارها بما يقلل من المنافسة ، كما كانت المنافسة شديدة على طول الخط.

ويلاحظ أن في أعقاب الحروب يتزايد الاهتمام بمنع أسماك سليمان من الفناء ويصحب هذا بعض الاهتمام بموضوع الإكثار منها صناعيا .

وعندما نصل إلى وحدة الصيانة إلى هذه النقطة ، نحاول عادة أن نجل شخصا بمجربا ، يستطيع أن يفيدنا بخبراته السابقة حتى تظل حية قوية في ذاكرة النشء الذين يرثون أخطاءنا المحزنة . وفي وحدة السالمون هناك عدد من الأشخاص يمكننا أن نختار من بينهم من نحصل منه على المعلومات ، فهناك ربابنة الفن القدامى وهناك الصيادون في مراكب الصيد الكبيرة ، وغيرهم من نستطيع أن نتحدث معهم . وهناك أشخاص كانوا أو مازالوا بارزين في صناعة السالمون ، وكذلك أصحاب المصانع ومديروها . ويمكننا أن نستمع إلى حديث رجال شاهدوا صناعة السالمون وعاصروا الأيام التي كان يكثر فيها السالمون كثيرا عندما كانوا يذرعون المياه بحثا عنه

لكي يعيشوا على الأرض ، وكثيرا ما تكون هذه الحقائق بمثابة صدمة لهؤلاء الطلبة عندما يسمعون عن الأماكن التي كانوا يرتادونها للصيد دون إضراب من المال فيتساءلون وماذا حدث ، كيف حدث هذا القتال ؟ هذه بطبيعة الحال هي قصة التعليم من أجل المحافظة على الصيانة .

وفي الخريف الماضي كان من حظنا أن أتيحت لنا فرصة نادرة بعد جدال عام من الجمهور و بعد أخذ ورد، سمحت سلطات الحكومة الصيادين الذين يستخدمون الشباك الكبيرة باكتساح قنال هود وهو نهر صغير يصب في المحيط الهادي ويمتد ٧٥ ميلا في المياه الزرقاء الباردة وكان

الهدف هو صيد السمك الخشن كسمك القرش وسمك الراي ، وسمك القد ، وهكذا . كما كان الهدف بيع السمك بالسوق مثل سمك (البكلاه) القد و سمك موسى ، والغندر ، بعد صيده . ولقد استخدم الخطاف كإجراء وقائي ، لأن السمك الخشن يأكل أنواع الطعام المعد للسالمون وخصوصا القواقع والاربيان ، والسرطان البحري ، والمحار . كذلك تتغذى الأسماك الخشنة على بيض الأسماك الأخرى . ولقد خول للطلبة أن يقضوا فترة بعد ظهر أحد الأيام على ظهر ويصنفون غنائمهم . مراكب الصيد وهم يتحدثون إلى الصيادين ويشاهدونهم وهم يلقون شباكهم ويفرغونها ويصنفون غنائمهم.

والوحدة الأخيرة هي المرحلة الأخيرة من الدراسة و تبين الحقائق ماذا يحدث أي النهاية التي لا مناص منها للحشد الفضي الهائل ، مالم تتخذ

الإجراءات الكبرى للمحافظة عليه والإكثار منه ، والأسباب المباشرة لهذا هي الصيد الكثيف للتجارة فيه وإلقاء القاذورات في المياه التي تعيش فيها أسماك سليمان ، وزيادة السمك الخشن (ولقد وصل حجم الصيد في فناء هود إلى ما يزيد على ٦٠٠٫٠٠٠ طن) وما يسميه الأخصائيون بالأسباب الفعالة هو الحاجة المتزايدة الطاقة المائية ، ومن ثم كانت الحاجة إلى مزيد من الخزانات وتشجير منحدرات الجبال وزراعة الوديان . والظروف الأخيرة تسبب جفاف مجاري المياه النابعة منها . وقد أصبح الموضوع الآن يتعلق بالقيم . إلى أي مدى يريد الجمهور الإبقاء على السالمون ؟ ماذا يجب أن يفعل الناس لصيانة هذا المورد القومي الكبير والإكثار منه ؟

إن الطلبة يدرسون ويحاولون أن يقدروا قيمة الجهود الحالية التي تبذل للمحافظة على السمك خصوصا عن طريق قوانين صيد السمك و برامج التفريخ. ويلحق الكثير منهم بنادي الصيانة بالمدرسة الثانوية ، وبعده ينضمون لحركات الصيانة التي تتولاها الجهات المحلية والحكومة .وقد تحدث الطلبة إلى الجماعات المدنية المحلية أو يناقشون المسائل الجارية معهم وغالبا ما يتقدمون مشروع كتابة خطاب أو يقودون حملة توعية في صالح مشروع قانون أو ضده.)

هذا هو نوع التعليم الذي نصبو إليه طبعا ، وهو لا يقتصر على الصيانة ، فأينما وجد هذا النوع من التعليم كانت له معالمه التي تميزه . وتحليل الحالة والحصول على معانيها وملابساتها و تطبيق ذلك كله على

صيانة الموارد المحلية الموجودة في البيئة يعتبر استخداما طبيا لوقت الفصل . ومن الممكن جدا في وقت الحصة القصير أن نساعد بعض الطلبة في تنمية اهتمامات وميول قد أبقى مم طول حياتهم .

ونختم هذا الموضوع بدراسة في بعض أوجه هذه الحالة . إن هذا النوع من التدريس هو ما يطلق عليه الكثير من طلبة المدارس الثانوية ، إنه تدريس جيد . يستمتعون به لأنه يثيرهم وحقق معنى لهم ، و ثانيا فإن المدرس يحب هذا الميدان لأنه يتصل بعمله الوظيفي ، وثالثنا إن التعليم يعتمد على التفوق الواسع العميق . فهو يجمع بين الناحية العلمية والناحية العملية ، بين الذي تعلمه وبين الإدراك السليم . ورابعا ، إذا حصرنا جوانب النشاط العملية حين نصنع هذا ونقوم بذاك وتخطط لغيره ، وتصل إلى كيف نرى أننا نحصل على معرفة بالشيء تمتزج بالخبرة عنه ، وخامسا من الممكن ألا يكون هذا المدرس قد سمع شيئا عن العمل الجوهري ، ولكنه يلاحظ ميادين المواد المختلفة التي مسها في أثناء حله للمشكلة . سادسا ، فإنه يمكن الاستفادة كثيرا من الموارد المحلية كأماكن التفريخ والصيادين القدامى ، وقوارب الصيد الكبيرة . سابعا : فإن مقرر الدراسة ليس هو النهاية حيث أن التلاميذ يشجعون على مواصلة ميولهم وتنميتها، عن طريق نادي المدرسة و غيره وإذا أمكن للتعليم من أجل المحافظة على الموارد أن يصل إلى المكان اللائق بأهميته ، فإن هذا لا يحدث إلا لأن ذلك أصبح مسألة حيوية بالنسبة البيئة بكافة مستوياتها القومية والمحلية و في الولايات والمدارس. هي المسالك الرئيسية لهذا التعليم وهي التي تبنى الاتجاهات المناسبة و عادات العمل عند الصغار .

مشكلات ومشروعات

١. لقد اقترح أن يقوم الفصل بمسح للبيئة وهذا مشروع كبير يستغرق وقتا طويلا فهل يمكن أن يختصر حجم هذا العمل حتى يكون ذا حجم ممكن عمليا ، وذلك بدراسة ناحية واحدة من نواحي البيئة الترفيه مثلا ؟

ناقش هذا مع أستاذك .

٢. إذا أمكن هذا ، فادع أحد الخبراء في موضوع السكان للتحدث إلى فصلك وإذا لم يتيسر هذا ، فهل يمكن تغطية الموضوع بأن يقدم الطلبة تقريرا ؟

الفصل الثاني عشر

العلاقات بين ناظر المدرسة وهيئة التدريس

"إن هداف الكرة الذي لا يحصل على معونة قوية
من فريقه ، لا يفوز بأهداف كثيرة في مباريات الكرة "

من كلمة ألقيت في حفل وداع بمدرسة ثانوية

لم تتناول الفصول السابقة – مديري المدارس ونظارها بالشكل الذي يدل على أهميتهم، غير أنهم بوصفهم القائمين بالأمر في المدارس ، فإنهم أشخاص لهم مركزهم الاجتماعي ، وهم في نظر القانون ونظام المجالس الإدارية ، مسئولون عن المدرسة وعن كيانها ونظامها والعمل والحياة فيها. فهم الذين يضعون القرارات في الأمور الكبيرة والصغيرة ، فمن ناحية ، لهم مشكلاتهم الفنية ، التي تختص بقوانين المدرسة ، والميزانيات والجداول والمباني و صيانتها ، ومن ناحية أخرى لهم مشكلاتهم الإنسانية الخاصة بعلاقاتهم بهيئة التدريس ومجلس إدارة المدرسة من هذه المسئوليات . والتلاميذ وأولياء الأمور والجماعات والجمهور . واهتمامنا الحالي ينحصر في قسم من الجزء الأخير

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أكثر ما يحدث بين ناظر المدرسة وهيئة التدريس ينخرط تحت باب العلاقات الإنسانية أكثر مما ينخرط تحت

أي باب آخر. والموضوع يتضمن حقائق لا يتسع لها كلها هذا الفصل. والموضوعات التي تناقشها خطيرة ولكنها عادية في نفس الوقت فهى تتضمن أولا : ما يمكن أن يطلق عليه الظروف التعليمية السيئة ، و ثانيا : اجتماعات هيئة المدرسين و ثالثا : مشكلة زيادة مرتبات المدرسين . ولما كان هذا الفصل يختم الجزء الثاني من الكتاب ، فإن على الفصل أن يدرس طريقة مراجعته له .

ظروف التدريس السيئة

ظروف العمل في المدارس في موضوع تقارير كثيرة جدا من المدرسين والمدرسات والحالة التالية تسترعي الانتباه إلى وجود حالة معنوية منخفضة بين أعضاء هيئة التدريس ، ويأخذ الموقف شكل عراك خاص بمواد القراءة ، وصاحبة التقرير مدرسة في مدرسة إيفريت .

مواد من ؟

(عملت في مدرسة أيفريت أربع سنوات كانت هيئة التدريس خلالها في خلاف دائم . ويدور الخلاف على القراءات الإضافية ، الكتب والكتيبات ووسائل الإيضاح الخ ، وكثير منها عبارة عن أشياء تبرع بها أصحابها لا تتكلف أكثر من أجر البريد. ففي الاجتماع الدوري لهيئة التدريس منذ أسبوعين شكت السيدة (أ) من عدم وجود كتب جيدة لقراءة فصل من فصول الصف السابع كانت تخطط لها. وقالت مساعدة الناظرة التي كانت تقوم بالعمل نيابة عن السيد هير ناظر المدرسة في أثناء

مرضه ، إن البند المالي الخاص بكتب المدرسة قد نفد . وأنه لا يمكن القيام بأي شيء إلا في ميزانية العام القادم . وأدى هذا إلى أن يقدم السيد (ج) الذي يقوم بالتدريس بالصف السادس بعض الكتب السيدة (أ) على سبيل الإعارة سرعان ما اختطفتها هذه السيدة .

وبالأمس في أحد اجتماعات هيئة التدريس ، وقد عقد هذا الاجتماع الأمر طارئ عرضت السيدة (أ) كعادتها الموضوعات التي تهمها أولا فقالت إنها جربت مواد القراءة التي أعطاها إياها السيد(ج) وإنها وجدت اثنتين من هذه المواد على وجه الخصوص مناسبتين تماما ، ثم أضافت أن هذين الكتابين كما تعتقد في مستوى أعلى بكثير من مستوى الصف السادس، وأنها سوف تحتفظ بهما لفصلها لهذا السبب ، وشكرت السيد(ج) على ذلك كما لو كان قد تركهما لها في وصيته .

والسيد(ج) رجل صريح . فرفض طلب السيدة (أ) مقدما لها شكره وطلب منها أن تعيد إليه الكتب . وعندما بدأت تجادل هذه النقطة قاطعها قائلا إن تلاميذ صفه السادس أحبوا هذه الكتب وأنهم يقرأونها جيدا ، غير أن هذه السيدة استمرت في الحديث إلى أن تناول المشكلة أحد أعضاء هيئة التدريس فقال متسائلا :

ألم تتكلف هذه الكتب شيئا ؟ حسنا ، من الذي دفع تكاليفها ؛ قال السيد(ج) إن أحدها جاء مجانا وأن الآخر تكلف ثمنا زهيدا جدا .

وكان يفترض أن الثمن قد دفع من المال المخصص لمكتب القراءة

الإضافية قبل أن ينفد .

وقال شخص ثالث تدخل في الموضوع وهو يكلم السيدة (١) إذن فهذه الكتب ملك المدرسة ، وحق لكل واحد أن يستخدمها . فوافقت السيدة (أ) بشدة وأومأت برأسها، وابتسمت كما لو كانت تريد أن تقول: ألم أقل لك هذا؟.

وعندما صمت السيد(ج)، تدخلت العجوز (أ) وكانت تعرف هذا وأكثر منه ، غير أنها أثارت نقطة وهي أنه يجب على كل عضو في هيئة التدريس أن يقدم إلى مساعدة الناظرة قائمة بالقراءات الإضافية التي عندها ، وفي هذه الحالة يمكن دراسة المجموعة ويعاد توزيعها على الصفوف المناسبة والحجرات المناسبة ؟

وثار السيد (ج) ثورة كبيرة قام بعدها من مكانه وخرج من الحجرة دون أن يلفظ بكلمة واحدة ، وبدأ أعضاء آخرون من هيئة التدريس يشتبكون مع السيدة(١) وأطلق عليها أحدهم صفة المشاغبة العتيدة ، وكان هذا بمثابة الضرب على الوتر الحساس ، فصاحت بأنها أهينت وتركت الحجرة .

وكانت مساعدة الناظرة كالعادة في أحسن حالاتها فاعتذرت شخصيا عن هذه الإساءة ، وكانت تأمل شخصيا أن تحل الأمور حلا مرضيا ، وبهذه الرغبة الطيبة انتهى الاجتماع . وإني واثقة أننا عندما نعقد اجتماعها الدوري التالي لن يتذكر أحد مواد القراءة .. بل ستكون غارقين في مشكلة كبيرة أخرى.)

وفي هذا التقرير تقدم صاحبته سلسلة من هذه الأحداث ويتضح من التقرير أن هناك مشكلة من نوع ما . وهنا نوجه الأسئلة الآتية :

١- ماذا كان نوع المشكلة هنا ؟ بعد مقابلة هيئة التدريس مر تين ظهرت لنا المشكلة بوضوح وتبين أنها تتعلق بالحالة المعنوية . كانت المدرسات تضايق الواحدة منهن الأخرى ولم يكن هذا لوجود كره حقيقي بينهن ولكن بسبب الحياة المليئة بالتوتر والضيق بالعيش في مدرسة لا نشاط فيها .

٢- ما الذي سبب المشكلة ؟ كان ناظر المدرسة مريضا وقد توفي بعد شهرين .

كانت مساعدة الناظر تحسب الوقت ، في انتظار أن يتضح الموقف الإداري في المدرسة . لم تكن مؤهلة للوظيفة العليا وقد أعطى هذا المنصب فيما بعد لشخص من خارج المدرسة ، ولهذا فقد كان الوضع من شأنه أنه يؤدي إلى تنافس بين الاثنين في سبيل كسب أنصار لكل منهما من بين هيئة التدريس .

٣- ما هي الحلول الممكنة ؟ أولا : الطريق المباشر المعقول وهو التخلص من الأشخاص المشاكسين وفرض العمل على الكسالى ، وقد يفعل ناظر جديد للدارسة هذا ، إذا كان شخصا قويا قليل الصبر . لكن أحدا لا يملك أن يشير بمثل هذا الإجراء لأنه لا يدخل في نطاق استشارته ، ويستطيع ناظر المدرسة أن يساعد هيئة

التدريس هذه إذا كان محل رضاهم وثقتهم وهذا يقتضى إتباع أسلوب غير مباشر لبناء الجماعة

٤- ما هو أفضل حل ؟ إن ما حاولنا أن نصل إليه كان مشروعا يروق في نظر الجماعة وهو مشروع يقوم به ناظر المدرسة وهيئة التدريس . وبسبب الظروف تحول هذا إلى وضع دليل مدرسي وهي فكرة نبعت من التلاميذ وأولياء الأمور من أحد أعضاء هيئة التدريس » وقد أصبح الكتاب ضرورة كمرشد للمدرسة كما أنه أتاح الفرصة للقيام بهذا المجهود الذي اشترك فيه الجميع .

وليس من شك في أن للأعمال كلها مضايقاتها ونواحي التعثر فيها . وقد يكون التدريس أقل الأعمال في هذا المجال . غير أن المدرسين كثيرا ما يحتجون على ما يسمى في بعض المدارس بالأعمال الإضافية الخارجة عن الجدول.

مثقل حتى الموت بالأعمال الإضافية

(وأعترف أن هذا العنوان مبالغ فيه وأن أحدا منا لم يمت – أو يشرف على الموت بعد – من الإعياء ، غير أن ما يسمى بالأعمال الإضافية يعتبر قاضيا على حياتنا . وإني أشير هنا إلى الإشراف على قاعة الطعام والإشراف على المذاكرة بالأصالة ونوادي المدرسة و نواحى نشاطها والسلوك في الغناء والاشتراك في مجالس الآباء والمدرسين وأحداث البيئة ، إلى غير ذلك من الأعمال التي يبدو أنها لا نهاية لها.

ولقد اتفقت ست مدرسات معا ممن يعملن في مدرسة آدامون على أن يسجلن عملهن تسجيلا دقيقا في فترتين تستغرق كل منهما أسبوعين و تقع الفترة الأولى في نوفمبر والأخرى في مايو ، ومن بحمل هذه التقارير تبين لنا أننا كنا نعمل بمتوسط ١٠ ساعات في اليوم المدرسي، ولم يتضمن هذا الوقت الذي تمضيه بالمنزل في المساء في تقدير درجات الاختبارات أو إعداد الدروس ، كما لم يتضمن اجتماعات نهاية الأسبوع والاجتماعات المسائية التي كان ينتظر منا حضورها. ولقد شعرنا أن هذا عمل أكبر من طاقتنا ! إن الإشراف على الغداء ، هو في رأيي أسوأ ما في الموضوع ، فكل معلمة عليها أن تخدم فترتين وقت الغداء كل أسبوع في الوقت الذي تلتقط فيه بسرعة قطعة من غذائها . وتتسع الحجرة (ل ٣٦٠ تلميذا . ولكن في الأيام ذات الجو الرديء كما هو الحال معظم أيام الشتاء يكون بالحجرة ما يقرب من ٥٠٠ طفل) ، ويكون لزاما علينا إما أن نتعجل دخولهم وخروجهم ، وإما أن نعد دورتين متتاليتين لتناول الغداء كما كنا نفعله وفي كلتا الحالتين يكون من الصعب جدا السيطرة على سلوك التلاميذ ، وعلى الرغم من أن النظام كان مستتبا في حجرة الدراسة ، كان وقت الغداء يكشف عن كل أنواع السلوك السيئ.

وبمناسبة الحديث في هذا الموضوع ، أذكر عن شكويين أخربين من المدرسات. وعلى الرغم من أن واحدة منهما ليست واجبا تفرضه الناظرة كالواجبات التي ذكرتها إلا أنها تتوقع منا نحن المدرسات أن نظهر بمظهر لائق – ونحن نخضع ونرضخ لذلك. إن أولها : هو جمع نقود من المدرسات لكل ما يبدو أنه يحدث وصرفها في الأغراض الآتية كتقديم هدايا المدرسات

وزهور المرضى وإقامة حفلات للتلاميذ الذين يشرفون على الحماية والأمن بالمدرسة ، والبنات اللاتي يقمن. بالإشراف، وحفلات الزفاف ، والصليب الأحمر ، وأموال البيئة ، وغيرها من الأغراض المحلية التي تجمع لها نقود ولا حصر لها. وإنه لمن الأمور المضايقة أن نجد طفلا أو معلمة تأتى إلى حجر تك و معها صندوق في كل مرة ترفع فيها عينيك إلى أعلى.

والثانية : هي خدمات البيئة – وأنا بطبيعتي من النوع المنبسط ، وأحب أن أكون مع الناس، ولكني أجد استحالة كبيرة في أن أعمل ما تتوقعه مني السيدة ستين ، بأن أحضر اجتماعاتها ، وأشترك في الجماعات المدنية ، وأخدم في اللجان ، وأعد برامج ، وأنا لا أستنكر هذا ما يستنكره بعض المدرسات ، ولكني أشعر أنه لا يؤدي إلى شيء أكثر من القلق والاضطراب .

وإني لأحلم باليوم الذي أقوم فيه فقط بتدريس خمس حصص . نعم خمس حصص في اليوم مع الإشراف على المذاكرة ، والإشراف على الغداء.

إن الحالة السابقة الذكر ، إذا أعطيت تفصيلا أكثر تعتبر مادة طيبة للمعلمة التي تعد للتدريس، وغالبا ما تقوم فصولنا بتمثيل أدوار هيئة التدريس بمدرسة آدامون فتقوم واحدة أو أكثر من المدرسات بدور المحتجة في هذه الحالة ، وتأخذ كثيرات دور الناظرة بالتعاقب ، ويعبرن عن آرائهن في كيفية معالجة الشكاوي ، وأحسن استخدام لنا لهذه الحالة هو أن

نتقبلها على أنها مشكاة يجب حلها فينقسم الفصل إلى مجموعات المناقشة ، و تقوم كل مجموعة بتخطيط مشروع الدراسة ، و عندما يجتمع الفصل كله مرة أخرى يدلى واحد من كل مجموعة بتقريره، ما يؤدي إلى زيادة الاهتمام بالعمل أن يحاول الفصل أن يوائم بين الأفكار والمقترحات في خطة دراسية متكاملة واحدة . ولكي نكمل تصوير الحالة في مدرسة آدامون نقول: إن الناظرة وهيئة التدريس قرروا دراسة وضع العمل ، وقامت لجنة بجمع بيانات من كل معلمة أو مدرس عن الأعمال الإضافية التي تسند إليهم بما في ذلك جمع النقود ، وخدمات البيئة ، ووضعت جداول تبين متوسط ومدى هذه الأعمال.. ولما لم يكن لدينا معايير قيس عليها . لم نستطع أن نحدد ما إذا كان ما يطلب من هيئة التدريس أكثر بكثير أو أقل بكثير ما يحب، ومع ذلك فقد اتفق على أن يقل العمل الإضافي كلما أمكن ذلك ،كما يجب أن يوزع بالتساوي على أعضاء هيئة التدريس ،

وكانت أهم هذه الأعمال فكرة تنظيم المدرسة التي نشأت من المناقشة واتفق على أن المسئولية الرئيسية للمدرسة هي التدريس الجيد . كما اتفق فوق ذلك على أن تساعد المدرسات في إدارة المدرسة . كأن يقمن بالإشراف على الغذاء في قاعة الطعام على التعاقب .

ثالثا: أخذ المدرسون والمدرسات على عاتقهم أن يشتركوا في خدمات البيئة وأن يعملوا على تعضيدها بقدر إمكانياتهم ، وأخيرا أصبح من واجب هيئة التدريس دراسة أساليب المدرسة وتحسينها، أي أن يكرس

المدرسون والمدرسات بعض الوقت لهذه العملية .

وعندما حاول أعضاء هيئة التدريس أن يحددوا الأمر بصورة واضحة و أن يعرفوا كيف يوزع الوقت ، تحولت المناقشة إلى تنظيم المدرسة ، فالمدرسة كان ينظر إليها لا على أنها مكان يقوم فيه كل شخص بكل شيء بنفس القدر . و لكن على أنها وحدة تتكون من أجزاء متشابهة مع تشجيع الميول و نواحي التخصص . فإذا أحبت إحدى المدرسات أنواع النشاط الخارجة عن المنهج وكانت تحسن القيام بها ، وجب أن تعطي قدرا أكبر من هذه الأعمال . وبالمثل بالنسبة الخدمات البيئة و دراسة أساليب المدرسة وما شابه ذلك و هذا يفترض أولوية التدريس الجيد وهو الهدف العام في كل هذا.

ويعتبر حشد التلاميذ في المبنى مشكلة خطيرة في المدارس فهو يزيد من العبء كثيرا على المدرسين ، كما يوضح ذلك حوالي ٦٠ تقريرا . والحالة التالية بعث بها إلينا ناظر يقوم بالتدريس في مدرسة لينكولن . .

اكتظاظ الفصول بمدرسة لينكولن

إن مدرسة لينكولن ها يتس عبارة عن مبنى من الطوب مكون من دورين في ضاحية كليفلاند وهو يحتوي على ست حجرات – الدراسة ، ومكتب للناظرة ، وحجرة للمدرسات ، و مخزن ، ودورة المياه ، وحجرة وقود بالبدروم . وعندما فتحت المدرسة في شهر سبتمبر كان عدد التلاميذ المقيدين بها ٣٣١ تلميذا من رياض الأطفال إلى الصف السادس فصل

أول . وفي مارس هذا العام ، ازداد العدد حتى وصل إلى ٤٦٨ تلميذا . وأدت هذه الزيادة إلى إضافة ثلاث معلمات ومعلمة تقوم بنصف جدول إلى عدد المدرسين البالغ ستة . ويتضح وضعنا الحالي إذا عرفنا أن المدرسة قد بنيت لعدد لا يزيد على ٢٥٠ تلميذا ، ولا أعرف كيف أسمى هذه الحالة سوى أنها حالة تدل على إهمال كبير من جانب الجمهور .

أولا : التقدير الإحصائي في المدرسة : إن توزيع ٤٨٦ تلميذا على ست حجرات بمعنى أن يكون متوسط الحجرة ٨١ تلميذا . وهذا شيء غريب حتى لو سمحت به مساحة الحجرة . والشيء الذي لا يتوافر هنا ، وإن كان الشيء الوحيد الممكن هو جعلى كلى جزء من المكان يقوم بعمليتين أي بدورة في أثناء الصباح ودورة أخرى بعد الظهر مع حشد التلاميذ في كلتا الفترتين ، وعندما ثبت عدم نجاح هذه الفكرة حولنا المخزن وكان قد تحول إلى مكتبة) إلى حجرة للدراسة ووضعنا أرفف الكتب في ممرات الصالة . وبعد ذلك أخذنا حجرة المدرسات وأبعادها ٢٢ قدما × ١٨ قدما ونقلها فصل رابعة أول الذي يحتوي ٢٨ تلميذا مع مدرسته ولكن بغير منضدتها. وقد كان من الصعب عليها أن تتحرك بالفصل .

وفي الوقت الحالي بينما أكتب هذا التقرير تحاول كل معلمة أن تخطى وما كاملا من عمل المدرسة في حوالي ثلاث ساعات ونصف فيلا بالصف الأول يوجد ١٣٥ طفلا تأخذه معلمة ٦٨ تلميذا منهم في الصباح و نفس العدد بعد الظهر مع نصف ساعة (إذا أمكنها الحصول عليها) للغداء.

وتأخذ معلمة أخرى **٣٩** طفلا بعد الظهر و **٤١** طفلا من أطفال الصف الثاني قبل الظهر . ولتوضيح نوع المشقة الذي نشعر به ، اذكر حالة هي إحدى الحالات الكثيرة الخاصة بالممرات المؤدية إلى الصالة .

تقوم الآنسة إيلين بتدريس الصف الثالث الذي يتكون من ٤١ تلميذا في مكان ما في الدور الثاني ، بالقرب من مدخل السلم، وعلى الرغم من أنه قد طلب من جميع المدرسات أن يطلبن من تلاميذهن ألا يستخدمن الصالة أكثر من اللازم ، فإن الأطفال لا يعيرون هذا الأمر أي انتباه .

وفي يوم الثلاثاء الماضي ، كانت الآنسة إيلين تقرأ قصة عندما دخل تلميذ من الصف الخامس فتوقفت عن القراءة إلى أن مر ، ثم استمرت . وبعد دقيقة أو اثنتين عاد مرة أخرى ، فكشرت عن أنيابها له، وعندما سألته إذا كان قد نبه عليه بأن يستخدم السلام الخلفية وأن مشى مهدوء ، فأجاب إجابة تدل على ذكاء وعندما سألته عن أسمه وعن فصله ، رفض أن يجيب

وأرسلت الآنسة إيلين تلميذا إلى ، فتركت فصلى لأذهب وراء هو في طريقي لمكتبه شاهد تنها معلمته وقالت إن الولد كان في مهمة لها. وإن الآنسة إيلين دائما تثير المتاعب. وإنها لم تكن تعيرها أي اهتمام . والآن فإن المعلمتين ثائرتان على لان كل واحدة منهما كانت تنتظر أن أؤنب الأخرى في هذه الحالة .

وتقوم إحدى مدرسات نصن الوقت بتدريس الموسيقى ، فتهاجمنها كلى المدرسات لأنها تشجع التلاميذ على الغناء بأعلى أصواتهم . ولقد قالت إحدى المدرسات و إني لا أعترض على الصوت ، ولكنهم يغنون أغاني سخيفة لا أستطيع أن أتحملها .

وأنا شخصيا من المفروض أن أقضي حوالي نصف وقتي في التدريس الفصل السادسة أول، ولكن واجباتى تجعل هذا الأمر مستحيلا إذ تريد إحدى الأمهات تغيير جدول ابنتها ، أو تطلب أن تبقى طفلها طول اليوم بالمدرسة ، أو تريد أن تحدث عن تقدم طفلها الدراسي ، وقد تتصل وهذا يخالف بالتليفون أو تأتي بنفسها بحيث يتحتم على أن أترك الفصل وأضع سكرتيرة مكتبى مكاني بالفصل ، القانون، ولكن ماذا أستطيع أن أفعله غير ذلك ؟ لقد ووفق على طلي بإضافة معلمتين أخريين، ولكننا لا نستطيع أن نجد شخصا مؤهلا بالمرتب الذي نستطيع أن ندفعه له .

كان الأمر يحتم علينا أن نبين لمجلس إدارة المدرسة وأن نبين البيئة عن طريق مجلس الإدارة حاجة هذه المدرسة الملحة للمكان والمدرسين . وبعد أن وضعنا خطة مع هيئة التدريس عن كيفية القيام بهذا، وبعد أن قنا بمحاولات كثيرة من أجل هذا ، طالب كاتب هذا المقال مجلس الإدارة، بأن يطلب من الولاية أن تراجع حالة المدرسة ، ولقد أدى هذا إلى بعض الشعور بالارتياح إذ أن مجلس الإدارة يأمر بإضافة ثلاث حجرات إلى المبنى . أما الحاجة إلى وجود. مبنى جديد أكبر فأنها لم تواجه بعد . و عدد الذين يلتحقون بالمدرسة مازال آخذا في الزيادة ، والازدحام يشتد سوءا

كالعادة.)

اجتماعات هيئة التدريس بالمدرسة

إلى جانب ظروف العمل والحاجة إلى زيادة المرتبات ، تناقش الحالات في هذا القسم من الكتاب اجتماعات هيئة التدريس بالمدرسة. إن الحالة الشاذة ، إذا عرفنا أنها شاذة ، لا تكون أسلوبا سيئا من أساليب التدريس فهي تساعد على أن نرى و نفهم وأن نركز على الأشياء الصغيرة مدرسة بيكنى . التي قد لا تبعث على الانتباه في ظروف أخرى . وصاحب التقرير التالي يقوم بالتدريس في مدرسة بيكني.

روضة أطفال ماكيتريك

(هذا هو الاسم الذي تطلقه المعلمات على اجتماع هيئة التدريس بمدرسة بيكنى ، فالآنسة ماكيتريك الناظرة الآن في سنتها السابعة والعشرين من عملها بالمدارس . وهذه هي السنة السادسة عشرة لها بصفتها ناظرة المدرسة بيكنى .

إن قدرتها على قيادة هيئة التدريس ، حتى لو سلمنا بأنها كانت ذات قدرات ، قد نفدت من وقت طويل . فهي عجوز مرهقة وتحتاج إلى الراحة وقدر كبير من أشعة الشمس ومقعد هزاز وراحة . و تستطيع الآنسة لافتشاك مساعدتها أن تقوم بعملها ، إذا سادتها الناظرة ، الأمر الذي لا تريد أن تقوم به . ولهذا فإننا نجلس هنا في انتظار أن تأتي الأوامر إلينا من المكتب المركزي بالبلدة .

وقد تطلب منا أيها القارى" ، أن ندخل في الموضوع وهو ذكر حالات وهذا ما سوف أقوم به . ولنأخذ مثالا أو اثنين ثم نتناول بالتفصيل آخر اجتماع لهيئة التدريس .

دعوة إلى الاجتماع :

نحن لا نجتمع في أوقات منتظمة ، ولكننا معرضون لأن نطلب للاجتماع بدعوة قبل الاجتماع بيوم أو اثنين . وهذا يضايق هيئة التدريس لأنه يسبب لهم إعادة تخطيط ما يكونون على وشك القيام به، ولقد ثرنا على هذا النظام في إحدى المرات ولكن الناظرة العجوز لم تناقشنا الأمر وإنما اكتفت بصرف الاجتماع إلى أن نستطيع أن نتعلم كيف نسلك سلوكا أفضل من هذا.

التأخير والغياب :

حدث أن الآنسة ما كيت دخلت الحجرة بعد أن اجتمعنا ، تجر وراءها كومة من الأوراق، ونحن نجتمع في مكتبة المدرسة، وتجلس هي إلى منضدة أمينة المكتبة ، في وسط المقدمة تنادي السماء و تؤشر أمام كل اسم ، فإذا تغيب أحد الأعضاء أرسلت مدرسا ليبحث عنه تماما كما اعتادت أن تفعل مع تلاميذ فصل ثانية أول ، وإذا أتضح أن المدرس غائب فعلا تثور عليه في غيابه و تطلب منه في الاجتماع التالي للمدرسين أن يشرح الأسباب ، ويحدث الاستجواب نفسه إذا تأخر الدرس ، ما أغرب روضة أطفال ماكيت هذه ؟

محضر الاجتماع السابق :

لا تدون مذكرات عن الاجتماع ولهذا . فليس هناك سجل للعمل الذي سوف نستعرضه، ولا ضرر من هذا ، إذ أنه لم يكن هناك عمل ، أو شيء له قيمة ، إن ماكميت تتذكر أن هذا الشيء أو ذاك كان موضع بحث ، ولكنه لم يستقر بعد ، وإذا كان كذلك ، فكيف ؟ إن و ذاكرتها ذاتها ، تصلح لأن تكون موضوعا للدراسة . إذ يندر أن تنس شيئا من الأوامر الإدارية الصادرة من المركز الرئيسي أو شيا طلبت منها القيام به . إن مدرسة بيكني كما تقول لنا ، ويجب أن تكون أول من يتعاون .

المنشورات :

وهذه تستغرق أكبر وقت في الاجتماع وهي في غالبها موضوعات يحسن تبليغها إلينا عن طريق المذكرات أو قد تكون أمورا نعرفها بالفعل .

١- " هذا هو المرشد الجديد للمنهج ، و تبحث عنه ماكيت وسط الأوراق حتى تعثر عليه ثم ترفعه في يدها ، لقد وضعه المكتب المشرف على المدارس ، (كما لو كان هناك أدنى شك في هذا) " إنه حسن جدا ، وحديث جدا ، (لقد حصلت ماكيت على آخر دراسة لها بالكلية في السنة الواحدة والعشرين من تدريسها ، وبقي أمامها دراستان لتحصل على درجة الماجستير) وتقول : " اقرأوه"

٢- سيصدر المشرف سترود تقريره السنوي أول الشهر القادم « كما فعل منذ أن عين في هذه الوظيفة ، وانتظر وه ، لماذا ؟

٣- "هنا أشياء حسنة مررت عليها ، تقلب الأوراق وتخرج واحدة من هنا وواحدة من هناك ، وهنا مذكرة من مكتب التقاعد . وهذه دراسة المنهج في مدرسة لم نسمع عنها إلخ وحلوى من وداء الحلويات

٤- " يجب أن يلبس الأطفال معاطفهم قبل مبارحة المبني عند سماعهم الجرس ، ، ولكن يا آنسة ماكيت ألا يستغرق ذلك وقتا ؟ فتخلع ماكيت نظارتها و تنظر إلى الأعضاء و تسأل إن كان هناك تعليقات ، فيقول الصوت السابق «أعتقد أن هذا يستغرق وقتا ، ويقول الصوت الثاني ، في رأيي أن هذا يستغرق وقتا ، ومتحدث ثالث ، إني أوافق، ، تومي ماكيت برأسها كما لو أن شيئا قد تقرر ، و تضع نظارتها وتقرأ البند التالي.

٥- " يجب الكف عن التدخين في دورة المياه إنه عار على مدرسة بيكنى . الآنسة سانيتي وهي القديسة المناصرة لماكيت وخليفتها أن تحمل هذا . وابتداء من الغد يضاعفه عدد الحراس على الممرات ودورات المياه .

٦- " يجب أن تغلق أبواب الحجرات عندما تنصرف المدرسات للغداء، وهذا الصباح وليس أبعد من هذا الصباح ، تصادف أن كانت ما كنت في الجناح الشرقي في دورة المياه وعدت ستة أبواب مفتوحة ، ستة ! هل يعقل هذا الارش ، بيليني ، هنتر ، رايلى ، اور يشى ،

سكافيج أيها الشباب الأشرار .

٧- " يجب أن يحصل مكتب الناظرة على درجات الفصل الدراسي قبل اليوم الخامس عشر . هل لمدرسات الفصول أن يتعاونن ؟ نعم إذا أرسل إليهم مدرسو المواد قوائم درجاتهم مبكرا هل المدرسي المواد أن يفعلوا هذه . كل واحدة ينادى عليها. كل واحدة تقول نعم. إن واحدة تقول : لا ، كانت تسبب صدمة لنا لا يمكننا الخلاص منها .

٨- سنضطر في القريب جدا أن نفعل شيئا مخصوص شخص يتحدث إلينا عن العلاقات الإنسانية . ولكن ليس هناك وقت لذلك اليوم (نعم ، فلند عه لآخر دقيقة وفي عجلة كبيرة تختار ماكيت المتحدث)

العمل الجديد :

" هل لدى أي شخص موضوع يقدمه « إن السيدة بيتراشي أمينة المكتبة لا تستطيع أن تعثر على كتاب" هل لدى أي مدرسة كذاب كذا . ولكن لا يجد بها أحد، إن السيد ويلز يود أن ينشى و دورة بالسيارة لتشترك في التوصيل من وإلى المدرسة .

" قابلوا السيد ويلز بعد الانصراف إذا كان هذا يهمكم ، وتتجه إلى "داليلا" لنقول ، إن مدرس التربية الرياضية يود أن يعرف ما إذا كان سيستمر في تخصيص الحصة السابعة يوم الخميس للعبة الكرة الطائرة لهيئة

التدريس . حيث إن يوم الخميس السابق لم يحضر فيه سوى ثلاثة لاعبين

□لمة :

"والآن متعة خاصة بنا ، معنا الآن الأستاذ ميلر من القسم السيكولوجي بجامعة الولاية ،. و يتحدث عن جنوح الأحداث . يا أستاذ إن الوقت الآن هو الرابعة ودقيقتان ، ونحن نحاول أن ننتهي في الساعة الرابعة والربع تماما ، وأخشى أن ليس هناك وقت كاف أمامك . ويبدأ المتحدث بأن يقص قصة أو اثنين وينهى حديثه بأن الجنوح آخذ في الازدياد . وتكون الساعة الرابعة و ثلاثة عشر دقيقة . ثم يجلس وسط تصفيق حاد .

فض الاجتماع :

يفض الاجتماع وينصرف أعضاء هيئة التدريس كجماعة من الأطفال عندما ينتهى اليوم المدرسي .

لماذا يتحمل أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة اجتماعات من هذا النوع ؟ هل يكفل هذا الموقف شعورا بالأمن عند بعض الأشخاص . كيف ذلك ؟ هل يشعر الأعضاء الآخرون بهيئة التدريس أولئك الذين يرغبون في القيام بأعمال مدرسية حقيقية ، إن هذا النظام أكثر مما يستطيعون احتماله أو أنهم لا يجرؤون على الوقوف ضده ؟ وماذا يحدث بمضي السنين الشخصيات المدرسين والإداريين والتلاميذ بالمدرسة ؟ وللبيئة ؟

ولتجنب الأثر السيئ الذي تتركه هذه الحالة تنقسم الفصول إلى فرق يتكون كل منها من اثنتين و تقوم بزيارة اجتماعات هيئة التدريس بالمدارس ، وقد يبدأ فصل ، إذا دعي لذالك زيارة اجتماع هيئة التدريس في كلية المعلمين . وبعد زيارة المدرسة يكتب أحد أفراد الفريق تقريرا في مذكرة ، عن العمل الذي أجرى ، ويكتب الآخر عن السلوك الإنساني متضمنا المشاعر بدرجاتها المختلفة . و يعد كل فريق تقريرا كتابيا ؛ ؛ ويطلب من فريق أو أكثر ملخصا عن خبراتهم يقدمه للفصل . ويسأل طلبة آخرون أسئلة يزودونه ملاحظاتهم وتكون النتائج العادية اثنتين ، هما أن اجتماعات هيئة التدريس أفضل ما هو مبين في المثال ، إلا أن معظمها يمكن تحسينه ، وأن التحسين يبدأ بوضع قواعد معقولة وتستمر المناقشة حتى يصل إلى ما يراه الطلبة ويفضلونه .

والمتخصص في التربية الذي يبحث عن موضوع المناظرة يعتبر هذه الحالة صالحة . إن إدارات المدارس تميل لأسباب لا نتبينها إلى تعيين كبار السن في مناصب الإدارة العليا . فما هو كبر السن وكيف يحس كبار السن يكبر سنهم ؟ هل كبر السن نوع من الصدأ أو البلى ؟ ماذا يحدث للتناسق العضلي ؟ و ماذا يحدث لجهاز الهضم ؟ و للعقل ؟ والانفعالات ؟ ولماذا يبقي بعض الأشخاص و شبابا و مدة أطول من غيرهم في نفس سنهم ، وما أثر التوتر على الشخص المسن؟ إننا هنا نقترح القيام بأبحاث في هذه النواحي مع تطبيقها على العاملين بالمدارس .

وعلى الرغم من أن كتاب المشكلات يركز على المشكلات، وهي

جملة نكررها من وقت لآخر فإننا لا نحب نوع الحالة التي أعطيناها سالفا . إنا نسير في الطريق المضاد لها ، ولكي نوازن الصورة بشكل ما، نحاول أن نفكر في حالة أخرى خاصة بهيئة التدريس بالمدرسة .

حجرة اجتماعات هيئة التدريس

(عندما أتيت لأول مرة إلى مدرسة آلان رايس الثانوية الاشتغال بالتدريس عام **١٩٤٣** كان عدد المدرسين والمدرسات بالمدرسة **١٦** بالإضافة إلى الطالبات اللاتي كن يعدون للتدريس بالمدرسة . وكان روبرت سيرز ناظرا في ذلك الوقت ومازال . وفي الأيام السالفة ، كانت حجرة (المرجل) تقوم بدور حجرة التدخين بالنسبة لأولئك المدرسين الذين كانوا يريدون التدخين و يقصون القصص كلما سمح الوقت بذلك ، غير أن هذه الأيام أنقضت . إذ أن بوب سيرز الا يدخن ولا يحتاج إلى الثرثرة أو الاسترخاء ، ولكنه مع ذلك يفهم نقط الضعف هذه التي يرثها الكثير من الناس .

ولم يأت إلى هذه المدرسة ناظر أكفأ منه ، ولعلى كرجل مسن قد رأيت الكثير من هؤلاء النظار .

وفي أحد الأيام، من ثلاثة شهور ، انضم بوب إلى ثلاثة منا في حجرة الرجل . جاء إلينا فكرة ، ولكنا غلبناه على أمره بفكرة من جانبنا . لماذا لا يكون بالمدرسة حجرة للدرسين ،

أو حجرة للتدخين ، أو حجرة اجتماعات ، أو بأي اسم آخر ؟ قال بوب ، إنها الفكرة حسنة ، فكرة رائعة . وربت بخفة على ظهري . و عندما بدأنا نستمتع بفوز فكرتنا على فكرته، غادرنا بعد أن طلب منا أن نضع خطة، أي أن نتحدث في هذا الموضوع مع هيئة التدريس قبل الاجتماع التالي للمدرسين ، وكانت فكرة التخطيط التي جاء بها نكتة بيننا . وما كان يقصده هو أن تفكر في هذا الموضوع وننفذه .

وفي الاجتماع التالي كان بوب العجوز حكما ، قال إنه سمع كلاما عن حاجتها إلى حجرة المدرسين . و لقد تذكر "عصابة حجرة المرجل" وأشار إلى عدم ملائمة هذا المكان القديم ثم تحدث عن بعض المدارس الأخرى التي يعرفها معظمنا ثم سألنا ماذا تريد عمله . كنا نريد أن نذهب لنبحث عن حجرة مناسبة للمدرسين . فسأل بوب أين وبأي تكاليف ؟. ولم يكن أحد يعرف . وعندما بدا واضحا أننا كنا نقتل الوقت ، اقترح انتخاب لجنة للعمل معه ثم تقدم تقريرها.

إن سيرز كما قلت ، معروف بأنه يحسن الدفع ، ولقد احتاجت اللجنة لأسبوع لكي تضع تقريرا لهيئة المدرسين . وأشرنا إلى حجرتين على أنهما احتمالان، إحداهما كبيرة وفسيحة ، والأخرى صغيرة ولكنها مناسبة، وعلى الرغم من أن هيئة التدريس كانت تفضل الحجرة الأولى ، إلا أن الأصوات كانت في جانب الحجرة الثانية على الرغم من أن فرص الحصول عليها كانت أفضل. وبعد ذلك وضمت قائمة بأقل أثاث مطلوب حتى وصلت التالي إلى ١٤١ر١ دولارا . وكانت هذه فكرة بوب ، فوافق عليها

الجميع على أنه يجب ألا نطلب من مجلس الإدارة أن يدفع هذا المبلغ بل نطلبه من مجلس الآباء والمدرسين بالمدرسة . وثالثا فإن اللجنة ووراءها بوب معضدها والمتحدث باسمها عند الضرورة ، قد عهد إليها بأن تحمل طلب هيئة التدريس إلى المدير هلسر إذا أراد مجلس إدارة المدرسة .

هذه هي القصة . ولقد حصلنا على موافقة المدير ، وبالتالي وافت مجلس الإدارة بصفة روتينية . وقدم مجلس الآباء والمدرسين المال . ووضعت خطة لإقامة حفل الافتتاح يوم الجمعة في الساعة الثالثة والنصف . وسوف تقدم القهوة والكيك والسجائر .

(شرفونا إن اتسع وقتكم ، ولكن لا تكون هناك خطابة) .

ولقد اشتركنا مع هيئة التدريس بمدرسة درب ، في الحفل بقصد أن نعرف المزيد عن هذه الحالة . وننقل فيما يلي حديثا مسجلا مع هؤلاء المدرسين .

الأوامر من أسفل إلى أعلى

س : أنت تقول إنكم لا تأخذون أوامر بالمدرسة . لست أفهم معنى هذا .

ج – نحن لا نأخذ أوامر إننا نعطي هذه الأوامر . إن هيئة التدريس هي التي تدير المدرسة في الأمور المهمة . المدرسون والطلبة (إيماءة بالموافقة).

س : مازلت لا أفهم . استمر . أرجوك .

ج – لتأخذ فكرة عن حجرة المدرسين . إنك سمعت عنها . كيف بدأت هذه الفكرة ؟ رون وأنا بدأناها ، ونشرناها إلى أن بدأ الجميع يتحدثون عنها في المدرسة .

س : تقول الحالة إنك أخذت الفكرة إلى السيد سيرز .

ج – فعلا ، ولكن أتظن أنا مجانين ؟ لو كنا أخذنا الفكرة إليه ، في ذلك الوقت ، لسكان مصيرها الرفض ، و لكنا أخذنا الفكرة إليه في وقت مبكر جدا ، وكانت مليئة بمشكلات.

س : في وقت مبكر جدا ؟ كيف كان ذلك .

ج : حسنا ، كما قلت . إن "رون" و "ستان" قالا إن الفكرة حسنة ، ومن ثم أخذناها إلى بوب . كان يقف هناك يحلم بها ويقول : إنها فكرة حسنة رائعة ، إننا نعرف ما يأتي بعد ذلك . إنكم تضعون خطة لها ، إنه يقصد أننا نفكر فيها لنعرف تكاليفها . وهكذا .

س : ومرة أخرى ، لا أعرف ما هذا ؟ .

ج : هذه هي الطريقة التي يتصرف بها سيرز . من حقك أن تفعل ما تريد في هذه المدرسة و لكن يحسن أن تكون الفكرة وجيهة . إن بوب يفسح صدره لكل ما نعمل لكنه يخنقنا إذا أخطأنا . ولهذا فنحن لا نخطئ

ولقد أدى هذا إلى إقامة صلة دائمة مع السيد سيرز وإلى أحاديث كثيرة معه . إن عنده ما نسميه (بالخبرة ، بالعمل المدرسي . إنه كغيره من نظار المدارس ، فيما عدا أنه يعمل بجد أكثر في وظيفته . ويبدو أنه لا يدرك المطالب الثقيلة التي يضعها منصبه على كاهله ، كما أنه يعالج الأمور بمهارة و بسهولة . و ليس بالمدرسة أبدا أي شغب ولا خوف أو قلق دون داع . إن هناك إيمانا بأن كل ما يحدث يمكن معالجته . ويبدو أن السيد سيرز يعرف كل شيء يجري بالمدرسة ، وقبل أن ينتهي يكون قد طبعه باسمه وهو مغرم بأن يستشهد بأقوال " تشيستر بار نارد " وخصوصا مبدأ بارنارد في " المسئولية الإدارية".

مرتبات أعلى المدرسين

ليس هناك من شك في أن مدرسات ومدرسي المدارس أصبحوا أكثر وعيا بعملهم بالمعنى الذي يستخدم فيه اتحاد العمال هذه العبارة . يصدق هذا على وجه الخصوص في المدن الكبيرة ، حيت ينظم بها عدد كبير من المدرسين ، وأية حالة نذكرها قد تكون طويلة ومعقدة ، كما أنها لا تمثل إلا لحظة من الوقت هي نضال متواصل من أجل ظروف عمل أفضل ، و مرتبات أعلى . والحالة التي نقده هاهنا أقل تعقيدا من معظم الحالات على الرغم من أنها أبعد ما تكون عن البساطة ولا يقصد بها إثارة الجدل وإنما هي مجرد وسيلة للدخول في موضوعات كثيرة أساسية للمناقشة .

وصاحب التقرير الذي نتحدث عنه مدرس في الرابعة والثلاثين من عمره متزوج وله طفلان و يدفع أقساط بناء مسكن له ، ولا يملك إلا

مرتبه من المدرسة ، هذا " ميرسربوينت " مدينة عدد سكانها حوالي ١٧٫٠٠٠ نسمة في إحدى الولايات الغربية وتضم المدارس العامة في المدرسة الثانوية التي يدرس فيها صاحب التقرير ، وست مدارس ابتدائية وهناك كما سيبين التقرير ، انشقاق بين المدرسين بالمدرسة الثانوية أنفسهم و بينهم وبين هيئات التدريس بالمدارس الابتدائية.

النضال في ميرسربوينت

أقوم بتدريس اللغة الإنجليزية – ولقد جئت إلى ميرسربونيت عام ١٩٤٨ وكانت لي خبرة في التدريس مدة سبع سنوات . ولقد شعرت أنا وزوجتي أن مرتبي الابتدائي الذي يبلغ ٢٢٥٠ دولارا لمدة ٩ شهور في السنة كان مرتبا كافيا . وفي عام ١٩٤٩ اشترينا المنزل الصغير الذي كنا تدفع له إيجارا ، وباستثناء سنة واحدة ، لم نقصر في دفع أي قسط، وفي عام ١٩٥٣ اعترتنا أمراض كثيرة ولقد تسببت قائمة حساب الأطباء في إيقاعنا في ديون لم نستطع أن نسددها حتى الآن .

ولقد علمت في السنة الأولى أن مدرسة ميسر لم يكن بها نظام موحد المرتبات ، ولم تكن هناك علاوات دورية ، كما لم يكن هناك سجل عام بما يدفع لأعضاء هيئة التدريس من مرتبات . كان المرتب الذي يحصل عليه المدرس مسألة تخضع للمساومة الفردية ، ومن الإشاعات التي سمعتها هذه السنة وما بعدها ، استطعت أن أجمع الحقائق الأساسية عن المرتبات.

وعلى العموم ، كان مدرسو المدرسة الثانوية يتقاضون مرتبات أكثر

بقليل مما يتقاضاه مدرسو المدارس الابتدائية فما عدا بعض الاستثناءات ، وكان الرجال من المدرسين يتقاضون أكثر من السيدات ، وكان المدرسون الجدد الذين يحملون ليسانس في الآداب أو بكالوريوس في العلوم أو الماجستير يتقاضون أكثر من المدرسين القدامى ، وخصوصا الذين يسمون بالسيدات المسنات وكان من نظام المدرسة أن يتقاضى مدرب كرة القدم ٨٥٥ دولارا بالإضافة إلى مرتبه من أجل التدريب ، ومدرب كرة السلة يتقاضى حوالي ٥٠٠ دولارا . وكانت عقود العمل المدرسين ترسل لهم بالبريد في أوائل مايو ثم يوقعون عليها وتعاد .

ولم يكن هناك ، كما ذكرت ، أي علاوة دورية منتظمة ، ولكن المدرسين والمدرسات ذوو الحظ الحسن يستطيعون الحصول على علاوة تتراوح بين ٥٠ دولارا وبين ١٢٥ دولارا في السنة في بعض الأعوام .

وأقفز سنوات حتى أصل إلى منتصف عام ١٩٥٤ وعلى الرغم من أنه كان هناك سخط عام على المرتبات إلا أنه بدا لي الآن، لأول مرة، أن المدرسين كانوا مستعدين لاتخاذ إجراء ما . وإزاء هذا الاقتراض اجتمع ثلاثة أو أربعة منا و نظمنا رابطة المدرسين ، وكنا نريد عضوية المدرسين جميعا بطبيعة الحال ، و لكننا لم نحصل إلا على عضوية أقل من ربع مدرسي المدرسة الثانوية والابتدائية ، ولقد شكلت لجنة لدراسة مسألة المرتبات ولكنها لم تصل إلى أي شيء يذكر .

كان أول شيء فعلته اللجنة أن ذهبت إلى مدير المدارس، وإني أذكر

هذا الاجتماع كما لو كان بالأمس ، وعندما علم السيد أليسون بأمر الرابطة والغرض منها ، أشار أنه قد سمع عنا ، وعندما طلبنا منه معلومات عن المرتبات قال إنه لا يستطيع أن يقدمها لنا ، وإن مثل هذا الإجراء مناقض السياسة مجلس الإدارة ، قلنا له إن هذا نظام سيء وإنه إذا علم المواطنون به ، فإنهم قطعا يصلحونه ، فلم يعلق السيد أليسون على هذا ، ولكنه عبر لنا عن تمنياته الطيبة في كل ما نقرره من أمور .

كانت هناك طبعا طريقة أخرى للوصول إلى أرقام المرتبات، وذلك بسؤال أعضاء هيئة التدريس عن المرتبات التي يتقاضونها ، فلما حاولنا هذا حتى مع أعضاء الرابطة ، لم يريدوا التعاون معنا . وفي بأيدنا نحن الثلاثة الذين نظمنا رابطة المدرسين ، كتبنا تقريرا قويا إلى مجلس الإدارة ، استنكرنا فيه الإجراءات والسياسة الحالية . وطلبنا من مجلس الإدارة ، إما أن ينشر الحقائق الخاصة بالمرتبات أو يوقفنا عليها ، وقلنا إن علاوات ضرورية في المرتبات كانت مستحقة منذ زمن طويل . واستشهدنا بعلاوات في نظامين مقارنين من أنظمة المدارس .

وعندما رفع هذا القرار لتنفيذه في اجتماع الرابطة ، كانت هناك معارضة قوية ضده وجادلنا حوله ثلاث ساعات على الأقل ، وقلنا أشياء كثيرة . وثرت في النهاية وقلت إني أقدم استقالتي مالم تقف الرابطة موقفا حازما . و عندما كانت الأصوات ضد القرار قدمت استقالتي واختير الشخص الذي قاد المعارضة رئيسا للرابطة .

وبعد شهر ، عقدت الرابطة اجتماعا بشأن مسألة المرتبات . ولما كان الاجتماع عاما ، فقد حضرته ، ولقد دهشت لرؤية مدير المدارس السيد أليسون هناك ، وزادت دهشتي عند ما قال (أنونكى) رئيس المجلس أن مدير المدارس قد أصبح عضوا شرفيا في الرابطة .

وأول كل شيء سأل أنو نكي السيد أليسون عما إذا كان لديه تعليقات . ودهش أليسون لذلك وقال إنه لم يكن لديه شيء يقوله . وقال رئيس المجلس بعد ذلك لأعضاء الرابطة . إن بعضكم قد ضيق على الخناق لعقد هذا الاجتماع بخصوص المرتبات . والآن ماذا تودون قوله ؟ ، واستشهد بعضهم ببعض أرقام تدل على زيادة نفقات المعيشة وختم قوله بأننا يجب أن نطالب بزيادة في علاوة غلاء المعيشة . وتداولت هذه الفكرة لفترة وحازت رضا جميع المتحدثين . وفي الحال بدأ تشكيل قرار بزيادة تبلغ ٢٥٠ دولارا – وأضاف المتقدم بالفكرة جملة و إذا أمكن ، لم يكن في استطاعتي إلا أن أشير بأن هذا أمر مضحك وحذفت هذه الجملة .

لم يسأل المشرف أليسون أية أسئلة ولم يعلق بأية تعليقات ، وقبل أن تؤخذ الأصوات ، كان يسأل عن رأيه « إن المجلس سيجتمع غدا بعد الظهر في الساعة الرابعة والنصف و يسرني جدا أن أقدم أي اقتراح تطلبونه كان يتكلم بطريقة واقعية ، كما لو كان يطلب مؤونة الفحم للشتاء التالي ، ودون أن يقف ، حتى إن بعض المدرسين لم يسمعوا ما قاله – وقد تأثرت شخصيا وسألته شعوره إزاء علاوة الغلاء البالغة ٢٥٠ دولارا. ومرة أخرى ، ودون أن يعطي محاضرة قال إن المجلس ان ينفذها. وقال إنهم

سوف يستمرون في منح زيادة تقدر ب ١٠٠ دولار أو قد تصل إلى ١٥٠ دولارا ولكن ليس أكثر من هذا . ووضع الاقتراح، وكان يحمل في ثناياه (وإن كان بطريقة ضعيفة) رقم ٢٥٠ دولارا . وطلب من المدير أن يقدمه لمجلس الإدارة ، وقال إنه يسره أن يفعل هذا ، وطلب تعيين لجنة لحضور الاجتماع والدفاع عن الطلب .

وفي شهر مايو من ذلك العام حصلنا على زيادة ١٠٠ دولار ، وهذا يقودني إلى النقطة الأساسية في تقريري ، ففي هذا الخريف ، بدأ بعضنا ينظم اتحادا للدرسين ، وينضم إلى اتحاد العيال الأمريكي وانتصرنا على أشخاص مهمين في رابطة المدرسين بأن أخذنا ثلث أعضائها تماما وعملنا بجد في جميع المدارس الابتدائية ، ولكن دون نجاح كبير لأن هؤلاء المدرسين والمدرسات كانوا يخافون القيام بدور إيجابي .

إننا أقوياء ، وفي عزمنا أن نضم إلينا بعض من يقدمون المال للمدرسة من أهل المدينة ونأمل في أن يحس مجلس إدارة المدرسة بشيء من الرهبة .

وبينما كنا نستعد ، كانت الرابطة تقوم بنشاط كذلك. وعلمت أنهم توصلوا إلى معرفة أرقام المرتبات وهو الطلب أو الحق القانوني الذي أنكر علينا قبل ذلك . وفيما يختص باتحاد المدرسين سنقوم بأكثر من مجرد الوصول إلى نظام المرتبات ومن بين أيضا كيف تمول مدارس "مير سربونيت" وكل ما تحصل عليه من مصروفات وإعفاءات من الضرائب و

غير ذلك والطريقة التي تصرف بها الميزانية . وبعد أن نتسلح بهذه الحقائق نرجع إلى الجمهور . وسننتظر حتى نرى ما سيكون بعد ذلك] .

إن هذه حالة تسمح بجدل كبير . لقد حذرنا من وقت لآخر من التوتر الذي تفرضه المشكلات الحقيقية على الطلبة ، والحاجة إلى كبح جماح النفس ، وإلى احترام آراء المعارضة حتى ولو كانت متعارضة مع آرائنا ، ما هي المسألة الرئيسية في تقرير مدرسة ميرسربونيت ؟ قد تكون عند بعض الطلبة مسألة المرتب لأنهم يوافقون على أن مرتبات المدرسين ضعيفة جدا ، أما بالنسبة للآخرين فقد تكون مسألة حق المدرسين وحاجتهم في أن ينظموا أنفسهم وأن ينضموا إلى اتحاد عملى قومى. وقد يوافق البعض على فكرة الحاجة إلى التنظيم، ولكنهم يتمسكون بأن التدريس مهنة ، وأنه يجب ألا يربط المدرس نفسه بالعمال الصناعيين . وغالبا ما تقابل وجهة النظر هذه بما يؤكد أنه لا يوجد طريق آخر لتحسين مستويات المرتبات وظروف العمل .

وفي مناقشة الحالة ، يجدر بنا أن تذكر أن المساومة في العلاقات الصناعية هي سياسة قومية، كما ذكر في القانون ، وفي الوقت الحاضر ، يجب على العاملين أن يعترفوا بعمال الاتحاد المؤهلين ، إذ يجب عليهم ، وعلى العال ، أن يساوموا في الأجر أو في أي نضال ، ولكن لا يجبر أي الطرفين عن طريق القانون على الوصول إلى أي اتفاق . وعند الوصول إلى اتفاق يجب أن يكتب ويصبح أساسا لمفاوضات جديدة عند انتهاء العقد ، وإذا لم يستطع الطرفان الوصول إلى أي اتفاق ، فإن للعامل حق

الإضراب، غير أن هذا الحق غالبا ما تنكره قوانين الدولة لجميع العاملين بالمدارس العامة بصفتهم موظفين عامين.

إن العلاقات الإنسانية في هذه الحالة مهمة ، فهناك أولا : تأثير الجماعات الراديكالية على المحافظين ، وحفزهم على العمل ، و ثانيا : إن وظيفة الصراع في التصريح بالمسائل ، وبهذا يضعها أمام الرأي العام ، وقد يساعد ذلك على تعجيل حلها.

وفي ميرسربونيت أدى هذا إلى أن يهتم بمجلس إدارة المدرسة اهتماما أعمق بمرتبات المدرسين و بالبحث بجد أكثر عن طرق ، لتحسين مرتباتهم . وثالثا إن من الملاحظ ميل العلاقات الإنسانية إلى أن تقوى و تماسك كلما تحركت الأحداث نحو قمتها ، وهذا ما يسمى " بالأثر اللولبي " وهو يوحى في النهاية بالدور الذي يقوم به الواسطة أو المفوض، وهو شخص يكون على صلة وثيقة بالطرفين أو بجميع الأطراف ويكون موضع ثقتهم . وعلى الرغم من أن التقرير لم يذكر الا القليل عن السيد اليسون مدير المدرسة ، فلا شك أنه صالح للقيام بهذا الدور .

مشكلات ومشروعات

١. احضر اجتماعا بالمدرسة أو بالكلية كفرد أو كلجنة أو كفصل كامل . نظم مناقشة عما شاهدته وسمعته وما يمكن استنتاجه .

٢. هل عرفت ناظرا لمدرسة كالسيد سيرز. اكتب مقالة عن النظار أو

مديري المدارس الذين تعرفت بهم بصفتك طالبا أو مدرسا .

٣. ادع إلى الفصل واحدا أو أكثر من أعضاء مجلس التعليم ليذكروا شيئا عن عملهم . وجه أسئلتك لمفهومهم لواجب ، ولماذا يعملون في المجلس؛ وكيف يمكن الفصل في المسائل الحرجة كتلك التي ظهرت في حالة ميرسربونيت لمصلحة الجميع .

٤. هل قرر الفصل طريقة مراجعة الجزء الثاني من الكتاب ؟ يمكن تنظيم فرق من الطلبة بحيث يأخذ كل فريق أحد عناصر المعتقدات والقيم والمعرفة والمهارات وصدق الحكم ليعيدوا تقسيم فصول الكتاب .

الفصل الثالث عشر

التدريس كوسيلة لإرشاد الجماعة

لقد أصبحت نتائج البحوث هي الغذاء الذي تتغذى به المهن

"لويدا. بلوتش"

كانت البحوث في الفصول الأولى من هذا الكتاب تقول إن الطريق إلى تعلم حل المشكلات هو محاولة حل هذه المشكلات – أي مواجهة حالات المدرسة على أنها مواقف يجب دراستها وتحليلها .

وفي الجزء الثالث من هذا الكتاب ، نبتعد قدر الإمكان عن التفاصيل لكي تكون نظرتنا الموضوع أوسع وأعمق . وسيكون التركيز على دور المدرس كقائد – وهذا تعبير يستخدم الآن كما استخدم في الكتاب عموما – بحيث يشمل الذين يديرون المدرسة والموظفين الفنيين بها . والهدف هو بناء نوع من الفهم المجرد ذى علاقة بتحسين دور القائد في العمل المدرسي البيني في مجال العلاقات الإنسانية .

والفصل الحالي يختص بالمدرس القائد بصفته قائدا للمجموعة ، وظيفته توجيه الكلام لها. وكلمة د قيادة ، تستخدم مع شيء من التردد ، ولعل عبارة "إرشاد الناس في جماعات" مفهوم أخف ، أو هو مفهوم لا

يوحي كثيرة بالتعامل مع الأفراد . لكن الدور الذي ندرسه حاليا ، وهو قيادة فصل متضمنا (إرشاده وإلهامه وتوجيهه وقيادته و تقويمه) لا تغطيه حقيقة هذه الجملة اللطيفة . حيث إن الأمر يحتاج إلى تفكير مستقيم لاستخدام كلمة والإرشاد أو الإدارة و تعريفها بأنها فن مساعدة الناس على تغيير سلوكهم في اتجاهات يحددونها لأنفسهم .

فعاليات حل المشكلات

إن نوع البحث الذي يستطيع المرء أن يجد فيه التفسير العقلي لعملية تدريس الجماعة في المدرسة والبيئة ، هو دراسة المجموعات الصغيرة التي تقوم بحل المشكلات . وعلى الرغم من أنه لا يوجد بحث يعتبر نهائيا إلا أن عمل د روبرت بيلز ، له دلالته . وفي العينة التالية ما يجب على الطلبة أن يقرءوه بعناية ويجب أن يلاحظوا الوضع التجريبي وتصنيف الأفعال و تذبذب عملية الجماعة ، وظهور نوعين من القادة . ومعنى الإجماع وأهميته .

دراسة حديثة عن حل المشكلات عن طريق الجماعة

بدأت أولا بوضع طريقة رئيسية لتحليل التفاعل الاجتماعي عندما أصبحت أهتم بمحاولة تحليل نجاح تجربة جماعة الكحول» . و على الرغم من أني حضرت اجتماعات وتحدثت إلى الأعضاء إلا أني لم أكن أشعر بحرية في أن أسأل كل الأسئلة التي كنت أرغب في توجيهها . ونتيجة لهذا رجعت ثانية إلى الملاحظات وبدأت أضع طرقا بدائية لتسجيل : من قام

بماذا ، و من تحدث إلى من وكيف ؟ وفي نهاية الأمر بدأت هذه العملية الهادئة تبدو فاسدة وتخليت عن المجهود.

وفي هذا الوقت كان انجذابي إلى عملية التفاعل الاجتماعي قد وصل إلى نقطة لا يمكن الرجوع فيها . ولذلك عزمت على وجوب استمرار دراستي في معمل من المعامل حتى أكون. في ظروف أكثر ملائمة .

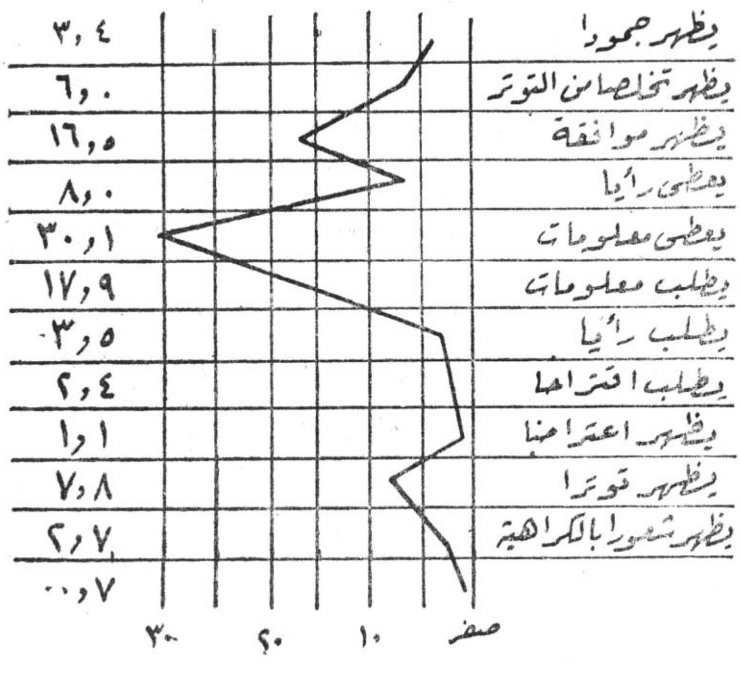
وكان عدد من معامل دراسة التفاعل الاجتماعي بين الجماعات الصغيرة قد بدأ في السنوات العشر السابقة في المستشفيات والعيادات و مراكز البحوث الخاصة ، وفي الهيئات العسكرية . وكانت الدراسات و التجارب التي أصفها هنا قد أجريت في أحد هذه المعامل وقد أسس سنة ١٩٤٧ في "جامعة هارفارد" .

والمعمل يتكون من حجرة كبيرة حسنة الإضاءة تشغلها الجماعة موضوع البحث إلى جانب حجرة متصلة بها للملاحظين الذين يستمعون ويراقبون من وراء نوافذ شفافة تسمح بالرؤية من جانب واحد فقط . و يبلغ الأفراد موضوع التجربة – بادئ ذي بدء – أن الحجرة قد بنيت بقصد دراسة مناقشة الجماعة ، وأن تسجيلا كاملا سيؤخذ لأصواتهم ، وأن هناك ملاحظين خلف النوافذ التي تسمح بالرؤية من جانب واحد ، وأن الغرض من العزل ليس خداع هؤلاء موضوع التجربة ، وإنما لجعل التفاعل بينهم وبين فريق الملاحظين أقل ما يمكن .

وبعد الكثير من البحث ، وضعنا خطة كاملة ، يمكن استخلاص

تعميمات هامة منها ويطلب من مجموعة من الأشخاص (يتراوح عدده بين اثنين وستة) أن يناقشوا مشكلة معقدة من مشكلات العلاقات من النوع الذي يواجه أي شخص إداري . يبدأ كل عضو في المجموعة بقراءة عرض الحقائق الخاصة بالحالة التي تكون من خمس صفحات ، ولكن كلا منهم يظل غير متأكد من أنه قد ذكر من الحقائق قدر ما أعطاه أفراد بمجموعته.

النسبة المئوية



(شكل ٥) أنواع السلوك في ٩٦ دورة المجموعات صغيرة لحل المشاكل.

ولا يقدم الأعضاء الواحد منهم للأخر ، كما لا يدربون بأية طريقة أخرى ، وإنما يجب أن يعملوا على تنمية تنظيمهم الخاص وطريقتهم الخاصة

، و عليهم أن يفكروا في الحقائق وأن يبلغوا الشخص الإداري كما لو كانوا ضمن مجموعة موظفيه ، والنتائج المشتركة التي تختص بالمشكلة وما يجب أن يجري إزاءها ، ثم اسمح لهم بأربعين دقيقة المناقشة و توضع الجماعة تحت الملاحظة في أربع دورات من هذا النوع .

وفي الجانب الآخر من النافذة ، يسجل الملاحظون بانتظام كل خطوة من خطوات التفاعل، ولا يحذفون أية انفعالات كا بماءة بالرأس أو تقطيب الجبين . ويكون أمام كل ملاحظ آلة صغيرة بشريط تسجيل متحرك يكتب عليه بالشفرة وصفا لكل فعل – والفعل هنا جملة واحدة أو سؤال أو حركة . وتحدث الأفعال عادة بسرعة تتراوح بين ١٥، ٢٠ دقيقة و تتضمن الحقائق المسجلة الكل فعل تشخيصا للشخص المتحدث و الشخص المتحدث إليه ، وتصنيفا للفعل طبقا للأبواب المقررة كما يرى في شكل (٥).

وتقسم الاثنا عشر بابا في شكل (٥) إلى مجموعات كل منها من ثلاثة . والثلاثة الانفعالات الأولى ردود أفعال موجبة ، والثلاثة الأخيرة انفعالات سالبة ، والثلاثة الانفعالات الثانية هي محاولات لحل المشكلات ، أما الثلاثة الباقية فهي أسئلة لطلب المساعدة ويلاحظ أن حوالي ٥٦ % من أحاديث المجموعة في المتوسط ، تقع في باب محاولات حل المشكلات أي في باب الإلهام برأي أو معلومات ، أما الملاحظات الباقية فهي موزعة ويخضع أكبر عدد فيها للموافقة و عدم الموافقة . ولتوضيح ذلك بطريقة أخرى : نقول إن عملية حل المشكلة تبدو ذات جانبين ،

لأن انفعالات عدم حل المشكلة هي بمثابة تبادل التوصيل لتقبل المحاولات التي تؤدي إلى حل المشكلات ونذكر ما يلي على سبيل المثال :

العضو رقم (١): أتساءل عما إذا كان لدينا نفس الحقائق عن المشكلة (يطلب الرأي) قد نحتاج إلى بعض الوقت لنعرف (يبدى اقتراحا).

العضو رقم (ب) : نعم (يوافق) قد نستطيع أن نسد بعض النقص في معلوماتنا (يعطي رأيا) هيا بنا نذهب إلى المائدة ليقول كل منا ما يذكره التقرير في حالته (يبدى اقتراحا) إن هذا المقال يشير إلى أن الملاحظة الأولى للمتحدث تميل إلى أن تكون رد فعل ليس له علاقة بحل المشكلة . والاحتمال كبير في أنه إذا استمر في التحدث ، فإن عمله الثاني يكون محاولة الحل المشكلة .

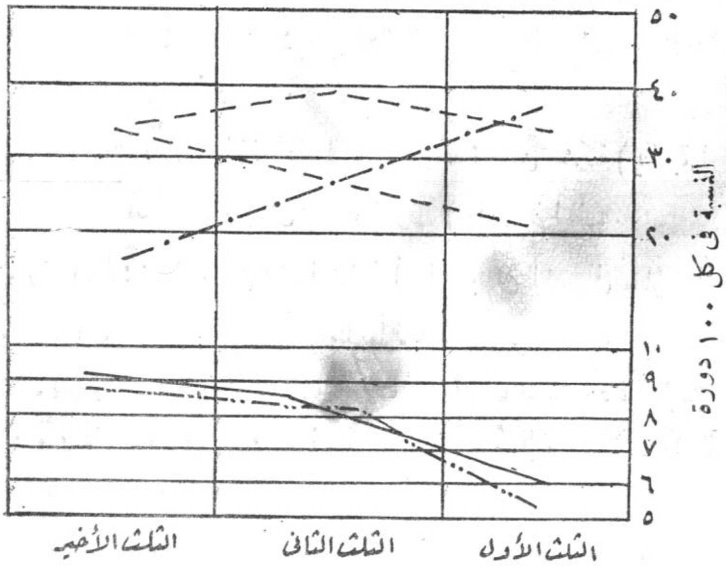
وإذا انقسمت دورة مجموعة معينة إلى ثلاثة أقسام ، فإن سرعة التفاعل تتباين . ويتضح هذا في شكل (٦) و تميل معدلات إعطاء الآراء إلى أن تصل إلى أقصاها في الثلث الثاني من الاجتماع ، ويهبط إعطاء المعلومات من الثلث الأول إلى الثلث الأخير . وترتفع الانفعالات الموجبة بشدة في الثلث الأخير ، تماما كالانفعالات السالبة ، وتزيد الأولى عن الثانية بنسبة (٢ : ١) وتبدأ الاقتراحات من أسفل وتظهر اتجاهات نحو الزيادة .

وفي المعدلات المذكورة ، تكون النقطة الحرجة هي نقطة التصميم .

وبمجرد أن يتخذ قرار تنخفض الانفعالات السالبة بينما تزداد الانفعالات الموجبة – ويبين المزاح والضحك تخلصا من التوتر ولهذا فإنه يصبح أكثر حدوثا ، و تميل عملية التفاعل في العمل الحالي إلى إعادة تثبيت الحالات الانفعالية لأعضاء الجماعة والتأثير على العلاقات الاجتماعية .

ومن الواضح على أية حال ، أن جميع عناصر عملية حل المشكلات عند المجموعة منطقية و عقلية . وتتضمن بعض العناصر الإدراك الحسي ، والذاكرة ، والربط . وقد تتضمن أيضا بصيرة استنتاجيه . وتتصل عناصر أخرى بالعلاقات الإنسانية في الجماعة بالتكيف العاطفي والاجتماعي وإعادة تكيف أعضاء الجماعة .

وهناك دلائل كثيرة على أن عملية التفاعل – كغيرها من العمليات التي يدخل فيها عامل و تبادل التوصيل ، – تميل إلى الذبذبة أثناء البحث عن حال افتراضية ثابتة . وبعد فترة تميل العملية إلى أن تتبدل مع كل عدة أفعال قليلة ، بين محاولات حل المشكلات عند شخص و بين الانفعالات العاطفية الاجتماعية عند شخص آخر.



الرأي ....

المعلومات ....

استجابات إيجابية ....

استجابات سلبية ....

الاقتراح ....

(شكل ٦) سرعة التفاعل . كلها تحرك أعضاء المجموعة نحو اتخاذ قرار تقل نسبة إعطاء المعلومات بينهما تزداد نسبة الاستجابات السلبية والايجابية وكذلك الاقتراحات .

وعلى الرغم من أن التذبذب سريع في هذه الفترة الزمنية إلا أنه لا يكون سريعا بالدرجة التي يحتفظ فيها بجميع عناصر العملية في حالة توازن ، بل يكون هناك اتجاه إلى عدم المساواة في الاشتراك ومع مرور الوقت

يكون لهذا آثار تراكمية على العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الجماعة.

وعضو الجماعة الذي يقوم بحديثه أولا يبدأ في أن يبنى لنفسه شهرة، ونجاحه في هذا يؤدي به إلى نجاح أكبر ، و تكون النتيجة أن يميل المتناقشون إلى فرض ترتيب طبق حسب القدرة على العمل ، وفي بعض جماعات حل المشكلات يصل الأعضاء إلى درجة عالية في الإجماع على ترتيب الشخص الذي تكون لديه أحسن أفكار (يملأ الأعضاء ورقة استقصاء بعد كل اجتماع). وغالبا ما يكون الشخص الذي يحصل على أعلى درجة ، هو الذي كان يقوم بمعظم الحديث وحصل على درجات أكثر من المتوسط في إبداء الاقتراحات والإدلاء بالآراء.

وإبداء الاقتراحات ، كأمر ضروري لإنجاز أي عمل من المحتمل أن يثير ردود فعل سالبة أكثر ما يدفع إلى تقديم المعلومات والآراء ، وهذا الموقف يميل إلى أن يضع المتخصص في العملية أو رجل الأفكار ، في موقف يكون عرضة للهجوم ، والجماعة عادة تنمي شعوراً سالباً تجاهه بدرجة قد تؤدي به إلى أن يفقد مركزه بصفته قائد العملية مالم يكن حساسا للمشكلة ويعضده أعضاء الجماعة الآخرون.

أما أن يوافق أعضاء الجماعة أو لا يوافقون على من يكون صاحب الآراء الأحسن فذلك يتوقف إلى حد ما على مقدار موافقتهم على المقدمات أو المعايير الأساسية أو على ما يمكن تسميته و بالثقافة المشتركة . فإذا كانت هذه الثقافة أو الإجماع غير موجودة من بدء مناقشة الجماعة

، ولو ضمنا على الأقل ، فإنها تحتاج إلى وقت كبير لبنائها، وعلى الرغم من أن إجماع الآراء. لا يحل جميع المشكلات الخاصة بالتنظيم الثابت للجماعة ، فمن غير المحتمل أن يكون هناك ثبات بدون إجماع الآراء . وحيث يفتقر الأمر إلى الاستقرار والثبات ، تصبح عملية التفاعل في أساسها وسيلة للتعبير عن الحالات العاطفية للفرد .

وعندما يوجه الطلبة إلى لخص هذا البحث فكرة بعد فكرة ، يكون انفعالهم المشترك ، إن كانوا مدرسين " لقد رأيت ما يناقشه القائم بالتجربة أن نفس هذه الأشياء تقريبا حدثت في فصولى".

إن محور دراسة "بيلز" هو التفاعل "من فعل ماذا ، من تحدث إلى من، وكيف،؟، وهناك اثنا عشر نوعا لتحليل التفاعل (شكل ٥) وهي مفاهيم قد يستخدمها المدرس في دراسة فصل من فصول المدرسة و يميز بين نوعين أساسيين من السلوك ، حل المشكلات وعدم حل المشكلات. و يميل الأول إلى التغلب كلما تحركت المجموعة تجاه ، نقطة اتخاذ القرار ،. ويميل الثاني إلى التغلب بعد أن تكون المشكلة قد حلت ، وفي أول هذه المراحل يميل سلوك الأعضاء إلى الذبذبة ، ثم تستقر على طريقة لمعالجة الموضوع الذي يجري حله . ومهما كانت نتيجة هذا ، فإن نوعين من القادة برزان هنا . أحدهما هو قائد العملية، وهو الذي يتقدم بالأفكار ويحفز إلى إنجاز العمل. والآخر هو القائد الاجتماعي العاطفي .. وهو الشخص الذي يكون اهتمامه الأساسى مركز آ على مشاعر الأعضاء و حالتهم ، و ليس من الضروري أن يكون قائد العملية أحب الأشخاص

للجماعة من المحتمل أن تنشأ بعض معارضات له ، وهذه الحقيقة يفهمها المدرسون جيدا لأنهم في حجرة الدراسة يقومون غالبا بدور القائد .

أدوار قائد المجموعة

من المفيد أن نفكر أبعد من ذلك في قادة العملية والقادة الاجتماعيين ، و بهذا نربط البحث. السابق بدراسات أخرى في ميدان ديناميكية الجماعة.

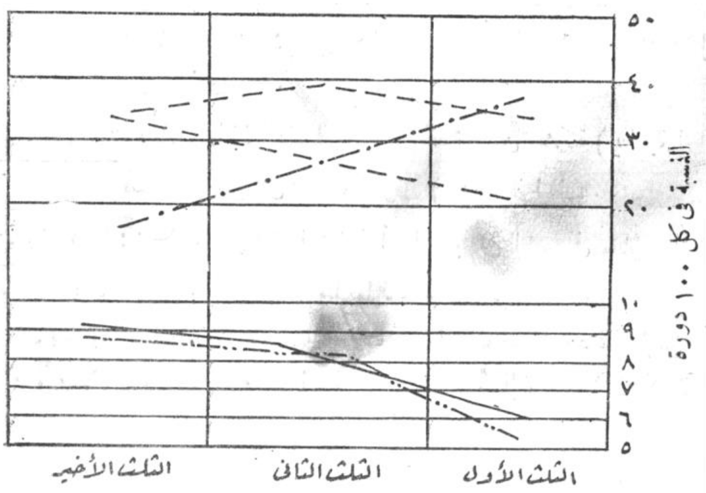
من المعروف بصفة عامة ، أن بقاء أي جماعة كبيرة أو صغيرة، يعتمد على قدرة الجماعة في حل مشكلتين، **إحداهما** ، تحقيق أهداف الجماعة **والثانية** : هي تحقيق الشعور بالرضا للأفراد الأعضاء، أي إشباع حاجاتهم العاطفية . والعملية الأولى وهي و تحقيق الهدف، هي أن تخلق قائد العملية . أما العملية الثانية وهي الحاجة إلى خلق الانسجام في الجماعة ، فهي التي تخلق القائد الاجتماعي ، ووظيفة هذا القائد هي أن يؤمن التكامل الداخلي ، بينما يجب على قائد العملية ، أن يكيف الجماعة المطالب الفنية الخارجية .

والمتخصصون في التربية ، المهتمون بوظيفة المدرسة ، يرون أن قائد الجماعة المثالي يجب أن يجمع بين هذين الدورين ، وعلى الرغم من أن هذا يبدو واقعا من مواقف الحياة إلى حد ما ، فإن اتجاه البحث يجب أن يبين أن هذا الدور المزدوج يصعب تحقيقه ، ومن الأسباب الرئيسية لذلك : أن الدورين متناقضان من حيث ديناميكية جماعات حل المشكلات ، ونقتبس

هنا بعض ما قاله "سليتر" في ذلك وإن محاولة التكيف التي تقع على الجماعة من الخارج والتي يخلقها عمل ، يجب أن ينجز ، تتضمن بطبيعة الحال نوعا من التغيير . فالفرد الذي يقع عليه ضغط في إيجاد حل لعمل معين ، يجبر أولئك الذين من حوله على أن يقوموا بتعديلات صغيرة مستمرة في سلوكهم ، وأن يعيدوا لخص أفكارهم وقيمهم باستمرار في ضوء المطالب الخارجية .

ومن ناحية أخرى فإن الفرد الذي يهتم بالمشكلات الداخلية الاجتماعية والعاطفية ، يعضد. باستجاباته أفكار و سلوك أولئك الذين من حوله ، ويؤكد دائما القيم السائدة عندهم ، ومن ثم يكون التوجيه من جانب المتخصص في العمل توجيها تكنولوجيا ، بينما يكون التوجيه من جانب المتخصص في العلاقات الاجتماعية و العاطفية توجيها تقليديا ...... والنوع الأخير من السلوك أكثر استهواء لأعضاء الجماعة وبخاصة عندما يطلب إليهم أن يبينوا الشخص الذي يحبونه أكثر من غيره ."

وينبه "سليتر" في بحثه إلى أن قادة العمل لا يكونون مكروهين فعلا وإنما الضغط الذي يفرضونه لكي ينجزوا العمل يميل إلى إثارة بعض المشاعر السالبة ، وهذه المشاعر سواء كانت. خفية أو ظاهرة ، قد تثقل عن قائد الجماعة في عقول أعضائها ، وقد تعزل المشاعر القوية الإيجابية التي تكون لدى الأعضاء الآخرين في الجماعة نحوه .



وثمة سبب آخر لصعوبة تحقيق الدور المزدوج لقائد العمل والقائد الاجتماعي ، هو أن الأفراد يميلون إلى أن يلقوا بأنفسهم في جانب أو آخر . فالأكفاء من قادة العمل الذين حققوا تفوقا ينمون المهارات والأفكار أو العادات التي بوساطتها أحرزوا نجاحهم . فالنجاح يؤدى إلى نجاح أكثر ، كما هو حاصل فعلا ...، والأمر نفسه صحيح بالنسبة للأفراد الذين يحسون إحساسها قويا بالحاجة إلى أن يكونوا محبوبين أكثر من غيرهم في الجماعة ، فهم يتجنبون الأفعال التي قد تجعلهم غير محبوبين ، و يتبنون مشاعر المجموعة ، ويتبعون جانب الحيطة في إبداء الرأي – وقائد العمل يركز كل أحاسيسه في هجوم جديد – أو أكثر قوة – على مشكلة من المشكلات ، وهو بذلك يناقض القائد الاجتماعي الذي يخفف من قلقه بأن يغمر شخصيته في الجماعة . وفي ظروف بذاتها يصبح ما يسميه الطلبة و بالعضو العادي ، أي يتناسى أنه قائد الجماعة .

قيادة الكلام في الجماعة

حان الوقت إلى أن نترجم النظرية السابقة إلى صورة عملية ، وأن نربطها بعملية التدريس بالفصل . إن الكثير من التدريس من وجهة نظر ديناميكية الجماعة ، هو قيادة الكلام – فأولا – كيف يتعلم مدرسو المستقبل الذين يدربون على التدريس ؟.. وأي نوع من الكلام يجرى في حجرات الدراسة بالكلية ... وما هي الأشكال التي يتخذها ؟ .. ليس من السهل أن نصنف الطرق التعليمية ، وخصوصا لأنها تميل إلى الاندماج . ولهذا السبب فإن الجدول رقم (٥) يكون أكثر إيحاء منه تحديداً ، ولذا تكون قيمته محدودة .

جدول (٥)

تقدير الوقت الذي يقضيه في هذا الفصل الدراسي المدرسون، والطلبة في المواقف المختلفة في فصول الكلية

الموقف في الفصل	٥٧٣ مدرسا	٤١٤ طلبة
	النسبة المئوية لمن كتبوا تقريرات	النسبة المئوية لمن قدموا تقريرات
– طريقة المحاضرة، بعض الأسئلة والأجوبة	٦٢	٧٧
– مناقشة الفصل كله . محاضرة عارضة	٢١	١٠
– ورق الفصل والمناقشات والمثليات الاجتماعية	٩	٧
– اللجان وغير ذلك ، فيما عدا العمل المعملي	٨	٦

وقد أخذت بيانات الجدول رقم (٥) من تقارير أبلغ عنها أصحابها وهم من المدرسين ذوى الخبرة – من الخريجين و غير الخريجين – صغارا وكبارا – المتخصصين في التربية ، وكان قد طلب منهم أن يفترضوا أن الوقت الكلى في هذا الفصل الدراسي، ١٠٠٪ وأن يحتفظوا بسجل المدة فترتين مختلفتين طول كل منهما أسبوعان يدونون فيه كيفية قضاء الوقت بالفصل . وكانت إحدى هاتين الفترتين بالقرب من بدء الفصل الدراسي ، وكانت الأخرى بالقرب من نهايته ، وطلب منهم أن يقسموا الوقت على أنواع محددة من النشاط المحاضرات والرحلات والمناقشات الجماعية واستخدام الأفلام والتمثيليات الاجتماعية وأعمال المجان وغيرها من الأشياء المشابهة للنشاط .

ويبين الجدول تغلب طريقة المحاضرة في التدريس بالكلية وهي حقيقة معروفة ، و يبين أن المدرسين الذين بالخدمة و غيرهم من لم يتخرجوا بعد لا يحصلون عادة على خبرة كبيرة في العمل الجماعي الصغير ، وما يتضمنه من . أخذ وعطاء في المناقشة . ولما كانت هذه العينة قد أخذت من إحدى الجامعات وهي جامعة ولاية واين ، فإن الدراسة تحتاج إلى تكرار قبل أن تؤخذ النتائج على أنها صحيحة.

ولنستمر في تفكيرنا في نقطة واحدة ذات أهمية رئيسية ، هي قيادة الكلام فيما يسمى مناقشة الجماعة كلها، والآن لنتساءل ، ما هي المناقشة الجيدة ؟.. كيف تدار ؟.. يبدو أن طلبتنا يتعلمون ويستنتجون من مثل محسوس أكثر مما يتعلمون من تعليقات مجردة . ونورد فيما يلى قصة

خيالية جاءت في تقرير لمدرس اسمه "هنتر" عمل بالتدريس سنة في مدرسة من مدارس المدن ينطبق عليها الوصف الذي يذكره ...

"ريك" مدرس إنجليزي ناشي يوقعه حظه العاثر في أن يكون مدرسا لبعض المراهقين الخشنين الذين يعادون المدرسين والمدرسة . لقد انتهى لتوه من قراءة قصة رمزية كتبها "هيبوود براون" عن قصة "جاوين وقافلة التنين" .. لقد ضرب (جاوين) الرقم القياسي في قتل التنين بكلمة سحر أعطاها إياه ناظر المدرسة . وعندما يصل إلى التنين الحسين ، ينسي جاوين الكلمة ثم يتذكرها في غير الوقت المناسب ، ومع ذلك يقتل الوحش ، و يصيبه الارتباك فيذهب إلى زاده ناظر المدرسة الذي يقول له الحقيقة ، وهي أن الكلمة لم تكن سحرا ولكنها كلمة أعطته الثقة في نفسه . فهل يكون مسرورة لأن يعرف هذا .. وأن يعتمد على نفسه ؟ كلا وين (جاوين) لم يكن مسرورة ، في المعركة التالية بالذات تخور شجاعته ويلتهمه التنين .

هذه هي القصة ، وهذا هو مغزاها الذي حاول (ريك) أن يجعل تلاميذه يدركونه ويطبقونه على حياتهم، وإليك ما حدث حين حاول المدرس أن يسيطر على الجماعة وأن يوجه عملياتهم الفعلية .

النفاذ إلى عقول الجماعة

كان الفصل ساكنا ، و منتظرة مبادرة المدرس وهنا قال (ريك) . لقد كانت هذه قصة لطيفة ... أليس كذلك ؟ ...، فأجاب ولد منهم « نعم، وكان هذا الجواب بشيرا في رأي (ويك) وفي ضوء خبراته السابقة مع

الجماعة ..

واستطرد (ديك) . إن القصة كلها عن فارس بقتل عدداً من التنين . أليس كذلك ؟ ... فأجاب الولد نفسه بكل تأكيد، وأعقب هذا فترة شكون، وخشي (ريك) أن يكون هذا الاجتماع عديم الجدوى فتساءل عما إذا كانت هناك طريقة للبدء أو للاستمرار في الكلام ...

قال أحدهم "لكنه لم يقتل التنين ، وعندما سأل (ريك) عما يقصده المتحدث .. قال الولد "جاوين كان مخادعا حين استخدم الكلمة السحرية" فصاح (بيللو) ... "لم تكن هذه كلمة سحرية" وعندما طلب منه أن يفسر كلامه قال الولد وكيف استطاع أن يقتل التنين دون أن يتذكر هذه الكلمة ؟ ، وأضاف يقول : إذن فلم تكن تلك كلمة سحرية ، ولقد أخذ بهذا الرأي أولاد آخرون ووافقوا على أن (جاوين) كان يقتل التنين بقدرته الشخصية .

و تمعن (ريك) في هذا الكلام مسرورا ، ولكنه لم يكن يرى أنه قادر على أن ينفذ إلى عقول تلاميذه فقال ولا أكاد أفهم معنى هذا، إذا لم تكن الكلمة سحرية فلماذا أعطيت لجاوين ؟؟.. وصمت الفصل ثم أجاب (شوكين) ولأن هذا الولد جاوين كان خوافا . لقد كان جبانا ... ورأى (ريك) هذا التناقض و تشبث بمناقشته ، إذ أنه : إذا لم تكن الكلمة سحر فكيف قتل الفارس خمسين تنينا . وهل يمكن أن نسميه جبانا !! وأعقب هذا سكون آخر في الفصل ، والواقع أن الأمر أصبح معقدا حقا .

وهنا قال (فينلى) و بكل تأكيد ، لقد قتلها ولكنه كان يفش، .. وهكذا رجع الفصل لنقطة البدء ، وأخذ يدور في مناقشة حول هذه الفكرة وهي أن (جاوين) لم يكن جبانا ، كان غشاشا وكانت هاتان الكلمتان كبيرتين هؤلاء الأولاد. كانتا تحملان معاني كثيرة، فقال (ريك)... رهل كان جاوين بخش .. ؟ .. اذكروا أنه لم تكن هناك كلمة سحرية فقال (فينلي) في تهكم وما معنى هذا؟.. ، فأجاب (ريك) "كان يظن أن هناك كلمة سخرية " قال ذلك في انفعالي ودهشة فقد كان يرى إلمام الأولاد بشيء كثير من القصة ، ومع ذلك لم تقدم المناقشة . كانت تبدأ وتقف ثم تضيع وأخيراً تساءل: كيف يمكنه أن يجعل الأولاد "يدركون فكرة القصة ؟ فكرر (ريك) تعليق (فنيلى) ثم سأل عما إذا كان تفكير (جاوين) في أن الكلمة و سحر ، ساعده على قتل التنينات الجنسين ؟ فقال (هوايت) بكل تأكيد .. فسأله (ريك) كيف حدث هذا؟ واستطرد قائلا : إنه تصور أنه إذا ذهب إلى التنين فلن يحدث شيء له ، وهذا ما حدث فقد قتل التنين ، وهنا أثير المدرس وسأل عما إذا كان جاوين كان بحاجة إلى الكلمة السحرية ؟.. وأجاب أولاد كثيرون مؤكدين وعندما سأل (ريك) ، لماذا ..؟، لم يكن هناك أي جواب ولم يدرك الأولاد موضوع الدرس وهو الثقة بالنفس .

وأجاب (اسبيرانزا) كان يحتاج إليها دون شك ، ومرة أخرى سأل (ريك) ولماذا.؟ فكانت الإجابة وكان خائفا ، كان لابد له من النكوص إذا لم يستعن بالسحر ، لقد ظن أنه سحر فشعر بقوته ومن ثم كانت حاجته إليه . وأما من الناحية الأخرى فقد كان جبانا " .

فأومأ التلاميذ برءوسهم موافقة ، وسأل (ريك) كيف عرفوا ذلك ؟ . فقال (دالى) «إن جاوين أسقط في يده عندما شعر بافتقاره إلى قوة سحرية ، وأدى تعليق (دالي) إلى أن يسأل (ريك) عما إذا كان هذا هو السبب الذي أعطى من أجله (جاوين) الكلمة السحرية ؟ فقال (دافيدسون) " بالتأكيد ... لقد كان هذا الناظر ذكيا حينما عرف أن (جاوين) كان يحتاج إلى شيء ما" .

ثم صاغ (ريك) السؤال التالي في عقله ، وهو يحس بأهميته وما الذي كان يحتاج الفارس إليه ؟ وكان يرجو أن يصل أحدهم إلى فهم مغزى الدرس وأن يتكلم ، وهنا بدا على الأولاد النشاط والاستجابة ..

انتظر (ريك) ... لم يحدث أبداً قبل ذلك أن تقدم الفصل في المناقشة هكذا.. فلماذا ؟ من الجائز أنه نجح في تدريسه ، لقد نجح في تدريسه فعلا .

"ماذا كان ينقص الفارس ..؟.. ما هي الكلمة ؟ قال (دالى) متلعثما : "ث" ولكنه لم يستطع أن يكملها فساعده (ريك) وهو يمسك أنفاسه قائلا «ثقة ، فنطق بها الولد وشعر (ريك) أن توتره و توتر الجماعة قد زال .. قال (ريك) ، إنها كذلك ... لقد كان جاوين يحتاج إلى أن يثق بنفسه أكثر من ثقته بخرافة"

إن على المرء أن يرهق نفسه في جلسة من هذا النوع ، بل وعدة جلسات قبل إمكان الوصول إلى إحساس حقيق بالموقف . والآن نتساءل

: ما هي المناقشة المفيدة ؟. هل هذه المناقشة جيدة؟ مم بتكون فن القائد ؟. لنعرض هذا السؤال الأخير على الطلبة ليجيبوا عنه ويفكروا لمدة وجيزة في مختلف أنواع المناقشة .

١. إن المال الذي قدمناه فيما سبق : مثال لمناقشة موجهة أو مناقشة تنمية ، يسير الحديث فيها على خطوط تؤدى إلى حل المشكلة ، وتتمشي مع سرعة الجماعة التي تتقدم في المناقشة عن طريق أسئلة لا تتجاوز قطة تقبل الجماعة ، وبذلك تخف الاعتراضات إلى أدنى حد. وهناك أسئلة نموذجية لهذا النوع نذكر منها:

لماذا نعتقد في هذا..؟ اذكر شيئا أكثر من هذا؟ – ماهى خبراتك؟ ماهي العلاقة بين هذا وذاك ؟ – هل يمكنك أن تعطي مثالا..؟

إن المدرس كقائد يرسم صورة لطريق المناقشة باستعراض ما قد ذكر فعلا وعن طريق تعليقاته المعتمدة على التفكير والبصيرة . وهذا على ما نعتقد هو مايقصده (ثيلين) بمبدئه الذي سماء و التوجيه عن طريق النتائج، و بمعنى آخر و نظام التغذية ، كما تستخدم هذه العبارة ديناميكية الجماعة وخصوصا في العلاقات الصناعية .

٢. وثمة نوع آخر من المناقشة ، هو الحديث المرسل وهو حديث مطلق فيما عدا أن المتناقشين يتركون وشأنهم في الانطلاق في الحديث ، ويكون دور المدرس القائد دورة سلبية لا توجيه فيه ولا تأييد من نوع الحديث الذي يستخدمه (روجرز) في علاج مرضاه بالتركيز .

وغالبا ما يكون الهدف إظهار نواحي الضغط وتذكر الأحداث التي لا يتذكر المريض إلا بعضها وإلى الكشف عن الأوهام وغيرها من البيانات عن العقل الباطن ، وإذا تركز الحديث على الجماعة ، كما يحدث في الفصول بالمدارس والكليات فإن المهمة الحرجة على المدرس هي أن يزيل الضغوط الاجتماعية عن الأفراد المستجيبين . و لسنا بحاجة إلى القول بأن مناقشات هذا النوع قليلة جدا في التدريب الجماعي لمعلمي المدارس.

٣. وقد تكون المناقشة من النوع الذي توجهه التصرفات . والهدف منها هو التعليل عن طريق إحدى النتائج ورسم خطة الهجوم، وضمان القيام بالعمل ، ومن الطرق الفعالة في ذلك طريقة تقرير الجماعة أي الموافقة العامة من المشتركين في المناقشة ، والفكرة من وراء ذلك هي أن الالتزام الذي يتم بعد مناقشة كاملة يكون أكثر تقبلا عند الأفراد ، ومن ثم أكثر إلزاما لهم كما يكون أكثر تحديداً لتصرفاتهم المستقبلة . وهنا تظهر مسألة هامة ذات معنى ، هي مسألة حكم الأغلبية إزاء الموافقة الإجماعية للجماعة . وسنعود إلى هذا عند ختامنا لهذا الفصل من الكتاب .

٤. إن معظم المناقشة التي تحدث بالفصل يمكن أن نسميها و متسلطة ، فالمدرس يعرف الجواب والمتعلمون يحفظونه أو يخمنونه . وعلى الرغم من أن هذا النوع من التعليم وهو السائد في جميع ميادين المعرفة الفنية ، إلا أنه ذو فائدة أقل في ميدان العلاقات

الاجتماعية، حيث يكون الهدف غالبا هو التأثير على المدركات ، و تغيير الاتجاهات والسلوك .

ونقطة الضعف في كثير من المناقشات التي رأيناها هي أن المشتركين في المناقشة يستجيبون الأفكار دون فهمها ، بل قد يستجيبون لهادون أن يسمعوا ما قيل . ومن الطرق الناجحة للسيطرة على المناقشة وقف حديث الجماعة لفترة وجيزة . ثم اقتراح أن يتحدث عضو عن وجهة نظره فقط ، بعد أن يذكر وجهة نظر المتحدث السابق .

كان من الممكن أن يقول (ريك) " فينلي .. أريد أن تقول ما قاله (سبيرانزا) الآن فقط ففي بعض الأحيان يحدث ألا يصغي المتحدثون أو لا يستطيعون أن يصحوا، كأن يكون كل واحد منهم لسبب أو لآخر مثقلا، بالقلق فيحس واحد مثلا أنه يجب أن يؤكد أهميته ، وأن يجعل رأيه واضحا، ويحس آخرون أنهم ليسوا محل ثقة ، أو أنهم معرضون لهجوم، فيعه لونى على صد الهجوم بهجوم.

«**الجماعة كعامل تغيير**»

يتخذ المدرسون من أنفسهم وسائل مباشرة للتغيير ، كما فعل (ريك) وهذا أسلوب طيب في التدريس كما يتضح من حالات كثيرة في الجزء الثاني من هذا الكتاب – و تبين الحالات أيضا طريقة مختلفة هي طريقة استخدام الجماعة للتأثير على أعضائها . ولعل هذه الحقيقة ، حقيقة استخدام الجماعة كوسيلة للتغيير لا كهدف له ، هي أعظم ما استحدث

في ديناميكية الجماعة بل لعلها الكشف الوحيد الذي يفيد منه المدرس .

فإذا أراد المدرس أن يستخدم الجماعات كامل تغيير ، فما هي المبادىء التي يسترشد بها ؟.. من بين المبادئ الكثيرة ، يفضل طلبتنا المبادئ إلى استخلصها (كارترايت) من بحوث في أوساط الصناعة والقوات المسلحة ، ونشاط العينات، والخدمة الاجتماعية ، والتربية والتعليم ، وهى دواسات طويلة ومعقدة لدرجة يصعب معها سردها هنا .

استخدام المجموعة كوساطة التغيير :

١. إذا كان لابد من استخدام الجماعة كوساطة نافعة للتغيير ، فإن هؤلاء الأشخاص المراد تغييرهم ، وأولئك الذين يسعون للتأثير على أحداث التغيير ، يجب أن يكون لديهم شعور قوى بالانتماء إلى نفس الجماعة .

٢. كلما كانت الجماعة جذابة لأعضائها ، زاد تأثيرها على أعضائها .

٣. في محاولات تغيير الاتجاهات ، والقيم ، والسلوك ، كلما كانت هذه العناصر مرتبطة بأساس الجاذبية عند الجماعة ، زاد تأثير الجماعة عليها .

٤. كلما زاد المركز الاجتماعي أو الأدبي لعضو الجماعة في نظر الأعضاء الآخرين ، زاد تأثيره عليهم .

٥. المحاولات التي تبذل لتغيير أفراد في جماعة أو في أجزاء متفرعة منها إذا ما قدر لها النجاح ، تجعلهم ينحرفون عن معايير الجماعة ، ولذا فإنها تقابل بمقاومة قوية.

٦. الضغط القوى لإحداث تغييرات في جماعة يمكن إحداثه بخلق تفكير مشترك من الأعضاء نحو الحاجة للتغيير وبهذا يصبح مصدر الضغط لإحداث التغيير ناشئا من الجماعة .–

٧. المعلومات الخاصة بالحاجة إلى التغيير ، وخططه ونتائج تنفيذه . يجب أن يتقاسمها كل أعضاء الجماعة.

٨. التغييرات في جزء من الجماعة تخلق أنواعا من التوتر على الأجزاء الأخرى المتصلة ، وهذه الأنواع من التوتر يمكن تقليلها باستبعاد التغييرات، أو بإحداث مواقف لإعادة التكيف في الأجزاء المترابطة.

هذه في رأينا قواعد سليمة ، وإن لم تكن قوية التأثير بالمعنى المجرد ، كما هي في التطبيق المحسوس. ولفهم هذه القواعد، يمكن أن يستخدمها الطلبة في حال الحالات المختارة بالجزء الثاني من هذا الكتاب .

ومن الطرق الناجحة في التطبيق ، الاحتفاظ بالقائمة في الذاكرة أو وضعها في متناول اليد ، ثم تطبيقها على الأحداث عندما تحدث في الكلية أو في العمل المشترك بين المدرسة والبيئة .

في ختام هذا الفصل ، نلفت نظر الطالبة إلى مسألتين تحتاجان إلى التفكير الجدى : أولاهما : هي مسألة الصراع في الدور نتيجة للبحث المذكور سالفا ، وببحث الدور الذي يقوم به قادة العمل والقادة الاجتماعيون يلاحظ (بيلز) أن من الصعب الربط بين هذين الدورين ، وهو يستمر في بحثه فيجد أن القائد الذي يركز على العمل ، ويعتمد على الأفكار ، يجد لديه فرصة سهلة للحصول على حب الجماعة في نهاية الاجتماع الأول وعند الاجتماع الرابع كانت الفرص أمامه بنسبه (١ : ١٠) ولقد شرح (سليتر) هذا الموقف على أنه يرجع في بعضه إلى :

(١) عدم مواءمته للدور . (٢) تفضيل الفرد لدور أو لآخر من الأدوار .

وهذا يسبب مشكلة للمدرسين بالفصل . إذ أنهم يختارون عادة أن يدمجوا هذين الدورين وأن ينتقلوا من واحد منهما إلى الآخر حسب ما يتطلبه الموقف .

وعندما نسأل طلابنا عن هذا اللغز تختلف آراؤهم في كيفية حل هذا الصراع فيفضل بعضهم هذا الدور أو ذاك ويتخذ البعض الآخر وضعا وسطا بينهما . وتميل الغالبية إلى تأييد آراء (كانتور) بينما ترفض الأغلبية هذه الآراء كلها أو بعضها.

ففي كتابه الأول : يعتقد (كانتور) أن مبادئ التدريس هى مبادئ

الصحة العقلية ، غير أنه يزيد على ذلك قوله " إن المدرس ليس طبيبا معالجا وليس مسئولا عن (الشخص الكامل) إنما وظيفته هي إظهار معنى المنهج الدراسي ، في ميدان بذاته ، وهو يستطيع أن يقدم الطلبة نوعا واحدا من المساعدة ، في تنمية أذواقهم ، وهي المساعدة التي يفترض أن يقدمها مدرس حساس عالم" .

ويقول (كانتور) في كتابة الثاني :

" إن المدرس ينظر إليه على أنه (شخص خارجى) أو مستشار الجماعة تتعلم ، وفي الاجتماعات ، يحدد المسائل الرئيسية للدراسة ويحتفظ بالحديث في الموضوع وهو يعكس أحيانا مشاعر الأعضاء ، كما يعكسها القائد الاجتماعي . فهو في الأصلي قائد عملي ، بحار إلى أن يجعل المتعلمين يتقبلون مسئولية نموهم العقلي والعاطفي، لا يشرك الطلبة معه في قرارات السياسة الأساسية ، لأنه يشعر أنهم غير ناضجين .

والخلاصة هي أن آراء (دولارد) و (ميلر) مقبولة من جميع طلبتنا وخصوصا من المدرسين ذوي الخبرة ونظار المدرس ، وفيما يلي بعض الآراء الأساسية عندهما.

ما يجب على المدرس معرفته وعمله

١- حرية الكلام لها هدف ، هو حماية الطلبة في أثناء بحثهم عن الصواب والحقيقة.

٢- الإدلاء بإجابات لا يوجه المتعلمون أسئلة عنها ليس إجراء تربويا ، إذ يجب أن يكون المتعلم بحاجة لأن يعرف.

٣- للشاعر حقائق أساسية في جميع مواقف المتعلم، فعلى المدرس، أن يغير الطريقة التي يشعر بها الناس ولسوف يحدث التغيير تغييرات في أفكارهم وتصرفاتهم .

٤- كافئ الطلبة على الحديث الحر الصريح ، وذلك بأن تصغى جيدا لكل ما يقولونه ، الطريقة المفضلة في الانفعال هو تشرب الانفعال، لأعكسه .

٥- كن هادئا في مناقشة المسائل العاطفية ، وحاول أن توحي بأن هذه المواقف ليست جديدة وأن أشخاصا آخرين قد خبروها ، وأنه من الممكن مناقشتها ومن ثم حلها .

٦- تعلم أن تقنن جرعة قلق الطلبة ، أي أن تحكم على نوع ودرجة التفكير الواقعي الذي يستطيع المتعلمون أن يقوموا، به زد الجرعة كلها أمكنك – أي كلما زاد الطالب نضجا .

٧- علم المتعلمين أن يواجهوا المخاطر والمخاوف التي تقابلهم على أنها مشكلات يجب حلها ، وفي بداية أي مشروع عمل ، اجمع من الجماعة شكوكها وقلقها و عدم اطمئنانها واجعل الجماعة تعيد فحص هذه الانفعالات من وقت لآخر واحذف الأشياء التي تتفق

الجماعة على أنها لم تعد حقيقية .

المواففة الاجتماعية إزاء حكم الأغلبية

تبقي بعد ذلك مشكلة واحدة ، وهي مسألة وردت في صفحات سابقة ولنبدأ بحادث يحدث أحيانا في المدرسة .

عن الديموقراطية

في أحد الأيام عندما كنت مديرا للدارس ، اندفع إلى مكتبي وفد من الطلبة ، تخطو الناظر إلى مركز الإدارة. انفجروا قائلين إن السيد (بيرجلند) ليس ديموقراطيا وسألت ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟ ..." فقالوا " لقد اقترحت جماعتنا أن نأخذ عطلة غداً وهو يقول إنا أن نستطيع ذلك".

ودار بيننا الحديث التالي :-

سألت "كيف أصبح السيد (بيرجلند) مدرسا لكم ؟.. هل أنتم الذين عينتموه ؟.. وكيف أصبحت أنا مديراً للمدارس"... وكان أحد الطلبة يعرف الإجابة فقال.. مجلس إدارة المدارس هو الذي عينكم ، قلت و وكيف اختير مجلس إدارة المدارس ..؟.. فكان الجواب وأظن أنهم انتخبوا - قلت وهل كان هذا شيئا ديموقراطيا ؟؟.. فقال أحد الأولاد ونعم أظن ذلك قلت ومن ثم ترون أن لدينا قوانين في هذه الولاية وينص أحد هذه القوانين على ضرورة ذهاب جميع الأطفال إلى المدرسة يوميا إلى أن يبلغوا السادسة عشرة .- من وضع هذه القوانين ..؟ فأجاب أحد الأولاد

والهيئة التشريعية ، قلت و وكيف اختيرت الهيئة التشريعية ..؟ فسكان الجواب أنها تنتخب .. قلت وحسنا أليس هذا ديموقراطيا . عندما يختار الناس الهيئة التشريعية لتضع القوانين و يختارون مجلس إدارة لتعيين المدرسين لتنفيذ بعض القوانين ؟.. هل يكون الدرس غير ديموقراطي إذا أخبركم أنه يجب أن تطيعوا القوانين ..؟؟ .

فكان الجواب ركلا ... لا نظن ذلك ، ثم تحولت إلى نقطة أخرى موجها الأسئلة التالية :

"ما عمركم أيها الأولاد ؟ - (وكانوا في الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة) هل يستطيع أحد منكم أن يقود سيارة ؟ (كان واحد فقط يستطيع ذلك) ، قلت (حسنا فلنفرض أنك وأربعة أولاد آخرين كنتم تقودون سيارة في شارع ورفع ضابط المرور في (لبندن) يده وأمركم بالوقوف . ثم أخذتم الأصوات فيما بينكم وقررتم أن تستمروا في المسير . هل يمكنكم أن تفعلوا هذا ؟؟."

وهذا ضحك الأولاد. لقد أدركوا ما كنت أقصده ، وقفلوا راجعين إلى فصلهم]

هذه مناقشة منطقية مقنعة وهي تقوم على التحليل الجميل ، ولكن مع احترامنا الكبير لهذا المربي الماهر فإننا نتساءل ر ماذا كان يرمي إليه ؟. ماذا كان يحاول تعليمه ؟. هل كان يرمي إلى أن يقول إن الأحرار ليسوا أحرارة وإن الحرية إنما تكون داخل حدود ؟.. وهل معنى ذلك أن في

الديموقراطية يحكم الشعب ، الشعب وعملاؤه كالمدرسين مثلا ؟.. أم أن معنى ذلك أن الديمقراطية يصعب تعليمها وتعلمها لأن إشارات التوقف التي تصنعها تشير إلى الطرف الآخر ؟ إن الأمر الذي لم يقم السيد (واشبيرن) بتعليمه أو يحاول تعليمه هو أن كل شخص له أن يحتج على قرار يعتبره غير عادل وأن يحاول بالوسائل المشروعة أن يغير هذا القرار .

إن هذه النقطة ، التي تكون عندها الديموقراطية كأسلوب للتغيير لا للتجانس ، تشكل للمربين أصعب مشكلة في عملية تعلم الجماعة ، والمسألة الحرجة هنا ، هي مسألة اعتراض الأفراد و تصرف الأقلية من حيث استخداماتها وحدودها .

والقائلون بمذهب الديناميكية في الجماعة يميلون إلى الرأي القائل بتفضيل مبدأ وضع القرارات عن طريق الموافقة الاجتماعية في الجماعة على أصوات الأغلبية وفق القواعد البرلمانية . والمبدأ الأول أكثر ديموقراطية ومن ثم أكثر تمشيا مع التقاليد الأمريكية عن الحرية ، ويسرد (كيرلنجر) هذا الرأي لينتقده .

(ويبدو أن هناك اتجاها إلى تأكيد الرغبة في الموافقة الإجماعية، في عملية وضع القرارات دون اعتبار الحكم الأغلبية ولكن المغزى من هذا النوع من التفكير في الموافقة الإجماعية هو أن حكم الأغلبية لا يتمشى معالجو الديموقراطي، وإن القرارات التي تصل إليها الجماعة بالموافقة الاجتماعية ، هي النوع و الصحيح ، من القرارات وهي التي تتلاهم على

وجه الخصوص مع الديموقراطية الأمريكية .)

والنقطة التي يدور حولها البحث الآن، يمكن إدراكها بسرعة إذا اتفقنا على أن الموافقة الإجماعية معناها الإجماع أو ما يشبه الإجماع ، لكن (كيرلنج) برى أن هذا تعسف أو على وجه التحديد أقل ديموقراطية من حكم الأغلبية البرلمانية .

وفي التطبيق تؤدى الموافقة الاجتماعية إلى كبت عام ، و إهدار لآراء ورغبات الكثيرين من أعضاء الجماعة ، كما أن ضغط الجماعة يشتد – عن وعي أو عن غير وعي – على أعضاء الجماعة حتى يشعروا بضرورة موافقتهم على القرارات النهائية ، وقد يرحب بالتعليقات والاقتراحات والآراء وهذا إجراء ديموقراطي في الواقع . ولكن الخطوة الأخيرة التي تسبق القيام بأخذ الرأي على أساس إرادة الجماعة إنما تحكمها وضرورة الموافقة الاجتماعية، وهو افتراض ضمنى بان يتفق كل واحد مع إرادة الجماعة)

وبالاختصار ، فإن نظام الموافقة الجماعية يفترض افتراضا غير حقيقي وهو التوافق التام بين ذوي التفكير الحر . ويصبح هذا الافتراض تعسفا كلما تحركت الجماعة نحو اتخاذ قرار . وعن طريق تصرفات معروفة لدى أعضاء الجماعة يمكن تفهم المعارض أنه لا يمثل الروح الرياضية مثلا ، وأن عليه أن يكون معقولا ، وأنه واحد أو أقلية ضد كثيرين . والخلاصة أن حقه الديموقراطي في معارضة الأغلبية دون عقاب يصبح موضعا للتساؤل ، بل الواقع أن هذا ليس من حقه وإن كان حرا بطبيعة الحال في أن يترك الجماعة وأن يتنازل عن عضويته لها ، أما إذا بقي في الجماعة يكون معرضا

لضغوط من جانبها .

ويتحدث (كيرلنجر) عن حكم الأغلبية فيقول (حقيقة أن الأفراد يختلفون وسيختلفون دائما على المسائل الهامة – هي الافتراض الموجود وراء تصويت الأغلبية وافتراض آخر هو أن الأغلبية ، وإن غالبا ما تكون مضللة ، لكنها في النهاية تتخذ قرارات حكيمة بشرط أن تكون هناك حرية في التعبير والتصرف في عملية اتخاذ القرارات ..... والأفراد الذين يختلفون عن قرار الأغلبية قد يسايرون القرار إلى أن يروا الوقت مناسبا لتغييره .)

فماذا يمكن أن نقرره في هذه المسألة الآن ، وأيهما أكثر ديموقراطية ؟؟ .. الموافقة الإجماعية من الجماعة أم حكم الأغلبية ؟؟ .. إن الناقد المذكور هنا يوقع عقوبة شديدة على المخالفين ، في نظام الموافقة الإجماعية ، هذا بالإضافة إلى عدم قدرة الأشخاص في النهاية على الموافقة ، ويبدو أنه ليس هناك درج بالنسبة لأي نقطة من هاتين النقطتين ، فعندما توجد جماعة تكون هناك ضغوط على الأشخاص ليتفقوا مع معايرها ، والمدرس القائد ، يستطيع إذا كان يقظا أن يبعد هذه المؤثرات إلى أجل معين هو اللحظة التي يتخذ فيها القرار النهائي . وهو يستطيع أن يدير التصرفات بوساطة وسائل الديموقراطية ، من أجل الوصول إلى أهداف ديموقراطية . ومهما كان نوع النظام فمن المحتمل أن تحدث مساومة وأن تجرى مصالحات ويصدق هذا بصورة ملحوظة حين تكون المصالح متوازنة تقريبا و حين تكون القوة موزعة.

وفي رأينا أن الاختلاف الأساسي بين النظامين هو الاقتناع بأحسن طريقة لإجراء التغيير . وفي نظام التصويت تستطيع الأقلية أن تقف إلى جانب رأيها في وجه تصرف الأغلبية ، كما يمكنها الاستمرار في المعركة باعتبارها و المعارضة المسئولة ، وهي تستطيع من الناحية النظرية أن تفعل ذلك دون عقاب، لأن هذا التصرف معروف بأنه تصرف مشروع . أي أن الثقافة تخول ذلك، أما نظام الموافقة الإجماعية ، فليس الأقلية هـ ذا الموضع المحدد الواضح ، وليس لها المركز الذي يستمتع بالحماية . وعليها أن تقبل من الناحية النظرية ، أقل مما تريد، إذا كان عليها أن تؤثر على قرارات الجماعة لأنها لا تستطيع ، دون عقاب ، أن تستمر في معارضتها للأغلبية أو لإجماع الآراء.

و بمعنى أدق يجب على أنصار أي من النظامين في اتخاذ القرارات، يجب أن يأخذوا في اعتبارهم عاملين هامين :

أحدهما: ما نسميه (مارى فوليت) " بالتفاعل الذي يخلق قيما جديدة " وهي تشرح ذلك بأنها لا تقصد الحل الوسط لان : أي الفريقين لا يتنازل عما يريده الفريق الآخر ، وفي عملية المساومة الخلاقة يحث الطرفان عن طرق التحقيق الأهداف التي يرى كل منها ضرورتها ، ومثالي ذلك ، الصراع في قطاع الصناعة بين العمال الذين يطالبون بزيادة الأجور وبين الإدارة التي ترفض هذا الطلب ، وقد يسوي الخلاف في صورة ما يعرف "بالمنافع الحدية".

وثانيهما: لم نعثر أبداً في أي شكل من أشكالي العمل المشترك بين

المدارس والبيئة على بديل الأمانة ، والمعاملة الكريمة، والكرم والاحترام الصادق للغير . خصوصا عندما يختلفون معنا، ولا تكون هناك قيمة كبيرة لأي نظام خاص باتخاذ القرارات ، مالم يقم على هذه الصفات المعنوية وغيرها من الصفات الخلقية . وهذه الفضائل ليست وقفا على واحد من النظم دون الأخر، الأعلى الموافقة الإجماعية ، ولا على حكم الأغلبية ، ولا على المساومة الحلاقة ، و يستتبع ذلك في رأينا أن الصالحين يضعون نظماً صالحة.

مشكلات ومشروعات

١- هل تحتاج إلى مزيد من التدريب في الكتابة والخطابة ؟ أعد كتابة بحث (بيلز) تقرير تقدمه لرابطة الآراء والمدرسين ، أعد حديثا يستغرق ١٠ دقائق عن هذه الدراسة الرابطة حقيقية للآباء والمدرسين أو لفصلك . اطلب من الطلبة أن يقدروا درجة لما تقدم به إليهم .

٢- هل توافق على أن إدارة الحديث ، هي الوظيفة الرئيسية للدرس .؟ ناقش هذه الفكرة مع شخصين متخصصين في التربية من خارج فصلك . حاول أن ترى إذا كان ثلاثتكم يمكن أن يتفقوا ، ثم قدم تقريرك لفصلك .

٣- تذكر نوعى القادة ، قادة العملي والقادة الاجتماعيين . أعد بحثا عن هذين النوعين تصف فيه إما طلبة أو مدرسين عرفتهم جيداً .

الفصل الرابع عشر

إدارة المدرسة و كيف جعلها ديموقراطية

إن أول وظيفة تنفيذية هي إقامة نظام للتبليغ والاتصال وصيانة هذا النظام

"شستر بارنر"

الكلمة التي اقتبسناها كطلع لهذا الفصل تمثل موضوعة قديما جداً

إن المجتمع الديموقراطي يعتمد على المنظمات الديموقراطية وخصوصا المدارس والكليات ومراكز التعليم ، يجب أن تعلم طلبتها، عن طريق حياتها اليومية التي تحياها ، ماهية الديموقراطية وعملها ومعناها، وأن تعلمهم ذلك بطريق القدوة لا بطريق الوعظ .

والسؤال هنا هو : "كيف نجعل الإدارة العليا أكثر ديموقراطية؟ حيث إن المدير في كل مدرسة هو الذي يأمر وينهى ويسير دفة الأمور ... ومازلنا في انتظار أن نرى برنامجا للعلاقات الإنسانية لا يشترك فيه مدير المدرسة اشتراكا فعليا ولا يعتمد على تعضيده .

إن مشكلات العلاقات الإنسانية في ميدان الإدارة كثيرة ومعقدة كما يتضح من الحالات التي ذكرت في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وتخصيص

فصل كامل لهذا الموضوع لا يعتبر تطويلا فسنحاول أن نلم بأشياء كثيرة نختار منها نقطا قليلة للمناقشة .

أولها : لماذا تفشل برامج العلاقات الإنسانية في مدارس التعليم العام التي فشلت فيها؟

ثانيا: هناك حاجة إلى فهم مركز قائد المدرسة (المدير أو الناظر) والصعوبة التي يعانيها

ثالثا : نأخذ في اعتبارنا طبيعة التنظيم الديموقراطى .

رابعا : نختم بسلسلة من الأسئلة التي يسألها الإداريون، هذا وسنعتمد على نتائج البحوث كما اعتمدنا عليها في كل فصول الجزء الثالث.

" لماذا تفشل برامج العلاقات الإنسانية "

لما كانت تنقصنا البيانات الدقيقة عن هذه النقطة، كان علينا أن نتمعن في التفكير فيها، وسنعتمد على خبراتنا الشخصية كمستشارين في هذا الميدان طوال السنوات العشر الأخيرة، خصوصا في عدد من البحوث التي أجريت لمؤسسة قامت بقدر كبير من الإنفاق على مشروعات العلاقات الإنسانية بالمدارس، وكانت التقارير سرية، وإن كانت نتائجها الرئيسية أصبحت معروفة .

١- إن قادة المدارس يقولون مالا يفعلون :

فقد يخطبون في اجتماعات كبيرة بالمدرسة أو للجمهور ويرحبون بأصحاب المقامات الرفيعة ويوقعون بإمضاءاتهم على نشرات إخبارية أو يقحمون أنفسهم في برامج جارية و يمتدحون ما يرونه ويؤكدون دائما أن الظروف عصيبة ويجب أن نحسن وأن نزيد في نشاطنا في ميدان العلاقات الإنسانية ، وبعض هؤلاء القادة يظهرون بمظهر الشخصية التي تسمى في مجالى آخر و الشخصية الرائعة ، وهي شخصية مهيبة تستحق من الدراسة أكثر مما لقيته حتى الآن، وإذا أردنا أن نقوم الآن بعملية متابعة لهؤلاء الأشخاص مثلا بالاقتراع المباشر وجدنا أن أثرهم ليس قويا ، ونفوذهم ليس عظيما : وحيث يكون هؤلاء القادة معروفين عند من يستجيبون لهم . فإنه ليس من المعتقد فيه أنهم يطبقون دائما ما يقطعون .

٢- ضغط العملي على مديري المدارس :

والإشارة هنا إلى عدد ساعات العمل و تنوع الأعمال المطلوبة من الناظر أو المدير وقد عملت تجربة على عينة مكونة من ٥٢ ناظرة بمدارس (ميتشيجان) في عام ١٩٥٥ ظهر منها أن الذين يعملون في مدن أكبر يكونون أقلى أنهما كاو أكثر تحكما في وقت عملهم من أولئك الذين يعملون في المدن الصغيرة و كان هذا راجعا في أساسه إلى تفويض النوع الأول لغيره في السلطة والمسئولية ولكن حتى في هذه الحالات المحظوظة كانت للأعمال المدرسية المتنوعة وللعاجلة أسبقيتها في نظر المدير أو الناظر على نشاط العلاقات الإنسانية . وفي حالات أخرى أهملت برامج العلاقات الإنسانية في المدرسة وخارجها بسبب عدم توفر الوقت لها، رغم

اتفاق الجميع على فائدتها .

٣- العلاقات الإنسانية كأسلوب للكلام :

إن ظروف الحياة المدنية الحديثة تؤدى إلى إغفال الشخصية. مديرو المدارس ينادون النظار وأعضاء هيئة التدريس وغيرهم بأسمائهم المجردة وقد يعاملهم هؤلاء أيضا بنفس الأسلوب أو أسلوب رفع الكلفة كما يقول أهل الجنوب - أما في المسائل التي تحدث كل يوم فليس هناك ذلك الود العميق الذي يجعل من الاتصال شيئا حقيقيا وتكون العلاقات الإنسانية بذلك مجرد أقوال لا أعمال ، أو مجرد شكل من أشكال حسن السلوك التي يصطنعها ذوو المراكز المحترمة .

٤- تكافؤ الضدين وعدم الكفاية الإدارية :

هناك نوع من القادة يشك في ضرورة محاولة المدرسة أن تقوم بالكثير في ميدان العلاقات الإنسانية ، و يتساءلون عن مشروعات محددة في ضوء المخاطر التي تنتج عنها - وهناك من القادة من لا يستطيع بسبب عدم خبرته أو قصوره أو غير ذلك من أسباب أن ينظم أو يدير أو يساعد على إيجاد برنامج للعلاقات الإنسانية يمكن أن يؤدي إلى نتائج ، ونحن نتهم هؤلاء القادة بأنهم ينظرون إلى مرءوسيهم على أنهم أقل منهم شأنا ومركزا . وحيث توجد هذه الحالة يكون ذلك دليلا على التفاهة التي تضر ضررا شديدا بكل خدمات المدرسة ومشروعاتها .

٥- المعارضة المنظمة وعدم الثقة .

ليس هناك من شك أن بعض برامج العلاقات الإنسانية في المدارس تفشل بسبب المعارضة القوية وعدم الثقة فيها ، وهذه المحاولات التي تبذل لتحطم أو لإعاقة نشاط العلاقات الإنسانية قد تأتي من بعض الجماعات في البيئة ، أو من شخصية ذات نفوذ فيها أو من الأفراد داخل هيئة التدريس ، ويتصل بهذه الأعمال العدوانية ما نسميه بسيطرة غير المسئولين ، ، ومعنى ذلك أن البرامج تفشل لأن المدرسين و غيرهم يرفضون الاشتراك فيها .

٦- فشل التدريب في تغيير الاتجاهات الأساسية :

إن النقطة التي تهتم بها الآن هي الخدمة التعليمية في برامج داخل الكلية أو في ورش خارجها أو في أي أشكال أخرى . والتدريب في ميدان العلاقات الإنسانية قد يتركز على أشياء غير أساسية أو قد ينزل إلى مستوى المسك بالأيدي أو تتبع كل ما يهتم به الأفراد ، وقد يهتم اهتماما كبيرة بمدارات العمل الجماعي ، وغالبا ما يؤدي ذلك إلى إغفال مشاعر المتعلم وقيمته ومعتقداته ، وتصبح الأساليب الجديدة في التعامل مع الناس أدوارا يلعبونها أكثر منها طرقا للتعبير عن المشاعر الصادقة عند القادة . ويقول (فرانك) في العلاقات الإنسانية كلها ليس هناك بديل للإخلاص والكرم والاحترام الحقيقي للآخرين ".

إن هذه النقاط الست تشير إلى بعض أسباب فشل المدرسة في

ميدان العلاقات الإنسانية . ولنستعرض بعد ذلك دراسة متصلة ببعض هذه الملاحظات وهي دراسة طيبة من دراسات علم الاجتماع .

دراسة لنظار المدارس

أشرنا قبلا إلى أن مديري المدارس و نظارها هم العاملون في مركز الدائرة الذين يتعرضون. الضغط من كل جانب . وكلمة ، الوسيط ، مأخوذة من مصطلحات علم الاجتماع الصناعي حيث تصف مركز رئيس العيال بأنه الشخص الذي يوجد بين ضغوط متعارضة هي ضغوط الإدارة من ناحية والعمال من أخرى ، ودور ناظر المدرسة يشبه ذلك من ناحية مطالب الموقف ، و البحث الذي نذكره هنا عبارة عن حلقة في سلسة من دراسات القيادة، كل حلقة منها تضيف جديدة في الحياة الجماعية سواء من ناحية النظرية أو من ناحية التطبيق .

صراع الدور أو تكافؤ المضدين

أهداف الدراسة :

الدراسات الحالية جزء من التحول العام عن الطريقة السيكولوجية التقليدية للقيادة إلى طريقة اجتماعية تؤكد العوامل المتغيرة في كل موقف . والهدف من الدراسة هو تحليل الصراع في الدور و تكافؤ الضدين كما وجد في عينة من نظار المدارس ثم شرح ما تتضمنه هذه الحالات.

يقصد بكلمة "صراع الدور" تعرض الأفراد في موقف معين لتوقعات

سيكلوجية متنافرة أو متعارضة ، أما "تكافؤ النقيضين" فهو تعبير يستخدم هنا بمعنى الجانب الذاتي الداخلي من هذا الصراع أو الصعاب التي يقابلها الأفراد في الاختيار من بين طرق بديلة من السلوك.

البيانات والوسائل :

جمعت المعلومات في دراسة النظار المدارس والمدرسين في ٢٦ مدينة بولاية (أوهيو) يتراوح عدد سكان كل منها بين (٤٥٠٠ نسمة ، ١٥٠٠٠ نسمة) واختيرت كعينة عشوائية المدن المتوسطة الحجم بالولاية. وكان عدد المديرين والنظار في المدارس الابتدائية والثانوية (٧٧) وعدد المدرسين (١٠٦٥) . وكانت الطرق الأساسية للدراسة في المقابلة واستخدام المقاييس والاستقصاءات التي أثبت الاختبار نجاحها من قبل .

النظرية والنتائج :

الصراع في الدور القيادي يمكن تحليله في ضوء مفهومين أساسيين هما : الأبعاد والأنواع والمركز الاجتماعي يعد من أبعاد الصراع ، وهذا يشير إلى التضارب بين أيديولوجية للنجاح والإجادة في الوظيفة ، وبين المساواة أو إنكار الفروق الفردية . وهذان المفهومان متناقضان كما ترى مثلا في الحالة التي تحيط بالشخصيات الكبيرة و في الاستخفاف الذي يوجه إليهم ، وربما يرى هذا بصورة أفضل في الطريقة التي يتبعها الموظفون في الوصول إلى الترقية . فهم في الوقت الذي ينتقدون فيه نظام الترقية يسعون للحصول عليها .

وثمة بعد ثان من أبعاد الصراع يتضمن السلطة وهذا معناه صدام بين قيم التواكل وقيم الاستقلال ، ويوضح (فروم) هذه المنطقة في تعليقه على هروب الرجل الحديث من الحرية فيقول وعلى الرغم من أن الحرية قد جلبت له استقلالا وإدراكها، إلا أنها جعلته معزولا ، وهذا أصبح قلقا وعاجزا وهذه العزلة لا تحتمل والأشياء التي يختار من بينها ويجابه بها هي ، إما الهرب من عبء هذه الحرية إلى نواح جديدة من التواكل والخضوع ، وإما التقدم لتحقيق حريته الإيجابية تحقيقا كاملا".

والميدان الثالث من ميادين الصراع هو صراع تنظيمى، ومن أمثلته الشائعة ، ذلك الصراع بين التزامات القائد نحو الأصدقاء والتزاماته نحو المجتمع ويقصد بالأخيرة مسئولياته نحو تسيير المنظمة ونحو خدماتها للناس ونحو اقتصادياتها وما شابه ذلك .

ورابعا أن صراع الدور له بعد ربط الوسائل بالغايات ، والكثير مما كتب في دينامية الجماعة يوضح اهتماما بهذا الصراع من حيث تركيزه على عملية الجماعة وعلى نتائجها . فالقائد الذي يهتم بالنتيجة بمعنى الانجاز قد يشعر بإهمال في العملية في صورة هبوط في الحالة المعنوية للجماعة .

ومن أنواع صراع الدور الذي تجد هذه الأبعاد تعبيرا لها فيه ، اتفاق جماعة المعايير وهي المدرسون في هذه الحالة على أنواع سلوكية يجدها القادة صعبة التحقيق في ظل ظروف المنظمة أو المعهد. و نكتفي هنا بذكر مقال بارز واحد لهذه النقطة.

طلب من المدرسين أن يضعوا تقديرات لمديري المدارس ، على أساس قياس البعد الاجتماعي ودرجة علاقاتهم غير الرسمية بالمدرسين ، ثم ربط بين هذه التقديرات و بين الزيادات التي كانت تمنح لمرتبات هيئة التدريس ، فكانت النتيجة علاقة معامل ارتباطها ٠.٤٠ موجبة وذلك في المدن الست والعشرين بين عزلة قائد المدرسة والزيادة في مرتبات المدرسين في فترة ثلاث سنوات ، ولما كان المدرسون يستنكرون عزلة المشرف وبطبيعة الحال يوافقون على الزيادة في مرتباتهم فإن قائد المدرسة يكون في مركز يتوقع منه عملان لا يمكن أن يتم شيا سويا ، كما قال أحد المديرين .

ونقتبس شيئا آخر ما قاله هذا المدير و أنت لا تزور فصول مدارس بانتظام لأنك مشغول الدعاية لمشروع الضرائب التالي ، ذلك الأمر الذي لا ترتضى له أن يخذل، بل يجب أن يمر في المجلس التشريعي ، ومن ثم فأنت لا تعرف ماذا يجري في الفصول ".

والمدرسون يعرفون أن مشروع الضرائب يجب أن يمر ، وأن مديري المدارس يجب أن يعملوا بجد في العمل المدرسي ، ومع ذلك فهم لا يدركون عبه ذلك على الصحة العقلية والصحة الجسمية ، إن إدراك أن للنجاح، ضريبته ليس مجرد تأمل أن الشعور بالضغط الكبير و التوتر الشديد الذي ينشأ عن تجمع مطالب المدرسة والبيئة وهي غالبا ما تكون متناقضة ، يشغل جانبا كبيرة من أوقات مدير المدارس .

والمعلومات التي ذكرناها من قبل توضح بعدين من أبعاد الصراع التي أشرنا إليهما، وهما البعد الخاص بالمركز الاجتماعي والبعد الخاص بالصراع بين الوسائل والغايات . أي أن المدرسين يعتبرون الغابات الاقتصادية والوسائل الأساسية للجماعة "كعلاقات الود والاتصال الشخصي" سلعا في الوضع التنظيمي الذي يتوقع فيه من المديرين أن حققوا كلتا الناحيتين ولكنهم يجدون صعوبة في تحقيق ذلك .

ونوع آخر من صراع الدور يتضمن الخلاف داخل جماعة المعايير ، وقد جمعت المعلومات عن هذه النقطة في عشرة أسئلة إجبارية واختيارية وضعت لخمسمائة مدرس ، وكان أحد هذه الأسئلة : (هل يجب على المدير المثالي أن يدعو أعضاء هيئة التدريس إلى بيته في المناسبات الاجتماعية ؟.. وثمة سؤال آخر هو : هل يحق له أن يكون حرا في مناقشة مشكلاته الشخصية مع المدرسين ؟؟ .. وكان المطلوب في الإجابة أن تكون "نعم" أو "لا".

وفي كلا السؤالين كانت أصوات المدرسين تنقسم في اختلافها الشديد مع مجموعة المعايير بنسبة (٦٠ إلى ٤٠) و تعكس الإجابات المذكورة الصراع في البعد التنظيمي في دور مدير المدرسة ، ويتركز رضا المدرس وسخطه بالنسبة لهذه المسألة ، فيما إذا كان المدير ينحرف في علاقات شخصية ومحسوبية إذا تجاوزت علاقات مدرسية حدودها الرسمية غير الشخصية التي يفرضها منصبه .

ومن الأسئلة الإجبارية الاختيارية، كان هناك سؤال عن وضع المركز الاجتماعي في صراع الدور ، فقد سئل عما إذا كان على المدير أن يتصرف بصفته رئيس اجتماعات الجماعة كلها (المدرسين واللجان) وقد أدلى المدرسون بأصواتهم فكانت النتيجة هي (٦٣٪ نعم) و (٣٧ % لا) .

ولم يكن واضحا بين نظار المدارس الذين أجريت لهم الاختبارات الشخصية إدراك هذه الاختلافات بين المدرسين حول ما يجب أن يكون عليه أو يفعله المديرون بل كانوا في معظم الأحوال يجيبون في معظم الحالات . إجابات تهريبية ، كأن يقولوا مثلا : إن الديموقراطية تسمح بوجود خلافات كبيرة في الرأي .

وثمة نوع ثالث من صراع الدور يتركز على عدم الاتفاق بين مجموعات المعايير حول دور المدير ، وهو مثل السلطة ، ومن ثم كان التباين بين المدينين ومره وسيهم في التعريف بدور المدير .

ولقد سئل المديرون والمدرسون ثلاثة أسئلة :

(١) حين يكون نجاح أو رسوب الطالب أمرا مشكوكا فيه فهل تظن أن المدير المثالي يجب :

١- أن يترك أمر التصرف للمدرس .

٢- أم يأخذ على عاتقه مسئولية اتخاذ القرار النهائي .

(ب) هل يجب على مدير المدرسة المثالي أن يحل مشكلات المدرسة.

ا- بأكبر قدر من القيادة الشخصية ذات الكفاية .

٢- أو بأكبر قدر من اشتراك هيئة التدريس في وضع القرارات .

(ج) هل يجب على مدير المدرسة المثالي :

ا- أن يشارك بآرائه في مناقشات الجماعة كما يفعل غيره من أعضاء الجماعة .

٢- أو هل يكاشف الجماعة من البداية بآرائه في موضوع المناقشة في هذه الأسئلة . تحدد إحدى الإجابات البديلة (ا- ٢، ب-١، ج-٢) دور القائد بطريقة مباشرة و بمعناه الصحيح وتحدد الإجابة الأخرى هذا الدور بطريقة غير مباشرة ، وأكثر ديموقراطية .

- أما بالنسبة للسؤال (١) فقد كانت ٤٠% من أصوات المديرين ترى أن يترك القرار للمدرس مقابل ٪٨٠ من أصوات المدرسين .

- وفي السؤال (ب) اختاره . من رؤساء المدارس مقابل ١٧./ من المدرسين ،قيادة شخصية ذات كفاية .

- وفي السؤال (ج) اختار حوالى ٧./ من المديرين و نسبة لا تقل عن ٢٠. من مره و سهم د مكاشفة الجماعة من البداية .

إن جميع عناصر القياس ترتبط بعض الارتباط بتوزيع المسئولية ، ومن ثم ترتبط بعد التواكل والاستقلال. وفي بعض الأحوال ، يكون رأي الأغلبية في الفئتين (مديري المدارس والمدرسين متناقضا ، إذ يطلب المدرسون مسئولية أكبر مما يستطيع .در والمدارس أن يمنحوها

لهم . وثانيا ، و حتى في حالة وجود موافقة من الأغلبية ، فإن أقلية لها أهميتها من المدرسين تطلب أن يؤكد المديرون سلطتهم في بعض المواقف بينما ينكر عليهم تلك السلطة مدرسون آخرون . وثالثا – شكا مديرو المدارس في المقابلات الشخصية من أن مجهوداتهم التي يبذلونها التحقيق الإدارة الديمقراطية كان يعوقها المدرسون الذين لا يريدون تحمل المسئولية التي تتصل بوضع القرارات .

تكافؤ النقيضين عند رؤساء المدارس :

إلى هنا نكون قد عالجنا صراع الدور من الخارج. فهل هناك دليل على أن مديري المدارس أنفسهم يكشفون عن أنواع وتكافؤ النقيضين ، في داخلهم التي قد تنشأ عن هذا التناقض والتضارب في دورهم. هناك من الأدلة القوية ما يؤكد ذلك.

فمثلا فيما يتعلق بالبعد الخاص بالمركز الاجتماعي ، أنكر أحد المديرين أهمية هذا المركز، غير أنه عاد فوافق عليه ، وبهذا ناقض نفسه، ففي الشطر الأول من المقابلة ، قال ، في سياق كلامه عن مركزه كرئيس المدرسة :

" إنه يحمل في ثناياه هيبة اجتماعية ومهنية كبيرة تروعني أحيانا . صحيح أنني حاز على درجة والدكتوراه ، ولكن مما يضايقني أحيانا أني لا أستخدم هذا اللقب في وصف نفسي ، على حين أنهم (أي المدرسين) يحرصون على استخدامه ، وأن ما يضايقني في ذلك ، هو أن هذا اللقب ليس مهما بالنسبة لي شخصيا وأنني لأشعر بارتباك كبير بين الحين والحين كلما اجتزت هذه التجربة ، ذلك أن المدرسين يفضلون أن أكون في الطليعة ، وهذا ما لا أريده على وجه الخصوص".

ويكشف هذا التعليق عن ميل إلى التقليل من أهمية المركز الاجتماعي والتهوين من شأنه ، غير أنه حدث بعد ذلك عندما طلب إلى المدير أن يتحدث عن (الأشياء الإيجابية) المرتبطة بوظيفته ، قال في تعليقه :

"عندما أفكر في هذا ، أجد رضاء كبيرة بسبب هيبة المركز الاجتماعي التي تنطوي عليها وظيفة المدير في هذه البيئة ، ولقد أدهشني كثيرا ، كيف أن مجرد كلمة تقال هنا أو هناك تعني الشيء الكثير ، سواء أكان ذلك في إدارة المصانع أم في دوائر الأعمال ولكم شعرت برضاء كبير من هذا" .

وكان تعليق مدير آخر هو :

"في وسعك أن تقف منهم موقف المساواة إلى حد كبير، وأن تكون صديقا حميما للمدرسين "

وقال آخر :

" إني أعنى أنهم (أي المدرسين) يشعرون بأنك رجل كهل من الطراز العتيق ، إذا أنت ظهرت بمظهر من تحثهم بالسوط أو بمظهر من يضع لهم القواعد، فهذا أمر يسوؤهم ويضايقهم.

وفيما يتعلق ببعد السلطة ، كان هناك تناقض أيضا . فقد قال أحد مديري المدارس ما يلى :

"إنك لا تكشف عن قدر كبير من القيادة إذا أنت جعلت من نفسك تابعا لا متبوعا ، فمما لاشك فيه أن خبراتك خليقة بأن تدربك على أن تكون لك وجهة نظر خاصة قوية ، تعصمك من أن تكون متأثرا بوجهة نظر الجماعة ، على أن هناك الجانب الآخر من الصورة بطبيعة الحال ، فوجود عقلين أو ثلاثة أو أربعة يقرر وجهة النظر ، إذا كانت عقولا قادرة قوية" .

وفيم يتعلق بالبعد الخاص بالوسائل والغايات ، عبر بعض رؤساء المدارس عن «تكافؤ النقيضين ، بينما عبر البعض الآخر عن تمسك قوى بضرورة سلوك مسلك . القائد الحق ، فقد قال أحدهم :

"بوسعك أن تدرك أنك تستطيع أن تقودهم (أي هيئة التدريس) إلى المكان الذي يمكنهم منه أن يروا الأشياء على النحو الذي تريدهم أنت أن يروه... إنك تعرف أنك أنت الذي تعين لجانك ... وأن لديك أشخاصا

أساسيين يستخدمهم رؤساء اللجان ... وهؤلاء الرؤساء يشاركونك إلى حد كبير نفس الشعور .. وأنت تستطيع على الأقل، أن تناقش الأمر معهم ، فأنت تقود اللجنة عن طريق رئيس اللجنة الذي تعينه" .

وهكذا دل البحث الإحصائي على أن ترتيب المديرين والنظار جاء من ناحية وتكافؤ النقيضين ، دون ترتيب هيئة التدريس ، ذلك أن الصراع الذي يشعرون به فيما يتعلق بأفكارهم الخاصة عن دور القائد ، أخف وطأة ما يشعر به المدرسون فيما يتعلق بتعريفهم لمضمون " دور القائد".

تضمينات

وبوجه عام ، فإن هذه الدراسة توضح ثلاث نتائج رئيسية ما تزال في حاجة إلى مزيد من التحقيق ... أما النتيجة الأولى : فهي أن مديري المدارس موضوعون في مركز يكمن فيه بالضرورة، صراع داخلي ، وهو صراع يلازم دور القيادة الذي يضطلعون به .

... والنتيجة الثانية : هي أن المدرسين – والجمهور – يتطلبون من هؤلاء القادة أن يكشفوا عن دورهم القيادي بوضوح أكبر من ذلاك الذي يملك المدرسون والجمهور الكشف عنه .

... أما النتيجة الثالثة : فهي أنه على الرغم من كل مدير أو ناظر لديه طرقه الخاصة في تجنب الصراع أو حسمه ، فإن قدرا كبيرا من هذا الصراع أمر لا مفر منه ، ومن الضرورى م–كابدته ومواجهته ، وهذا أمر

له ثمنه ، وخاصة فيما يتعلق بالصحة العقلية للفرد الذي يكابده ويواجهه.

هذا و ينبثق من النتائج الثلاث السالفة ، سؤالان على الأقل ، يحتاج كل منهما إلى بحث حاسم نهائي ... أما السؤال الأول فهو : ما عسى أن يكون هناك من فرق فيما يتعلق بحالة المدرس المعنوية وكفاية المدرسة وما شاكل ذلك من أمور ، إذا ، كان ناظر المدرسة مدركا لضغوط المدرسة والبيئة عليه ، وعمد على ضوء ذلك ، إلى الأخذ بأساليب خاصة من شأنها تسوية المشكلات وحسمها ".

إن الظن الغالب هو أن مديري المدارس يختلفون فعلا في هذه النواحي، الأمر الذي يجعل السؤال الفعلي متعلقا بنتائج نواحي الاختلاف هذه .

... أما السؤال الثاني فهو : في ميدان العلاقات الإنسانية الإداريين والمدرسين — ما هى أنواع التدريب التي من شأنها أن تؤدي إلى تغييرات مثلى فيما هو شائع الآن من صراع داخلي وارتباك ؟... من الواضح أنه لن يكفي ، في هذا الصدد أي نوع ضيق النطاق من التدريب على المهارة في حقل العمل الجماعي.

إن المدرسين ذوي الخبرة ونظار المدارس يحبون هذا البحث بالذات ، ومرجع ذلك أنه يقدم لهم إطاراً واسعة من المعلومات ، يستطيعون أن يضعوا فيه عددا من اهتمامات عملهم ، كما أنه يتعمق في الحقائق إلى مدى أكبر بكثير مما يتيح لهم قدر كبير من البحوث الأخرى عن الدور

الإداري . إن المدرسين والمدرسات ليسوا بحاجة إلى الوعظ أو الملق ، بل يريدون أن يحصلوا على المعلومات الصحيحة ، والتوجيه السديد . والواقع أن المدرسين الذين يطمحون إلى أن يشغلوا منصب ناظر المدرسة يحفزهم ذلك في الغالب إلى أن يعيدوا النظر إلى مطامحهم . والأمر الذي يحتاج إلى أكبر قدر من التفكير – بصفة عامة – هو إدراك ما إذا كانوا ، من ناحية المزاج والتدريب ، قادرين على احتمال التوترات التي يبدو أنها تكمن في العمل الإداري.

« **التنظيم الديموقراطي** »

تروى بهذه المناسبة قصة متجر عام في قرية من قرى ولاية (فرمونت) اعتاد المصطافون أن يقصدوه ، وهو في الواقع كنز لا يفني من السلع العديدة المتنوعة ، ففيه يجد المرء وصيادات الفئران ، جنبا إلى جنب مع الأحذية ذات الرقبة الطويلة ، والحلوى والشيكولاتة مع الجوارب الصوفية والقمصان الصوفية المخططة قابعة وراء منضدة البيع إلى جانب اسطوانات و الموسيقى واللوحات الملونة المطبوعة . والواقع أن صاحبة المتجر ، كانت تملك من الحكمة والكياسة ما جعلها لا تحاول التخفيف من هذا الخلط العجيب ، ذلك أنها كانت تدرك أن الناس يحبون التنقيب والبحث بين أكوام هذه السلع غير المتناسقة . لقد كانوا يحبون أن يبحثوا هنا وهناك ، يجربون حظهم ثم يعلنون في فرح بصوت مرتفع أسماء ما عثروا عليه من سلع.

هذا ما كانت تفعله صاحبة المتجر الحكيمة . أما نحن فنلوم في بعض

الأحيان طلابنا على ميلهم إلى عدم التزامهم للنظام ، ونلومهم على افتقارهم إلى الاهتمام بالقواعد الأساسية المتعلقة بالتنظيم الإداري ، وأنهم يمسكون بناصية التفصيلات المتعلقة بقانون مدرسي معين مثلا ، أو بحل مشكلة صغيرة تتعلق بجدول الدراسة . أو كيف يتجنبون خطر حريق مفاجئ ،. وأنهم يغرقون أنفسهم في التفصيلات لكي يتنصلوا على نحو ما نظن نحن بهم – من التفكير الشامل الواسع الأفق . وليس هذا من قبيل الاستخدام الطيب للوقت ، لأن والخصائص النوعية ، الناتجة عن التصنيف النوعي ، إنما تصبح ذات معنى وربما تصبح أقل بداهة ، عندما تصاغ في شكل مبادئ وقواعد أساسية . فمثلا:

١– " لماذا يجب أن يكون هناك تنظيم مدرسي من أي نوع؟، إن أكثر الإجابات شمولا في هذا الصدد من المحتمل أن يكون ما ورد بالكتاب المقدس (العهد القديم)، في سطر . الخروج (٨ : ١٣ – ٢٦).

التفويض بالسلطة

" جلس موسى ليفضي إلى الشعب – فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء . فليا ورأى حمو موسى كل ما هو صانع ... قال له : ليس جيدا الأمر الذي أنت صانع . أنك تكل نفسك و هذا الشعب الذي معك جميعا . لأن الأمر أعظم منك. لا تستطيع أنت أن تصنعه وحدك. الآن اسمع لصوتي فأنصحك . فليكن الله معك . كن أنت للشعب أمام الله . وقدم أنت. الدعاوى إلى الله . و علهم الفرائض والشرائع ، وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه .

وأنت تنظر من جميع الشعب ذو قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة و تقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خمسينات ورؤساء عشرات فيقضون للشعب كل حين . ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها . وخفف عن نفسك فهم يحملون معك . إن فعلت هذا الأمر و أوصاك الله تستطيع القيام به . وكل هذا الشعب أيضا يأتي إلى مكان بالسلام" [١]

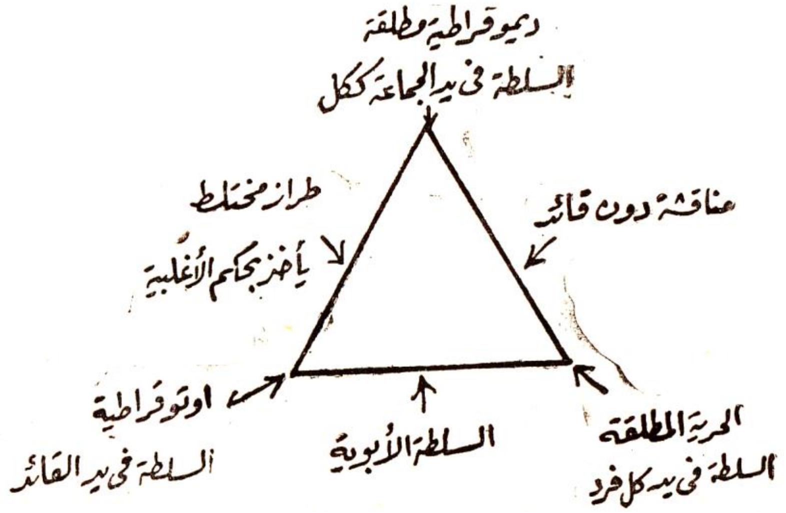
إن على المرء أن يقرأ هذه الكلمات بصوت عال وأن يمعن النظر فيها ، إن شاء الله ان يتذوق قوتها الكاملة . إن السبب الذي من أجله يوجد التنظيم هو إنجاز العمل ، إنجازه محكمة وعدل و اقتصاد . فالطاقة البشرية محدودة والواقع أن كونها محدودة هي الصفة المميزة للحياة البشرية . وهناك أشياء كثيرة يجب أن تعمل ، دائما وإلى الأبد ، فما الذي يجب إنجازه من عمل ؟ ومن الذي يضطلع به ، وكيف ، وعلى أي مستوى من مستويات الكفاءة ؟ .. إن التنظيم هو طريقة وصف العناصر التي يبني منها الجواب ، أو هو صياغة هذه العناصر في بناء وظيفي .

٢- ما أنواع التنظيم المدرسي الممكنة ؟

لو أن المرء منا حاول مرة أخرى أن يجيب على هذا السؤال بشكل عام واسع لوجد أن الرسم البياني الذي وضعه كيرت (ليوسين) وعدله (ماير) حافزا قويا إلى زيادة التفكير .

---

(١) هذه الترجمة نقلا عن الطبعة العربية للكتاب المقدس (العهد القديم)



(
شكل ٧٠) أنماط من تنظيم الجماعة تقوم على موضع السلطة

(شكل ٧ أنواع التنظيم الجماعي بحسب الموضع الذي تتركز فيه السلطة)

والواقع أن هذا الشكل (شكل ٧) غني عن الإيضاح والشرح ، فهو يشير إلى مكان وجود ثلاثة أنواع بحتة و ثلاثة أنواع مختلطة من التنظيم المدرسي . وليس من العسير ، على الإطلاق . على الإداريين ذوي الخبرة بالمدارس أن يصوروا بعض هذه الأنماط من واقع خبراتهم الخاصة ، التي يأتي بعدها السعي إلى الوقوف على مبادئ ونظريات نهائية .

٣- وابتغاء التوصل إلى الصورة الأوسع ، يجب أن يوجه سؤال ثالث : هو : رأي نوع من أنواع التنظيم المدرسي أفضلها جميعا ؟ وهنا يجب أن نلاحظ أن هذا السؤال يختلف عن السؤالين الآخرين السابقين ، فالسؤالان السابقان كانا متعلقين بالمعلومات الإحصائية ، هذا على حين

أن السؤال الذي نطرحه الآن ينطوي على التقويم أو تقدير حقيقة التنظيم
.

ولقد أجاب أكثر من ثلاثة أرباع العدد الكبير من المدرسين الناشئين الذين وجه إليهم هذا السؤال، أجابوا عليه بكلمة واحدة هي " الديموقراطي " وعندما طولبوا بأن يقدموا السبب الرئيسي الوحيد لهذا الاختيار قال ستة من كل عشرة منهم "لأننا نعيش في دولة ديموقراطية" كما لو كان أي جواب آخر من قبيل مالا يدركه العقل ... أما الباقون فقد ذهبوا إلى أن أفضل أنواع التنظيم المدرسي هو ذلك الذي يكفل إنجاز العمل المدرسي بأكبر قدر من النجاح . وهؤلاء ديمقراطيون إلى أبعد ما في وسعهم من ناحية ما عرض لهم من مصاعب وهم يضطلعون بتعليم الصغار.

أسئلة يسألها الإداريون

حدث في إحدى المناسبات ، أن دعونا مديري المدارس إلى أن ينسحبوا من الفصول الكبيرة المختلطة التي تدرس فيها العلاقات الإنسانية وأن يلتقوا في جلسات تعقد للمجموعات صغيرة ، ولقد نظمت حلقات البحث هذه في شكل أسئلة يفترض أنها موجهة من الطلاب . والحق أن هذه الأسئلة هي خير وسيلة ممكنة للتوصل إلى منطق الإدارة المدرسية الديموقراطية .. وإليكم نماذج من هذه الأسئلة .

١- إنك تتكلم عن "الديموقراطية" و "الكفاءة" أليست الكلمتان

كالكلاب والقط ، عدوين طبيعيين ؟ وإذا كانتا ، على النقيض من ذلك تتمشيان معا ، فكيف الجمع بينهما في الإدارة المدرسية السليمة ؟

نعم كيف يمكن الجمع بين وضع نظام خاص لتغذية المرضى من ناحية والتمرينات الرياضية من ناحية أخرى ؟

وكيف يمكن الجمع بين التمرينات الرياضية من ناحية وقواعد النوم الصحيح من ناحية أخرى ؟ وكيف يمكن الجمع بين قواعد النوم من ناحية والعمل من ناحية أخرى ؟ وكيف يمكن الجمع بين كل من العمل و الراحة حيث نظل بصحة جيدة ؟

الواقع أننا لا نعرف أي . قاعدة ، لهذا ، ولا نعرف أي نصيحة سوى أن نحتفظ بتوازن معقول . وأن نصحح نواحي الفشل عندما تصبح واضحة ، وأن نتعلم كيف نعيش في إطار الحدود المفروضة علينا . ولكيلا يحكم على كلامنا هذا بأنه جواب مراوغ يهدف إلى الهروب ، نرى أن هناك ثمة حاجة ضرورية إلى كلمة أخرى :

إن الكفاءة – على ما نعتقد – معناها أن رئيس المدرسة عليه أن يحقق أكبر قدر من النتائج بأقل تكاليف من المال ، والجهد والوقت . فالديمقراطية معناها :

أولا : أن رئيس المدرسة عليه أن يحقق ، بقدر ما يكون ذلك متمشيا مع الصالح العام .. حاجات ومصالح جميع أفراد المدرسة .

ثانيا : أن هؤلاء الأشخاص يجب أن تتاح لهم فرصة الاشتراك في القرارات التي تؤثر فيهم.

ثالثا: أن استخدام رئيس المدرسة للقوة يخضع للمراجعة ، لأنه إنما يحكم – فقط – برضاء الذين يحكمهم .

وإذا كان هذا هو التعريف الذي ارتضيناه ، فإننا نجد فيه صراعا بين الكفاءة والديمقراطية . فالناس الذين بالمدرسة هم قبل كل شيء بشر ، منهم المبذرون ، ومنهم المفتقرون إلى المعلومات. ومنهم سقيم العقل والبدن ومنهم المستهتر .. وهؤلاء ، قد يضعون الصالح الشخصي أولا ، أو يقدمون مصلحة جماعة بذاتها على حساب الصالح العام . وبطبيعة الموقف يجب أن يكون هناك من يدرس العمليات كلها وأن ينظمها ويقودها . فإذا كان هذا الشخص ديموقراطيا ، اقتسم مع غيره. وبأقصى حد ممكن تلك السلطة الممنوحة له .

ولكي نربط بين الأفكار التي هي موضع هذه الدراسة يجب أن نعقد الأولوية لإحدى هذه الأفكار. ونحن نرى أن التنظيم الديموقراطي هو الغاية والهدف بالنسبة للإدارة المدرسية على أن تكون الكفاءة هي الوسيلة . فإذا حدث رغم ذلك ، أن سأل رئيس المدرسة أول كل شيء- ما هى تكاليف نوع ما من الخدمات أو برنامج من البرامج؟ بدلا من أن يسأل : ما مدى إسهام هذا البرنامج في الحياة الديموقراطية داخل البيئة المدرسية ؟

إذا حدث شيء من هذا القبيل ، كان في ذلك ما يدل على أن

العلاقة بين الوسائل والغايات السالفة الذكر قد قلت رأسا على عقب .

والحق أن السؤال معقد و يستحق مزيدا من الحديث .

٢- من الناحية القانونية ، يكون الناظر مسئولا عن المدرسة ، ويكون المدير مسئولا عن سلسلة من المدارس ، فهل يستطيع أي واحد منهما أن يسلم سلطته إلى هيئة تدريس أو لجنة أو فرد ؟.. إن قدرا كبيرا من التفكير غير المترابط يدور في مدرستي حول هذا الموضوع .

إن ناظر المدرسة يستطيع ، وهذا ما يفعله في الواقع – أن يفوض فعلا سلطته لغيره ، وفي الحقيقة أن فرض الواجبات دون إعطاء سلطة تنفيذية هو من قبيل الإدارة السيئة . ومع ذلك فإن هذا المسلك لا يعني الناظر من مسئوليته أمام مجلس إدارة المدرسة وأمام الجمهور ، نعم إن هذا أن يعفيه – إذا ما فكر المرء بمزيد من العمق في مسئوليته أمام هيئة التدريس بمدرسته ، وأمام الطلبة الذين يخدمهم المعهد الذي ينتمون إليه . وفي التحليل النهائي ، فإن النظرية التي تضعها في هذا الشأن هي أنه يجب على رئيس المدرسة أن يبرر مسلكه أمام ضريره ، يجب أن يكون ، بكل معنى الكلمة ، رجلا يحترم مهنته و يحبها ، شخصا يكرس نفسه لأرفع المثل العليا في الأخلاق وفي الخدمة العامة. نعم يجب عليه أن ينطوي قلبه على حبه لرفاهية الناس جميعا .

٣- لماذا لا نحكم ببساطة بمقتضى قاعدة الغالبية ؟ لماذا لا نضع تنظيم المدرسة و إدارتها في أيدي مدرسي المدرسة أو هيئة التدريس والطلبة

معا ؟ ليقرروا عن طريق الاقتراح ، ما يريدون أن يعملوه .

إن هناك طرقا كثيرة للتهرب من مسئوليات القائد ، والكلام الذي ورد في السؤال السالف هو ضرب ساذج من ضروب هذا التهرب . وفي وسع القارى – إن شاء – أن يستعيد ما قيل في الفصل السابق عن الموازنة والفرق بين الموافقة الإجماعية إزاء حكم الغالبية . والواقع أن النقطة الحقيقية في هذا السؤال تمتد إلى سؤالين آخرين يحسن بنا أن نثبتهما هنا.

٤– هل يجب على بصفتي مديرا للمدارس أن أمثل هيئة التدريس في مجلس الإدارة ... أو العكس ؟ وهل يجب على أن أمثل البيئة لدى المدارس والمدارس لدى البيئة ؟

فإذا كانت وظيفتي هي حقيقة وظيفة و الوسيط ، فكيف أستطيع في ضوء كل هذه الاعتبارات أن أعصم نفسي من التمزق بسبب ما تعرض له من تنازع بين الطرفين ؟

٥– إن هذه المدينة منقسمة إلى شيع بسبب جماعات الضغط التي تتبادل الشد والجذب فيما بينها ، وفي المدارس أيضا . فكيف يمكن المدارس أن تضطلع بعملها في ظل ظروف كهذه ؟ ومتى يصبح في وسعها أن تتحرر من كل ضرب من سيطرة أصحاب المصالح الخاصة؟

أننا نعتقد أن المدارس العامة لا تستطيع مطلقا أن تتحرر من سلطان

الصالح العام ورقابته . بل إنه لمن الواجب عليها ألا تتحرر من ذلك السلطان اللهم إلا إذا كنا نخطئ فهم النظرية الأساسية التي تقوم عليها التربية الديموقراطية . والواقع أن الوقت الذي يجدر برئيس المدرسة أن يستشعر فيه القلق ، هو ذلك الوقت الذي يكف فيه الجمهور – مثلا في المتحدثين بلسان الجماعات المختلفة – عن محاولة التأثير على مجلس الإدارة والقرارات الأخرى . نعم ، فن وجهة نظرنا نحن ، نريد جمهورايهتم بمدارسه ، غير أن المسألة بكل صراحة معقدة وقد يختلف المفكرون الأمناء في آرائهم النهائية .

إن مجتمعنا كبير وآخذ في الكبر على مر الزمن . والكبر بلد كبرا، أي أن له تأثيرا مضاعفا و متزايدا . فكلما زاد تعداد السكان مست الحاجة أولا إلى علوم حساب الأعداد و علوم تحديد و توصيف مصادر الثروة .

وثانيا يؤدى الكبر إلى تغيرات مستمرة في جميع أوجه حياة الجماعات . كما أن هذا الكير يؤدى في ظل ظروف متطرفة إلى قيام نظم بيروقراطية خطيرة الشأن ، يكون من الصعب جدا في ظلها الارتفاع من القاع أو من – داخل إطار الرتب ذاتها – إلى السلطة العليا .

والعلاج المألوف هو خلق إدارة جديدة أو مصلحة جديدة أو وكالة جديدة أو مكتب جديد يضطلع بمهمة تنظيم حياة الجماعات ، وبالطبع فإن نتيجة ذلك تتمثل في زيادة حجم التنظيم وتعقيده .

والمشكلة أو هكذا يخيل إلينا ، ليست متمثلة في كيفية التخلص من

البيروقراطية الاستبدادية، لأن هذا أمر مستحيل تماما . وإنما المشكلة الحقة هي كيف نقلل من عيوب البيروقراطية عن طريق الرقابة الديموقراطية .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما هو مستقر في الأذهان من أن الناس يختلفون، وأنهم يملكون حق التنظيم من أجل تحقيق مصالحهم ، إذا كان ذلك كذلك نكون قد أتحنا لأنفسنا أساسا نقيم عليه التفكير في الدور الذي يضطلع به رئيس المدرسة .

ولكي نكمل ما بدأناه ، نقول إن المضطلع بالإدارة ليس مجرد مدير . فالمدير يدير شيئا ما أسرة أو مستشفى أو عملا ، أو صناعة ، أو مدرسة . ولكن ما هي المدرسة ؟ إنها كائن عضوى، إنها السكان ذاتهم ، إنها عالم ثقافي قائم بذاته ، إنها عملية كاملة من المعلومات والعلل وردود الفعل المرتبطة ببعضها البعض ، إنها موضع اهتمام أولياء الأمور والجمهور . فالمدرسة حتى لو كانت صغيرة جدا ، تمثل أشياء كثيرة . إنها فوق كل شيء ، تنظيم سياسى بكل ما تعنيه الكلمة من معنى : إنها حقل للقوى ، إنها كفاح لتنظيم العلاقات الإنسانية ، والممارسة التأثير ، كل ذلك بقصد بلوغ هدف مائل للعيان ألا وهو تنمية عملية التعليم والتعلم وتوسيع نطاقها.

والآن ما هي الوظيفة الجوهرية التي يضطلع بها رئيس المدرسة ؟ إذا تأملنا أي نظام اجتماعى تحدد فيه أدوار الأعضاء تبعا لمصالحهم ، وتنظم فيه الجماعات ابتغاء إشباع حاجاتهم ... إذا تأملنا أي نظام من هذا

القبيل، وجدنا فيه بالضرورة – شخصا ما يتعين عليه أن يتصدى لتحقيق الخير العام أو الصالح العام . ونحن نعتقد أن البحث عن هذا الصالح العام والسعي إليه هما المسئولية المحورية التي تقع على كامل الشخص الذي يضطلع بالإدارة . ومن المرجح أن سلوكه يتسم بطابع الموازنة بين وجهات النظر المتباينة ، ووضع مقاييس الأداء ، ومراجعة تكاليف وحدات العمل، و تبليغ البيانات إلى مجلس الإدارة والجمهور والحصول على تأييدهم الفعال . ويمكن التعبير عن هذا كله باختصار أكثر بأن نقول : إن مهمة القائد هي أن يقود.

وإذا قيل في معرض المناقشة إن المصلحة العامة عبارة غامضة مبهمة ، فإننا نقر هذا القول . فالمصلحة العامة بطبيعة الحال غامضة ، متغيرة متناقضة . بيد أنه من العسير التفكير في بديل لهذه الفكرة والاهتداء إلى كلمة يكون مضمونها أكثر وضوحا . فرئيس المدرسة قد لايعمل، وفي الحقيقة يندر أن يعلم ، ما المصلحة العامة في التربية ، وأين يقع الخير العام في هذا الأمر أو ذاك . فإذا ما رسخ في الأذهان بعد ذلك أن الخير أمر لا يمكن إدراكه بالمعرفة نسب وأنه ليس بالشيء الذي يستكشف فنكون عندئذ مضطرين لأن نختلف في الرأي فيه . ولقد ذكرنا في هذا الكتاب في أكثر من حالة أن هذا البحث قد ضغط ، وركز ومن ثم لسنا في حاجة هنا لأن نكرر التفاصيل . غير أن هناك فكرة واحدة تحتمل التكرار ، هي ما ذكرناه من قبل ، من أن قلق رؤساء المدارس من جراء ضغوط الجماعة يجب أن يكون أقل من قلقهم من جراء عدم وجود أمثال هذه الضغوط.

نعيد إلى الأذهان كلمة مأثورة شائعة في دوائر الأعمال تقول : الصمت– أي السكون والركود هو علامة الجمهور الراكد لا السوق الحرة "وإنه لفي وسع المرء أن يجد مدارس ثابتة في طرائقها و تقليدية إلى درجة كبيرة، بحيث لا يمكن في ظلها قيام أي برنامج للعلاقات الإنسانية . ولربما عمدت هذه المدارس إلى التظاهر بأن لها برامج علاقات إنسانية ، غير أنه لن يوجد باحث جاد في ميدان . التربية يأخذ هذا البرنامج مأخذ الجد ، أو يعتمد عليه باعتباره شيئا ذا أهمية . والواقع أن ضغط البيئة على المدرسة ليس شرا كله ، كما أن الاحتكاك المستمر الذي تمارسه جماعة على جماعة أخرى. داخل معاهد التربية ليس شرا كله ، فالاحتكاك يمارس وظيفة ما، هي استثارة التفكير والسلوك الخلاقين في المواقف التي يكون فيها هذا الاحتكاك خاضعا لرقابة حكيمة ومتعاونة .

٦– لو أنني كنت عشرة رجال لا رجلا واحدا ، ولو أني كنت أملاك قوة عشرة رجال ولما كنت بمستطيع أن أؤدي كل ذلك القدر من العمل الذي يعرض لي ، ولما استطعت أن أساير مقتضيات وظيفتي فكيف إذن يتصرف رؤساء المدارس الآخرون؟ .... إني لا أجد أبدا متسعا من الوقت.

إن بذل الجهد –كما قال الشاعر د بليك ، – ينطوي على سعادة لا نهاية لها . ولكن هذا القول لا يصدق – إذا جاز لنا أن نزيد إلى قول الشاعر – إلا إذا بذل الجهد مرتبطا بأهداف لها أهميتها ومعناها . والحق أن كل – رئيس مدرسة في حاجة إلى أن يضع قائمة – يحرص على الدوام على مراجعتها وجعلها متمشية مع الخطة الراهنة – تتضمن الأعمال التي

تتطلب « الأولوية، مضافا إلى ذلك القيود التي تفرضها الظروف الخارجة عن الإرادة على أمثال هذه المهام المتعلقة بتلك الأعمال . وثمة شيء آخر يحتاج الإداري إلى أن يفعله ، هو أن يوقف الجمهور كله – الطلبة والمدرسين وغيرهم . على مدار السنة على طبيعة العمل الإداري ، وكيف يقضى الوقت ، وما هي الأشياء المهمة ، ثالثا : لا يستطيع مدير أية مدرسة أن يتوقع أن يعمل طوال الساعات التي يعملها المدرسون العاديون ، فطبيعة عمله تقتضى أن تطول ساعات عمله غير أنه أليس من الحركة مع ذلك أن يقتل المرء نفسه بالعمل أو بالقلق . ومن ثم يجب عليه أن ينظم عمله ، ويفوض غيره بالعمل معه ، كما يجب عليه أن تتوافر له هيئة تدريس أكفاء ، فإذا ما وجد بعد إلحاح في الطلب للحصول على مساعدة إضافية أن مجلس الإدارة عازف عن ذلك كان من الخير له أن يبحث عن وظيفة أخرى . غير أن اختلاف الظروف يؤدى إلى اختلاف الأوضاع ، ومن ثم لا نجد في أنفسنا ميلا إلى أن نكون جامدين في أحكامنا .

والجواب الرئيسي للسؤال الذي طرحناه فيما سلف – إذا صح أن ملاحظاتنا محل ثقة ، ونحن فشعر ببعض الخجل من أن نتحدث بمثل هذا الجفاف ... نقول إن الجواب ينحو منحى آخر مخلفا .

فالمسألة ليست إلا حالة عقلية هي مسألة إنجاز العمل . فالمرء منا يستطيع أن ينتقي مهمة ما يدرسها ويعالجها ، ويفوض غيره باستكمالها ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مهمة أخرى – والفرق بين الإداريين الذين يفعلون هذا، والذين لا يفعلونه ، هو فرق سيكولوجي أكثر منه فرقا بدنيا أو

فسيولوجيا . ولئن كان كل نمط من نمطى التصرف هذين يتضمن من الوجهة النظرية قدرا متساويا من الجهد ، فإن الفرق الرئيسي – إذا جاز لنا أن نكرر ما قلناه من قبل هو على ما يظهر فرق في الحالة العقلية .

٧– إن أكثر ما يشق على و هو ، العمل الكتابي أي العمل الروتين وهذا على حل تسميتك له في إحدى المحاضرات ، وإني لأود أن يقوم كل مدير مدرسة في مجموعتنا الدراسية هذه بإعداد تقرير عن ذلك يقدمه لهذا الفصل الدراسي .

الواقع أن بارنارد محق في أن يبدأ دراسته النفسية المدير دوائر الأعمال ، بتلك الجملة التي اقتبسناها في مستهل هذا الفصل، ونعني بذلا قوله : إن أولى وظائف التنفيذ إقامة نظام للتبليغ والاتصال، وصيانة هذا النظام ، والحق أن تفكيرنا لا هدينا إلا إلى القليل مما قد يكون أكثر أهمية ما ذكرناه في إقامة النظام المدرسي بأسره أو تحطيمه كله . وليس هناك من التعليقات العابرة ما يكفي في هذا الصدد إذ أن الموضوع يحتاج إلى كتاب مستقل .

والآن كيف جرى التبليغ داخل مدرسة ما و داخل نظام مدرس بأسره ؟ يقول المثل العابر إن القبطان أبلغ مساعد القبطان ومساعد القبطان أبلغ البحارة ... والبحارة أبلغوني ، ولهذا فإنني أعرف أن ما قيل لابد أن يكون صحيحا .

إن التبليغات الرسمية تميل إلى الانتقال إلى أسفل وإلى الخارج. وثمة

مشكلة رئيسية من مشكلات الإدارة هي كيفية جعل الاستجابات وردود الفعل تتحرك إلى أعلى أو نحو الداخل وكيفية جول قمة أي نظام كامل التشكيل ، مستجيبة و مسئولة . أما فيما يتعلق بأنواع أخرى من الأخبار، كالمشاحنات بين الطلبة ، وهيئة التدريس فإن الاحتمال السائد هو أنها لا تبلغ إلى أعلى وإنه لمن المعروف على وجه عام أن رؤساء المدارس هم آخر من يسمعون الشائعات التي تقال عنهم . وعندما يسمعونها إذا قدر لهم ذلك فإنها تكون إما غاية في الجودة وإما غاية في الرداءة، ذلك أنها تكون عندئذ قد بلغت غاية ما يلحق بها من تشويه.

وفي الدراسات الخاصة بإداري المدارس تحميل دراسة التبليغ والاتصال إلى التركيز على الأعمال الروتينية . وليس هذا بالأمر السيئ ، فالأكثر احتمالا أن يكون العكس صحيحا ، ذلك أن في وسع المرء أن يحكم على جودة التدريس من خلال اطلاعه على موضوعات لا رابط بينها ، الخطابات التي ترسلها المدرسة إلى أولياء الأمور والملاحظات التي تعلق على اللوحات ، والمذكرات المتبادلة بين المكاتب كالحملات الإعلامية، وغالبا ما تكون هذه الموضوعات و غيرها بجمعة مع بعضها في برنامج عام من العلاقات العامة. والملاحظة التي غالبا ما توجه داخل التنظيم المدرسي هى جعل التبليغات والاتصالات معقولة ، وكاملة وواضحة ، ووضع جميع الأمور الهامة في صورة مكتوبة ، وبيان الموعد المحدد الإجابة أو الموافقة .

ولعل البداية المبشرة بالخير فيما يتعلق ببحوث التبليغ والاتصال

داخل المدارس ، شأنها في ذلك شأن ما يحدث في دوائر الأعمال والصناعة، لعل هذه البداية هي دراسة التكامل السيكولوجى للنظام المدرسي كله . والمقصود بذلك في هذا الصدد هو دراسة العلاقات المتبادلة والمتداخلة بين الرؤساء والمرء و سين وولادات الموظفين ، ونواحى رضاء العاملين و شكا واهم ، و توزيع الأشخاص على المكاتب والوظائف، والمسائل الخاصة بأسرار الموظفين ، وقدرة النظام على مكافأة الأفكار المتباينة . هذا وقد دلت أبحاث كثيرة على أنه كلما كانت متطلبات واحتياجات الموظف باعتباره شخصية لها كرامتها واحترامها متمشية مع أهداف التنظيم ، وأساليبه العملية كانت حالة هذا الموظف المعنوية عالية ، واختفت – بشكل واضح – مظاهر الفشل في. التبليغ والاتصال .

٨– قال ديوى Dewey. إن كل مفكر يعرض جزءا من الكون الثابت في خطر ، فهل في الإمكان أن نعكس هذا القول بمعنى أن نقول : إن كل مفكر يعرض نفسه للخطر إذا قدم اقتراحات بإجراء تغيير ما ؟ وكيف إذن يمكن حساب المخاطر مقدما ؟

إن هذا السؤال فوق ما نطيق الإجابة عليه ، ذلك أنه لا يمكن أن يقال شيء يستحق الذكر في هذا الموضوع ، في أقل من فصل كامل من الكتاب ... وحتى في هذه الحالة ، يكون من الواجب علينا أن نؤكد على أشياء كثيرة "لا وزن لها".

٩- إنني أحاول أن أزور فصولا كثيرة كل يوم ، لاستطلاع حال المدرسين والتلاميذ ولقد قيل لي إن المدرسين يظنون أني أتجسس عليهم . فكيف أستطيع أن أصحح هذه الفكرة الخاطئة ؟

إنه لما يجرح مشاعر الإداريين أن نخبرهم أن بعض الإشراف يبدو فعلا كأنه تجسس على المدرسين والتلاميذ وفي بعض الأحيان يتخذ هذا النمط الخاطئ من الإشراف شكل تصيد الأخطاء والنقد العلني الصارخ، والعلاقات الإنسانية السيئة . إنه لا يتخذ شكل البحث عن المصالح المشتركة ، والثناء على المال الذي ينجز إنجازا جيدا وتوجيه الأسئلة والإصغاء إلى الإجابة عليها ، وخلق دوافع جديدة ، ومحاولة إسداء أكبر مساعدة مكنة . ونحن نتذكر جيدا مشرفا هو أول من نتذكره في خبرة التدريس عندنا –كان يعمد عندما زار فصلنا ، إلى تحيتنا بالاسم، كما كان أحيانا أخرى يصافنا .... وكان يتخذ له مقعدا يجلس عليه و يتحدث عندما يدعى التعليق – وكان أحيانا أخرى يشترك مع الطلبة في بعض نواحي النشاط ، وما لم يكن قد عزم على البقاء إلى نهاية الحصة ، فإنه كان يحرص على أن يتيح لنا فسحة من الوقت نتحرر فيها من العمل ، وكان يعمد في مجاملة رقيقة إلى توجيه أسئلة ما ، أو اقتراح مواد معينة للقراءة . وكانت خاتمة زيارته قبل مغادرته الفصل مثالا يحتذى ، فقد كان يسأل : كيف تسير أمورنا ؟

هل تسير كما ينبغي ؟ ماذا يمكن عمله لخيرنا ؟.

ولما كان هذا الرجل قد عمل أيضا ناظرا لإحدى المدارس الثانوية، لم يكن غريبا بالنسبة إليه أن يتخذ من ملاحظاته موضوعا للتعليق في اجتماعات هيئة التدريس . والحق أنه كان يعالج الأمور على نحو غير شخصي ، ومن ثم لم يحدث – على قدر ما نعلم – أن أحد المدرسين شعر بأنه أهين أو لحقت به إساءة ما . وكان يسأل المجموعة ككل كيف يمكن معالجة هذا الأمر أو ذاك أو كان يلجأ إلى تعيين لجنة لدراسة الأمر . واسنا في حاجة لأن نضيف أن زيارة هـ ذا القائد الحكيم والودود لأي فصل من الفصول كانت حافزا لتدريس أفضل .

١٠– هل يتصف رؤساء المدارس بالدهاء الإداري البالغ في إداراتهم المدرسين والطلبة والجمهور ؟ وإذا كان ذلك هو الواقع ، فهل من المحتم أن يكونوا كذلك ؟ وهل يتطلب مركز هم كإداريين هذا النوع من التصرف ؟

إذا كان المقصود بالدهاء الإداري البالغ التحايل والمراوغة والاستغلال ، فإن الجواب هو أنه لا محل لمثل هذا السلوك في ميدان إدارة المدارس . أما إذا كان هذا التعبير مرادفا ، لقيادة المجتمعات ، على النحو الذي يبدو أن بعض الكتاب يستخدمونه ، فإن ممارسة الدهاء الإداري أمر لا مناص به، ذلك أنها جزء لا يتجزأ من حياة الجماعة إذ أنه لا توجد جماعة بلا قائد . وحجر الأساس في ذلك هو كيفية بناء الإيمان في نفوس الأشخاص الذين يطمح المرء إلى أن يقودهم والمحافظة على هذا الإيمان فيهم . وإننا لنقول « يقود ، على التخصيص لأن ، الإدارة ، تصبح وكأنها لم تكن إذا كان الأمر مقتصرا على مجرد أن يكون المرء ولطيفا، وأن

يكسب صداقة الآخرين ، فالقيادة تعني حفر الآخرين إلى أن يتغيروا تغيرا رشيدا صادرا عن إرادة : ذاتية حرة ، ومثل هذا التغير قد يقابل بالمقاومة . وفوق ذلك ، من ذا الذي يستطيع أن يكون متأكدا كل التأكد من النتائج المتوقعة والآثار المباشرة وما يصحبها و يترتب عليها من آثار جانبية؟ إن الثقة بل الثقة المتبادلة جزء لا يتجزأ من العلاقة بين القائد وبين من يقودهم ، ذلك أنه لا يمكن لأي شخص أن يمضي طويلا في العمل مع شخص غير أهل الثقة . وإذا ما عرف مدير المدرسة أن من النادر أن يقود مباشرة ، وأن وظيفته الرئيسية هي أن يجد قادة للجماعات يقود بوساطتهم، وان هذه الحقيقة كفيلة بأن تجعله يبحث دائما عن أولئك الذين تتوافر فيهم أنماط القيادة ، فهنا رجل من رجال الفكر ، مفكر نابه ، وهناك رجل يتقن التنظيم ويعمل (كالدينامو) المولد للطاقة ، وهناك في ركن بعيد يقبع رجل هادى مشهود له بعمق شعوره وإحساسه المرهف بالحاجيات الإنسانية والظروف الإنسانية ، و مهما يكن من أمر الموهبة التي تتكشف وتظهر فإن دور الإداري هو أن يجعل من الجميع لا متجانسا متلائما ، وأن يجمع قدرات الجميع في أفضل عمل جماعي ممكن أو في أفضل نظام للعمل . وهو لا يستطيع ، بطبيعة الحال ، أن يقوم بشيء من هذا دون مساعدة من الآخرين . وعندما يرقب المرء القيادة المدرسية أو يحاول أن يمارسها ، يجد نفسه مدفوعا إلى أن يضع معايير تقريبية (أو مضبوطة) لطبيعتها الحقيقية . من الاختبارات في هذا الصدد اختيار الأهداف والوسائل ، حيث يكون كل معيار نقطة بدء في سلسلة متتابعة من العلل والنتائج . فإذا كانت «غ، ترمز إلى الغاية بينما ترمز دو ، لى

الوسيلة و رد ، إلى الديموقراطية ، فان الاحتمالات المتوقعة تكون على النحو التالي :

دغ + دو

دغ + لادو

لا دغ + دو

لا دغ + لادو

والمثل الأعلى هو وجود غايات ديموقراطية بالإضافة إلى وسائل ديموقراطية ، مثلما يحدث حين يدلى أعضاء هيئة التدريس – بعد كثير من التفكير – بأصواقم مؤيدين اقتراحا من المدير يحقق رفاهية المدرسين وصالحهم .وليس من العسير تبين الغابات والوسائل غير الديموقراطية ، كما أنه ليس من العسير العمل ضدها ومناهضتها .

غير أن الصعوبة تكمن في المستويات الوسطى حيث تكون من ناحية ما ديموقراطية ، ومن ناحية أخرى غير ديموقراطية . وتختفي عادة وراء أستار تمنع النفاذ إليها بحثا عن الصواب والحقيقة .

وثمة اختبار آخر مفيد هو ملاحظة القيادة عندما يكون الطريق خشنا وعرا ، ففي مثل هذه الحالات من المحتمل أن يكون الدفع والصد حادين ، وأن تتحول الشرارات المختفية تحت الرماد الوقت طويل ، إلى نار

مشتعلة اللهب ، إذن ماذا يفعل القائد ؟ هل يضبط نفسه ؟ هل عرف كيف

ينظم انفعالاته : وفي أي اتجاه ، وبأية طرق يحاول أن يجد سبيله إلى القيادة ، وكيف يعامل المعارضة ؟ وبصرف النظر عمن يفوز وعمن يخسر ، هل يزداد احترام الجماعة لقائد ؟

"إن القدرة على التعليل كما يقول ج . ب . شو ر مرغوب فيها دائما ، إذ أننا فقط عن طريق التعليل الدقيق ، نستطيع أن نقدر تصرفاتنا ، بحيث نفعل ما ننوى أن نفعل – أي أن نحقق إرادتنا : إن هناك من دواعي الفكر الرشيد السليم ما يجعلنا ندرك أن هذا القول النفيس (الشبيه بالأيقونة) يبدو صحيحا و صادقا . فقد يأتي على العمل المدرسي حين من الوقت يبدو فيه أن المزيد من التعقل لا يقدم ولا يؤخر ، وقت أن يمضى العمل دون تبصر ، فقد يلزم المرء نفسه بعمل ما مضى فيه متجاهلا الاعتراضات التي تقف ضده . وإنه لمن المستحيل تماما التنبؤ بأمثال هذه الأوقات . أو رسم خطة لها مقدما ، ومع ذلك فإنها تظهر واضحة في تاريخ كثير من الأعمال. والواقع أن الطريقة التي يسلك بها المرء في مثل هذه الأوقات هي التي تؤدي إما إلى تقدم الإدارة المدرسية السليمة إلى هدفها وإما إلى التقهقر عنه .

مشكلات ومشروعات

١. إذا استطعت أن تشاهد واحدا أو أكثر من برامج العلاقات الإنسانية فافعل ذلك ثم أخبر الفصل، في تقرير تكتبه عن:

(١) نجاحها أو فشلها

(ب) وكيف يربط ناظر المدرسة نفسه إلى برنامج العلاقات الإنسانية.

٢. اجمع نظار المدارس في ندوة يجيبون فيها عن الأسئلة العشرة التي كانت موضع تعليق في هذا الفصل ... ادرس النقاط التي يختلف فيها آراء أعضاء المناقشة عن آراء المؤلفين ، ثم اذكر آراءك الشخصية .

٣. هل تعرف أي إداريين بالمدارس أو بالكليات يتمسكون حرفيا بالقانون بين يتجاهلون روحه ؟.... إذا كان ذلك كذلك أعد بحثا عن وجهتين في هذا الموضوع :

(١) أسباب هذا التصرف.

(ب) كيف يحجب تطبيق القوانين في النظام المدرسي أو في نظام الكليات ..

الفصل الخامس عشر

تغيير البيئة ـ أدوار القائد

"إن الحكماء يبحثون عن المعرفة والسلوك على أنهما شيء واحد. إنهم يبحثون بصدق ويسلكون أي الطريقين ويسيرون فيه إلى النهاية والنهاية واحدة . فهناك يتقابل أنصار السلوك مع الباحثين عن المعرفة ، في حرية متساوية"

"جيتيه"

إن مالا يفهمه العاملون بالمدارس حتى الآن هو أنهم عندما يضطلعون بعمل مدرسي إنما ينضمون إلى نظام اجتماعى قائم يتمثل في البيئة المحلية ، وإن جزءا من حياتهم العملية يقضي في المدرسة كما يقضي جزء آخر منه في البيئة . ونحن نقرر هنا للمرة الأخيرة أن المدارس العامة أصبحت أداة من أدوات السياسة العامة في ميدان صحة ورفاهية وسلامة الناشئين الصغار وشئونهم التربوية ... إن المدارس ، بطبيعة الحال ، لا تعلن عن سياسة معينة ، غير أنها تعمل مع الجمهور ومع هيئات حكومية أو مدنية ، على تحديد سياسات معينة ووضعها موضع التنفيذ. إنها تعاون أحيانا حركات الدراسة والتصرف في البيئة المحلية ، وقد تسلمها القيادة أحيانا .

والهدف من هذا الفصل هو البحث على هدى هذه الاعتبارات ، فالنصف الأول من هذا الفصل يعالج بعض الأفكار الأساسية داخل إطار من الدراسات والمراجع العامة . أما الموضوعات التي يعالجها فهي البيئة كنظام من نظم العلاقات الإنسانية ومبررات إجراءات التغيير ، وطريق العمل، وكيف تتشكل، السلطة . أما النصف الآخر من هذا الفصل فيعالج أدوار قادة المدارس في عمل الدراسة و الأدوار المتاحة لموظفي المدرسة إذا ما رغبوا في برامج البيئة الخاصة بالإجراءات المؤدية إلى التغيير.

البيئة كنظام من نظم العلاقات الإنسانية

إن تعلم المدرس لأشياء عن البيئة هو في غالبه خبرة شخصية ، وبطبيعة الحال يكون المدرس أو المدرسة قد درس معنى العلاقات الإنسانية في الجامعة ، و لكن يندر جدا أن تكون هذه الدراسة عميقة، وضروب التعليم التي يكتب لها البقاء هي تلك التي تلتقط دون قصد، وهذا أمر يؤسف له لأن ضروب التعليم هذه لا تأتي إلا متأخرة جدا ، كما يظهر من الحالات التي يبينها الجزء الثاني من الكتاب ، مما لا يسمح لها بأن تتيح أكبر قدر من المساعدة في نواحى نشاط المدرسة والبيئة .

إن المدرس يسمح له أولا بمشاركة الغير والاندماج بهم في شكل رموز مرئية مكتب جديد للبريد، أو مصنع ناجح للجبن ، أو منظر من مناظر الطبيعة ، أو قوارب الصيد في حوض السفن ، أو شخصية مشهورة في البيئة المحلية أو معلم بارز من معالم التاريخ ، أو خطط توضع التحقيق تطور قومى كبير، وقد يتبع هذا مقتطفات من تاريخ البيئة ، واقعية و خيالية ،

ومناسبات عظيمة هامة في حياة المدنية . وفي الحال ، في أثناء عملية التمثيل، والهضم تتاح للقادم الجديد ، فرصة الانضمام إلى جماعات معينة في المجتمع هي تلك التي تضطلع بمسئولية اجتماعية أقل شأنا . وعندما يحدث ذلك يكون هذا الشخص الغريب قد اكتسب إلماما وشعورا بنواح أعمق عن الجماعة الإنسانية ككل فهو مثلا يستمع إلى سبل الشائعات التي تروى عن أولئك الأشخاص الذين يستحقون أن تروج عنهم تلك الشائعات على نحو يجعل منهم رموزا لاتجاهات البيئة وقيمتها.

ولقد حددت الاختبارات العديدة المتعلقة بمدى الملائمة الاجتماعية للتمتع بعضوية الجماعة في البيئة ، حددت هذه الاختبارات معالم هذا الطريق ، ولكي نوضح هذا نتصور مثلا أن السيد ، الغريب، قد لاحظ عيوبا في تلك البيئة في ذلك المكان الذي يعتبر من أفضل الأماكن وأكثرها تفضيلا .. ولأن هذا السيد ، الغريب ، رجل صريح يفصح عن الحاجة إلى اتخاذ إجراءات مدنية و عن ضرورة تحقيق إصلاحات .

والواقع أن ما يحدث بعد ذلك هو إنذار وتحذير ، فهذا الناقد الجديد يعامل أولا بأدب ، لأنه قبل كل شيء شخص جديد على البيئة و لأنه لا يعرف ما هناك ، أما إذا حدث مع ذلك أن حاول الإصرار على وجهات نظره السالبة تلك ، فإنه يتعرض حتما إلى لوم أو حتى إلى رغبة في العقاب . وينصح لهذا الغريب ، بأن يقبل الأمور على علاتها، وأن يتعرف على نحو أفضل بالظروف وأن يتحدث مع أشخاص مجربين في البيئة . وما لم يكن المدرس قد تعلم درسا بعد فإن عملية التمثيل تكون قد بلغت

أقصى ما تستطيعه ، أي أن ذلك . الغريب ، يصبح داخل البيئة ولكنه ل ايصبح ضمن ، هذه البيئة ، وتنتهي العملية بأن يصبح جزءا من البيئة بيد أنه جزء منفصل عنها ، وهو المصير الذي يؤول إليه معظم العاملين بالمدارس .

كل هذا يشير إلى النقطة التي نناقشها ألا وهي أن كل بيئة إن هي إلا نظام من نظم العلاقات الإنسانية أو قل – إذا شئنا تعبيرا أفضل – إنها سلسلة من الأنظمة المتداخلة . و مفهوم "النظام" يأتي بعضه من تحليل بارسون لوظيفة الجماعة من ناحية ، ومن التاريخ القديم للبشر من ناحية أخرى ، و لقد أسهمت هذه الفكرة في توجيه قدر من البحوث الاجتماعية يفوق ما أسهمت به أية فكرة أخرى ، فيما عدا فكرة و الجماعة التي هي نظام في حد ذاته .

وكلمة نظام ترمز إلى كل عضوي ، أو وحدة وظيفية لأجزاء متباينة تعمل على إنجاز ، أو محاولة إنجاز الشيء الذي في المجموع أن يكونه أو يفه له أيا كان شأن هذا الشيء ، والواقع أن الوحدات الجزئية تكون متداخلة في بعضها البعض ، ومرتبطة ببعضها البعض إلى درجة أن أية تغييرات تطرأ على إحداها تميل إلى إحداث تغييرات في غيرها ، و من المحتمل أن يمتص والكل ، تلك التغييرات ، وأن يقوى بها. كذلك من المحتمل أن يقاومها بكل ما ينطوي عليه ذلك من نتائج غير محددة ، أو قد ينتهي الأمر بأن ينهار ذلك ، النظام ، ويحل محله نظام آخر .

ولقد تجشمها مشقة ذلك التعريف المستفيض ، بقصد تهيئة هذا المفهوم للتطبيق على البيئة ، وفي الوسع إنجاز ذلك عن طريق الوقوف على جزء من أحد تقارير البحث.

البيئة وهي تعمل

إن التقرير الذي أشرنا إليه هو بحث أقيم على دراسة للبيئة ، دراسة في شكل استقصاء ذاتى عن الاحتياجات الصحية والإجراءات المتعلقة بها في مدينة تالاديجا بولاية الاباما وهي مدينة جذابة في الجنوب يبلغ عدد سكانها ١٤٥٠٠ نسمة ، و لقد قام بالاستقصاء مجلس من مجالس البيئة . وتولى كتابة فقرة جديدة ، عدد من رجال جامعة "الباما" عملوا مستشارين لهذا المجلس . ولقد كان المشروع الذي نحن بصدده جزءا صغيرا من كل استغرق العمل فيه سنتين .. وكان هدفه وضع "الفلوريد" في ماء الشرب بالمدينة من أجل خفض نسبة تآكل أسنان الأطفال وتسوسها . وكانت اللجنة القائمة بالدراسة تعمل بإشراف الدكتور تول وهو طبيب أسنان بتلك المدينة ، وتضمنت مثلين من عامة الشعب ، ورجال أعمال ورجالا مهنيين . وعلى الرغم من أن هذه المجموعات عملت بجد ، فإنها كانت غير قادرة على تحقيق هدفها . ولهذا فإن هذه الحالة ، توضح.

١- كيف تتصل بعض نظم العلاقات الإنسانية ببعضها البعض ؟

٢- كيف تعمل قوة و القصور الذاتي ، على تجنب حدوث التغيير . حين لا تكون هناك "معارضة" حقيقية ظاهرة .

مشروع وضع الفلوريد في الماء

كان وضع الفلوريد ضمن الموضوعات الأولى التي حولت لمجلس البيئة للدراسة ، والتصرف، وأصبح هذا الموضوع من اختصاص لجنة صحة الأسنان . وكان رئيس اللجنة رجلا مشهورا ويحظى بقدر كبير من الاحترام ... كان ينحدر من أسرة عريقة بمدينة تيللا داجابرز منذ وقت طويل في ميدان الشئون الاجتماعية والمدنية ، ولهذا فإنه في شخصه ، كرئيس للجنة ، كان يجمع بين أنظمة محلية كثيرة منها مثلا القربى والصداقة والنشاط المدني ، والنشاط المهني .

وكانت الخطوة الأولى التي قامت بها اللجنة هي هضم الدراسات الخاصة بالفلوريد ، ولقد بينت هذه البحوث عن أن الفلوريد ذو تأثير ملحوظ في خفض نسبة تآكل و تسوس الأسنان ، وأن إضافته إلى مياه الشرب بالمدينة لا يكلفها نفقات كثيرة . وكانت الخطوة التالية للجنة هي إخطار الجمهور بذلك كله فنشرت الصحيفتان المحليتان خطابا وقعه أطباء الأسنان العاملون بتلك المدينة ، كما تحدث أعضاء اللجنة وبخاصة رئيسها ، إلى حوالي عشرين منظمة من منظمات الخدمة المدنية وغيرها ، بما في ذلك الرابطة الطبية بالمقاطعة ومجلس الآباء والمدرسين بتلك المدينة . وأصدرت كل هذه الجماعات قرارات تؤيد ذلك المشروع، وحتى ذلك الحد لم تكن هناك أية معارضة لمشروع استخدام و الفلوريد، ولم يظهر ثمة ما يوحي باحتمال فشل المشروع ، ومع ذلك فإن ما حدث فيما يتعلق بهذه التجربة كان مناقضا تماما لما حدث في مدينة قريبة هي سيلا كوجا .

ففي سيلا كوجا كان الشخص الذي نادى أولا بفكرة استخدام الفلوريد هو "مفتش الصحة" بالمدينة، ولم يكن قد سعى إلى كسب تأييد المنظمات الاجتماعية التي تهتم بالأطفال . كالعائلات ، والمدارس، والكنائس والمهن الصحية ، وترتب على ذلك أن هذه الهيئات لم تؤيد جهوده ، بل أكثر من هذا حدث أن مفتش الصحة لم يستطع عندما عرض تقرير المشروع على لجنة المدينة أن يحدد تكاليف مشروعه . وزاد الطين بلة ما حدث في النهاية من أن شخصا يشتغل بالعلاج الشعبي غير الطبي قد أصبح عضوا في لجنة المدينة ، وبالطبع كان هذا الشخص – بحكم مهنته – يعارض في معالجة ماء الشرب بمادة رطبة هي (الفلوريد) ، و على الرغم من أن لجنة تالاديجا تجنبت أمثال هذه الأخطاء ، فإنها وقعت في مشكلة مع المنظمات الاقتصادية والسياسية وعلى الأخص الأخيرة منها . وكانت أول إثارة للشعور العام تتمثل في انتشار إشاعة تقول : إن تكاليف المشروع سوف تبلغ ٢٥ ألف دولار، ومن ثم فإن النتيجة المباشرة ستتخذ شكل زيادة تطرأ على الضرائب . وعمد الدكتور تول، إلى مراجعة تكاليف المشروع، اتصل بمدينة توسكالوزا فوجد أن تكاليف استخدام الفلوريد فيها لم يكلفها إلا أقل من ثلاثة آلاف دولار، وأن تكاليف ، التشغيل ، السنوية تبلغ حوالي عشرة سنتات بالنسبة لكل فرد . وبوضع كل الاعتبارات الأخرى موضع الحسبان قدر الدكتور د تول ، أن كل تكاليف استخدام الفلوريد في مدينة تالاديا يمكن تغطيتها عن طريق زيادة الضرائب المفروضة على استخدام الماء الشرب دولارا واحدا في السنة ، وبالتأكيد لم يكن هـ ذا المبلغ كبيرا إلى درجة تؤدي إلى إلغاء المشروع .

وإذ أصبحت اللجنة مسلحة بهذه الحقائق ، زارت كل رؤساء المدن ثم تقدمت بالتماس يحمل عددا كبيرا من التوقيعات إلى مجلس الولاية وعند هذا الحد ظهرت بوضوح أهمية العوامل السياسية ، الأمر الذي يتطلب منا أن ندلي بكلمة تعقيب ، لم يكن استخدام الفلوريد مسألة سياسية ، بمعنى أن أحدا من رؤساء المدينة لم يكن قد التزم به أمام الرأي العام . ولكن بالنظر إلى أن المشروع كان يهدف إلى تحسين صحة الأطفال ، وتحسين صحة الأطفال هو إحدى القيم الأساسية في المجتمع الأمريكي – فقد بدا أن من الخطر معارضة ذلك المشروع ، فالمفروض أن هدف أي نظام سياسي هو – و تحقق السيادة لكل فرد في الدولة ، وعلى ضوء هـ ذا الاعتبار ، كان القرار الذي سيتخذه مجلس الولاية ذا أهمية و مغزي ككبيرين . ووافق المجلس على مشروع استخدام الفلوريد على شرط أن تدفع مدينة "تالاديجا" وحدها نفقات المشروع .

وعند هذا الحد افترضت لجنة صحة الأسنان بالمدينة أن عملها قد انتهى ، وأنها قد انتصرت في المعركة ، ومع ذلك فقد اتضح بعد سنة تقريبا أن استخدام الفلوريد لم يدرج في الخطط التي وضعت عن أعمال المياه الجديدة بالمدينة ، وأن الشيء الوحيد الذي ينبغي عمله ، بحكم الضرورة هو تجديد المعركة ونقلها إلى الناخبين أنفسهم ابتغاء محاولة الحصول على تأييدهم. ومما يثير الاهتمام أن نتصور ما عساه كان يحدث لو أن المشروع اجتاز نفس و المراحل، التي يجتازها مشروع سياسى كمشروع (ضرائب المبيعات ، بالمدينة مثلا . ففيما يتعلق بمشروع "ضرائب المبيعات" هذا ، صرف أعضاء مجلس الولاية تصرفا سريعا ، وصوتوا في صالحه أغلبية ٢ إلى

١ . وعندما تطورت المعارضة وقف العضوان المؤيدان موقفا ثابتا وهما متأكدان من تأييد البيئة لهما ، وهكذا أصبح مشروع الضرائب قانونا . وعلى النقيض من ذلك وضع مشروع استخدام الفلوريد على الرف مع أن أحدا لم يعارضه معارضة واضحة مما ترتب عليه أن أحدا لم يكن لا لوم في هذا الصدد . وعندما مضت لجنة الدكتور د تول، في عملها باندماج قوى ، كانت النتيجة المباشرة هي تقسيم البيئة إلى مؤيدين و معارضين . ومن الغريب ، أن الحجج التي كانت تؤيد المشروع أو تعارضه أثارت نفس القيم ، و هـ ذا أخفت الموضوع الحقيقي . ونشط مجلس البيئة نشاطا فعالا مؤيدا لجنته . ودعا إلى اجتماع عام كبير لمناقشة استخدام الفلوريد . وإليكم الفقرة الأولى من تقرير صحفي نشر عن ذلك الاجتماع .

الفقرة الأولى من تقرير صحفي

أوضح أعضاء مجلس البيئة بمدينة تلاديجا في اجتماع عقد بدار القضاء مساء يوم الاثنين ، أنهم يريدون أن تتفق حصيلة الضريبة الإضافية المفروضة على ماء الشرب والتي ووفق عليها بالتصويت منذ أمد قريب ، في تزويد ماء الشرب بالمدينة بالفلوريد وذلك لخفض نسبة تسوس أسنان الأطفال . وأوضح المجتمعون أنه إذا كان من العسير تغطية التكاليف عن طريق هذه الوسيلة ، فإنهم يريدون تنفيذ برنامج وضع استخدام الفلوريد في المستقبل القريب بأي حال من الأحوال. ولقد استخدم المحرر الذي كتب هذا التقرير الصحفي الركن المخصص له بالصحيفة ثلاث مرات للرد على الحجج المناهضة للمشروع ، كما نشرت الصحيفة النص الكامل

الخطاب بعث به إليها الدكتورة تول، وعمد الدكتور د تول، في خطابه ذلك إلى شرح الأسباب التي من أجلها أيد أطباء الأسنان مشروع استخدام الفلوريد، ثم راح الدكتور د تول ، بعد ذلك يوضح الآباء أطفال المدينة ما أسماه ، الفرصة النادرة المتاحة لتحسين صحة البيئة لسنوات عديدة قادمة ، ثم طلب الدكتور «تول، إلى المواطنين أن يردوا على المعارضين قائلا لهؤلاء المواطنين: وأوضحوا لهم بطريقة ودية .... أنك مهتمون اهتماما بالغا بموضوع استخدام الفلوريد . وبعد أن زار أعضاء مجلس رؤساء المدن مدينة "توسكالوزا" وعادوا وهم يشعرون بالعطف على المشروع ، بدا مرة ثانية أن البيئة قد انتصرت في المعركة . وكان تعليق الصحافة على هذا النحو .. لقد اشترك الآباء بالمدينة مع أعضاء لجنة المياه يوم الثلاثاء في تأييد مشروع تزويد ماء الشرب بمدينة تالاديجا بالفلوريد على شريطة أن يوافق المسئولون في الولاية على ذلك ...... ولقد اجتمع أعضاء مجلس إدارة مياه الشرب ، بالعمدة مستر ايليوت و برؤساء المدن لتقديم تقرير عما أسفرت عنه زيارتهم لمدينة توسكالوزا ....

ولقد وافقت المدينة على توصية اللجنة ، فإذا ما وافقت سلطات الولاية التي تفحص مدى حاجة كل مدينه من المدن إلى استخدام الفلوريد ، فيترتب على ذلك من القانون اللازم . ويصعب أن نصدق أنه بعد هذا القرار أرجي المشروع غير أن هذا هو ما حدث له . وإنه لمن الواضح أن الموظفين الرسميين بالمدينة ، أي أولئك الذين كان يجب أن يتولوا المبادرة و اتخاذ إجراء عاجل لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل ، ذلك أن الدكتور د تول

، كان قد جند في الجيش، والخلاصة أنه لم يق أحد ليقوم بالمهمة ويتابع العمل المطلوب ، أو على حد قول المثل العامي. الشائع : "يتابع القذف بالكرة "،

إن لكل بيئة طريقتها المألوفة في تسوية مسائلها المدنية ، ولكل بيئة طرازها السلوكي الخاص الذي تتلاءم في ظل تشكيله الأنظمة الفرعية المتصلة به . و لقد وقفنا على بعض تلك

الوحدات-الجزئيةفي الحالةالتي ذكرناها،على الرغم من أن التركيز الرئيسي كان منصبا على عملية التصرف والإجراء التنفيذي . ويعتقد المؤلفان، أنه لو عولج استخدام الفلوريد داخل نطاق النظام السياسي المحلى، ونوقش ووفق عليه لكان قد أصبح قانونا . فلماذا إذن لم يأخذ السياسيون على عاتقهم تبني هذه الفكرة ؟ إننا نعتقد أن السبب هو أن المشروع كان جيدا وسهلا أكثر مما ينبغي ، فعندما ارتبط موضوع استخدام الفلوريد برمز الطفولة ، هذا الرمز الذي يمثل مبررا قويا لإجراء التغيير المنشود، لم يكن هناك جانب «معارض، قوي. ومن طبيعة كل حزب من الأحزاب أنه يعتقد ، وهذا أمر مهم في نظره – أنه لا يكسب إلا كسيا قليلا إذا لم تكن هناك قضية يجب خوض غمار معركة من أجلها ، وإذا لم تكن هناك معارضة ينبغي له أن يتغلب عليها ، أما عندما يفتقر الأمر إلى ذلك فإن الحزب قد يتكاسل وقد يصبح على نحو أو آخر غير مكترث بالأمور المتعلقة برفاهية البيئة وما يترتب على ذلك .

مبررات اتخاذ إجراء يهدف للتغيير

بأي حق يحاول قطاع من قطاعات البيئة أو أي نظام فرعى أن يتوسع في خدماته على حساب الإنفاق العام ؟ وما هي المبررات القانونية و المشروعة ، لإجراء التغييرات في البيئة ، وما هي الضمانات التي تؤكد أن ذلك يخدم الصالح العام ؟ إن القليل .... القليل جدا من الحالات الواردة في الجزء الثاني من هذا الكتاب قد وضعت هذه الأسئلة موضع الاعتبار ، وعلى العموم ، فإن قادة المدارس سوف يفلحون في حملاتهم للتأثير على الجمهور إذا هم وضعوا هذه الأسئلة موضع الاعتبار . لقد دعينا في الآونة الأخيرة لدراسة مبررات و حيثيات التقدم بالتماس الإقامة ملاعب للأطفال . وكانت الحملة الخاصة بذلك المشروع بقيادة لجنة من عامة. الشعب تؤيدها المدارس ورابطة الآباء والمدرسين والكنائس والغرفة التجارية وغيرها من الجماعات المختلفة بالمدينة وكان المطلوب منا هو تصنيف الجمهور و أخذ عينات من آرائه ثم كتابة تقرير لا يتعرض لردود الفعل المؤيدة للمشروع أو المعارضة له وإنما يتعرض للأسباب الكافية وراء الآراء المطالبة بهذا المشروع . وفيما يلي مقتطفات من أقوال صدرت عن المواطنين أعضاء اللجنة أثناء الاجتماعات التي عقدناها معهم حول موضوع "ملاعب الطفولة" .

المبررات والمرئيات ... بعض الأمثلة

١. حسنا ... الآن نستطيع أن نقول : إني و هلكت ، في هذا الشأن . فعندما تغلق المدارس في إجازة الصيف لا يجد الأطفال مكانا كبيرا

يلعبون فيه ... إنهم يخرجون إلى الشوارع ويقعون في مشاكل ... ولهذا أطلب من المدارس أن تقيم هذه الملاعب ... حاولوا أن تفعلوا .

٢. إن الملاعب وحدها ليست ذات فائدة كبيرة فمن الواجب أن يوجد فيها مشرفون. ولست متأكدا مما إذا كان مدرسو المدارس يستطيعون هذا ، أو يجب عليهم أن يفعلوه .... إن حاجتنا تتمثل في وجود قادة للترفيه ذوي خبرة .

٣. إنني أعارض هذا الإجراء ، ولست أظن أن للمدارس أي حق قانونى بموجب ميثاق المدينة وقوانينها في أن تمضي في المطالبة بهذا الإجراء ... الحق ، إذا كنت ترغب في معرفة وجهة نظري فإني أقول إني أعارض هذه الفكرة بكل قوة .

٤. إن الرابطة (الغرفة التجارية) تؤيد اقتراح المشرف على المدارس، وهذا هو موقف نادي الروتاري أيضا. إني أعرف جيدا هؤلاء الأولاد ... ولسوف أسير منهم إلى النهاية.

٥. إننا هنا في الجانب الشرقي ، نحب المشرف الجديد على المدارس العامة ..... واسمه روث ... فإذا رغب هذا المشرف في إقامة ملاعب أكثر فإن الجانب الشرقي سوف يؤيده .

٦. لست أظن أنه يجب علينا أن نتسرع و نقحم أنفسنا في هذا ... إن

الطريقة التي تتبعها هذه اللجنة هي المناقشة بحيث تتاح لكل شخص فرصة التعبير عما يريد... ثم بعد ذلك نستطيع أن نقرر ما نريد ... أترى ما أقصد ؟

٧. إني أبلغ الثانية والسبعين ... ولقد عشت هنا طوال حياتي ، وشاهدت الضرائب وهي ترتفع حتى وصلت إلى السماء . ولكني أخبرك يا صديقي أن أفضل الناس هنا لا يعترضون مادام المال سوف ينفق على الأطفال ... وليكن في علك . لا أقصد أن ينفق المال هباء ... بل أقصد أن ينفق في أشياء يحتاج إليها الصغار حقا .

إن المعنى المتضمن في كل عبارة من المقتطفات السابقة يختلف عن الآخر ، كما أن كلا منها يكشف عن مبرر معين يلجأ إليه القائمون بالحملة من أجل إقامة ملاعب الطفولة ، وهذه المبررات كانت بالترتيب.

١- الحاجة إلى التغيير . ٢- الأهلية والكفاءة . ٣- السلطة القانونية . ٤- رعاية المجموعة. ٥- الحب الشخصي والثقة الشخصية. ٦- تقاليد البيئة ٧- وأخيرا القيم العامة في البيئة.

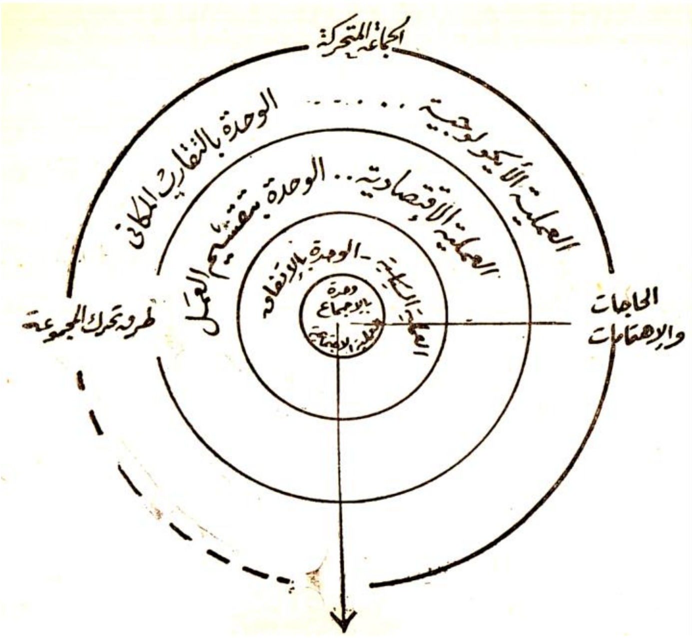
إن السبيل إلى ضمان الحصول على مبررات لإجراء التغيير المقترح المنشود هو المشروعية أي أن يكون هناك حق مشروع يبرر ذلك واصطلاح «المشروعية، هذا يستحق أن نتذكره دائما .

طريق اتخاذ الإجراء الهادف إلى التغيير

إن الحالات الشبيهة بحملة ، ملاعب الطفولة ، وحملة استخدام الفلوريد تميل إلى أن تقع في نمط متكرر بحيث يصبح التعميم أمرا ممكنا وبمعنى أوسع فإن صورة الإجراء الهادف إلى التغيير هي تقريبا ما نراه في (شكل ٨) وبداية الإجراء الهادف إلى التغيير تتمثل في الشعور بالرغبة أو الحاجة أو الميل من جانب واحد أو أكثر في الأشخاص . فإذا كانت البيئة صغيرة ، و ثقافتها متماسكة ، والعلاقات الإنسانية بها قوية ، فإن الأصدقاء سوف يتحدثون مع بعضهم البعض ومن ثم تحصل الفكرة على أتباع . وفي الوقت المناسب ، إذ أن سكان المدينة كقاعدة عامة لا يكونون في عجلة من أمرهم ، تتخذ وجهة النظر شكل اقتراح باتخاذ إجراء هادف إلى التغيير وعند هذا الحد لا تظهر اعتراضات ، وبذا لا يكون من الضروري القيام بحملة ، فالمفروض أن المشروع يحقق الصالح العام . وبعد إجراءات القبول والموافقة الروتينية يحول المشروع إلى السلطات الحاكمة والمدارس أو إلى وكالات وهيئات أخرى للعمل بموجبه . ويكون خط سير العملية على الرغم من بطئه وتلقائيا، أكثر منه مدفوعا.

وفي الحياة الحديثة للمدن الكبيرة ، تكون الموافقة الإجماعية قاصرة بشكل ملحوظ ، إذ تكون البيئة قد انقسمت قبل ذلك بوقت طويل ، إلى أجزاء منظمة وأجزاء غير منظمة ، وتكون الأجزاء المنظمة منقسمة إلى أحزاب ، وتنتقل الفكرة عبر الإطار الخارجي (لشكل ٨) خالقة في الوقت ذاته مؤيدين ومعارضين لها . وتحتل الميدان القوى المؤيدة والقوى المعارضة، و

تلجأ كل منهما إلى فنون استحالة الجماعات ابتغاء التأثير على الرأي العام . ثم ينتقل الموضوع .إلى خط سير العملية السياسية ، فيترك أمر القرار النهائي لما ينتهي إليه تصويت الغالبية . ومن المحتمل أثناء عملية الشد والجذب بين الأفراد والجماعات أن يقع بعض الضحايا . ولربما كانت الحقيقة ، هي إحدى الضحايا ، وهذا على النحو البليغ الذي عبر به "والتر ليبمان" عن ذلك حين قال : وفي أثناء تبليغ المفاهيم البعيدة وغير المألوفة والمعقدة ، للجماهير والجماعات الكبيرة من الناس ، تعاني . الحقيقة ، قدرا لا يستهان به من التشويه ، بل إنها غالبا ما تتعرض لتشويه جذري ... فالمعقد يتحول إلى مبسط ، والاقتراض يتحول إلى أمر يتصف بالجمود ، والنسبي يتحول إلى قاطع مطلق . وحتى عندما لا يوجد تشويه عن قصد بوساطة الرقابة أو الدعاية ... فإن الرأي العام المتمثل في الجماهير لا يمكن الاعتماد عليه والثقة به في أن يفهم حقيقة الأشياء فهما منتظما عاجلا ، إن في الرأي الذي يكونه المرء ميلا فطريا إلى أن يتغذى على الإشاعات التي تثيرها رغباتنا ومخاوفنا .



(شكل ٨) طريق اتخاذ الإجراء الهادف إلى التغيير

ولعل أحد المعاني الرئيسية الواضحة في خط سير الإجراء الهادف إلى التغيير، هو أن غالبية الجماعات البيئية داخل الوطن لا يمكنها ، وقد أصبحت ضعيفة ومنقسمة على بعضها البعض، أن تكون هي البادئة في ميدان المبادأة باتخاذ الإجراء الهادف إلى التغيير المدني ،

ولا يستطيع أن يمسك بناصية المبادأة إلا ، أنظمتهم الخاصة بالعلاقات الإنسانية ، والمتداخل بعضها في بعض ، وفروعها ووكالاتها. وهكذا فإنه بحكم طبيعة حياة الجماهير تقرر وحدة العلاقات الإنسانية أو الوحدة الفرعية أي إجراء ينبغي اتخاذه ، ثم تطلب بعد ذلك من البيئة تزويدها بالسلطة (الحق الشرعي) وبالمساعدة وهذا هو موقف التعليم

العام ، وهذه الحقيقة مغزاها وأهميتها بالنسبة لقادة المدارس .

وبالنسبة للمدارس العامة يكون مجلس إدارة التربية والتعليم هو المنظمة التي تنفذ وتقترح وتتولى المبادأة فيما يتعلق بالبرامج التعليمية . وخلف المجلس يوجد جهاز آخر يزوده بالمعلومات ويحفزه ويقويه يتكون من نظار المدارس والعاملين معهم، وخلف هؤلاء يقف التلاميذ وأولياء أمورهم . والبيئة هي السلطة التي تتولى التصديق والموافقة ، ومن الناحية النظرية فإن نظام المدارس والبيئة يكملان بعضهما البعض ، ومن ثم فإن أية تغييرات تطرأ على أحدهما تنعكس على الآخر ، وما هو صالح بالنسبة لأحدهما يكون صالحا بالنسبة للآخر . وفي ضوء هذه النظرية فإن الهجمات على المدارس إذا كانت حقيقية و موثوقا فيها ، تصبح مثيرة للقلق على نحو خاص .

السلطان ... محليا وقوميا

إن ثمة جانبا من جميع جوانب البيئة ، نقصد بذلك فكرة السلطان، هو أكثر تلك الجوانب تجاهلا وأكثرها حاجة إلى بحث دقيق نافذ .. وإنه لمن الصعب دراسة فكرة و السلطان ، بل إن الحقيقة هي أن إحدى الخصائص الصارخة المميزة للسلطان تتمثل في قدرة «السلطان . على أن يبقى بمنأى عن الاستفسار الخارجي . من نماذج الطراز المطلوب من السلطان، ما ورد في دراسة أجريت حديثا عن مدينة من مدن الجنوب من المحتمل أن تكون عاصمة لإحدى الولايات وفي هذه الدراسة ، اختار "هنتر" Hunter عددا من العليمين ببواطن الأمور ، أي عددا من

الأشخاص الذين تتوافر فيهم معرفة الشيء الكثير عن الناس الذين يعيشون في تلك البيئة وطلب إليهم أن يذكروا له أسماء أبرز الرجال في البيئة ، أي الرجال ذوي السلطان ، ثم بحث عن هؤلاء الرجال واجتمع بهم وسألهم عن دوره في الحياة المحلية ، وعن مدى إسهامهم في الشئون المدنية وغيرها ، وعن المهام الوظيفية التي تتيح لهم سلطة اتخاذ القرارات . وكانت نتيجة البحث الأساسية هي أن السلطان، مركز تركيزا عاليا في مجموعة صغيرة من الناس تتكون بشكل رئيسي من قادة رجال الأعمال والصناعة . ولعل مقتطفات قليلة من النتائج التي توصل إليها "هنتر" كفيلة بأن توضح كيف يعمل جهاز السلطان في البيئة .

وضع مشروع مدني للبيئة

لكي نقف على الطريقة التي يعمل بها السلطان ، قام الباحث بمقابلة القادة البارزين ذوى السلطان وسألهم عن الكيفية التي يتصرفون بها لإنجاز مشروع هام كبناء مستشفى جديد ، فقال "جيمس تريت"– وهو أول الرجال العالمين ببواطن الأمور الذين تم استجوابهم – إن أحدا من جماعته لا يذهب إلى أية مؤسسة منظمة الغرفة التجارية مثلا ، وإنما يجلسون معا ويناقشون الأهداف والمثل العليا ... ولسوف أكون صريحا معك ، إني لا أعرف شيئا على الإطلاق عن مثل هذه الأمور ... وأردف السيد تريت قائلا إن تشارلز هومر هو أهم رجل في المجموعة إنه الشخص الذي تطرأ بباله الفكرة ... وعندما يحدث ذلك فإن هذه الفكرة تطرأ ببال الآخرين ... فلقد طرأت بباله فكرة جعل مدينة ريجو نال مقرا قوميا لمجلس

دولي للنقابات العمالية فاستدعى بعضنا ، وتحدث باختصار عن هذه الفكرة... لم يتحدث كثيرا فنحن الا نشغل أنفسنا بكلام سطحى غير مترابط عن المثل العليا المتعلقة بالموقف الذي نحن بصدده ،.. وهكذا شغلنا أنفسنا مباشرة بالمشكلة وهي كيفية تشكيل هذا المجلس الدولي للنقابات العمالية، ونحن جميعا نعتقد أن الفكرة طيبة... وكنا ستة أشخاص في ذلك الاجتماع ... ولقد يعهد إلى كل منا بعمل معين يقوم به... فالسيد موستر كلف بإعداد وثائق وطلبات تكوين ذلك. المجلس ، وذلك لأنه المحامي . أما أنا فإلى جماعة من الأصدقاء أنقل إليهم الفكرة وأقنعهم بها ... ولكل من هؤلاء الأصدقاء أصدقاء آخرون ينقل إليهم الفكرة أيضا ويقنعهم بها ... وهؤلاء الأشخاص جميعا هم الذين يمكن أن نطاق عليهم اصطلاح والأتباع المؤيدين ،... ولقد تم الاتفاق على جمع... و٦٠ دولار لتمويل المشروع . ويقول تريت إنه كان في الإمكان جمع هذا المبلغ عن طريق جماعته ذاتها، ولكن بالنظر إلى أن تشكيل المجلس كان مشروعا بيئيا قررنا أن نشرك الجماهير الأخرى في هذه العملية ... ودعي أعضاء هذه المجموعات لمأدبة عشاء ... وفي أثناء المادية التي أقيمت في النادي أدلى السيد هومر بكلمة مختصرة ختمها بقوله إنه يؤمن بصحة الافتراض القائل بأنه يكفي تخصيص عشرة آلاف دولار لهذا المشروع . ثم جلس ... وفي وسعك أن تتصور كيف مالت رهوس البعض على رءوس البعض الآخر في حديث هامس ... ثم قالت الجادة التي تمثل ديك التنمية، إنها تعرض تخصيص مبلغ مماثل مع ضمان بأن يستمروا في المشروع لمدة ثلاث سنوات ... وعرض البعض الآخر ما يتراوح بين خمسة آلاف وثمرة آلاف دولار

... وهكذا يمني سبيل العروض إلى أن أقف أنا بعد ثلاثين أو أربعين دقيقة لأعلن لهم أننا عند هذا الحد – نكون قد حصلنا على وعود وضمانات بما نحتاج إليه من مال ، وأضاف السيد تريت تفصيلات أخرى قال : "وعندما ذهبنا إلى هذا الاجتماع كان اختيارنا قد وقع بالفعل على أن يكون رئيس مجلس الإدارة رجلا من يشغلون المستوى الثالث من مستويات السلطان رأى رجلا خليقا به أن يستمع إلى النصيحة، وعندما سئل تريت عن الوقت الذي تم فيه تبليغ الجمهور بذلك ، قال «بعد أن بدا أن المشروع سليم من الناحية العالمية . ذهبنا إلى الصحف قائلين إن لدينا اقتراحا يستحق التفكير... وبطبيعة الحال ، لم يكن هذا الموضوع خبرا جديدا بالنسبة لعدد كبير منا، ولكن لفت نظر الغرفة التجارية وغيرها من المؤسسات المدنية ودفعها إلى المشاركة ... وهكذا يظن الجميع أن الفكرة طيبة و يعملون على أن يجدوا مكانا يشغله المجلس ، ثم يعملون على إقامة المجلس ... وهذا هو كل ما في الأمر ».

ومن هذا يتضح بشكل عام أن صورة السلطان أشبه بصورة الهرم... هرم السلطان الذي.. تتناسب وحداته و ترابط – بشكل ، أو آخر في كل لا يتجزأ ... وأعلى مرتبة فيه (أو الدائرة الداخلية الأساسية) تتكون من حوالي أربعين شخصا من مجمع سكان المدينة الذين يبلغون . نصف مليون نسمة ... و على رأس هؤلاء الأربعين ، السيد هو مر ... وهؤلاء القادة لم ينتخبهم أو يعينهم الجم ور بل إن الحقيقة الواقعة هي أنه من المحتمل ألا يكون الجمهور الذي يدلى بأصواته ، على علم حتى بأسمائهم ، ..... إنهم في الغالب ينتخبون ويختارون أنفسهم – باعتباره جزءا من نظام يعمل

باستمرار بصفة تلقائية . ومن المناسب أن نذكر هنا أن المشرفين على المدارس في المدينة وفي المقاطعة كانوا في أسفل قائمة القادة الأربعين : ولا يذكر "هنتر" إلا الشيء القليل من دور المدارس في هذه العملية إذا استثنينا ما ذكره من أن هذه المدارس-شأنهافي ذلك شأن غيرها في استخدام وسائل الاتصال والتبليغ للجمهور من نشر وترويج أفكار المجموعة ذات السلطان .

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع هنا أن نتقدم برأي استعراضي ناقد عن البحث الخاص بالسلطان . نجد أنه من الضروري أن نذكر بحثا واحدا على الأقل ، هذا البحث هو الكتاب الذي وضعه ميلز وهو الكتاب الذي ينطوي على بحث وصفه أحد النقاد بأنه "يحلب الألبان من ناحية ، ويثير الحق من ناحية أخرى " . و من ضروب النقد التي وجهت إلى الكتاب أن مؤلفه رباع دولته بثمن بخس ، وأنه تجاهل مواطن القوة فينا ، و بالغ في تصوير أخطائنا ... كذلك قال ناقد آخر : إنه لا يعطى النخبة التي تتميز بالسلطان ما تستحق من تقدير بسبب ما تفعله من خير وعمل صالح . وبالنسبة إلينا يبدو الكتاب متحيزا إلى حد بعيد ، غير أن جزءا كبيرا منه حقيقي . إذا قيس بمقياس المعارف العامة . ويبدأ السيد . ميل ، بأن يتتبع الطريقة التي تكون بها المجتمع الأمريكي وكيف شكلت الأمة ، فمثلا شرح كيف أن الصناعات المحلية – ويتكون كل منها من وحدة إنتاجية تعمل في ظل التنافس الحر، قد تحولت بعد نموها إلى شركات مساهمة كبرى ، ويعتقد هذا المؤلف أن ما يتراوح بين مائتين وثلاثمائة من هذه الشركات المساهمة العملاقة تمسك الآن بمفتاح القرارات الاقتصادية.

وإلى حد ما القرارات السياسية – في الولايات المتحدة الأمريكية . كذلك شرح كيف أن النظام السياسي الذي كان في وقت من الأوقات مجموعة الا مركزية من الولايات التي يشدها إلى بعضها البعض عمود فقرى صغير أصبح تشكيلا مركزيا قويا يشق طريقه إلى داخل كل جزء من أجزاء البنيان الاجتماعي .... وشرح كيف أن القوة العسكرية نمت واتسعت حتى أصبحت أكبر جانب من جوانب الحكم وأكثرها تكلفة، ما جعلها ذات نفوذ هائل شامل في حياة كل مواطن ،.

وهكذا يصل المؤلف إلى أن ، النخبة ذات السلطان ، هي تلك التي توجد داخل هذه التشكيلات أو النظم الثلاثة. فهناك أولا، الأثرياء الكبار ، أي رجال الشركات المساهمة . وهناك ثانيا الساسة الكبار وهم، على حد قول المؤلف "رجال لم يعودوا يبرزون في مراتبهم عن طريق الانتخاب وإنما يقفزون مباشرة إلى المناصب الإدارية العليا بعد أن يلتقطوا من بين المستويات العليا في دوائر الأعمال والجيش والبحرية ، وهناك ثالثا كبار رجال الجيش والبحرية الذين – أصبحوا في الآونة الأخيرة ذوى سلطان ، نتيجة للانقسام النووي وأثره على العالم كله ، وعلى اقتصاديات الحرب الدائمة . هؤلاء هم الرجال الذين يمسكون بناصية ، السلطة، والذين يسيطرون على الحياة الأمريكية – على حد قول المؤلف. ويؤكد المؤلف ما تتسم به هذه القطاعات الثلاثة من ميل متزايد إلى تخطى حدود سلطانهم ومن ثم إلى زيادة سلطان الرجال الذين يجلسون على القمة . ويعرب المؤلف عن قلقه من جراء قدرة أولئك الذين يقومون بالأدوار العليا على تبادل سلطاتهم ومراتبهم ، فالرجال البارزون الرئيسيون في كل مجال من

هذه المجالات الثلاثة ينتقلون بسهولة من مركز إلى آخر – فكبار ضابط الجيش يصبحون مدير ين تنفيذيين في الشركات المساهمة ، ومديرو الشركات يحتلون المناصب السياسية ، والعسكريون يشغلون القمة في ميداني السياسة والأعمال .

طبيعة السلطان

إنها لخطوة طويلة ونهاية طبيعية أن تهبط من قمة اهتمام مستر د ميل ، الجارف الطاغي إلى دراسة روتينية عن السلطان، وإلى بحث عن المظاهر العملية للسلطان على النحو الذي تؤثر به هذه المظاهر على العاملين بالمدارس المحلية ". والواقع أن القارئ قد وقع نظره في كثير من صفحات هذا الكتاب على "السلطان" . فمثلا تعرض الفصل الأول للسيد وفلان، عضو مجلس إدارة إحدى المدارس، الذي كان يبدي اهتماما خاصا بالرياضة البحتة . كذلك تعرض الكتاب بعد ذلك بقليل ، لأفضل حالة من حالات السلطان التي عولجت في هذا البحث ، ونعني بتلك الحالة ، العراك السقيم التافه و حول العلاقات بين العمال والإدارة في أحد مصانع "ترويت كذلك لاشك أن القراء يتذكرون مار و بناه عن السيد و سيرز ، بمدرسة ،الآن رايس ، الذي اقتسم سلطانه مع هيئة التدريس، ويتذكرون المشرف "اليسون" تلك الشخصية التي كشفت عن تخاذلها وضعفها في الكفاح من أجل زيادة مرتبات المدرسين في مدرسة " ميرسر " ويتذكرون المدرب مايك بمدينة ر ماين ، ويتذكرون مدير المدرسة الذي وصل الآنسة "مونيرى" إحدى المدرسات ويتذكرون « بيك ، الناظر الذي احتج على

المعاملة التي عوملت بها " سارة جارفيز " ومع ذلك كان يشعر أن نظام السلطان في "فيرمونت" أكبر بكثير من أن يطيق مجابهته .... وهناك أمثلة كثيرة أخرى عولجت في هذا الكتاب ويستطيع كل قاري أن يتذكرها.

والآن ما هو السلطان؟ و من الذي يمسك بزمامه؟ وكيف يستخدم؟ .... وإذا كان السلطان فسد صاحبه فما الذي يمكن عمله لتلافي ذلك ؟ وأخيرا . أين على ضوء هذا كله تجد المدارس العامة المكان الملائم لها فيه ؟ الواقع أنه ليست هناك ، حتى الآن ، إجابات قاطبة لهذه الأسئلة . ولهذا يجب على المرء منا أن يحترم الخبرات والآراء التي تختلف عن خبراته وآرائه الخاصة .

ولكي يفهم المرء معنى السلطان ، بوسعه أن يفكر في نظام اجتماعي أبسط من البيئة ككل ، كأن يفكر مثلا في النظام المدرسي . فإذا ما كان السلطان هو القدرة على إملاء القرارات وفرضها ، فإن ناظر المدرسة يملك نصيبا من هذا السلطان ، فهو يستطيع – بموافقة مجلس الإدارة أن يعين المدرسين أو يفصلهم . وأن يرقيهم أو يهبط بمناصبهم ، وأن يقبل الميزانيات أو يرفضها ، وأن ينظم ، أو يعيد تنظيم ، الحياة العملية بالمدرسة . إن سلطانه مفوض إليه به، تدعيما لمنصبه ومع ذلك يجب عدم الخلط بين ذلك السلطان، بين مقتضيات الوظيفة التي يتقلدها فلربما كانت الوظيفة التي يتقلدها الشخص تمنحه سلطة التصرف و لكنه مع ذالك يفتقر إلى السلطان الذي يجعل قراراته ملزمة . فالسلطة شيء و السلطان شيء آخر . كذلك ليس السلطان هو المركز المهيب أو النفوذ ، ذاك أن

الأشخاص الذين يملكون النفوذ قد يكونون بدورهم بمجرد وسائط وأدوات في أيدي أولئك الذين يملكون السلطان.

وإنه لفي الإمكان إدراك العلاقة بين السلطان و القوة الآمرة عن طريق تأمل المفهوم الذي يستخدمه رجال البحرية حينما يقولون : إن الأسطول في حالة التكوين ، و(إن الأسطول في حالة الاستعداد للحركة.. فحالة تكوين الأسطول تمثل السلطان ، على حين أن حالة الاستعداد تمثل القوة، حتى ولو لم تكن هناك معركة يخاض غمارها . فعندما يشرع الأسطول في التحرك للعمل يتحول السلطان إلى قوة ضاربة . وهكذا فإن « السلطان ، إنما هو و قوة ، كامنة و معنى ذلك أن السلطان نمط أعمال القهر ، يمكن وضعه موضع التنفيذ والتطبيق وقد يخطي المرء التعرف على السلطان فيأخذ مثلا . التهويش ، أو الإيهام الكاذب الزائف بالسلطان ، أو والادعاء على مأخذ السلطان ، على حين أن هذا أو ذاك ليس هو السلطان إلا أنه عند ما يؤخذ ر التهويش ، مأخذ السلطان بلا مناقشة ، الأمر الذي غالبا ما يحدث في الحياة اليومية ؛ فإن هذا التهويش ، يستطيع أن يحقق نفس الغايات التي حققها السلطان . ولقد دلت عدة دارسات تجريبية مألوفة لنا، على أن بنيان السلطان في البيئة المحلية يتمثل – على ما يبدو – في "نواة" أو مركز دائرة تتكون من أشخاص يحيط بهم أشخاص آخرون أقل سلطانا يقومون بربط تلك النواة ، أو مركز الدائرة بالبيئة . وتتكون هذه النواة ، أو "مركز الدائرة" من عدد صغير من الناس من خمسة إلى عشرة أشخاص ، أيا كان حجم الجمهور وعدده. يرجع ذلك على نحو رئيسى – على ما يبدو – إلى القوى الديناميكية الداخلية

الكامنة في أولئك الذين يمثلون ، النواة ، أو ر مر كز الدائرة ، وهذه حقيقة لها وزنها ، ذلك أن وجود عدد أكبر من هؤلاء الذين يحتلون القمة ، قد يجعل من العسير جدا على هؤلاء الأشخاص أن يتفاعلوا معا تفاعلا عاده ما يربط بينهم من مودة وتعارف وثيق؛ وأن يعملوا في سرية وسرعة نسبيتين . وهناك عدد أقل من هؤلاء ، ودون وظيفة ذات شقين رئيسيين فهم أولا يعملون على جعل والنواة أو – مركز الدائرة ، على علم دائم بحاجيات البيئة وردود الفعل ، وثانيا يعملون على تنفيذ القرارات ذات المستوى العالي . وعلى كل حال فإن النظام ككل كما قلنا من قبل يتصف بأنه يحمي نفسه بنفسه ، وعلى ذلك فإن من العسير تطبيق طرق على الاجتماع التقليدية على مثل هذا النوع من البحث .

أدوار القادة في عملية التصرف

إن معظم العاملين بالمدارس الذين يسهمون في خط سير العملية المتعلقة باتخاذ إجراء مدني إنما يفعلون ما يفعلون كأي مشترك عادي، وهذا مركز اجتماعى طلب على أية حال ... ولكن لنتخيل أن البيئات الاجتماعية توقع اليوم قدرا أكبر من القيادة يتولاه العاملون بالمدارس ، واستعدادا كبر من ناحيتهم للمساعدة في المشروعات المدنية بالبيئة ، فكيف يستطيع العاملون بالمدارس أن يجدوا لأنفسهم الدور الملائم في هذا الصدد ؟ ، لو درسنا هذه المشكلة بوجه عام لوجدنا أن رؤساء المدارس والمدرسين وغيرهم يقومون بخمسة أدوار كبرى ، يكون اختيار كل دور منها معتمدا على وجوه الاختلاف الشخصية ، أو المتعلقة بالظروف . هذه

الأدوار الخمسة الكبرى هي :

١- الباحث التقليدي.

٢- الباحث الملاحظ

٣- مستشار البحث

٤ – مدير التنفيذ

٥ – مدير المشروع.

وليست هذه الأدوار مرتبة هنا بحسب الأسبقية أو التفضيل : ذلك أننا لا نملك معلومات إحصائية يعتمد عليها في هذا الصدد، فهذه الأدوار جميعا تقع على خط واحد متصل من الدراسة، وكلها يكمل بعضها البعض ويتداخل في بعضه البعض وهذه نقطة تتطلب دراستها وقتا طويلا. هذا إلى أنه ما من دور من هذه الأدوار يمكن معالجته على النحو الذي تقتضيه ضرورته، وفي الحقيقة يجب إغفال بعض هذه الأدوار كلية فقد تضمن الفصل الثاني من هذا الكتاب بعض التعليقات في هذا الصدد في سياق الحديث عن "دراسة التصرف".

١- الباحث التقليدي : هو الدور الذي يتعلمه الكثير من الطلبة في الكلية خصوصا المتخصصين في العلوم الاجتماعية ، والشخص الذي يقوم بهذا الدور هو شخص محترف ماهر تدرب على منطق وطرق ميدان دراسته . إنه يقف على الحياد من المعلومات والحقائق التي توضع تحت

الفحص ، ويقف بمعزل عن الناس ، لا يتدخل في حياتهم . ذلك أنه يبحث فقط عن الحقيقة التي توضع موضع الاختبار ، وهي تتمثل غالبا في أنماط سلوك الناس . وليس هدفه هو تغيير الناس ، اللهم إلا أن يكون العمل الذي يقوم به تجريبيا ، وإنما هدفه هو أن يفهم حتى يستطيع أن يتنبأ بما سوف يفعلون ، وهو يؤمن بأن العلم قد يفلح في ترقية وتنمية الرفاهية البشرية بل إنه في الحقيقة يأمل في أن يحدث هذا بالفعل ، وإن يكن ذلك متوقفا على استخدام الآخرين النتائج العلم ، وهذا أمر خارج عن سيطرته ونطاقه ، وغالبا ما يضطلع الخريجون بهذا الدور ، أولا عندما يكتب كل منهم البحث أو الرسالة المتعلقة بميدان تخصصه ، ثم بعد ذلك عندما يلتحقون بالعمل في المدارس . ومن المناسب أن نقول إن عددا كبيرا من المربين قد فقدوا ثقتهم في صلاحية هذه الطريقة لتحسين برامج المدرسة ذاتها أو برامج المدرسة المتعلقة بالبيئة . ولعل نقد دكوري، للباحثين التقليديين هو خير تصوير في هذا الصدد .

يقول "كورى" : "يبدو أنهم أي الباحثين التقليديين يعتقدون مع ذلك أن اكتشافاتهم التي نشروها في شكل بحوث مطبوعة تؤدي في الوقت المناسب إلى إحداث تغييرات نحو الأفضل، والحقيقة التي تقول إن الباحث المحترف نادرا ماينكون مشغولا بنشاط فعال في محاولة عمل شيء يتعلق بالمشكلة التي يدرسها ... هذه الحقيقة يشيرون إليها على أنها فضيلة ، بحجة أن اهتمامه بالإجراء العملي الذي ينتج عن بحثه قد يؤدي إلى إفساد و تشوبه المعلومات التي يجمعها ، وخطته التجريبية ، وسمعته بين نظرائه.

ويمضي هذا الكاتب – وهو باحث مرموق – في التعبير عما يراه حقا فيقول: إن المشتغلين بحل المشكلات يفترض فيهم أن يطبقوا نتائج البحوث التي يطلعون عليها، ولكنهم نادرا ما يفعلون، ومن ثم فإن الدراسة التي يقومون بها لا تلبث أن تصبح «مجرد دراسة تنشر في الصحف أو توضع في رفوف المكتبات. وتكون غير ذات فائدة، أو ذات فائدة ضئيلة في تحسين سياسة وأنظمة المدرسة أو أساليبها، ويرى كورى أن البحث الخاص بالتصرف هو طريقة طيبة التحقيق تغييرات البرامج.

. ونحن نعتقد أن كوري على حق فهو يعبر عن الشكوى العامة الصادرة عن الأشخاص الذين يوصفون بأنهم عمليون، هذه الشكوى التي تتمثل في الشعور بأن نوع البحث الذي يجري تحقيقه لم يقدم الجديد المتوقع منه في مسألة التغيير ، أما أين يكمن الخطأ في هذا الصدد فأمر يتوقف على الكيفية التي تنظر بها إلى دور البحث ، فالعالم التقليدي قد يرفض التسليم بضرورة فص ، واختبار الفائدة الناجمة عن إجراء التغيير بحجة أن ذلك لا يرتبط بالعمل الذي يقوم به ، ذلك أن اهتمامه الرئيسي يدور حول الإسهام العلمي عن طريق إضافة جديد إلى المعرفة وأن يبني بناء منتظما من المعرفة هو العلم .

٢– دور مستشار البحث : وهو من الأدوار المفضلة إلى حد كبير في نظر قادة المدارس ، وعلماء الاجتماع بالبيئة و غيرهم ، وقد يكون هذا الدور أكثر الأدوار الخمسة المذكورة فيها سلف استحقاقا لمزيد من الدراسة ، والواقع أن علماء جامعة "ألاباما" الذين ساعدوا في إعداد

المسح الصحي في مدينة تالاديجا . كانوا مستشارى بحث . والآن تعالوا بنا نعرف كيف ربطوا أنفسهم بذلك المشروع البيئي .

مستشار البحث

لقد شققنا طريقنا إلى الخطة الموضوعة ، وحددنا لأنفسنا اقتراحات معينة أوضحناها بجلاء الأعضاء البيئة الاجتماعية . و لقد قبلنا أن يجري أي نشاط نقوم به داخل الأنظمة الاجتماعية والثقافية القائمة كما حددتها البيئة. كذلك أوضحنا أنه ليس من مسئولياتنا أن نحاول القيام بدعاية من شأنها التأثير على البيئة ابتغاء تعديل في أنظمتها أو أنشطتها القائمة .

وأخيرا كان الموقف الذي اتخذناه لأنفسنا هو ألا نقوم بدور فعال في التنظيم ، أو في التعريف بالمشكلات ، أو في الإجراءات الإدارية ، اللهم إلا إلى الحد الذي تقتضيه الأسئلة المحددة المحولة إلينا لدراستها، ووضع التوصيات الخاصة بها.

ولقد طرقوا هذه الاعتبارات المتفق عليها طرقا شديدا دون شك أثناء المناقشات التي كانت مهددة بأن تذهب هباء أو بأن تثير انفجارا ، ذلك أنه ليس من السهل إيصال ، هذا النمط من أنماط سلوك البحث إلى عقول جماعة من عامة الشعب غير الأخصائيين . أما النقاط الرئيسية التي ينبغي أن نلاحظها هنا فهي المسئوليات المحددة التي تقبلها المستشارون ، أو بمعنى عكسي أنواع القرارات التي تركت لجماعة مجلس البيئة . فالباحث كيمبول ومرافقوه لم يتخذوا مثلا أي موقف فيما يتعلق بالنظام العنصري

القائم على أساس اللون في تلك المدنية ، وبذلك عرضوا أنفسهم لنقد من جانب أساتذة تالاديا الذين يناهضون التمييز العنصري .

إن العمل الذي اختار المستشارون أن يضطلعوا به كان عملا فنيا ، ونعني بذلك المساعدة ، وإبداء النصح بالنسبة لعمل الدراسة.

وفيما يلي نذكر شطرا من هذا العمل بالذات .

إن الأسئلة التي كان يجب أن يتضمنها البحث كانت مقدمة من لجان اختصت بجوانب مختلفة من الناحية الصحية و لقد أخذنا هذه الأسئلة وأعدنا صياغتها كلما كان ذلك ضروريا، ونظمناها بطريقة تسمح للعاملين غير المبرة بأن يستخدموا كتابا مرشدا يساعدهم على ذلك . ثم قامت إدارة التخطيط التابعة لمجلس البيئة بمراجعة أسئلة الاستقصاء ، ووافقت عليها بصفة نهائية بعد أن أدخلت عليها تعديلات غير ذات بال . ولقد قسمت المدينة إلى مناطق وأخذت عينة من كل خامس أسرة من كل منطقة. وجند للعمل متطوعون من البيض والزنوج على السواء من منظمات مختلفة . ولقد زودنا العاملين بتعليمات تشرح كيفية القيام بالاستقصاء. وبالإضافة إلى ذلك راجع معنا كل شخص مكلف بالاستقصاء السؤال الأول المكلف بالاستقصاء عنه بعد الانتهاء منه ، ومن الواضح أنه إذا كان هذا هو المسلك المثالي فإن الدور الذي يضطلع به المستشار يتطلب درجة من التخصص الفني في إعداد الدراسة ، كما يتطلب عمقا في التدريب بندر توافره في العاملين بالمدارس. وهذه نقطة

ينبغي تسجيلها و ملاحظتها، لأنها تنطبق على جميع الأدوار الخاصة بدراسة التصرفات الهادفة إلى التغيير ، ومن ثم فإنها تضع قيودا على القيادة الفعالة من جانب العاملين في مجال وضع البرامج المدرسية للبيئة . ونكتفي بأن نذكر بضع مقتطفات أخرى من البحث الذي تم إجراؤه في تالادبجا وإنه لفي وسع المرء أن يلمس في الفقرات القليلة التالية مدى تبصر واضعي التقرير فيما يتعلق بدورهم وأفكارهم العامة المجردة عن العلاقات الإنسانية – يقول التقرير :

" إنه لمن الأمور غير الواقعية أن نفترض أننا لا نؤثر في البيئة أو أنا لا نؤدي إلى أن يطرأ عليها أي تغيير نتيجة لما نقوم به من نشاط، بل إن الدور الذي اضطلعنا به في الاستقصاء قد جعلنا نقوم بتوجيه بضعة أسئلة معينة ، ما كانت تثار لولا ذلك . كما أن اختيارنا و تدريبنا للقائمين بمقابلة الجمهور وسؤاله قد ربط هؤلاء الأشخاص بعضهم ببعض كما منحهم خبرات وتجارب .. وعلى الرغم من أننا نتجنب إصدار أحكام تتعلق بقيمة النتائج المستخلصة فإن الإشراف الذي يتيحه لنا التبويب وعملية وضع الجداول يؤدى إلى ترتيب الحقائق ترتيبه معينة مبنيا على علاقات جديدة كما تتيح الفرصة لاحتمال ظهور ضروب جديدة من التبصر وبعد النظر .

ويجب أن يكون واضحا الآن أن دور مستشار البحث هو أصعب بكثير من دور القائم بحث مباشر يبنيه على أساس الدراسة التقليدية للبيئة.

وعلى الرغم من أن الهدف هو أن يبقى المرء بمنأى عن مشكلات

معينة بالذات من مشكلات البيئة ، فإن التداخل في هذا المجال أمر له وزن كبير مادام من الضروري أن نعمل مع المواطنين كما لو كنا أعضاء في فريق واحد ، والواقع أنه يجب على الباحث أن يبقى بمعزل عن الكثير من نواحي الحياة في البيئة ، غير أنه يجب عليه مع ذلك أن يلاحظ تلك الحياة، وأن يشترك فيها ، ومن ثم فإن هذا الدور إذا ما أريد له النجاح يتطلب قدرا كبيرا من المهارة ، و معيار النجاح هو مدى الاستحواذ على الثقة ، ومدى توسيع نطاق المشاركة .

وترتبط المهارة الأساسية بمدى فهم الأنظمة الاجتماعية والثقافية في البيئة . فهناك من ناحية ثمة ضرورة للتحرك داخل هذا الإطار ، وهناك من ناحية أخرى ثمة ضرورة لتجنب ممارسة تأثير أو نفوذ كبير.... إن هناك ثمة حاجة إلى التحرك وفقا لما تقتضيه طبيعة البيئة ومشكلاتها . يجب التوصل إلى تعريف لضروب النشاط تقبله البيئة ، ويؤدي مع ذلك إلى التغيير الواضح للأهداف المتضمنة في العلاقة بين الطرفين . وكذلك أن تتوافر سهولة التأقلم والتكيف مادامت علاقات العمل تتغير وفقا لتغيير الموقف . ويتضح من هذا أن الحاجات التي يعمل الباحث تحت وطأتها كبيرة . غير أن الجزاء قد يكون كبيرا أيضا.

أما الفوائد التي تتحقق ، فإنها تمتد إلى حياة البيئة و أيضا إلى الدراسات الاجتماعية بوصفها علما ، وعلى الرغم من أن معلوماتنا عن ديناميكية البيئة بعيدة كل البعد عن أن تكون كافية ، فإن هناك ميادين معينة نستطيع أن نزعم أننا كنا أكفاء فيها – فيلا نحن نعلم أنه كلما اتسع

نطاق المشاركة وكلما كان التداخل عميقا ازداد احتمال نجاح المواطنين في معالجة مشاكلهم . غير أننا نعرف أيضا أن ضروب الانقسام القائمة تحول في الغالب دون التوصل إلى الحلول الناجعة

المطلوبة . فإذا ما أمكن استخدام المهارات المستخلصة من علم الاجتماع في سد الثغرة بين القطاعات والجماعات المنفصلة بعضها عن بعض ، بحيث تعمل سويا ...... إذا ما أمكن ذلك فإنما نكون قد أسهمنا بحق في تحقيق حياة مبدعة خلاقة .

ومما لاشك فيه أن المستشار يقف موقفا أصعب من موقف الباحث التقليدي، والسبب هو أنه ينهمك في نشاط يتعلق بالعلاقات الإنسانية ، وهو من الناحية العملية لا يتوجه بالنصح إلا عندما تطلب نصيحته ، لا في كل شيء ، وإنما يختص بأسئلة الاستقصاء فقط . ومن الناحية العملية لا يستطيع أي شخص يعمل عملا وثيق الصلة بالناس أن يحجب نفسه عن مشاركتهم صفاتهم الإنسانية . كما أن مجرد وجوده بين هؤلاء الأشخاص قلما يؤثر فهم . وهو بحكم تصرفاته أو بحكم تصرفات الآخرين يجد نفسه مشدودا إلى أنظمة فرعية معينة في البيئة ، حرى بها لو أنه نجح في جهوده الرامية إلى التحرر منها ، أن تلحق الضرر بمدى فاعلية بحثه . ولقد كان «كيمول ، و "بيرسول " واضحين كل الوضوح في هذه النقطة .

وإذا ما تابع المرء السير وراء الفكرة التي ذكرناها فيما سلف ونعني بذلك فكرة الأسماك مع الناس في العمل ، فإنه يصل إلى دور . مدير

المشروع .

ولقد قيل إن مدير الدراسة والبحث بسبب اهتمامه البالغ بالنتائج المترتبة على العمل، نادرا ما يستطيع أن يسهم في ون أو علم تعليم العلاقات الإنسانية غير أننا لا نوافق على هذا القول. وذلك أن الأسطورة القائلة بأن المرء يصبح موضوعيا بمجرد جلوسه في مكان جانى من برنامج خاص بالإجراء الهادف إلى التغيير ، وبمجرد التحدث كلما تحدث إليه أحد، وبعدم اتخاذ أي موقف شخصي إزاء أية مسألة خلقية .... هذه الأسطورة لا تلقى إلا الازدراء التام من جانب علماء الاجتماع. بل إن الإصرار على اتخاذ أمثال هذه المواقف المتشددة من شأنه أن يحجب علماء الاجتماع عن مشروعات المدرسة أو البيئة كما أنه يحد من قيادتهم في مثل هذه المشروعات ، إن هذا الإصرار من شأنه أن يؤدي إلى الفصل المتعنت بين والعالم والمواطن ، بحيث يتعين على المرء الذي يشاء أن يتحول من هذا الميدان إلى ذلك أن يفعل ذلك في اندفاعه متهورة وصاخبة في نفس الوقت ، على نحو يبدو مثيرا للسخرية والضحك من جانب أي شخص يتمتع بادراك سليم رشيد .

والواقع أن الموضوعية هي بالطبع ، وإلى المدى المستطاع ، ركيزة أساسية لأية دراسة موثوق بها ويمكن الاعتماد عليها . وهي في حد ذاتها ليست دورا قائما بذاته بقدر ما هي جزء لا يتجزأ من جميع أدوار البحث . إنها سلوك يسلكه المرء نحو عمله ، وهي نظام يفرضه على نفسه ، بالإضافة إلى المهارة في استخدام أدوات العالم . ومن ثم فإن مدير المشروع

هو إلى حد ما به شخص تجريبي – يتيح له وضعه أن يتسبب في حدوث الأشياء ، وأن يجربها ويختبرها . وهو يستطيع أن يلزم نفسه بالقيم ، شأنه في ذلك شأن أي شخص يرغب في ذلك عندما يشرع في دراسة مشروع أو عندما يفرغ منه . وإنه ليتعين عليه في المرحلة الوسيطة أي في مرحلة تصميم هيكل الدراسة ، وجمع الحقائق ووضع خط السير، أن يعالج اتجاهاته الخلقية الخاصة به معالجة صارمة لا هوادة فيها.

اتجاه نحو السلطان

تبقى بعد ذلك فكرة واحدة، فكرة نختم بها هذا الفصل وهذا الكتاب... هذه الفكرة هي علاقة المدارس بأنظمة السلطان المحلية، وسنحاول، أن نذكر، باختصار، كيف تبدو هذه الفكرة لنا.

١– المدارس جزء من أنظمة السلطان المحلية :

ولقد أوضح كار نفس هذا الاعتبار منذ وقت طويل . ولعله مما يستحق التفكير أن نعرف السبب في أنه لم تجر منذ ذلك الوقت متابعة لدراسته هذه، إن بعض رؤساء المدارس يعرفون الشيء الكثير عن السلطان في البيئة المحلية، ولكنهم – بقدر ما علمتنا خبرتنا الخاصة – عازفون عن مناقشة هذا الموضوع، ويعرف كل من نظار المدارس والمدرسين أنهم في كل مرة يحاولون تحسين برنامج أو توسيع خدمة ، إنما يمسون بنيان السلطان . وسواء أكان ذلك خيرا أم شرا فإن المدارس جزء من أنظمة السلطان بالبيئة .

٢- يجب على العاملين بالمدارس أن يدرسوا السلطان ووسائل استخدامه ، ويستبعد من هؤلاء العاملين بالمدارس أولئك السذج والذين يزعمون أنهم مشغولون جدا... أما السذج هؤلاء فيمثلهم ذلك الشخص الذي يهرول في الطريق و يندفع نحو مواطن مر مزق ثم يسأله عما إذا كان أحد ذوي السلطان أو عما إذا كان أحد أفراد الصفوة المتمتعة بالسلطان الواقع إن دراسة السلطان معقدة جدا إلى حد يصعب معه إبداء أي تعليق في هذا الصدد . غير أن هناك الملاحظة التي تتمثل في الاستقصاء القائم على أساس الاستطلاع والمشاهدة و السؤال ، وهذه الملاحظة يمكن أن تتوافر للمرء من خلال تحركه في البيئة في أثناء اضطلاعه بعمله – وهناك أيضا طريقة هنتر التي تنطوي.

على "تكنيك" يمكن تحسينه . وهناك فوق كل شيء ، الظروف والمناسبات التي يكشف فيها السلطان عن نفسه ، الأمر الذي يحدث مثلا في أثناء الحملات التي تقوم بها في المدارس من أجل بيع بعض الأوراق المالية . وبطريقة ما أو أخرى يمكن إعداد سجل عن تلك المناسبات ، كما يمكن الكتابة عن هذا الموضوع في المجلات التي يقرؤها العاملون بالمدارس .

٣- دور المدارس في دوائر السلطان ، دور متغير :

وعلى العموم ، يبدو أن وظيفة المدارس هى نشر و حماية دواعي الاهتمام بالسلطان ، ومع ذلك يوجد ثلاثة استثناءات لهذه القاعدة . فقد

عرفنا مدارس كثيرة في أماكن صغيرة كان العاملون فيها هم البادئون بإحداث التغيرات في البيئة و ثانيا استطاع المدرسون المنظمون – وهذا هو ما حدث في عدد من المدن الكبيرة – أن يحققوا انتصارات ملحوظة في مجهوداتهم الهادفة إلى تحسين مرتباتهم وظروف عملهم وغالبا ما كان هذا يحدث في وجه معارضة قوية . وثالثا استطاع بعض مديري المدارس أن يجعلوا من أنفسهم رجالا مشهورين تتحدث عنهم الصحف في صفحاتها الأولى ، عن طريق وقوفهم في جانب ما يؤمنون به ، حتى ولو كان معنى هذا حرمانهم من وظائفهم .

٤ –يجب على المدارس أن تعمل مع أشخاص ذوي سلطان: إن هذا القول كما قد يفترض المرء منا، يوضح نفسه بنفسه. فإذا غير ذلك يستطيع أن يفعله العاملون بالمدارس؟ إن القيام بوظيفة في مدرسة ما معناه أن يربط القائم بهذه الوظيفة نفسه بمعهد من المعاهد على نحو يحقق ذاتيته. وهذا المعهد مرتبط هو الآخر بالتعاون والخدمة العامة. والأسئلة الجديرة بالإثارة حقا هي: كيف يمضي هذا العمل وما هو الحد الذي يقف وينتهي عنده أي مجهود أبعد مدى من ذلك؟ وبطبيعة الحال يجب على المرء أن يتعلم من الجمهور ما يريده هذا الجمهور، والثمن الذي يستطيع أن يدفعه أو سيدفعه في مقابل ذلك وأن يجعل الجمهور على علم بكل شيء وعلى مدى أبعد من هذه التصرفات التي يسيغها الإدراك السليم الرشيد، يبدو أن من ضروب الأساليب السلوكية السليمة أن يحاول المرء إقناع الأشخاص ذوي السلطان وأن يتفاوض معهم في نهاية الأمر. وكل هذه الفنون تأسيسية في المجتمع الديمقراطي ولسنا بمستطيعين أن نفكر في

سبب كاف يمنع العاملين بالمدارس من استخدامها وممارستها.

٥- ويجب على المدارس أن تصر على حق تعليم الصغار الحياة الديموقراطية بما في ذلك طبيعة السلطان واستخداماته وكلما تكدست و تراكمت البحوث التي تعالج طبيعة السلطان ، وهذا ما يبدو أنه سيحدث بحكم الضرورة ، حصلنا على معلومات وحقائق نستطيع عن طريقها مراجعة الشيء الكثير مما يكرهه ويخافه ويستنكره ويعترض عليه السيد " ميلز" هذا. وقد أوضح المستر "هنتر" في دراسته لإحدى المدن وجهات نظر هي :

١. إن نظم قيادة السلطان في هذه المدينة نظام غير ديموقراطي بمعنى أنه لم يكن يرتكز على الإرادة الحرة التي يعبر بها الناس.

٢. كان هذا النظام قاصرة على التمكين للعمل العام في الانطلاق ولقد كان يقصد بهذه النقطة أن بنيان السلطان كان ضيقا جدا بسبب وجود أشخاص قلائل جدا في القمة – إلى حد أن الجمهور لم يكن يضع السياسة المطلوبة بسبب ضيق الوقت.

وهناك مبدأ من شأنه إذا ما وضع موضع التطبيق بحماس و حزم أن يساعد العاملين بالمدارس على ربط أنفسهم بعجلة السلطان . هذا المبدأ هو أن المشتغلين بالتربية ، على الرغم من أنهم يعينون بوساطة مجلس يمثل الجمهور ويستمر في عمله بوساطة ، لا يدينون بولائهم الأساسي للمجلس أو لأي جماعة تمثل السلطان . فهم في هدوء العقل والرشاد يدينون

بولائهم الأول إلى إطار التفكير العملي والخلق ، الذي يتدربون و يعيشون ويعملون داخله ، إنهم يدينون بولائهم للغرض الأسمى ألا وهو إيجاد تعليم عام أفضل كما يدينون بالولاء للشرائع وللقانون، ولتعاملهم و لتماسكهم بشرفهم بالجملة مهنيون محترفون، وهذه عبارة تعبر في حد ذاتها عن أشياء كثيرة تفوق ما عسانا نحتاج إلى قوله ، والواقع أن الاحتراف المهني الكامل هو أكثر المثل العليا المتعلقة بخدمة الجماعة استحقاقا للتقدير.

مشكلات ومشروعات

١. اشرح فكرتك عن البيئة بوصفها نظاما من نظم العلاقات الإنسانية، مثل أمثلة من خبراتك عن كيفية وجود علاقات متداخلة بين الأنظمة الفرعية.

٢. إذا كنت تسعى إلى وضع برنامج يهدف إلى التغيير في بيئة ريفية ، كخدمات صحية للأطفال فاذكر أي الجماعات وأي المصالح تتصل بها والأسباب التي تبرر سعيك ، واذكر الجمعيات والمصالح التي تتصل بها لهذا الغرض في مدينة كبيرة .

الفهرس